محمود ثابت الشاذلي

# الماسونية

## عقدة المولد .. وعار النهاية

● « الماسونية » : عقيدة ، وتراثا ، ورموزا ، ومحفلا ، وخطة ، وهيكلا ، ومؤامرة ، وشراكا وسبكا ، ورسنا ... الخ .

طبعة مزيدة ومنقحة

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

## بلاغ من زرقاء اليمامة

**• هذا البلاغ :**

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ...

فلقد أهداني العالم الجليل أبو مصطفى الأستاذ عبد الله العقيل مدير الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية عام ١٩٧٢ كتيباً معجباً للكاتب الإسلامي الباكستاني مسباهول إسلام فاروقي بعنوان : « الماسونية ... دراسة نقدية - كراتشي ١٩٦٨ »

( Freemasonry : A Critical Study - Karachi, 1968 ) .

وقد صدر الكتيب بمناسبة عرض قضية الماسونية على الجمعية الوطنية الباكستانية .

والكتاب على دقة حجمه - صغر أوراق وقلة صفحات - ضمَّنه كاتبه نقاطاً رئيسية لثلاث موسوعات عن الماسونية من تصنيف كبار أحبار الماسون ، كشواهد مبينة ودلائل واضحة فاضحة عن مصدر الڤيروس الغريب ومنطلقاته وزاده وغايته .. فكرة وحركة ومحفلاً .

وفتح لي كتيب فاروقي الطريق إلى دراسة شاملة عميقة للمسألة الماسونية في مصادر شتى ، ولمن رضع من الأفعى أو أفرزته هى من فرق ومذاهب

وجماعات وتنظيمات وانقلابات على مدى تاريخنا الإسلامي كله ... والتاريخ الإنساني بعامة .

وأعانني الصديق الدكتور ( م . ع . أ . ) أثناء وجوده في بريطانيا وأمريكا بمصورات ضوئية عما تعذر الحصول عليه من مراجع ومضابط مؤتمرات في هذه المسألة وما حولها ، إما لقدم تاريخ الطباعة لبعضها أو لحظر النشر فيما يخص البعض الآخر .

ولقد طوّق عنقي بدين لا أملك رده يوم صوَّر لي من داخل المتحف البريطاني بلندن بعضاً مما لا تريد بريطانيا نشره إلا بعد مائة عام من تاريخ صدوره ، وبعضاً مما نفدت طباعته في نيويورك !!

ومضت سنوات ..........

وطالعتنا صحيفة الأهرام في يوم الجمعة اليتيمة من رمضان عام ١٣٩٨ هـ بخبر فحواه أن منطقة « روتاري » غرب القاهرة قد أقامت حفل إفطار في فندق المريديان ، دعت إليه « روتاري » بقية مناطق القاهرة ، وقد حضر الحفل الدكتور مصطفى محمود ، الذي أجاب على أسئلة الروتاريين .

وقد جاء النبأ في مكان بارز من صدر أخبار الصحيفة ، ولم يرد ضمن سطور الاجتماعيات ، حيث يعلن الموسرون عن حفلاتهم أو تهانيهم أو مواليدهم ونحو ذلك على نفقتهم الخاصة .

واعتقدت وقتها أن الخبر ربما جاء لتمتيع الجماهير المصرية في متابعة الروتاريين وأكلاتهم الدسمة في « المريديان » ، أو ربما لتعويد عيون الناس على رؤية مثل هذه الأخبار تمهيداً للقبول ببشارة الخلاص الماسوني المرتجي ، أو ربما صدر دون أي قصد على أحسن الفروض !

وقد غمَّني وقتها حكاية اثنين من « البلديات » أحدهما يشغل مكانة سياسية بارزة ، والآخر صاحب مشروعات صناعية وتجارية متميزة ، وقد

اصطادهما الروتاريون ..... حكيا لي - في غفلة أو براءة الواقفين على أولى درجات السلم - عن طريقة تجنيدهما وعن منظمتهما ومناطقها وتحركاتها وصلاتها العالمية .

واتفق أنني كنت قد انتهيت من دراسة الحكاية الإسرائيلية برُمتها ، في أسفار التوراة ( أسفار موسى الخمسة ) وأسفار الأنبياء والملوك والتواريخ والمزامير ، مع بعض الدراسات الأصلية لمؤرخين وباحثين وسياسيين وربابين يهود .

ووقع في يدي من قبيل الصدفة بعض الكتب والنشرات التبشيرية !! عن « خلاص جميع إسرائيل والولادة الثانية للشعب المختار ، بعد أن صار غصن التين رخصاً وخرجت أوراق الشجرة وكوّنت أُمة إيذاناً بقرب ظهور الرب ..... مسيح إسرائيل ليرد عن شعبه الفجور » !! ....... وعلى الماسون حمل الشعب المختار على الركبتين تدليلاً وتعظيماً وصولاً به إلى الهيكل الأقدس في أورشليم !!

واتفق في ذلك الحين أيضاً أنني كنت فرغت من وضع الخطوط الرئيسية وجمعت المادة الأساسية لبحث عن الدولة العثمانية ..... آخر الدول الجامعة لوحدة المسلمين بعنوان « رؤية إسلامية في المسألة الشرقية » .

وللماسونية دور كبير في مادة الفصول الخمسة للباب الثالث من تلك الدراسة .

فجذبني خبر صحيفة الأهرام وحرّك قلمي لأداء شهادة أعلمها عن الماسونية ....... المنظمة الأم « للروتاري » الرافد .

وكنت قد وضعت قلمي في غمده منذ منتصف الستينات الميلادية ، وقد أَسرَ مع صاحبه ورُوِعَ يوم استكمل عدته ، فجف مداده وصديء سنه وشاب وهو بعد وليد !!

ولئن كان قد جاد على فترات منقطعة بسطور هنا أو قصة هناك ، فقد اعتصرها من عروق الحزن ونزفها من بقية أيام ري ، وفاءً منه لصاحبه الذي استخار الله وعاف أن يهبط به إلى مرتكس الببغاوات الدنيء !!

لكن ...... ! ؟

بينما أكتب الفصل الأول في هذه الدراسة عن الماسونية إذ شدتني حركة القلم إلى ذلك الماضي الأسيف فتحسست ظفراً جديدا قد ولد عن سلف له قديم ، ولمست آثار كرابيج ناتئة في الجسم بارزة أو آكلة في اللحم غائرة ، فاستعذت بالله من كل دافع غلاّب شريف !! أرادني حيث ينبغي أن أكون بقلمي مع أمتي ، لا أكتمها ، شهادة أعلم أنها لا تتعلق بحياتها الفكرية أو الوجدانية فحسب ...... لكن بوجودها الإنساني ذاته من حيث تكون أو لا تكون !!

ذلك أنني أقدّر الحظر الاستراتيجي الذي وضعته القوى الكبرى المهيمنة على عالم اليوم ، فيما يخص فضح التخريب الماسوني ، وارتباطه بلعبة الأمم ، وصلته بمراكز ما يُسمى بالفكر العالمي !! وأدرك دور الوكلاء أو البهائم العاملة في مطاردة أو تصفية من يقترب من الخطر !!

ولا مسافة قيد أنملة بين الحظر والخطر !!

وأنا أرنو إلى حياة راعية بجوار « رانية » - صغرى بناتي - وأدعو الله أن يرعاها ويحميها ممن يُروِّعها ويُغيِّب أباها بالقتل أو القهر ، فيسلمها لشظف العيش أو التشريد ، ويسلبها الأمن أو الاستقرار .. هذا إن سما ، أو يفتك بعرضها في أقبيته وسجونه ، كما فعلت الدُّمى الماسونية بالحرائر أمثالها ، وذاك إن هبط ..

والطاغوت الماسوني - في كل البلاد التي وضعها تحت السرج - هابط بكل مقياس مجرَّب صحيح !!

ويعزّ عليَّ أن تتلفت « رانية » من حولها فلا تجدني ، فتقول على لسان مَنْ قالت من قبل :

سألت قتيبة عن أبيها صحبه    في الروع هل ركب الأغر الأشقر

{ يعني هل قُتِل ؟ - والأشقر من الدماء ، وهو ما صار علقاً لم يخالطه الغبار ، والأغر الأشقر وصف الدم فأقامه مقام اسمه } .

فطويت عن الخبر كشحاً وأسدلت دونه ستراً ، ووضعت القلم في غمده ......

ومع ذلك ظل النداء في أعماقي قوياً ، ولم يدع لي سلاماً مع النفس ، ولم يثنني عن الإصغاء إليه مرض أو خوف أو مشاغل حياة ، حتى زفّت إلينا صحيفة « السياسي » الصادرة في تاريخ الأول من شوّال عام ١٣٩٨ هـ خبراً يقول :

## « وقف نشاط الروتارى فى دُبى » :

« أصدر الشيخ حمدان بن راشد وزير المالية والصناعة ورئيس بلدية دُبي قراراً بوقف نشاط جمعية الروتاري وسحب أي ترخيص يكون قد مُنِحَ لأنديتها ..

وقال مصدر مسئول في بلدية دُبي إنه سيتم إعادة النظر في نشاطات وتراخيص عدد من الجمعيات والأندية الأخرى المشابهة للروتاري » .

وأكد هذا الخبر أن الأمة لا زالت واعية وعيونها مفتوحة على تحركات الڤيروسات الغريبة التي يُراد زراعتها في الأرض والضمير !!

وأجزل اللّٰه المثوبة لمعالي وزير مالية دُبي وبارك فيه ، فقد أعانني قراره الجريء على طرد وساوس الخوف ، وأغلق عندي منافذ التردد ، فشجعني لأن أقدّم شهادتي ، ليعلم الناس خطورة الزحف الماسوني في أي زي من الأزياء ، فلا يرتكسون في حمأة الوكر واهمين أنهم يبنون حر الفكر !!

وإذا كان معالي وزير مالية دُبي قد غيَّر المنكر بوعي السلطة لأنه يملك القرار فإن الحديث عن الخطر بوعي القلم من حق مَنْ لا يستطيع مثل ذلك القرار !!

ولا أعتقد أن ثمة تعارضاً بين فضح الماسونية وبنوتها للتراث الإسرائيلي وكونها طليعة المخطط الصهيوني للسيطرة والسيادة على العالَم ، وبين دواعي الأمن ومساعي السلام !!

بل ولا حتى بالعلاقات الطبيعية المقترحة مع يهود !!

فالعصابة على العين ليست حجاباً كثيفاً يطمس الرؤية عن واضعها فحسب .. لكنها سد سميك على بصيرته كذلك .. وهى ليست – بحال من الأحوال – حاجزاً يوفّر الأمان للعميان !!

وشهد التاريخ ، وهو يرصد دورات الحضارة ، أن الذين أغمضوا عيونهم عن الجادة ، وتحصنوا من وراء الجفون المقفلة وقعوا جميعاً في قبضة من اصطاد النعامة التي دفنت رأسها في الرمال !!

ولعلنا لا ننسى درس الأمس القريب ..

فعندما دوّم الأعور حدقة عينه الواحدة في عورات عدوه المغمض عينيه الاثنتين ، غلبه ، وأوقع الهزيمة في عيون أخزتها الرِّدة والعمالة ، ولطخها قذى التهجين والاغتراب !!

وبديهي أنه عندما يصل العدو إلى عُقر الديار ، غازياً ، بالفكر أو العسكر ، يصبح الدفاع عن النفس ، بالسلاح أو بالقلم ، فرض عين ، لا تجوز فيه التعلّة بعورة البيوت أو صغر البذور !!

والسلاح له ظروفه وموازينه ، زماناً ومكاناً ، وقراره في يدي ولي الأمر ، يُقدِّره بناءً على درايته بالمناخ الدولي ، واستناداً إلى معلوماته بالأوضاع والملابسات التي تسود المنطقة وتشابكها مع القوى العظمى ، وعلى خبرته بالمقاييس والتوازنات التي تحكم العصر !!

أما القلم ، فلا عذر له ، إذا استعجم عليه الأمر واستبهم ، فلاذ بالأمان الخادع ، وجفّ مداده فلا يبين !!

وإذا كان أحدهم وهو يدافع عن سيد له مات قد رفض أن يُقلّد تمثال القردة على مكتبه فلا يرى ولا يسمع ولا يتكلم .. فإن أمتي قد ولدتني ذا هوية محددة المنطلقات والمعالم والخصائص والتوجهات ، كالملايين غيري ، من غانة إلى فرغانة ..... ولا أريد أن يفقد ابني محمد شرف هذا الانتماء الكريم .

ثم إن هناك بوناً شاسعاً وعميقاً - ولا قياس على الإطلاق - للفارق الكبير بين استلهام قرد واستلهام قدر !!

وهذه شهادة لا أستطيع أن أكتمها فيأثم قلبي ، وقولة حق لا بد أن تُقال ... وأنا أستنكف أن ألوذ بخرس الشيطان وأخاف من لجام النار !!

وإذ لست بالقطع واحداً من « الطالبيين » .... ولا « متشيعاً » أدعو إلى « بيت علوي » أو إلى « إمام الزمان » ، فإنني أطمح إلى حرية المعتقد والقول ، في ظلال « الرشيد » .. بلا خوف من « العَسَس » أو « السيَّاف مسرور » !!

وإذا كان رئيس تحرير الأهرام الأسبق قد حذَّر الشيوعيين المصريين في رمضان ١٣٨٤ هـ من الانتشار هنا أو هناك ، تعويضاً عن حجمهم الضئيل ، وهددهم بأن المجتمع قادر على كبحهم بالقانون وما هو أقوى من القانون ... بالدين .... فإننا من نفس المنطلق نطالب بصياغة قوانين الأمن والدفاع التي تحمى أمتنا من انتشار الماسون في أي زي من الأزياء ... وهم أخطر من الشيوعيين !

فالشيوعية ليست إلا فصيلاً هزيلاً من أدوات الخطر الماسوني .. تتسكع في الليل ، ملفوفة في ملاءة حمراء .. تنادي على الرفيق !!

أما الماسونية : فهي الخطر ذاته يخترق كيان الأمم والشعوب ، في دهان خادع .. فيحرقه ثم يلقي برماده إلى مزبلة التاريخ !!

ولا أحد هنا يريد أن يمشي على ألغام متناثرة ، مبعثرة هنا وهناك ، قابلة للانفجار عندما تصدر الإشارة من صهيون !!

وإذا كانت الماسونية في أزيائها المختلفة تتحرك في أي من دوراتها الزمنية ضمن دائرتها الجهنمية ، ويتكاثر عملاؤها في الوخم ، فإن من حق أمتنا أن تطالب بحصار هذا الغرس الوبيء .

نريد أن نحمي خلايا أمتنا الحية من هذا الاختراق !!

فالڤيروسات - والعهدة على علماء البيولوچي - لا تنمو إلا داخل الخلايا

الحية ، ولها مقدرة على التكاثر .. أي تكوين أفراد جديدة . لكنها لا تستطيع أن تتكاثر لوحدها إلا إذا وُجِدتْ داخل خلية حية أخرى . فالڤيروس الآكل للبكتريا مثلا يقترب من خلية بكتريا ويلتصق بها ثم يدخل جزيء منه إلى داخل البكتريا ويستعمل مواد الخلية ويبني منها ڤيروسات جديدة شبيهة به . وبعد أقل من نصف ساعة تتحطم البكتريا ويخرج منها ما يقرب من ٢٠٠ ڤيروس جديد . أما عندما يكون الڤيروس خارج الكائن الحي فبإمكانه أن يتبلور ويُخزَّن في المختبر . والصفة الأخيرة هذه من صفات الجمادات !!

وليس في استطاعتنا تخزين الڤيروسات الماسونية في أنديتها أو محافلها أو أوكارها .. أي مختبراتها .. محاصَرة – على الأقل – بين حيطان أربع حتى نأمن شر الانتشار ، لأنها حيطان ترشح « بديدان » سريعة الحركة والتكاثر « مصونة » من « المبيدات الشعبية » « ومحمية » الطريق كذلك .. بل عندها « ضوء أخضر » للاستقطاب !!

فإذا كانت محافل التخريب الماسوني قد أُغلقت في مصر – قانوناً – في منتصف الستينات الميلادية بعد أن انكشف دورها وهُتك سرها كمعاول هدم في البنية الخُلقية والاجتماعية والسياسية والفكرية ، وكأداة موظفة لخدمة القضية اليهودية .... فإن حماية بدائلها وروافدها أو منظمات دائرة في فلكها ، مثل « الروتاري » و « اللايونز » لا يعني إلا الانتهاك الفاضح للقانون نفسه الذي صدر بموجبه قرار الحرمان .

وربما ليس جديداً على الأذهان أن الأرثوذكسية والكاثوليكية ، وهما أكبر طائفتين مسيحيتين في العالَم ، تدين الماسونية وبُناتها وتحرمها على المؤمنين !!

ولأن الماسونية تتناقض مع قانون الإيمان المسيحي حيث إن المسيحية ( عقيدة ذات إيمان مانع لأي تداخل فيه ) كما قال « والتون حنا Walton Hannah » في كتابه « الظلام المرئى » ( Darkness Visible ) ، فقد حرَّم الڤاتيكان على الكاثوليك أن ينضموا إلى المحافل الماسونية وكل المنظمات الخاضعة لنفس الفكرة التخريبية .

وبناء على ذلك صدر مرسوم بابوي في ٢٠ ديسمبر ١٩٥٠ يدين أندية « الروتاري » ويُحرِّم على رجال الدين والشعب المسيحي دخول هذه المنظمة .

ومن قبل أصدر البابا « لويس الخامس عشر » عام ١٧٣٧ مرسوماً بمناهضة الماسونية وتجاوبت مع البابا وية بطريكيات الكاثوليك فى العالَم مثل البطريرك مسعد في لبنان عام ١٨٩٩ ء والبطريرك إلياس الحويك عام ١٩٠٢ .

أما الأرثوذكسية ، فقد أصدرت بطريكية الفنار عام ١٧٤٤ مرسوماً تُحرِّم فيه الإقبال على محافلها .

ومنظمة الروتاري أنشئت في شيكاغو عام ١٩٠٥ تحت شعار الخدمة وتذويب الفوارق بين الأديان والأجناس .

وشعار الخدمة والتذويب هما الدهان الخادع ، واثنان من الشعارات الطُعم ، التي تتستر من ورائها الماسونية ، وتفتح باب مصيدتها عليها .

ولو ترجمنا كلمة « روتاري » إلى العربية لوجدناها تعني « الدوران حول نقطة مركزية » .

وسنرى في هذه الدراسة أن هناك نقطة مركزية تدور من حولها الماسونية ، وهى بناء الهيكل في « أورشليم » .... ألف وياء المحفل !!

وقد تعاصر وجود منظمة « الروتاري » - في بداية الأمر مع نشأة منظمة النهيليست الدولية (Nihilism) التي تعني « العدمية » أو « اللاشيئية » .

« والنهلية » - وجهة نظر تقول بأن القيم والمعتقدات التقليدية لا أساس لها من الصحة ، وأن الوجود لا معنى له ولا غَناء فيه ، وتنكر أن يكون للمبادىء الأخلاقية أي أساس موضوعي . وترى أن الأحوال في المجتمع قد وصلت حداً من السوء يجعل الهدم مرغوباً فيه لذاته وبمعزل عن أي برنامج إنشائي { المورد - منير البعلبكي } .

ولما كانت منظمة النهيليست تضم أشتاتاً من الناس يتحدثون عن اضطهاد

روسيا لليهود ويتغنون بفضل النمسا وإتاحتها لهم فرصاً لجمع المال ! ( علامة التعجب ليست من عندنا لكنها من أرمسترونج ) وكان أكثر الأعضاء من معتلي الصحة الولوعين بالأسرار والتحدث بالرموز الغامضة { هـ . س . أرمسترونج – مصطفى كمال – دار الهلال – ص ٣٠ } .

كانت كذلك منظمة الروتاري تضم أشتاتاً من الناس مرتبطين على المستوى العالمي بفكرة محبة اليهود .... يجتمعون دورياً على المستوى المحلي أو القُطري أو الإقليمي أو الدولي ، فيأكلون ويثرثرون ويدعون المتخصصين في شتى فروع المعارف أو المسئولين في مختلف المواقع المؤثرة ليحاضرونهم فيما استشكل عليهم أو غاب عنهم من معلومات .... وذلك بقصد رصد الأخبار والتقاطها وتصنيفها وتقديمها – من خلال الأعضاء المتقدمين في السلك – لمن يهمهم الأمر !!

ومن يهمهم الأمر ليسوا إلا « مجلس شيكاغو » اليهودي للعلاقات الخارجية المتخصص في البحوث العميقة حول اهتمامات الناس !

وليس عجباً أن يكون « المحفل الكوني الماسوني » الذي يدير « الماسونية العالمية » هو الذي أوصى بإنشاء المنظمتين « النهلية » و « الروتاري » !!

فالأولى « العدمية » لإشاعة اليأس بين الناس وتكريس الفوضى حتى يكون الهدم هدفاً في ذاته بُغية التخريب العالمي وصولاً إلى العدم وانتظاراً لملء الفراغ بالفكرة الإسرائيلية وخلاصها المرتجى !!

والثانية « الروتاري » كجهاز معلومات ومركز تدريب ومدرسة تجهيزية للفكرة الماسونية ، ونسختها البديلة أو الرافدة لجمع العملاء وتجنيد الطابور الخامس !!

وأنا أزعم أن بعض إخوتنا « الروتاريين » قد التحقوا بهذه المنظمة ، المؤسسة تنظيماً وحركة ، قيادة وفروعاً ، قُطرياً ودولياً ، على أُسس الماسونية – كناد لأبناء الذوات أو لقضاء وقت جميل في صحبة ذَوي الأسماء الرنَّانة أو الطنَّانة أو لمعايشة الرقي ، أو من باب الدراية ببواطن الأمور إن كانت نامية

عندهم غريزة حب الاستطلاع ، وأن بعضهم لا زال على الدرجات الأولى من السلم ، لا يعلمون أبعاد التشكيل وانتماءاته وأهدافه البعيدة وبواعثه الخفية !!

فمن أجل ذوي النيات الطيبة من روتارييتا !! رأيت أن أقدّم المسألة الماسونية - التنظيم الأم لمنظمتهم الرافد - في دراسة موثّقة .. ولعلهم يسمعون حفيف جلد الأفعى وجرش أنيابها إذا ما فُضّ الختم عن دورها ، وكُشِف الغطاء عن مسيرتها الفتّاكة ، وهُتِكَ الستر عن سيرتها الوبيئة مع الذين رضعوا من سمها الزعاف !!

فنحن - إذن - نقصد من هذا البلاغ الدفاعي الأصيل أن تنهض أمتنا فتنفض عن نفسها غبار الغفوة التي طال أمدها لتؤكد ذاتها وتستعيد إيمانها بصفتها ، لكي تعيش في عالمها حياة حضور فاعل فيه ، ويصبح هذا الحس بالفاعلية حس جموع يقظة غالبة ، لا مشاعر قلة محاصَرة ، تعاني استعلاءها وحدها على هذا السد العميل ، فتعيش عذاب وحدتها ، وتحيا غُربة وجودها الأصيل !!

ونحن نهدف أيضاً إلى النداء على أهلنا من ذَوي النيات الطيِّبة لكي يخرجوا من فراغ الموت ، فراغ العدم .. ويركلوا بأقدامهم تلك الخطيئة التي رضعت من أسود سالخ .. وحس دبيبه مسموع في كل ما وُعِدوا به أو لُقّنوه !!

وهو أمر هين لين .. لا يُوجفون عليه من خيـل أو ركـاب !! يمشـون إليه مشيـاً .. ولن يقطعوا في سبيل الوصول إليه شقة .. ولن يلاقوا في الطريق إليه عنتاً أو مشقة !!

ليس عليهم إلا أن يُزيلوا الصدأ عن أقفال القلوب ، فتنفتح أبوابها على نور المعرفة الحقة ، وتكشف بصيرتهم هذا الوهم الماسوني الفاسد فيكتب الله عليه سريع الجلاء !!

أما من ركب بعد ذلك رأسه ووضع أصابعه في أذنيه ، عِمالة أو عِناداً ، فإن الهلاك عن بيِّنة هو الطريق الواضح إلى الخلود فى العذاب الواصب !!

إن حتفهم الحقيقي يكمن في دورانهم ، بعيون معصوبة ، حول نقطة مركزية ، يُسَخَّرون والأحجار على أكتافهم ، لأن ترتفع منها أعمدة معبد صهيون ، متجلياً !! في أبهته وجماله !! يسخر من أولئك الذين ضُلّلوا فقبلوا بشارته !! فعموا ، واستُخدموا فبنوا في خرس الحمير وصمم كتل الأحجار ، هيكلاً سيحدد خلاصه !! طريقهم إلى الهلاك الوبيل !!

ونحن – حتى من قبيل « الوطنية المصرية البحتة » !! ومن منطلق التنادي على غريزة البقاء ، لا ينبغي – بل يكون فقداناً للعقل وانتحاراً بكل خصائص الاندفاع إلى التهلكة – أن نتمرغ في غبار الغفلة ، أي نلوذ بالسلوك الصامت والهادىء كبهائم تلمودية ماسونية عاملة – بُكمٌ صُمٌ عُميٌ – لنصبح السقالة التي ستختفي ويُقام على أنقاضها المعبد الإسرائيلي في أورشليم ، ننظر – وقد فقدنا الحس والوعي – « البشارة الماسونية » عندما تتم « الخطة العظمى » « للمهندس الأقدس » !!

تلك الخطة التي بَشَّر بها أحبار الماسون و« أنبياء إسرائيل » و« شيوخ صهيون » في موسوعات ودراسات ومؤتمرات وفي أسفار « التواراة » و « الأنبياء » و « الملوك » و« التواريخ » و « المزامير » !!

وتخص « خطة المهندس الأقدس » مصر .. نعم « مصر » !! – بالنصيب الأوفى من رجس الخراب .. من مجدل إلى أسوان !!

مصر التي « يذوب قلبها داخلها ، ويقتل المصريون بعضهم بعضاً ، ويدور القتال من مدينة إلى مدينة ، بعد الفتنة التي سيزرعها ملك إسرائيل .. وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وتنتن مياهه وتتبدد كل المزارع ، حتى السواقي تجف وتصبح مصر كالنساء فترتعد خوفاً وفزعاً ، ويصبح في داخلها خمسة أقاليم تتكلم اللُّغة العبرية ، وتتلاطم مياه الغرق على أرضها ، ويأكل السيف ويشبع ويرتوي من دم المصريين ، وتُسبي العذارى المصريات وقد ملأ الأرض صراخهن ، ويُسحبن أسيرات فى خِزى عالمَي إلى أرض إسرائيل في جلعاد » !!

مصر الموعودة بأن تكون « عكاز قصب لبيت إسرائيل يكسرونه ويدوسون عليه » .

مصر المنذَرة – وفق « البشارة الماسونية » – « بألا تمر فيها رجل إنسان ولا رجل بهيمة ، ويُشتّت المصريون بين الأمم ويُبدَّدون في الأراضي ، وتُؤخذ ثروتها وتُهدم أُسسها وينحط كبرياء عزتها ، وتُضرم النار فيها ، وتتحوّل الأعياد نوحاً والأغاني مراثي ، وفي كل بيت مناحة كمناحة الوحيد » !!

من هنا ، فلست أعتقد أن السلام يشترط « التبشير » بالماسونية ، ونشر أوكارها بين الناس ، ودعم دائرتها الجهنمية ، في أى من دوراتها الزمنية ، أو في أي صورة من صورها على أي وجه من الوجوه !!

أما إذا كان ثمة شرط أو تسهيلات فإنه ليس مفروضاً علينا ألا نُلقي بأيدينا إلى التهلكة فحسب ... بل وألا نُصَعِّر خدودنا للناس !!

وإذا كان هذا الفرض داخلاً في عملية « التجارة بالإسلام » واقعاً في مسألة « خلط الدين بالسياسة » ، فإننا من منطلقات « قومية » بحتة لن نعدم حميَّة وغيرة ، علمانية لا دينية – على « ذوق التحضريين » – تأتينا منتصبة القد ، مرفوعة الرأس ، لا من « الأمة العربية » – التي كبرت وتكاثرت وغنيت من « المحيط إلى الخليج » !! بل من « قومنا » !! عرب الجاهلية ، وهم قبائل بدو ومساحة أرضهم لا تتعدى حدود شبه الجزيرة العربية ، يعانون شظف العيش وقسوة الحياة !!

فهذا « حاجب بن زرارة » يقول لـ « كسرى » – شاهنشاه الإمبراطورية الفارسية ( ملك ملوك الشرق يعني !! ) :

« إن العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مرتها ، ومنعت درتها ، وهى العلقم مرارة ، والعسل حلاوة » !!

فهى عندما تكون « عسلاً » تعلم الفارق الأساسي بين الأخذ والعطاء في إثراء للحضارة ، وبين الاندثار !!

فكما لا ينبغي أن يتوه مستقبل الثقافة في « البحر المتوسط » أو ينسرب

إلى « البحر الأسود » فإنه لا ينبغي بالضرورة أن يموت في « صهيون » !!

وعندما تكون « علقماً » فإنها تستعصى على أفواه الأفاعي والذئاب .. لأنها تُوقن أن تبادل العطاء بين السفن الناحية ازدهار لكل المرافيء .... وهو خصوبة للحياة .... وأما الغرق في البحار فهو العدم ولا شيء سواه .

وإذا كانت تجربة « الستينات » في مصر قد أثبتت أن زرع عقل غريب مرفوض ، فإن مصر أيضاً ستؤكد على بوار السلعة الماسونية الوافدة .... سلعة لن تروج على الأرض الطيبة حتى تحب الأرض الدم المسفوح .

إن حساب المكسب والخسارة في تجارة عملاء الماسون كان سراب الشيطان !!

لقد أكدت الرؤية المجرَدة على بوار سلعتهم الفاسدة بعد أن تُركت عارية في علانية النهار !!

نعم .. أثبتت التجربة خيبة « الصانع » وتفاهة « العميل » وخسران « السمسار » .

فلا استطاع الذين صنعوا « النماذج » أن يحتفظوا بسرها ، ولا كان في قدرة الدُمي أن تبقى بلا فضيحة بعد أن هلكت الأيدي التي كانت تمسك بالخيوط !!

أما الذين روَّجوا للصنيعة والصانع ، وهللوا للعبة ، فقد أسرُّوا الندامة ، وعَضُّوا أصابعهم ، ولعنوا مستضعفيهم ، ثم مُزِّقوا كل ممزق ، ما لهم من ظهير !!

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ (١) .

وهلك بعضهم برصاص مخدوميهم أو بسم الأسياد !!

أبعد ذلك خسران !؟

ولا يغرَّنك تقلب المستهلكين منهم في أزياء دجل وشعوذة ، فتقول : إن ذلك

---

(١) البقرة : ١٦٦

حسن ختام !! لا .. إنه فرار بالخطيئة محمولة على أكتافهم ، لا تداريها ألفاظ مطلسمة أو خرق بالية قد شيعتها القرون !!

* * *

وهذا كتاب أقدمه للأمة ، وللجماهير الإنسانية بعامة ، وأحتسبه عند الله ، وأحسبني أرى أنه ضروري لمن أراد أن يعرف المسألة الماسونية من قريب .

ولقد حاولت قدر طاقتي ، أن أتحرى الأقوال ، وأستقصي الحوادث ، وأتتبع المعلومات من مصادرها ومواقعها ، أتوخى الحقيقة في الطلب ، وأجلي عن الصورة كل غبش ، حتى لا يختلط حق بباطل ، فلا تخطيء العين تقدير الأبعاد .

فإن أصبتُ فتوفيق من الله ، وإليه سبحانه يرجع الفضل ويُعزي السداد .

وإن كانت الأخرى ، فهو اجتهاد غير مأجور من الناس ، وصاحبه لا يريد ثمناً من ناشر أو ثناء من قاريء ... إن ثوابه عند ملك الملوك .

اجتهاد قد يُصيب أو يُخطيء .. لكنه يبقى على كل حال اجتهاد ، يقبل المراجعة ، ولا يرفض تصحيحاً ، طالما كان مؤسساً على المنهج ، سليم القصد ، مبرءاً من كل دس أو انحراف .

**وبعد ...**

فهذا بلاغ من زرقاء اليمامة !!

وأرجو الله أن تعي أمتي هذا البلاغ ، وتُقدِّر خطره ، ومن ثَمَّ تستبين منه النُذُر ، فتفتح عيونها على تحركات الڤيروس الغريب !!

وإذ - لا قدَّر الله - استخفت أمتنا بالبلاغ ، وكذَّبت من صدقتها أبداً ،

وجاءت الصورة كما رأتها الزرقاء ، فقد وقعنا جميعاً في يد من يمسكون بفروع الأشجار الخضراء !!

وساعتها لن يُجْدِ البكاء بين يدي زرقاء اليمامة !!

ولن نُترك - ولو للحظة - للفرجة على الأشجار التي قالت الزرقاء إنها كانت تمشي من بعيد !!

محمود الشاذلي

* * *

# الفصل الأول

## العقيدة ... والتراث ..... والرموز

تنطلق الفكرة الرئيسية « للماسونية » من « العقيدة اليهودية » وتتحرك في إطار « التاريخ اليهودي » .

فالطقوس الماسونية تستمد وحيها من التراث اليهودي ، والرموز الماسونية « تمثل » الفكر والثقافة اليهودية ، والمفهوم الماسوني عن « الألوهية » مبني على الأسطورة الإسرائيلية .

وحكاية اليهود الصحيحة والمزعومة يُعاد صياغتها وتقنينها وتمثيلها في كل المحافل الماسونية في جميع أنحاء العالم .

والماسون مرتبطون في « أوكارهم » وأنشطتهم في الحياة الخاصة والعامة بقصص وخرافات « العصر الذهبي » لليهود ، يعيشون ذكرياتها ويتمثلون تاريخها ، ويحاولون إحياء هذا الماضي بأساطيره ومزاعمه .

و « يندب » الماسون قَدَرَ اليهود ويرثونه ويتفجعون عليه في نواح الثكل والكلالة .

ومن حجة في المسألة وصل إلى أقصى الدرجات في السلك الماسوني ، من الحبر الماسوني « آرثر إدوارد وايت Arther Edward Waite » في كتابه « موسوعة جديدة في الماسونية » ( A New Encyclopaedia of Freemasonry ) ، ننقل :

« فالحجر الذي نام عليه « يعقوب » والمنطقة الروحية التي تسمى « فدان

آرام » والسلم الذي رآه في « الرؤيا » علامات رمزية للماسونية . وهناك قرابة واشجة فيما يتعلق بالسلم الروحي في الكتب اليهودية » ( ص ٤٠٨ ) .

وبعد هذا التصريح الواضح من حبر ماسوني عن الرابطة الوثقى بين التراث اليهودي والماسونية . نعود إلى التوراة لنرى الأصل الذي انطلق منه النص .

ففي الإصحاح الثامن والعشرين من « سفر التكوين » ( عدد ٥ ) نقرأ :

« فصرف إسحاق يعقوب ، فذهب إلى « فدان آرام » إلى لابان بن بتوئيل الآرامي أخي رفقة أُم يعقوب وعيسو » .

ونقرأ في نفس الإصحاح ونفس السفر ( من عدد ١٠ - ١٢ ) :

« فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران . وصادف مكاناً وبات هناك .. وأخذ من « حجارة المكان » ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان . ورأى حلماً وإذا « سلم » منصوب على الأرض ورأسه يمس السماء » .

ونعود إلى « آرثر إدوارد » وموسوعته عن الماسونية :

« إن سبعة أعضاء يكوِّنون محفلاً صحيحاً وكاملاً لأن الرقم « سبعة » له مغزى عظيم في الماسونية . فهو تذكار « للسبت » في اسرائيل و « للسنة السبتية » عند قدماء اليهود و« للسنوات السبع » التي استغرقها بناء « معبد سليمان » وللسبع شمعدانات التي وضعت داخله . وأما الرقم « إحدى عشر » فهو تذكار للنقص الذي حدث لاسم مؤسس القبيلة الثانية عشرة عندما بيع « يوسف » في مصر » . ( ص ٣٦ )

ونقرأ : « إن الدرجة الثالثة والعشرين أ.أ . ر « الشعيرة العتيقة والمقبولة » .

(A . A . R . Ancient and Accepted Rite) تسمى « رئيس الخيمة » ( Chief of Tabernacle ) .

فساحة المحفل « للدرجة الثالثة والعشرين » تمثل التشريع لأسباط « إسرائيل » في الصحراء قرب جبل سيناء ، والرمز هنا ، أن « الخيمة » قد أقيمت في «التيه » بواسطة « موسى » كما هو موصوف في « سفر الخروج » .

والقاعة ( قاعة المحفل ) على شكل « خيمة مستطيلة » مشدودة على إطار وتحمل عموداً مرتفعاً في مركزها . والرئيس يرتدي زي « الكاهن الأعلى اليهودي » وكذلك الأمينان ، والمنتسب يطلب الكفارة من أجل أطفال إسرائيل ».

( ص ١٠٣ )

ونقرأ : « وفي الدرجة الخامسة والعشرين يمثل « التاريخ اليهودي » ويمرح بواسطة « ماسوني » هذه الدرجة التى تسمى « فرسان الأفعى النحاسية » ( The Knights of the Brazen Serpeant ).

فالكواكب السبعة للفلكيين القدامي تضيء ساحة سيناء طبقاً لرمزية هذه الدرجة ومركزها ... وفي وسطها الشجرة المشتعلة ... والكاهن الأعظم هارون يموت ، لكن موسى المشرِّع لا يزال حياً في الأرض المكشوفة ، ويمثل بواسطة رئيس المحفل ، « وجبل سيناء » يُعرض على لوحة الرسم من الشمال ، والشخص المنتسب لهذه الدرجة ( والذي كان لتوه في الدرجة الرابعة والعشرين ) في الزي التنكري لعابر سبيل . ثم يوسق على الفور ( يحزم ) بالأغلال ، مع أنه يظهر كابن من « سبط رأوبين ، معلناً عن « الكارثة » العظمى التي أسقطت « شعب إسرائيل » ومتوسلاً من أجل « الخلاص » كضرورة ، تمردوا على حياة « التيه » ضد « النفي » الذي طال أمده هناك ...ضد أعباء أربعين عاماً...ضد « المن والسلوى » التي أُعطيت لهم عندما صرخوا مطالبين بالخبز .

لكنه الآن شفيع لشعبه في خضوع أمام قائدهم ... إنه يحرر من الأغلال ، بينما « الرئيس الأعظم » للمحفل - كموسى - يعود لينادي الرب كي يرحم أُولئك الذين « اختارهم » . ( ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ) .

**حتى الرمز في اسم هذه « الدرجة الماسونية » الخاصة ، الخامسة والعشرين « فرسان الحية النحاسية » له مغزاه الواضح في « العقيدة اليهودية » و « التاريخ الإسرائيلي » .**

**ففي الاصحاح الحادي والعشرين من سفر « العدد » نقرأ :**

« فقال الرب لموسى : اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لُدغَ ونظر إليها يحيا . فصنع حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا » ( عدد ٢١ : ٨ - ٩ ) .

وفي الإصحاح الثامن عشر من « الملوك الثاني » نقرأ عن الملك « حزقيا بن آحاز » ملك يهوذا الذي ( عمل المستقيم في عيني الرب حسب كل ما عمل داوود أبوه ) ما نصه :

« هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق « حية النحاس » التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان » ( الملوك الثاني : ١٨ - ٤ ) .

أتُراني قد هتكت « الستر » عن « الرمز » بعد أن وجدنا « المسمى » صريحاً في تراث إسرائيل ؟

أما « رأوبين » الذي يتقمص المريد « الماسوني » شخصية أحد أبنائه ، معلناً عن الكارثة العُظمى التي أسقطت « شعب إسرائيل » ، فهو « بكر « يعقوب » الذي ارتكب جريمة « الزنا » مع « بلهة » امرأة أبيه وأُم أخويه « دان » و « نفتالي » .

وقد جاء عنه في الإصحاح الخامس والثلاثين من « سفر التكوين » : « .... وحدث إذ كان « إسرائيل » ساكناً في تلك الأرض أن « رأوبين » ذهب واضطجع مع « بلهة » سرية أبيه . وسمع اسرائيل » . ( تكوين ٣٥ : ٢١ ) .

**وعنه أيضاً في « الإصحاح التاسع والأربعين » من « سفر التكوين » :**

**« ودعا « يعقوب » بنيه وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب . واصغوا إلى إسرائيل أبيكم : « رأوبين » أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز . فائراً كالماء لا تتفضل . لأنك صعدت على مضجع أبيك . حينئذ دنسته . على فراشي صعد » .**

( تكوين ٤٩ : ١ - ٤ )

* * *

واضح بل فاضح - من خلال النصوص « الماسونية » الأربعة التي أوردناها - أن الماسون يعتقدون ويفكرون ويسلكون - تماماً - كيهود ، وأنهم يستوعبون « التراث اليهودي » ويتمثلون « ماضي اليهود » ويبعثونه :

- الحجر الذي نام عليه « يعقوب » والسلم الذي رآه في الحلم والمنطقة ( فدان آرام ) التي عاش فيها وأنجب فيها أبناءه وبناته في مقتبل حياته .

- الرقم سبعة « كرمز » للسبت « الإسرائيلي » وللسنة « الإسرائيلية » وللسبع شمعدانات في هيكل سليمان وللسبع سنوات التي استغرقها بناؤه .

- خيمة الاجتماع ( مسكن الرب المؤقت قبل بناء الهيكل ) والتي تردد ذكرها في أسفار « الخروج » و « اللاويين » و « العدد » و « التثنية » ، ومن ثَمَّ استحقت أن تكون لها « درجة ماسونية » خاصة تسمى ( رئيس الخيمة ) الدرجة « الثالثة والثلاثون » ... وحاملها يرتدي زي « الكاهن اليهودي الأكبر » تماماً كـ « هارون » الذي « كهَّن للرب »، مشرفاً على « خيمة الاجتماع » وطقوسها وشعائرها . « سيناء » ، « التيه » ، « الأربعون سنة » ، « المن والسلوى » ، « الكفارة » ، « الخلاص » ، « المنفى الطويل » ، « الشجرة المشتعلة » ، « الشعب المختار » ، « كارثة شعب إسرائيل » ، « سبط

رأوبين » ، « الاشتراع » ، « هارون » يموت قبل موسى ، « حية النحاس » ، « سقط رأوبين » ..... إلخ .

– ويواصل « آرثر إدوارد » حديثه الفاضح عن يهودية الماسونية أو « ماسونية اليهود » فيقول : « إن هيكل العهد القديم قد أفسح مكاناً لصهيون الروحية » ( ص ٣١٥ ) .

ويقول : « ..... إن مرتبة « العقد الملوكي » ( Royal Arch ) لإنجلترا لديها « الومضات الدينية المقدسة » ... « الوعي الجلي » بالرسائل الروحية التي تنقل إلى أولئك الذين يستطيعون تلقيها بواسطة « الهيكلين » في « إسرائيل » ( ص ٣١٥ ) .

يقصد « هيكل سليمان » الذي هدمه وأزاله من الوجود « الملك الكداني نبوخذ نصر » .. و « معبد ذربابل » الذي بُنِيَ بأمر « الملك الفارسي قورش » بعد عودة أسرى « سبي بابل » وتم التنفيذ في عهد « داريوس » كما في ( عزرا ونحميا ) .

– ويتغلغل « آرثر إدوارد » في التاريخ « الماسوني » الوبيء ، فيقول :

« إن أول « بيت » شيَّده « سليمان » يمثل حالة الكمال ... إنه هو الذي بُنِيَ في قلوب وأرواح « الأخوة » ... لقد خرب « بيت الرب » وسقطت « المدينة » و « الأمة » ( يعني القدس واليهود ) .

« ويقال إن جزاء الخطية هو الموت ... وعلى ذلك كان « السبي » في بابل حتى جاء اليوم عندما تذكر الماسون « صهيون » وبكوا على ضفاف المياه المرة .

« وكان على « الشعب المختار » ( اليهود ) أن يعيد بناء « بيت الرب » أما معبد « زربابل » فيمثل « إسرائيل الماسونية » تتخلى آلهتها الزائفة

( الأصنام ) ، ونير سلوك الشرير ، وتسلك في الطريق المستقيم في حرية « أبناء الله » ( اليهود بالطبع ) !!

وعلى هذه الكيفية فإن درجة « الأستاذ الكامل » للقديس « أندرو » ( Perfect Moster of St. Andrew ) تُعَلِّم « الماسوني » أن يقرأ تاريخ اليهودية لمصلحتة الخاصة و « للجماعة » على نطاق أوسع » (ص ٣١٥) .

وعن تحركات الماسون « السرية » في أورشليم وعن نصوصهم التاريخية يقول :

« وكان الشيء الرئيسي للترقي « كماسوني » سام ممتاز هو حيازة علامات وعملات رمزية معينة يتمكن بواسطتها المنتسب أن يثبت نفسه للرفاق ( يكشف عن صفته ) .

« وبناء على « المحاضرة التاريخية » ( Historical Lecture ) فإن قرار « قورش » الذي حرَّر اليهود الأسرى . كان إذناً وترخيصاً لهم بحرية العمل . كذلك تهتم « المحاضرة التاريخية » بخراب أُورشليم و « معبدها » المقدس على يد « نبوخذ نصر » لأن سردها وتلاوتها يعتبر إعداداً للفكرة المثيرة والمقدسة لإعادة البناء الغيور المعجب لبيت الرب » ( ص ٢٦٧ ) .

وعن بدء التاريخ « الماسوني » في « أوروبا » وعن الدور القذر الذي قام به الماسون أثناء « الحروب الصليبية » ، وعن الأصل في إطلاق هذا الاسم الخبيث « الماسونية » يقول في مناقشته « للدرجة الثالثة » للماسونية المختارة : ( Third Degree of Elect Masonry )

« ينفتح المحفل في منتصف الليل ، لكن شمساً تُشرق عليه لأنه في ضوء المسيحية التام كان « الفرسان » مُكرَّسين نهاراً إما لقتال الكفار ( يقصد المسلمين أثناء الحروب الصليبية ) أو لأعمال الضيافة ( للعصابات الأوروبية المقاتلة تحت قيادة ريتشارد ) . أما في منتصف الليل فكانوا « يعطون تقارير» عن تقدمهم ( أي أعمالهم الخسيسة كطابور خامس يقوم بالتخريب من وراء

خطوط المسلمين واغتيال المجاهدين الذين كانوا يصدون الغزوة الصليبية ) والمحادثة أو « المجادلة التاريخية (Historicol Discourse) هامة جداً لأنها تتضمن ترجمة خاصة عن الانتقال المخلص للأسرار الماسونية منذ عهد سليمان إلى الحروب الصليبية » ( ص ٢٢٨ ) .

ويقول : « وجاء الوقت الذي توحَّدت فيه « الماسونية المختارة » مع درجة القديس چون المقدسي ( St. John of Jerusalem ) وبهذه الطريقة التي انتقلت من خلال الملوك والنبلاء الصليبيين ، بدأت تُعرف في أوروبا . وافتتحت وتأسست المحافل في إيطاليا وأسبانيا وفرنسا وإنجلترا ، حيث انتقلت إلى « اسكتلندة » وتأصلت في « كيلوننج » (Kilwinning ) وعندما عاد « إدوارد » - الأمير الأسود ( Black Prince ) من « الحملة الصليبية الثامنة » والأخيرة ، أصبح الحامي والمدافع عن الطبقة ( الماسون ) في إنجلترا ، حيث اتخذت اسم الماسونية » ( ص ٢٢٩ ) .

كانت « الحروب الصليبية » إذن هى « البؤرة » العفنة التي انطلق منها الڤيروس الغريب إلى أوروبا ، حيث أسس أوكاره ( محافله ) وعرف باسمه هناك .

تاريخ قميء ... وميلاد سفاح .

ويمجد « آرثر إدوارد » دور الماسون الخسيس في الهجمة الصليبية كـ « طابور خامس » ، ويوضح بداية العلاقة بين « الصليبية » الغازية لديار المسلمين ، و« الصهيونية » المتحركة في طليعتها السرية المسماة « بالماسونية » فيقول :

« إن الموطن الأصلي والتاريخي « للماسونية الرمزية » ( Emblematicl Masonry ) يجب ألا يُغفل . يقال إن الكثيرين قد استقروا في إنجلترا واسكتلندة وأيرلندة ، لكن مركز الجميع بقى - مع ذلك - في « فلسطين » .

**وعندما حان الوقت للملوك وأمراء أوروبا ومؤمنيها أن يُخلّصوا « أورشليم » من نير الكفر والأوغاد ( الإسلام والمسلمين ) !! حُكِيَ لنا أنهم ( الماسون ) عرضوا خدماتهم في ذلك المشروع الجليل ( الغزوة الصليبية ) ، وأن الماسون « عالي المقام » قد قاموا بمعجزات لا نظير لها من البسالة والجرأة ( يقصد دورهم كطابور خامس من خلف جيش المسلمين ) . وكانت إحدى النتائج أن الملوك والنبلاء الصليبيين قد توسّلوا ملتمسين في إلحاح وحازوا القبول للدخول في الماسونية » ( ص ٣١٦ - ٣١٧ ) .**

[ ملحوظة : من الطريف أن الكاتب الماسوني استعمل فعل ( Solicite ) في جملة :

(One result wes that the royal and noble crusaders solicited and obtained initiation ) .

وهذا الفعل (Solicite ) فعـل متعد (Transitive Verb) ويعني « توسل » أو « التمس » أو « أغرى » أو « تحرّش » وله معنى أصلى آخر .. اذ يعني : « تحرش البغى برجل » .

و « البغي » هنا ، هم « القوي الصليبية » من ملوك وأمراء ونبلاء و « الرجل » هو « الماسونية » ] .

إلى هذا الحد كان « الحجم » و « النسبة » و « الرغبة » و « العلاقة » وهكذا ... هى الآن بين « الصهيونية » أو « الماسونية » ، وبين القوى الكبرى . الدائرة في فلكها ، المتيمة في هواها !!

كم هو تجلي !!

ماذا يقول ( مسلمونا ) الماسون . والإسلام يُسمَّى « الكفر » ، والمجاهدون بقيادة صلاح الدين يُدعَون « الأوغاد » ، والمتآمرون أفراد الطابور الخامس

يُوصَفون بأنهم « عالي المقام » ، والهجمة الصليبية تُنعت « بالمشروع الجليل »، والقتلة المتعصبون من نصارى أوروبا يُطلق عليهم « المؤمنون » ، والتخريب بليل .... وموالاة العدو في السر ، الذي قامت به عصابات من عملاء اليهود المستأمنين في ديارنا ، والأُمة كلها مستنفَرة للجهاد ، يُوصف بأنه « معجزات من البسالة والجرأة » !؟

أليس عجباً أن يعتبر ماسونيونا المسلمون « إسلامهم » كفراً ، وأبطالهم المجاهدين أوغاداً ، و « خلاص » القدس من المسلمين قضيتهم الأساسية ؟

ويعترف « آرثر إدوارد » بأن « الماسون » يعيشون ويتقدمون ويتحركون طالما كان اليهود في صعود ... وعندما يُصاب اليهود بنكسة فإن الماسون يخبئون أنفسهم كفئران تنحت بأسنان الظلام والتخريب في البِنية السياسية والعقائدية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للأمم انتظاراً لثورة يهودية تُعيدهم إلى الحركة من جديد .

يقول « الحَبر الماسوني » : « إن فرسان « فلسطين » - أسلاف وآباء ومؤسسي الأخوة الماسونية كانوا الشهود المحزونين لكل تلك الكوارث والمصائب التي أسقطت « مملكة يهوذا » لقد تشتتوا « في أماكن سرية عديدة » حيث طردتهم « مؤامرة » الأحداث المشئومة والخراب التام « للأُمة اليهودية » ... ومن وسط تلك الظروف انتظروا « ثورة » ما في المستقبل ... الثورة التي يجب أن تضعهم مرة أخرى في حوزة ميراثهم - ميراث أسلافهم - وتمكنهم للمرة الثالثة من « بناء معبدهم المقدس » ليستأنفوا أعمالهم في دائرته المباركة » ( ص ٣١٨ ) .

وعن « الغاية » القصوى « للماسون » يقول « آرثر إدوارد » : « إن فرسان المعبد ( The Knight Templers ) يقصدون إلى إعادة بناء أورشليم - المدينة المقدسة - وفوق ذلك معبدها المقدس » ( ص ٤١ ) .

وعن فك ارتباط العملاء « الماسون » من شعوبهم وتقاليدهم ، وانعتاقهم من كل شيء في حياة الإنسان ، والضحك عليهم مؤقتاً بالتبرع لهم بالانتساب إلى السبط الملوكي « سبط يهوذا » الذي سيخرج منه « الملك اليهودي » الذي سيحكم العالم من « أورشليم » يقول :

« إن المنتسب « للكمال الماسوني » في درجة « الصليب الوردي » ( Rose - Croix ) لا يؤكد على اندماجه في السلك الأعظم « للفروسية المسيحية » ( Christian Knighthoed ) ، ولكن على انتمائه كسلالة تنحدر من « سبط يهوذا » ...... وأما في درجة « الحَبر الأعظم » ( Grade Of Grand Pontiff ) فنحن مرة أُخرى بين « أسباط اسرائيل » ، لكنهم الآن في ضوء البحث ، كأولئك الآتين من المنفى ممثلاً في « مصر » و « بابل » وجوههم متجهة إلى « المدينة الروحية » - أورشليم - التى فوق » ( ص ٣٤٢ ) .

وهنا لا بد من عودة إلى « الفكر العميل » في التاريخ الإسلامي القديم ، لنرى كم هو مفضوح أن تصدر « أدوات التخريب اليهودية » من كل الأجناس والنحل وعلى مدى العصور المختلفة عن « مستنقع » واحد .

ففي إحدى رسائل « إخوان الصفا » ورد النص الآتي بالحرف : « ... تتقلب بنا « تصاريف الزمان ونوائب الحدثان » حتى جاء وقت الميعاد بعد « تفرق » في البلاد في مملكة صاحب « الناموس » الأكبر ، وشاهدنا مدينتنا الروحية «المرتفعة في الهواء » . ( اخوان الصفا - فصل مذهب هذه الجماعة - دكتور محمد غلاب - دار الكاتب العربي - ص ٣١ ) .

أرأيت « وحدة التقلين » عند البهائم العاملة ، الساكنة كألغام تلمودية دسها اليهود في كل بقاع الأرض ، وإن اختلفت الأزمان ، وتنوّعت الأمم ، وتباينت اللُغات .

إن بين « إخوان الصفا » المنسوبين إلى المسلمين في القرن الرابع الهجري وبين

« ماسوني » آرثر إدوارد « الإنجليز » في القرن العشرين الميلادي ( الرابع عشر الهجري ) مدة عشرة قرون .

لكنها ذات الأفعى التي رضع منها أولئك وهؤلاء .

| عبارات آرثر إدوارد | عبارات إخوان الصفا |
|---|---|
| - تشتتوا في أماكن عديدة حيث طردتهم مؤامرة الأحداث المشئومة . | - تتقلب بنا تصاريف الزمان ونوائب الحدثان . |
| - أولئك الآتين من المنفى ممثلاً في مصر وبابل | - حتى جاء وقت الميعاد بعد تفرق في البلاد في مملكة صاحب الناموس الأكبر . |
| - وجوههم متجهة إلى المدينة الروحية أورشليم التي فوق . | - وشاهدنا مدينتنا الروحانية المرتفعة في الهواء . |

نفس الألفاظ وفي لغتين مختلفتين : العربية والانجليزية . وبين النصين عشرة قرون !!

مَنْ ؟ أخذ مِنْ مَنْ ؟

لم يأخذ « آرثر إدوارد - بالقطع - من « إخوان الصفا » ...لكن النصين «أفرزهما » مصدر واحد ... إنه « الأسود السالخ » وحِسّ « دبيبه » مسموع من تحت « الألفاظ » .

أليس .... ( ماذا ؟ ) ... عجباً ؟ خطة ؟ مؤامرة ؟ سذاجة ؟ سفالة ؟ عمالة ؟ انتماء لذات المستنقع الآسن الآثم ؟ ... ( لا أجد كلمة مناسبة ) أن يطلب منا المدعو « غلاّب » أن :

« نعني عناية فائقة بتقديرهم واحترامهم اعترافاً بفضلهم وإبرازاً لإنتاجهم .. وتخليداً لأسمائهم ( إخوان الصفا ) وتشجيعاً لأخلافهم ( أى الماسون ) على متابعة الجهود النشيطة ومزاولة الأعمال الرفيعة ( أى تجنيدنا في خدمة اليهود باعتناق الماسونية ) لأن ذلك أول واجبات الأمم نحو أفذاذها الموهوبين وأعلامها

الممتازين . وإلا لو لم تقم به ( أى الأمة ) لقضت على نفسها بالموت الأدبي .. لأنهم ( أى الجماعات الماسونية ) أسمى وأنفع في تأسيس الأمم وتقويمها وأجدر بالتكريم والتخليد من جيمع أصحاب الرسالات الأخرى المتعلقة بالجوانب المادية من الحياة » .

كما قال في مقدمة منشوره « إخوان الصفا » ( ص ٣ ) .

يطلب منا ذلك في الوقت الذي ينقل فيه ما قرره « البارون كارادي » في صدق :

« إن هذه الجماعة لم تكن جمعية فلسفية بسيطة ، وإنما كانت إلى جانب ذلك شيئاً آخر ، وإن كان من العسير أن يقال ما هو ذلك الشيء بالضبط .. إنه يحوم حولها سر غريب ، وهو الذي يمنع من كشف غايتها وأعمالها ووسائلها ، ولكن الأمر المؤكد هو أن إخوان الصفا كانت لديهم أدوات أخرى للدعاية غير مؤلفاتهم بل إن هذه المؤلفات نفسها لم تقل كل شيء عنهم ، ولم توضح كيف كانوا ولا ماذا كانوا يفعلون ، ولكنهم كانوا يشتغلون بالسياسة » .

ولم يجد « الدكتور » !! دليلاً واحداً ينقض به رأى « كارادي » في هذه الجماعة ، بل أكده في سذاجة من حيث لا يدري فيما نقله في نفس الصفحة عن مثله الأعلى الدكتور « طه حسين » :

« كان هؤلاء الناس إذن يعملون من وراء أستار ، ويؤلفون جماعة سرية ، وكان قوام جماعتهم هذه فيما يظهر سياسياً وعقلياً ، فهم يريدون قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي يومئذ . وهم يتوسلون إلى ذلك بقلب النظام العقلي المسيطر على حياة المسلمين أيضاً » .

وينعى طه حسين « حظ هذه الجماعة التي لم توفق إلى نشر الرعب في العالم الإسلامي » كما فعل « الإسماعيليون » المنحرفون ، وإنما كان نصيبها من النجاح مثل « الفيثاغورثيين » .

يقول « طه حسين » : « فجماعتنا السرية هذه متأثرة من غير شك بما كان في العالم اليوناني من محاولات تشبه محاولتها السياسية متأثرة بمحاولة الفيثاغوريين متأثرة بمحاولة أفلاطون ، وقد كان حظها من التوفيق كحظ الفيثاغوريين ، فقد وفق الإسماعيليون الى وجود نظام سياسي مكن لهم في بعض الأرض ، ونشر الرعب في العالم الإسلامي حيناً » .

ومن ثمَّ لم يكن « تزمتاً » أو « انفلاقاً » أو « رجعية » أن لفظت الأمة عصابة « إخوان الصفا » وطاردتها فكراً وبشراً بعد أن تأكد لها أنهم كانوا يهدفون من وراء حركتهم إلى « قلب الدين ونظام الحكم » . وقد ذاعت هذه التهمة بين الخاصة والعامة .

كم هو تجلى أن يكون لقب أحد أعضاء عصابة « إخوان الصفا » في البصرة « القدسي » أو « المقدسي » ... اللقب الذي أطلق على العضو « أبو سليمان محمد بن مشعر البستي » – نفس اللقب في الدرجة الرابعة الماسونية « لفرقة العهد الملوكي » ( Royal Arch Chapter of Jerusalem ) في العصر الحديث ... ونفس اللقب الذي كان إبَّان « العصور الوسطى » في ظلام « الغزوة الصليبية » لديارنا ، لإحدى الدرجات في « الأوكار الماسونية » القديمة ..درجة « القديس جون المقدسي » . ( St. John of Jerusalem )

وكم هو تجلي أيضاً أن يرد في إحدى رسائل « إخوان الصفا » :

« اعلم أيها الأخ – أيّدك الله وإيانا بروح منه – أنه ينبغي لإخواننا – أيّدهم الله حيث كانوا من البلاد – أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم ، يتذاكرون فيه علومهم ويتحاورون فيه أسرارهم »!!.

وأن يصف الحَبر الماسوني « آرثر إدوارد » درجة « فرسان فلسطين » آباء

ومؤسسي الأخوة الماسونية أيام الحروب الصليبية بأنهم كانوا من قبل اتصالهم بالصيلبيين وبعد خراب الهيكل وتشتت اليهود :

« قد تشتتوا في أماكن سرية عديدة حيث طردتهم مؤامرة الأحداث المشئومـــة ... ومن وسط تلك الظروف انتظروا ثورة ما في المستقبل ... الثورة التي تمكنهم من بناء معبدهم المقدس » .

* * *

ونمضي في طريقنا مع « يهودية الماسونية » أو « ماسونية اليهود » ، لا يذعرنا في حارة الظلام رمز أو يخيفنا طلسم .

ستواجهنا شارة ( Badge ) تحمل دلالة خاصة على الانتساب إلى مرتبة متطورة في السلك الماسوني المخبوء .

فعندما يصل الماسوني - « الماسوني المنظم في المراتب العليا » - إلى «درجة الملوكية » ( Royal Arch Degree ) يصبح له إلٰه غريب اســمه : « يه - بل - أن » ( Jah - Bul -On ) .

وقد فسر الكاتب الإسلامي « مسبهول إسلام فاروقي » هذه التركيبة من خلال « المحاضر الرمزية » - نص ماسوني معتمد - فانفك طلسمها وانكشف الغطاء عن مدلولها وهتك السِتر عن سرها .

فهي مركّب من ثلاثة ألفاظ - يحتفظ كل عنصر فيه بخصائصه - يهوه ( Jahweh ) إلٰه اليهود ، و « بعل ( Baal ) إلٰه آشور ، و « أُوزوريــس » ( Osoris ) إله قدماء المصريين .

أى أن هذا الشعار - الرمز - مكوّن من ألفاظ أو كلمات واضحة الدلالة في أربع لغات :

( ٣ - الماسونية )

« العبرية » و « الكلدانية » و « السريانية » و « المصرية القديمة » راجع :

( Misbahul Islam Farouqui : Freemasonry . p.14 ) .

وهذا الإله المركّب مرفوض عندنا نحن المسلمين ، والتسمية ذاتها مناقضة لمعنى الألوهية ... مناقضة للفظ الجلالة ولأسماء الله الحُسنى ... وتعالى الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء - تعالي ربنا عن ذلك علواً كبيراً .

وقديمة ... !!

فتسلل « الأسود السالخ » سَلَف الماسونية ، إلى التفكير المريض في عالَمنا الإسلامي له جذور قديمة ، وهو يحاول تخريب معتقداتنا ، ويصطنع لنا تخليطاً غريباً ، وهو يُلفِق شيئاً يوِّحد المُسخَّرين في وهم اسمه « الرابطة الخفية أو السر المخبوء الذي لم ينكشف إلا لصفوة ممتازة اختارتها العناية الإلهية وأماطت عنها الحُجب والأستار » .

من هذا الدس : محاولة الجماعة المخربة القديمة التي تسمى « إخوان الصفا » رضعت والماسون من « ذات الأفعى » ، أو قل هم « ماسونيو » المسلمين في العصر الوسيط .

وعن مذهب هذه الجماعة ينقل عنهم المدعو « الدكتور محمد غلاًب » في منشوره « إخوان الصفا - المكتبة الثقافية - يناير ١٩٦٨ » :

« فهل لك يا أخي أن تتم الميعاد وتجيء إلى الميقات عند الجانب الأيمن حيث قيل : ياموسى ، فيقضي إليك الأمر فتكون من الشاهدين ؟ أو هل لك يا أخي أن تصنع ما عمل فيه القوم كى ينفخ فيك الروح فيذهب عنك اللوم حتى ترى

« الأيسوع » عن « ميمنة عرش الرب » قد قرب مثواه كما يقرب « ابن الأب » ، أو ترى مَنْ حوله مِنَ الناظرين ؟ أو هل لك أن تخرج من ظلمة « أهرمن » حتى ترى « اليزدان » قد أشرق منه النور في « فسحة أفريمون » ؟

أو هل لك أن تدخل إلى « هيكل عاديمون » حتى ترى « الأفلاك التى يحكيها أفلاطون » ؟

وفقك الله أيها الأخ البار الرحيم وجميع إخواننا لفهم هذه « الإشارات والرموز » وفتح قلبك وشرح صدرك وطهّر نفسك ونوّر عقلك لتشاهد بعين البصيرة حقائق هذه الأسرار » ( ص ٣٣ ) .

وهذه « الأخوة الصفوية » التي تستلهم بنيانها الروحي الموّحد من ميقات الجانب الأيمن ومن « رؤية الأيسوع عن ميمنة عرش الرب كما يقرب ابن الأب » ومن « نور اليزدان في فسحة أفريمون » ومن الدخول إلى « هيكل عاديمون » و« الأفلاك التي يحكيها أفلاطون » ... يُثنى عليها الدكتور غلاّب قائلاً :

« الحق أن محاولة هذا التوفيق بين جميع الأديان من جانب إخوان الصفا ، وبذل الجهد في إثبات أن أصل هذه الأديان واحد ، وأنها بالتالي يجب أن تتلاقى وتتصافى ، وأن تحل المحبة والإخاء محل التنافر والجفاء .. »(ص٣٣) .

تُرى كيف يتم التوفيق بين « موسى » و« الأيسوع » و « اليزدان » و«أفريمون » و « هيكل عاديمون » و « أفلاك أفلاطون » ؟

وهل صحيح أن أصل هذه الأديان واحد - إن كان يمكن إطلاق لفظ دين على « اليزدان » و« أفريمون » و « عاديمون » و « أفلاك أفلاطون » - وأنها يجب أن تتلاقى وتتصافى ! ؟

وهل سَتُقَسَّم على قاسم مشترك يعطي نصيباً لكل جزء من أجزاء « الخلطة »؟ أم أنها سَتُقَسَّم على حساب دين من الأديان ؟

وكما أن المزيج « يه - بل - أن » ليس فيه قطرة واحدة من التراث

الإسلامي تُمكّن « المسلمين » الماسون . من الادعاء بأن لهم نصيباً في المحلول ... كذلك « المركّب » المُعقّد « موسى- الأيسوع -اليزدان -أفريمون - عاديمون - أفلاطون » لا يحتوي على عنصر واحد من « الرموز والإشارات » يعود إلى الإسلام حتى يمكن « التوفيق بين جميع الأديان » ويتم « التصافي والتلاقي » .

ومع ذلك يقول الأستاذ الذي يُدَرِّس الأخلاق والفلسفة في كلية أُصول الديـن بـ « الأزهر الشريف » وهو يتحدث عن الدراسات التي تبشر بالتوفيق بين «الإسلام » وباقي الأديان :

« ينبغي أن نعلم أن هذه الدراسات لا تعني بالإسلام لتحكم عليه من «نواحيه الظاهرية » بل هى تشتغل به من تلك « الوجهة الخاصة » التي يتضح فيها أن الإسلام بواسطة رسالته الفوق الطبيعية التي تعرضها تعاليمه المخبوءة وافياً - مستعد لتلقي جميع صور الإيحاءات الحقيقة والإلهامات العلوية ، وأنه يستطيع أن يؤول جميع النصوص السماوية والرمزية ، لكى يوفق بينها في مراميها الرفيعة ، ويدخلها في نظام إسلامي » ( ص ٣٥ ) .

وقبّح اللّه الكذب وأهله !!

كم يا تُرى عدد السنوات التي قضاها هذا « المبشِّر » وهو يُلَقِن « أئمة المساجد » ، « دارسي العقيدة » الإسلامية في كلية أُصول الدين الأزهرية « تعاليم الإسلام المخبوءة » .

وأن الدين الحنيف « مستعد لتلقي جميع صورة الإيحاءات والإلهامات » !!

وأن الإسلام « يستطيع أن يؤول جميع النصوص السماوية والرمزية ويوفق بينها ويدخلها في نظامه » !!

وكيف شرح فضيلته « رسالة الإسلام الفوق الطبيعية » وعرض « تعاليمه المخبوءة .. » عرضاً وافياً ... على تلاميذه المنكوبين ؟

ونترك السؤال للإمام الأكبر شيخ الأزهر . ونلقى بنشرة إخوان الصفا مع

صاحبها إلى حيث ألقت أم قشعم ... وصاحبها أصغر من أن يجعلنا « نعني عناية فائقة بتقديرهم واحترامهم اعترافاً بفضلهم وإبرازاً لإنتاجهم وتخليداً لأسمائهم وتشجعياً لأخلاقهم على متابعة الجهود النشطة ومزاولة الأعمال الرفيعة التي تعني بنهضة الأمة وتقدمها ... بل حياتها المعنوية كلها » . كما قال في مقدمته ( ص ٣ ) .

فنحن لسنا واعين بالدور التخريبي لاخوان الصفا فحسب ، بل واعين بحركة أسلافهم منذ اجتماعهم في « دار سويلم » عند « جاسوم » ، يُثَبِّطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ... ونعيش عذاب فاجعة إنتاج أحفادهم من رؤوس وأذناب الطابور الخامس التي تآمرت على آخر دول الإسلام وآخر خلفاء المسلمين .. وليت السلطان عبد الحميد - رحمه الله - بعث عليهم من أحرق عليهم مقهى « جنو جنو » أو وكر « مناستر » أو « بيت جاويد » في «سالونيك » كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام من قبل فحرق على أسلافهم « بيت سويلم » في « جاسوم » .

ولأن قضية الأمة وحياتها المعنوية كلها هي جهادنا فإننا - من ثَمَّ - مهتمون بعناية فائقة بفضحهم وتعريتهم تتبعاً لدورهم وإبرازاً لإنتاجهم الذي ألقته أمتنا في مزبلة التاريخ .

ونحن على الأقل لا نقل حرصاً عن الدكتور غلاّب على نهضة الأمة وتقدمها.... ولكن ليس من خلال تشجيع أخلافهم ، بل عن طريق كشفهم في أوكارهم وهتك السِتر عن الخيوط التي تمسك بالدُمى وتحركها من وراء الحدود .

وطبعاً أخلافهم - أي أخلاف إخوان الصفا - ليسوا إلا الماسون الذين يطلب منا غلاّب أن نشجعهم على مزاولة الأعمال الرفيعة سواء في المحفل الذي كان في شارع عدلي وتشغله الآن معونة الشتاء ، أو بدائله في « الروتاري » و« اللايونز » وتحت الأرض وما فوقها من فصائل الردَّة « التي تعني بنهضة الأمة وتقدمها ... بل وحياتها المعنوية كلها » !!

وإذا كان « غلأب » قد غلا به عمى البصر والبصيرة معاً ، فلاك من كناسة هذا التخريب العقائدي أو العبث الفكري ما تقيأه في مدح « إخوان الصفا » ، تبشيراً بالخلطة الموّحدة ، « إبرازاً لإنتاجهم وتشجيعاً لأخلافهم » ، وتشدّق في عرضه لهذا التلفيق العجيب بآراء « البارون كارادي » و « فردريك ديتريصي» معارضاً بعضها ، فليته لجأ ولو بحكم وظيفته كمدرس في كلية « متخصصة في العقيدة » والدراسات الإسلامية – ولو من باب المعارضة أيضاً – إلى رجل أوروبي آخر لا يعاني مثله من مركب النقص أمام ثقافة الآخرين .

لقد رفض « حنا والتون » في حسم فكرة « الإله المخلوط » ومبدأ العبادة الموّحدة « ذات القاسم المشترك مع الديانات السماوية » لأن « المسيحية عقيدة ذات إيمان مانع لأى تداخل فيه » وأن « الماسونية تتناقض مع قانون الإيمان المسيحي » ناهيك عن ترفعه عن المرتكس الوبىء الذي تردى فيه غلأب وهو يشجع « الأخوة الصفوية » وخلفاءها « الماسون » والتي تنادي بتوحيد« الإسلام الحنيف » مع وثنية « أهرمن » و « عاديمون » و « أفريمون » و « أفلاك أفلاطون » .

يقول « حنا والتون Hannah walton » فى كتابه « الظلام المرئي » أو « الظلام ... مرئياً » ( Darkness Visible ) :

« ويبقى سؤال ، إن كان ثمة شيء كدين بعد كل الديانات يتفق فيه كل الناس ، أو إذا كان مشروعاً للمسيحيين أن يشتركوا مع المسلمين في عبادة إله ذى قاسم مشترك من غير إيمان نوعي محدّد على وجه التحقيق ... إله يقدسه كل في قلبه كإلهه الخاص ...

وإن تقديم العبادة « لإله » في صيغ « ترفض المسيح » بقصد معين لأن تشمل « الناس » الذين يرفضون المسيح – أيضاً – لهى « ردّة » ولا يمكن أن يُكَفَّر عنها – بتاتاً – أى قدر من التحفظ العقلي .

والجدال بأنه حيث يوجد بلا شك بعض مقياس من الصدق في كل الديانات ،

وعليه فالمسيحي ، متحرر بصفة مؤقتة لأن يطرح جانباً ما يعلم أنها الحقيقة الكاملة للوحي ، ليهبط إلى مستوى ما قد يتصادف ويجمعه مع غير المسيحيين ، لهو - مرة أخرى - رِدّة ، مهما كانت خيرية الدافع .

والكنيسة لا تُجيز العبادة ذات القاسم المشترك مع الديانات الأخرى ، والمسيحي جزء من الكنيسة ، فمن يزعم - من ثَمّ - أن له الحق في العبادة خارج الكنيسة بطريقة محرّمة من داخلها ، لهو ببساطة تحد لسلطته ، والأسوأ أن يفعل ذلك سراً . لأنه لا يمكن أن يُسمح أن تكون هناك عبادة خاصة بالكنيسة وأخرى خاصة بالهيكل الماسوني ، فهناك صراع حيوي في المبادىء بين الاثنين » (ص ٣٨ - ٣٩ ) .

واضح أن « حنا والتون » يقرر ، وهو يدافع عن دينه أى نصرانيته :

- غير مشروع اشتراك المسيحيين مع المسلمين - أو غيرهم - في عبادة واحدة لأن ذلك رِدّة .

- اشتراك المسيحي في الطقوس الماسونية رِدّة .

- هبوط المسيحي إلى ما قد يتصادف ويجمعه مع غير المسيحيين رِدّة .

- العبادة المشتركة خارج الكنيسة محظورة لأنها مرفوضة من داخل العقيدة .

- لا لقاء بين الماسونية والمسيحية ، لأن الصراع حاد بين مبادىء الاثنين .

هذا كلام « حنا والتون » ، أما شيخنا الدكتور فلم يرد لنا ما رفضه والتون فحسب ، بل أراد أن يمزج إسلامنا بأصنام « عاديمون » و « أهرمن » و « اليزدان » و « أفريمون » و « أفلاك أفلاطون » . وكل رجاسات الأمم وأوثانها .

أما الدكتور طه حسين ، والذي نسج الدكتور غلاّب على منواله ، فقد أفرز ورى كبده على دين الأمة وضميرها في كلمات يمتدح بها هذا المخلوط الغريب ، وهو يُقدّم لإخوان الصفا .

قال طه حسين :

« ورسائل إخوان الصفا هذه تمثل الحياة العقلية في ذلك العصر كما تمثل الحياة السياسية ، أو أقوى من تمثيلها للحياة السياسية ، فهي مرآة تنعكس فيها الحياة العقلية انعكاساً مباشراً ... ونحن نرى فيها ، هذه الحياة واضحة جلية ، نرى أن العقل الإسلامي في القرن الرابع كان قد وعى ما نُقِلَ إليه من فلسفة اليونان وحكمة الهند وآداب الفرس والآداب العربية والإسلام وغيره من الديانات السماوية وغير السماوية ، وجمع ذلك كله ورتبه ولاءم بينه وحاول أن يُكوِّن منه مزاجاً واحداً مؤتلفاً ، هو خلاصة الثقافة التي يجب على المرء المستنير حقاً أن يظفر بها ويأخذ منها الحظ الموفور » .

وغني عن القول أن ما أسماه طه حسين « مزاجاً واحداً مؤتلفاً » قد رفضته الأمة في حينه ومن خلال العقل الإسلامي في القرن الرابع الذي كان حريصاً على العقيدة الإسلامية حرصه على حضارته الذاتية ووجوده الفاعل في عالمه ... حضور قيادة وشهادة .

وكان يُدرك تماماً في حضور عقائدي يقظ أن دينه هو صبغة الله ... ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [1] ؟

كان العقل الإسلامي في القرن الرابع يُفرِّق بين معرفته بثقافات الأمم الأخرى ودرسه للحضارات المعادية ، وبين أصالة دينه وتراثه النقي النظيف ، الذي لا يقبل بحال من الأحوال أن يتسرب إليه الفيروس الغريب .

فالرسالة الخالدة كانت الجديد الذي حملته الأمة الإسلامية إلى أربعة أقطار الدنيا بعد أن أفلست فلسفة اليونان وحكمة الهند وآداب الفُرس وآداب العرب أن تعطي البديل .

كان العقل الإسلامي يدرك تماماً أن وعيه بحضارة الآخرين لا يعصمه عن انحرافاتها الفكرية ، فيرفض أن تذوب أمته في المزاج الواحد المؤتلف ، لأن الغرق في بحار الضلالات ليس إلا العدم ... ولا شيء سواه .

(١) البقرة : ١٣٨

أما أولئك الذين روّجوا لهذه الضلالات في سعيهم المنحرف لترتيب وملاءمة وتكوين المزاج الواحد فلم يكن العقل الإسلامي في القرن الرابع ، وإنما أولئك الذين يعرفهم طه حسين جيداً من ذَوي الصدور المريضة والتي عشعشت في خبأ الليل في أوكار الزندقة السرية لتقول للأمة :

« إن الشريعة قد دُنسَّتْ بالجهالات ، واختطلت بالضلالات ، ولا سبيل إلي غسلها وتطهيرها إلا بالفَلسفة اليونانية » ( منقولة إخوان الصفا ) .

وبدهي أن « العقل الإسلامي في القرن الرابع » والذي أنجز أروع تقنيناته الفقهية والتشريعية « ما كان ليستبدل » شريعته بآلهة الإغريق وأساطيرهم وعفاريتهم ينقلها بنفسه ، أو ينقلها عن جواسيس عصره المعروفين باسم « إخوان الصفا » .

وإن ما رفضه « حنا والتون » باسم المسيحية ، مرفوض عندنا نحن المسلمين باسم الإسلام ، لأنه - ببساطة - جاهلية بائدة .

* * *

ونعود إلى الإله الماسوني « يه - بل - أن » ..

إن « السلك الماسوني » يبدأ من حرية الانتماء إلى ديانة القُطر ، ثم يخطو إلى ما أسماه « عقيدة جامعة يوافق عليها كل البشر وفق خطة وتصميم » ، ثم يتطور إلى استلهام شيء يقال له « المهندس الأعظم » أو « البنَّاء الأعظم » أو «الملاحظ الأعظم » ، ثم يتطور إلى مرحلة الكفر بكل حقيقة مقدسة و« الحرب على الأديان للتمتع بجمال الإلحاد » .

وعند « الدرجة الملوكية » نفاجأ بهم يسلكون في طريق الإيمان بإله مركّب يطلقون عليه : « يه - بل - أن » .

تُرى ما هي الرابطة بين الأجزاء الثلاثة في المركّب « يه - بل - أن » ، وهل توجد علاقة ما أو تراث ما يربط بين « القطع » الثلاث « يهوه - بعل - أوزوريس » في الصندوق الماسوني العجيب ؟

صحيح أن قسمين من « الإله المثلث » قد سقطا على المستويات المحلية من قديم بحكم اندثار العبادة وانعدام الأتباع . فليس لـ « أوزوريس » وجود بيننا في مصر ، ولا كذلك لـ « بعل » إله بابل وآشور إلا ما يُقال أن هناك نفراً قليلاً في شمال العراق .

وهم على أية حال - إن كان لهم وجود فعلي - يعبدون « بعلاً » منفرداً دون تركيب .

فيبقى للماسون إذن شطر فاعل من « التركيبة » .. يبقى « يهوه » ... ولا زال تراثه متداولاً ، وما انفك أتباعه يرددون : حى هو الرب ... يهوه رب الجنود إله إسرائيل !!

ومع ذلك فهناك صلة وثيقة بـ « البعل » و « أوزوريس » وتراث اليهود .

فلقد كان لـ « بعل » أثر فعّال في حياة اليهود القديمة .... قدّسوه في كل عصورهم بشهادة « التوراة » ( أسفار موسى الخمسة ) وأسفار « التواريخ » و« الملوك » و « الأنبياء » . وأقيمت له « المعابد » في كل أنحاء الأرض التي استطاع « الإسرائيليون » أن يتسللوا إليها في منطقة التلال الداخلية من أرض كنعان .

وكان « يهوه » يغار منه ، وشعبه «المختار» يغيظه بعبادته .

ففي « القضاة » : « وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا « البعليم » ، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر ، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب . تركوا « الرب » وعبدوا البعل وعشتاروث » . ( قضاة ٢ : ١١ - ١٣ ) .

وفي « الملوك الأول » : « وملك آخاب بن عمرى على إسرائيل اثنين وعشرين سنة . وعمل الشر في عيني الرب ... وسار و « عبَدَ البعل » وسجد له . وأقام « مذبحا للبعل » في « بيت البعل » الذي بناه في السامرة ... وزاد آخاب في العمل لإغاظة الرب » ( الملوك الأول ١٦ : ٢٩ - ٣٣ ) .

وفي « الملوك الثاني » : « وملك منسي خمساً وخمسين سنة في أورشليم ، وعمل الشر في عيني الرب .. وعاد فبنى المرتفعات ... وأقام « مذابح للبعل » ... ( الملوك الثاني ٢١ : ١ - ٣ ) .

« وجعل ملوك يهوذا كهنة الأصنام يوقدون على المرتفعات في مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم ... والذين يُوقدون لـ « البعل » للشمس والقمر والمنازل ولكل أجناد السماء . وكان ملوك يهوذا يُوقدون على المرتفعات لـ « البعل » وللشمس ... » . ( الملوك الثاني ٢٣ : ٥ - ٦ )

« وكان الكهنة « يوقدون » للبعل والسارية والشمس من جبع إلى بئر سبع ».

( الملوك الثاني ٢٣ : ٨ )

« وبنى ملوك يهوذا ومنسى مذابح لآلهة غريبة في دارى بيت الرب » .

( الملوك الثاني ٢٣ : .١-١٢ )

« وبنى سليمان ملك إسرائيل معابد لعشتاروث رجاسة الصيدونيين ، ولكموش رجاسة المؤابيين ، وللمكوم كراهة بنى عمون . وبنى يربعام بن نباط « مذبحاً للبعل » في بيت إيل » . ( الملوك الثاني ٢٣ : ١٣ - ١٥) .

وفي « إرميا » : « وقل : اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم ... هكذا قال رب الجنود إله اسرائيل : ها أنذا جالب على هذا الموضع شراً كل من سمع به تطن أذناه . من أجل أنهم تركوني وأنكروا هذا الموضع ونحروا فيه لآلهة أخرى ... وبنوا مرتفعات لـ « البعل » ليحرقوا « أولادهم » بالنار محرقات للبعل » . ( أرميا ١٩ : ٣ - ٥ )

وفي « هوشع » : « وأعاقبها على أيام « بعليم » التي فيها كانت تنحر لهم وتتزين بخزائمها وحليها وتذهب وراء محبيها وتنساني أنا ؛ يقول الرب » .
( هوشع ٢ : ١٣ )

وتتحدث معظم الأسفار الإسرائيلية في التوراة - أسفار موسى الخمسة - والأنبياء والملوك والتواريخ عن غيظ الرب وتبرمه وضجره من مذابح « البعل » والآلهة المسبوكة التي صنعها الإسرائيليون حتى لم يعد يحتمل لأنه رب غيور .

ويبدو أن حنين بني إسرائيل إلى « مُخلّص » يُخلّصهم من الأمم من حولهم وينقذهم من الأسر والسبي ، وينتشلهم من وهدة الضياع ، ويطرد من أمامهم شعوب « أرض الميعاد » ويرتفع بهم في النهاية إلى السيادة على العالم .. كان دافعهم إلى اختيار « البعل » .

ففكرة « المخلّص » المسيطرة على « الأسطورة الإسرائيلية » هي إذن التي أوحت إليهم بتقديس « بعل » حيث راجت منذ القدم فكرة الملك المخلص المتفاني في حب شعبه لدى كثير من الأمم ، وقد نقلوها عن « الكلدان » و « السريان » و « الآشوريين » .

وشاعت الفكرة لدى كثير من الشعوب ؛ ففي اليونان « بروميثيوس » ، وللفُرس « مذرا » ، و « كريشنا » عند الهنود .

وكما كان « بعل » عند بابل وآشور ، فكذلك كان « أوزوريس » عند قدماء المصريين وهو تاريخياً أول الأمراء المخلّصين .

ولبني إسرائيل علاقة فكرية واشجة بتراث الفراعنة أتوا به معهم بعد « الخروج » .

ولست أعنى هنا أن اليهود لا زالوا يعبدون « بعلاً » أو مرتبطين بـ « أوزوريس » ، إنما أعنى أن هناك علاقة ما بين اليهود وبين أفراد ثالوث التركيبة « يه - بل - أن » ( يهوه - بعل - أوزوريس ) علاقة تاريخية

ورمزية كذلك . وأن الرمز في « بعل » وأُوزوريس لم ينتقل إلى الماسون من قدماء المصريين وبابل وآشور ، وإنما من اليهود .

وقد جاء في « الخطب الأربع » عن « محفل السلامة » الماسوني هذا النص:

« إن عقائدنا ورموزنا وإشارتنا ودرجاتنا هى مصرية فرعنية ... لكنها انتقلت إلينا بواسطة بني إسرائيل » . فالتركيبة على هذا الأساس ، سواء ظل الثلاثة معاً أو سقط منها « بعل » و « أُوزوريس » وبقى « يهوه » وحده ، هى « إسرائيلية » المغزي والصياغة .

* * *






The top of the altar of the Masonic Holy Royal Arch Degree, with the letters arranged in the words : JE-HO-VAH and JAH-BUL-ON-the Jewish Masonic name of God . These Letters are scrambled before the lodge is closed. and rearranged when lodge opens.

أعلى المذبح لمرتبة العقد الملوكي الماسونية المقدسة بحروف مرتبة في الكلمات : يهوه ، « ويه – بل – أن » ، اسم الإله اليهودي الماسوني . وهذه الحروف تُجمع بطريقة غير منظمة قبل أن يُغلق المحفل ، ويُعاد ترتيبها عندما ينفتح .

# الفصل الثاني

## الهيكل .. ألف وياء المحفل

أما المعبد الإسرائيلي - « هيكل سليمان » - « تاريخه » ، و« بناؤه »، « هندسته » و « خرابه » ، « إعادة بنائه » ثم « تدميره » للمرة الثانية و « الحنين » إلى بنائه من جديد ، فهو « الفكرة المركزية » و « حجر الزاوية » و « بؤرة » كل « الشعائر » و « المراسم » و « الطقوس » في « الماسونية » .

فـ « الماسون » مرتبطون في « محافلهم » و « أنشطتهم » بقصص وخرافات العصر الذهبي لليهود أيام المعبد القديمة ، يعيشون ذكرياتها ويتمثلون تاريخها ويحاولون إحياء هذا الماضي بأساطيره ومزاعمه .

وأما « البناء الثالث للهيكل » فهو « الهدف الأسمى » و « نهاية الأرب » عند « الماسون » ... « ألف وياء المحفل » .

ومن مرجع حجة في هذا الموضوع ... من « أ . س . ماكبرايد » في كتابه : « الماسونية التأملية - رسالتها وتطورها ومعالمها - جلاسجو ١٩١٤ » .

( A.S. Macbride : Speculative Masonry : its mission; its evolution and its landmarks; Glasgow, 1914 ).

ننقل بعض النصوص التي نقلها أيضاً الكاتب الإسلامي « مسبهول إسلام فاروقي » في شهادته الوثائقية عن الماسونية وضمّنها كتيبه المعجب : « الماسونية - دراسة نقدية - كراتشي ١٩٦٨ » .

( Misbahul Islam Faruqi : Freemasonry- a Critical Study; Karachi. 1968 ).

يقول « ما كبرايد » : « إن مهمة الرصاصة قتل وتدمير الجامعة والمعرفة والكنيسة والخلاص ... أما بالنسبة للماسوني فهي بناء المعبد » ( ص ٨ ) .

تُرى ما هى « العلاقة » بين تخريب وهدم المعرفة والجامعة والقضاء على المسيحية - وفكرتها عن الخلاص من خلال يسوع - وبين « بناء المعبد » بنفس « الرصاصة » التي قضت على هؤلاء جميعاً ؟

أيعني ذلك أن « الهيكل » لا بد أن « يقوم » على « أنقاض » كل شيء في « حياة الإنسان » ؟

ويقول : « لأن « رسالة الماسون » هى « بناء المعبد » ، فالماسوني الحق هو الذي يعمل بصدق لإقامة هذا المعبد » ( ص ٩ ) .

ويقول عن المحفل الماسوني « محفل المعرفة والتقدم » رقم ٨٧٣ « جلاسكو » :

« إن هذا هو « المحفل » الحقيقي للأخوة الإنسانية ، وهو موجود ( أى المحفل ) من أجل بناء المعبد ( هيكل سليمان ) إنه المصنع الذي تُصاغ فيه أرواح الناس وتُشكل ، لتلائم المعبد المثالي الأعظم . هذه هى الغاية الرئيسية ... ألف وياء المحفل » ( ص ٨٤ ) .

كيف يا تُرى « يُشكَّل » الإنسان من داخله « لتصاغ » روحه في قالب جديد ، يتلاءم مع المعبد الإسرائيلي الذي يُعَد المحفل الماسوني لبنائه - كرسالة أساسية وُجِدَ أصلاً من أجلها ؟ .

أليس بزرع الفكرة الإسرائيلية : عقيدة وتاريخاً وتراثاً ومؤامرة ومجداً يُستعاد ؟

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

ويجيبنا « ماكبرايد » في صراحة المطمئن أنه يتعامل مع أصفار :

« إن « معبد الملك سليمان » هو « أنموذج المثل الأعلى » و « الهدف المركزي » في التراث الرمزي لـ « الماسونية » . لقد كان له وجود مادي قصير ،

ومع ذلك فإن تأثيره على عقول الناس كان أعظم من أي شيء آخر . وتتحدث عنه « القبائل الشرقية » - اليهودية - في رهبة ، فهو بالنسبة لهم موضوع القصص العجيبة والأغاني التي لا حصر لها . وبالنسبة « للجنس العبري المشتّت » في جميع أنحاء العالم فإنه الذكرى الغالية « للمجد الضائع » و « الأمل الواثق بمجد يُستعاد » .

إن « التائهين المنفيين » في جميع أنحاء الأرض منذ عدة قرون ، المحتقَرين والمضطهَدين في كل مكان ، قد جعلوا أنفسهم - رغم ذلك - وإلى الآن « شعباً متميزاً » . وفي الحقيقة ، ونتيجة لهذه « المحافظة الفريدة » ، فإنهم « يبنون » بعاطفة جامحة أملهم الغالي في العودة .

سيعودون « يوماً إلى القدس » ، ومرة أخرى سوف يتوّج « هيكلها » السامي تلك « الأمجاد » ويسطع في أبهة متجددة بأشعة الشمس المشرقة . سوف تُدوّي داخله ، من جديد ، ترانيم تمجيد « صهيون » ، وسوف تُخيّم ، مرة أخرى ، سحابات البخور و « التقدمة » - القرابين - على قاعاته المقدسة .

لقد شكّل مادة الخيال لصور « زاكيل » الفاتنة ، والأحلام الرائعة لعرّاف « باتيموس » . لقد كان فكرة الأنبياء والشعراء ، ومادة الدراسة للفلاسفة والمؤرخين . ولكن لم يسبق له أن احتل - في أي موقع - تلك المكانة الفريدة ، كما هو الحال في طقوس ورموز الماسون » ( ص ٨٩ - ٩٠ ) .

في هذا النص تبرز الفكرة الإسرائيلية : عقيدة ومؤامرة ، ومعاناة وغاية :

« بناء هيكل سليمان » هو « بؤرة النشاط الماسوني » .

« الجنس العبري المشتّت » - « التائهون المنفيون منذ قرون في جميع أنحاء الأرض » .

« المجد الضائع الذي يستعاد » - « صهيون المجيد » .

« الشعب الفريد » المتميز المحافظ على هَويته .

« العودة إلى أورشليم » .

« سحابات البخور » و « دخان ذبائح التقدمة في الهيكل » .

« الهيكل » الذي كان « مصدر الإلهام للأنبياء والشعراء والفلاسفة والمؤرخين والفنانين » .

« مكانة المعبد » الفريدة في « الطقوس الماسونية » و « رموزها » والتي تفوق مكانته السابقة – رغم روعتها – في أيام مجده .

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

ألا يتوقف ماسونيونا « المسلمون » – قليلاً – عند هذا النص ويفكرون ؟

ليتهم يسألون أنفسهم عن المكان الذي يُقام عليه المعبد الإسرائيلي وهم يُسخَّرون من أجل بنائه .

إنه « المسجد الأقصى » !!

ويتحدث « ماكبرايد » عن « تاريخ » المعبد و « موقعه » المقدس فيقول :

« فلنفكر في معبد الملك سليمان ... إن المصادر الرئيسية فيما يتعلق بتصميم وتشييد المعبد هى « سفر الملوك » و « سفر أخبار الأيام الثاني » و « كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس » ، لقد بدأ بناء المعبد في أورشليم في الشهر الثاني من السنة الرابعة لحكم « الملك سليمان » عام ٤٨٠ بعد « الخروج » من « مصر » ( ١٠١٢ قبل الميلاد ) . وكان يقع على حافة جبل المريا ، تل يطل على أورشليم . ولقد اعتبر المكان مقدساً من « العبرانيين » و « الكنعانيين » منذ أقدم العصور . وهذه البقعة اختارها « الملك داوود » نفسه لتكون موقعاً للمعبد » . ( ص ١١١ ) .

أما عن « أصل » الرمز المثلث اليهودي الماسوني الذي شكّل أحجار الهيكل وقاعته الكبرى ، فيقول عنه « ماكبرايد » : « إن كل حجر استُخدم في بناء

الهيكل كان عليه « مثلث متساو الأضلاع » ... وذلك كان « اسم الله الغير منطوق » .

ونجد « المدينة التي اختارها الرب من كل أسباط إسرائيل ليضع اسمه هناك » كما جاء في ( سفر الملوك الأول ٢١ : ١٤ ) وهذه ، وعبارات مماثلة نجدها في مراجع « التوراة » عن « المعبد » وفي « التراث الماسوني » فإن القاعة الوسطى ( توجد في كل محفل ماسوني ) رمز « للمثلث المتساوي الأضلاع » الذي كان « محفوراً » على كل « عمود » وكل « حجر » تكوّن منه المعبد » ( ص ١١٢ ) .

من هنا - ومن هنا وحده - كان « رمز الماسونية » - النجمة السُداسية اليهودية - التي يراها « ماسونيونا » المسلمون ! على « علم إسرائيل » وعلى كل الطائرات والدبابات والسيارات الحربية والغوّاصات والمدافع ..... وعلى كل « ما يرمز » لإسرائيل واليهود والتراث العبري بصفة عامة .

والماسون يسمون هذه « النجمة » درع داوود ، وقد ورثها « سليمان » عنه . وهى عندهم تشير إلى عينين عند تداخل المثلثين ، وكل عين مثلث متساو الأضلاع . وكان « سليمان » قد قصد بالمثلث كما لو كان « عين الله » وفيما بعد أصبحت « العين » أو « المثلث » رمز « الله نفسه » .

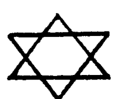
من هنا كانت قداسة الرمز عند اليهود والماسون .

ولا بد لي - وأنا مُكره - أن أشير إلى تسلل هذا الرمز وغيره من الإسرائيليات إلى « الفكر الباطن » في عالمنا الإسلامي المريض .

ففي كثير من الكتب « الروحانية » المنسوبة إلى « المتصوفة » المسلمين ، وبعضهم من « الأقطاب » أو « الأوتاد » أو « الأطراز » أو « الأبدال » وردت « النجمة السُداسية » و « النجمة الخُماسية » لتسمى « اسم الله الأعظم » أو « الفرد » أو « خاتم سليمان » الذي رآه على « عرش الله » . وكذلك « سلم يعقوب » و « عصى تابوت عهد الرب » يعلوها « الكروبيم »

وغيرها من « الطلاسم » ، وقد أعطى لكل طلسم « اسم لله سبحانه » ...

جاء في « الرسالة في وقوع إشارة الرسم الخُماسي الأكرم على عبارة اسم الله الأعظم » للإمام محمد عبد الله الكاسي - ( مطبعة حسان - القاهرة ) ، ما نصه : « .... ولكن من حيث الوجه الرحماني المقدس فقد أخذ نبي الله داوود عليه السلام الرسم السرياني السُداسي العرش للاسم الأعظم ( الله ..... رحمن ) والذي صورته هكذا :



والذي يقع عليه الاسمان المقدسان في لفظين سُداسي الأحرف هما : ( أصبهون - أبتهون ) . ( ص ٤٨ - ٤٩ ) .

وفي معظم الكتب التي غزاها الڤيروس الغريب توجد الطلاسم - التالية - بأسمائها تعلوها كلمات ، قيل إنها « بلغة جبروتية للحضرة العلية » ، ومزيَّلة بقصيدة تفسر الرموز المرسومة ، وهى شائعة بين « السالكين » بل ومحفوظة من « المريدين » يا من هو : آحون قاف آدم حم هاء آمين ...



فرد جبار شكور ثابت ظهير خبير ذكي

ثلاث عصى صففت بعد خاتم على رأسها مثل السنام المقوَّم
وميم طميس أبتر ثم سلم إلى كل مأمول وليس بسلم

وأربعة مثل الأنامل صففت تشير إلى الخيرات من غير معصم
وهاء شقيق ،ثم واو مقوس كأنبوب حجّام وليس بمحجم
فهذا هو الاسم المعظم قدره فإن كنتَ لم تعلمه من قبل فاعلم
فيا حامل الاسم العظيم به اكتف لتنجو من الآفات حقاً وتسلم

* * *

أليس عجباً أن يُحسب هذا الإفراز الإسرائيلي على تراث الفكر الإسلامي ويُنسب إلى رصيد « الأقطاب » ؟

ورصيد « الأقطاب » – عندنا – أغلى وأغنى من هذا الدس الوبيل .

وينبغي أن أزيل لبساً قد يقع فيه البعض .

ولا بد – في هذا المقام – من توضيح ..

إنني هنا لا أتهم أحداً من « رجال الطرق الصوفية » ، « شيوخاً » أو « مريدين » .

بل إن بيني وبين كثير منهم علاقة قائمة وود مقيم .

لكن المسألة مسألة عقيدة ، وإيمان بيننا مشترك ، له نبع واحد أصيل .

وإذا كانت الكلمة السواء مفروضة مع أهل الكتاب ... فمن باب أولى هي مع أخوة الإسلام ، ورباطه السامق أقوى من أي حساسية قد يُنشئها الخلاف حول « الدس الإسرائيلي اللئيم » ...

الذي أقصده ؛ أننا يجب أن نجتث « الغرس » الذنيم الذي زرعته « القوى التلمودية » بخبث دائب في التراث الفكري المنسوب إلى المسلمين .

يجب أن نقوم بعملية « فرز » في كتبنا المطبوعة والمخطوطة لنخلصها مما « تسلل » إليها من حصاد الغزو اليهودي ، أو جرت به أقلام مصنفيها بحسن نية أو من قبيل إظهار سعة الاطلاع .

أكثر من ذلك وأهم ، مطلوب ، بل عاجل ومفروض ، مع أكابر علماء السَّلَف من مؤرخين ومفسرين .

فالجهد المشكور الذي بذله كل من ابن كثير في موسوعته التاريخية الكبرى « البداية والنهاية » وكذا في « تفسيره » ، والقرطبي في تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » ... لا ينبغي أن تُترك فيه بقع من الظلال .

يتحدث « ابن كثير » عن إبراهيم الخليل « وأنبياء بني إسرائيل » ويعتمد في معظم روايته على نفس التصور الوارد في أسفار« التكوين » و « الخروج » و « التثنية » و « العدد » و « يشوع » و « صموئيل الأول » وأسفار « التواريخ » ، حتى « خيمة الاجتماع » التي ذكرتها المصادر الإسرائيلية ، يتحدث عنها بعنوان « ذكر بناء قبة الزمان » ( ص ٣٠٧ - ٣٠٨ - الجزء الأول « البداية والنهاية » - الطبعة الأولى - مطبعة السعادة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ) ، أما روايته عن الأنبياء فيمكن الرجوع إلى الصفحات : ١٥٠ - ١٥٧ - ١٦٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٤٧ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٣١٩ ... وغيرها من الصفحات ، في نفس الجزء الأول المذكور .

ويتحدث « القرطبي » عن « افتتان داوود بامرأة أوريا الحثي » ( ص ١٦٩ - ١٨٠ ) و « صفة كرسي سليمان » ( ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ) وترجيحه أن « الذبيح إسحاق وليس إسماعيل » ( ص ٩٩ - ١٠٣ ) ( الجامع لأحكام القرآن ، الجزء الخامس عشر - مطبعة دار المعارف ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م ) .

ونعود إلى المعبد الإسرائيلي أو هيكل سليمان ... لب العقيدة الماسونية بداية ومنتهى .

**يقول « ماكبرايد » : « مع أن الماسونية – في معظم التفاصيل تقريباً – قد اجتازت تغيرات من وقت لآخر « لتلائم المراحل الزمنية » فإن هناك نقطة واحدة لم تتغير أبداً ، أعني الفكرة المركزية الباعثة لوجودها ، ألا وهي بناء المعبد المقدس ، ومن أجل هذه الغاية كان تكوين المحفل الإنساني ( الماسوني ) » . ( ص ٢٩٧ ) .**

حتى « التصميم » العام « للمحافل الماسونية » المنتشرة في جميع بلاد العالم – ومنها عالمنا الإسلامي بالطبع – شكل الغرف والقاعات والرواق الأوسط والأعمدة ونهاياتها المثلثة والنقوش عليها . والسلالم – بنفس عددها في كل المحافل – والمقاعد و « كرسي العريف » أو « الأستاذ المحترم » أو «المبجل رئيس المحفل » – كلها « بُنيت » طبقاً « لمواصفات مميزة » اشتُقت من الأسطورة « اليهودية » كما وردت في « سفر الملوك الأول » و «أخبار الأيام الثاني » .

« والمحفل الماسوني » – على هذا – « يمثل » العقيدة اليهودية والتاريخ الإسرائيلي .

وفي الحقيقة ؛ تعبر « المحافل الماسونية » عن « معبد سليمان » بطريقة مصغرة فكرة ومعماراً وطقوساً .

ومن كتاب « ماسوني » كتب « بالشفرة » ( a Coded book ) حصل عليها الباحث « مسبهول إسلام فاروقي » بالصدفة من وسط أكوام كتب قديمة تُباع على الأرصفة ( a Second-hand book ) ويرجح أن الكتاب قد انتقل هناك عن طريق إهمال أحد « الماسون » ، واسم الكتاب : « الطقوس المثالية للماسونية الاسكتلندية ، طبع ونشر س . س ، أ . ت . جاردنر ، المحدودة ، ١٠٣ – طريق لوثيان – أدنبرة ، ١٩٢٧ » .

( The Standard Ritual Of Scotish Freemasonry, Printed and Pablished by C.C. and A.T.Gardner , Ltd. 103 Lothian Roud , Edinburgh, 1927 ) .

يقول « صاحب الكتاب الشفرى » ... « المؤلف المجهول الاسم » :

« في كل محفل ماسوني يوجد - أو يجب أن يكون هناك - عمودان على جانبي كرسي العريف . وهذان يمثلان الأعمدة عند مدخل المعبد . وذلك الذي على اليسار يسمى .... (١) ، والذي يشير إلى .... (٢) ، والذي على اليمين يسمى .... (٣) ، والذي يرمز إلى ....(٤) ، والمغزي المشترك لهما يتضمن .... (٥) لأن الرب قال عن الملك سليمان : « إنه سيبني لنا بيتاً وأنا سأثبت عرشه إلى الأبد » .

« عند بناء معبد الملك سليمان استخدم عدداً من الفنيين يتكون من صبية وأرباب صنعة . وكان الصبية يتلقون أجرهم في صورة قمح وخمر وزيت ، وأما أرباب الصنعة فيُدفع لهم بالعملة النقدية . وكانوا يذهبون لتلقي أجرهم في .... (٦).

وكانوا يصلون هناك بواسطة .... (٧) ، حتى المدخل حيث يقف عمودان عظيمان .... (٨) » ( ص ٥١ - ٥٢ ) .

« وقد قام « فاروقي » - كما قال - بجهد بالغ لفك الرمز في الشفرة مستعيناً بملاحظات « حنا والتون » في كتابه « الظلام المرئي » ، وبعض الكتابات الأخرى عن الماسونية ، فملأ الفراغ المتروك بالكلمات التي حُذفت من النص ، لتحل محلها نقط وأرقام ، كذلك وجد الكلمات التي كان يرمز لها في النص بحروفها الأولى ، فجاءت بأرقامها كالآتي :

١ - « بوعز » - اسم الجد الأكبر لداوود .

٢ - « القوة » .

٣ - « ياكين » .

٤ - « التمكين » .

٥ - « الثبات » .

٦ - « القاعة الوسطى » أو « الرواق الأوسط لمعبد سليمان » .

٧ - « جواز المرور » - أو « كلمة السر » .

٨ - « بوعز » و « ياكين » .

ومع التقدير الكامل للجهد المشكور الذي بذله الأستاذ « فاروقي » فلو رجعنا إلى « سفر الملوك الأول » و « أخبار الأيام الثاني » لوجدنا الحل ميسوراً .

ففي الإصحاح السابع من سفر الملوك الأول جاء : « وأوقف العمودين في رواق الهيكل . فأوقف العمود الأيمن ودعا اسمه ياكين ثم أوقف العمود الأيسر ودعا اسمه بوعز » ( الملوك الأول ٧ : ٢١ - ٢٢ ) .

وفي أخبار الأيام الثاني - الإصحاح الثالث ، نقرأ : « وعمل أمام البيت عمودين طولهما خمس وثلاثون ذراعاً ، والتاجان اللذين على رأسيهما خمس أذرع ... وأوقف العمودين أمام الهيكل ، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار ، ودعا اسم الأيمن ياكين واسم الأيسر بوعز »

( أخبار الأيام الثاني ٣ : ١٥ - ١٧ ) .

ويقول صاحب الكتاب الشفرى ، المجهول الاسم ، عن شجرة نسب المحافل الماسونية :

« وعندما أقام موسى معبداً في الصحراء ، فإن هذه الخيمة أو المعبد ، كانت هى النموذج أو الخطة الأساسية لذلك المعبد الضخم الذي بناه في القدس الملك القوي الحكيم سليمان ....

ذلك المعبد الذي يسمو بهاؤه وعظمته على أفكارنا . هذا هو السبب الثالث والأخير والأعظم الذي من أجله نبني نحن الماسون أماكن العبادة المقدسة ، والمحافل التي تُنشأ دورياً وبانتظام ، على هذه الكيفية » ( ص ١٠٨ ) .

وإذا كانت المحافل الماسونية - كأوكار يُعاد في داخلها صياغة الإنسان على النمط اليهودي - تعتبر بناء هيكل سليمان الدافع والغاية التي من أجلها وُجِدَ

المحفل أصلاً ، فإنها - في سبيل ذلك - لا تعتبر الطقوس والشعائر والرموز ، **ما هى إلا أدوات ووسائل أو « السقالة » فحسب - لذلك الهدف الأصلي والأسمى .. الهدف الوحيد .**

**يقول الحَبر الماسوني « ماكبرايد » : « إن بناء الهيكل هو الوحى والمبرر** وكمال التحقيق للماسونية ... إنه الألف والياء ( Alpha and Omega ) ، إنه الأساس والذروة لكل المنظمات الماسونية ، والمحفل يعنى - فحسب - أن الهيكل يجب أن يكون ، وأما الطقوس والشعائر والرموز ، ما هى إلا أدوات ووسائل أو « السقالة » من أجل بناء الهيكل المثالى الأعظم ... وأى هدف غير هذا لا يعنى إلا الخزى والانحطاط » ( ص ٨٤ ) .

{ ملحوظة : السقالة ( Scaffold ) هى ما يربطه المهندسون والبنّاءون أو عمال البناء ، من الأخشاب والحبال ، ليمروا عليها ، كى يصلوا إلى المحال المرتفعة } .

واضح من هذا أن شعائر وطقوس الماسونية ما هى إلا جسر المرور الذى تصعد عليه كتل الأحجار وكميات الملاط ( المونة ) لبناء الهيكل .

وكتل الأحجار وكميات الملاط - هذه - ليست إلا الماسون أنفسهم ، بعد صياغتهم ، من خلال تلك الطقوس والشعائر والرموز ، وصبهم - وفق « الخطة والتصميم » - فى قوالب « البناء المنظم » ، فلم تعد تعى إلا الدور المرسوم المحدد لكل مرحلة من مراحل السبك ، كأدوات مجندة لكل طور من أطوار المؤامرة ، بناء على معطيات « العهد » فى مراتب « الأخ » و « الزميل » و« الأستاذ » و « الرفيق » ..

وأى حديث عن دهانات الماسونية الخادعة وشعاراتها كـ «الخدمة» و« الحرية » و « الإخاء » و « الخيرية » ليس إلا الغطاء الذى يغطى به أساتذة اللعبة أهدافهم التآمرية ... لأن أى هدف غير إنجاز المؤامرة - ببناء الهيكل - لا يعنى - بنص أقوالهم - إلا « الخزى » و « الانحطاط » .

**فالماسون - فى سبيل بناء الهيكل - قوالب وملاط وسقالة ، وبناء الهيكل هو العلامة المحددة ، ونهاية الأرب ، والقصد الأسمى النبيل .**

**يقول ماكبرايد : « إن هذا الهيكل هو أعظم علامة مميزة ، وأسمى مثل أعلى للماسونية .. يا له من عمل نبيل نحن بصدده ... أيها الاخوة » . (ص ٢٢٢ ).**

ماذا يقول ماسونيونا المسلمون ؟

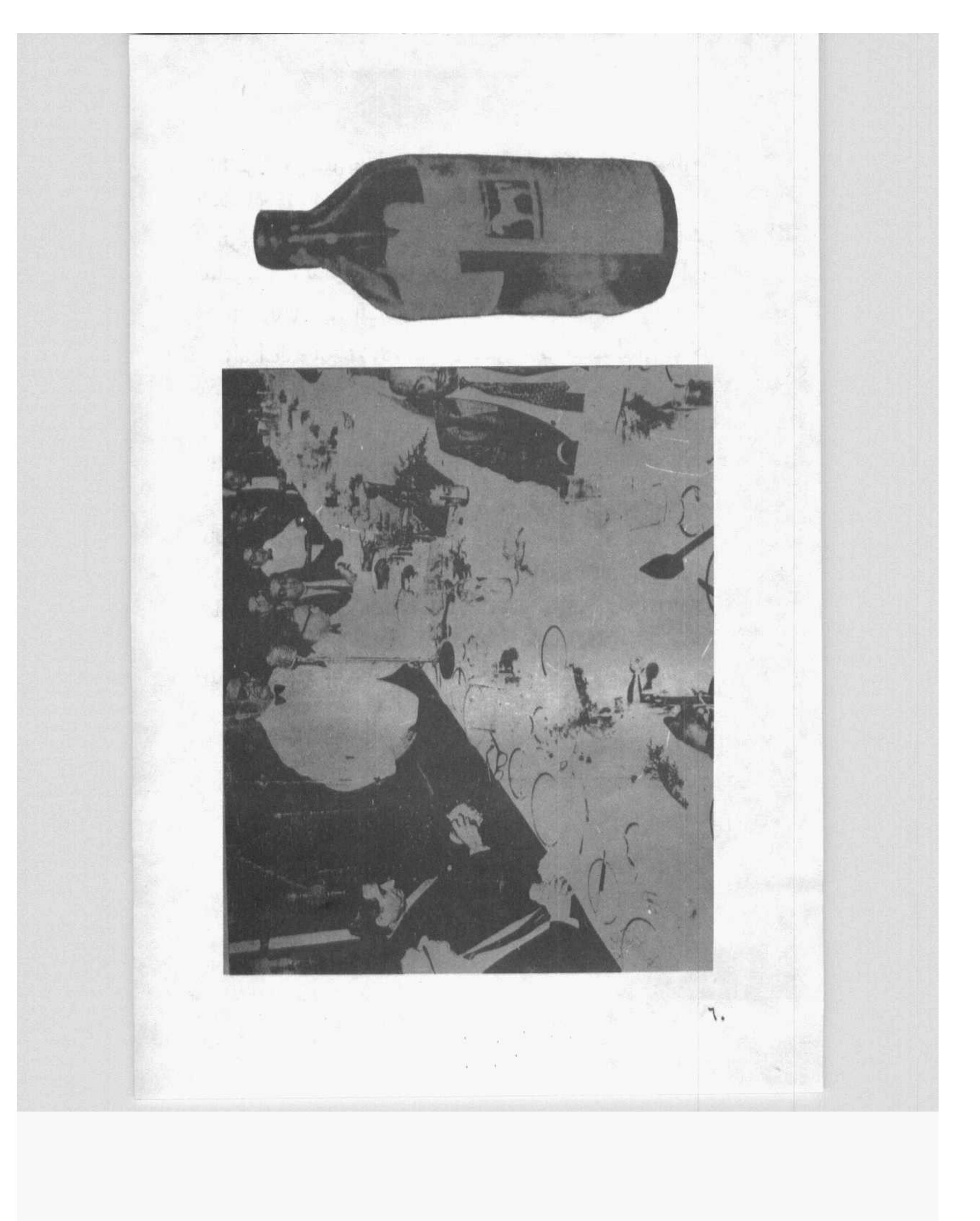
وأنا أسأل : أين يقع ولاء المسلمين الماسون - فى الكعبة أم فى الهيكل الإسرائيلى ؟

يعلنون أنهم مسلمون ... وفى الوقت ذاته يُسَخَّرون للعمل لإعادة البناء الثالث للهيكل على أنقاض المسجد الأقصى .

أليس ذلك - فى أبسط صورة - خيانة ضد الأمة ... خيانة بكل مقياس قانونى وأمنى وأخلاقى ؟

إنه - على حد تعبير فاروقى - « إن لم يكن شعورنا بالصواب والخطأ قد تبلَّد ، فإن قوانين الأمن والدفاع يجب أن تُصاغ من أجل الوقاية من هذا الطابور الخامس ، لا أن تُوَّجه ضد أولئك الذين يكشفون المؤامرة اليهودية الماسونية » .

( فاروقى - الماسونية - ص ٤٨ ) .



### *"HAJIS" AND WHISKY*

***Mr. Kamil Sadiq, "The Right Worshipful Master" of the Lodge Temperance and Benevolence, speaking at a Dinner of Freemasons in Karachi, on June 1, 1968. "Worshipful Brother" Hassanally A. Rehman (2nd from left) also spoke at length and tried to defend Masonry. Seated 4th from left is Mr. S. K. Abdul Aziz a High Official of National Bank of Pakistan. In his speech, Mr. Hasanally said that Masons were good Muslims and most of them were Hajis. But one can see right before him and other "Hajis" open White Horse Whisky bottles. Indeed, three whisky bottles have to be brought by the candidate seeking "Initiation" and those present (I hope, not all) share the gold - water. "White Horse" on the table is clearly visible. An enlarged bottle from the same photo is also given on top left. Another notable thing is Acacia (Keekar Tree) leaves which are as sacred and holy for Masons as Zum Zum water for Muslims.***

## صورة وتعليق

صورة ضوئية من داخل محفل « الاعتدال والخيرية » الباكستانى ، جمع بعض أقطاب الماسون فى حفل عشاء مع ويسكى « الحصان الأبيض » ، وأسفل الصورة تعليق « فاروقى » بعنوان « حُجّاج وويسكى » .

يقول التعليق :

« السيد كامل صديق الأستاذ المبجل لمحفل « الاعتدال والخيرية » يتحدث فى مأدبة عشاء للماسون فى كراتشى ، فى الأول من يونيه ١٩٦٨ ، والأخ المبجل حسنلى عبد الرحمن - الثانى من اليسار - تحدث أيضاً بالتفصيل وحاول الدفاع عن الماسونية ، والسيد س . ك . عبد العزيز - موظف كبير بالبنك الوطنى الباكستانى - وقال السيد حسنلى : إن الماسون مسلمون صالحون ومعظمهم حُجّاج . لكنك تستطيع أن ترى تماماً أمامه والحُجّاج الآخرين زجاجات مفتوحة من « هوايت هورس ويسكى » . وفى الحقيقة فإنه يجب على طالب الانتساب إلى الماسونية أن يحضر ثلاث زجاجات ويسكى .

وهؤلاء الحاضرون - آمل ألا يكونوا كلهم - يشاركون فى المياه الذهبية .

و « هوايت هورس » على المائدة واضحة تماماً ، وتوجد صورة مكبرة من نفس الصورة الفوتغرافية على اليسار ، وهناك شيء آخر ملحوظ هى أوراق الأكاسيا المقدسة عند الماسون كماء زمزم عند المسلمين » أ . هـ

* * *

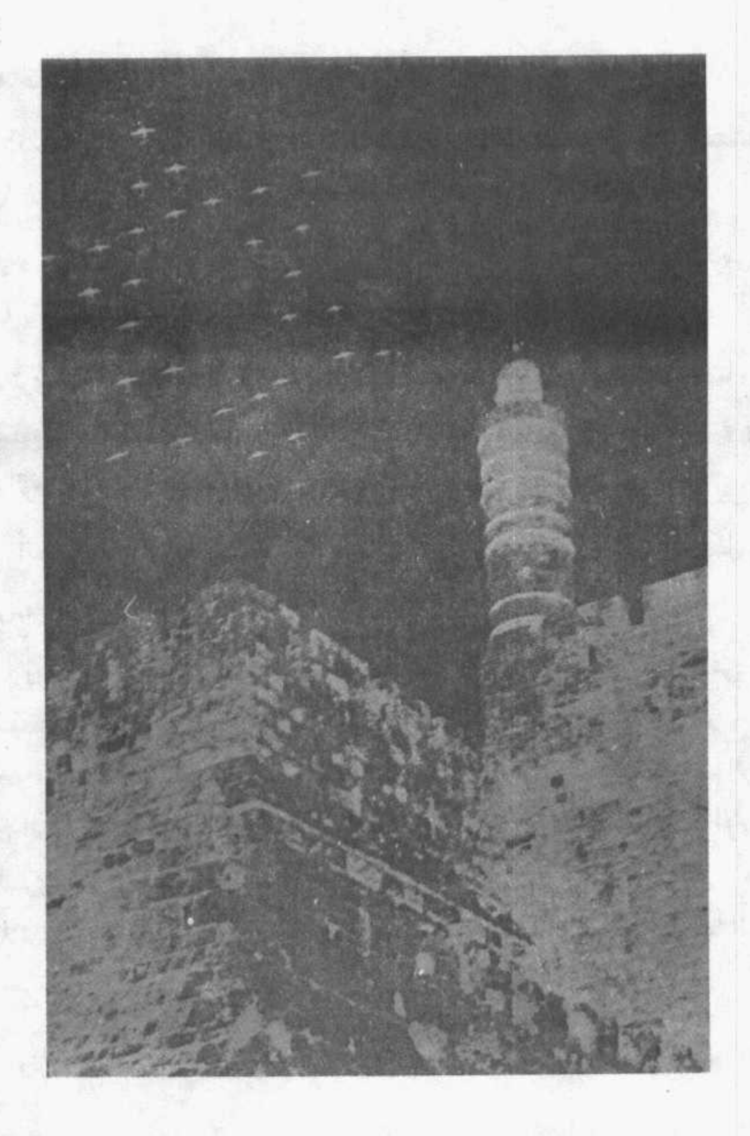
وإضافة الى تعليق « فاروقي » فهناك شيء أساسى وجوهرى فى الصورة . ذلك هو كرسى الأستاذ المبجل رئيس المحفل الذى يبدو واضحاً فى الصورة بتصميمه ذى المواصفات المميزة المشتقة من الأسطورة اليهودية كما وردت في سفر الملوك الأول وأخبار الأيام الثانى .

ينتهى الكرسى فى أعلاه بـ « المثلث » الرمزى ، وفى كل من جانبيه عمود على رأسه تاج « بوعز » و « ياكين » .

أما سبب تقديس الماسون لأوراق شجر الأكاسيا ؛ فقد قيل إن « حيرام أبيف » مصمم الهيكل الإسرائيلى القديم يوم مات وُضِعَت على جثمانه أوراق شجر الأكاسيا .

وتحمل كثير من المجلات الماسونية اسم « أكاسيا » تخليداً للذكرى !!

* * *



Israeli aeroplanes Flying Past over Jerusalem making Six- Pointed Jewish - Masonic Star . called Solomon's Double - Eye, David's Shield, symbol of Freemason's << Great Geometrician.>> This star is masonry. sufficient to prove the Jewish Basis of Free

الطائرات الإسرائيلية تحلق فوق القدس وهى تشكل النجمة اليهودية الماسونية سُداسية الأطرافُ المسماة عين سليمان المزدوجة ، درع داوود ، رمز المهندس الأعظم للماسون . وهذه النجمة كافية لإثبات الأساس اليهودى للماسونية .

● **حاشية :**

كنت فى بداية هذا الفصل قد نقلت ضمن مجموعة النصوص التى استشهدت بها عن الحَبر الماسونى « ماكبرايد » عبارته :

« إن مهمة الرصاصة قتل وتدمير الجامعة والمعرفة والكنيسة والخلاص ... أما بالنسبة للماسون فهى بناء المعبد » وعلقت على العبارة بقولى :

تُرى ما هى « العلاقة » بين « تخريب » وهدم المعرفة والجامعة والقضاء على المسيحية - وفكرتها عن الخلاص من خلال يسوع - وبين « بناء المعبد » بنفس « الرصاصة » التى قضت على هؤلاء جميعاً !! ؟

أيعنى ذلك أن « الهيكل » لا بد أن « يقوم » على « أنقاض » كل شىء فى « حياة » الإنسان !! ؟

وبعد أربع سنوات من كتابة هذا البحث طالعتنا صحيفة الأهرام فى صدر صفحتها الأولى - فى رمضان المبارك ١٤٠٤ هـ ( يونيو ١٩٨٤م ) بخبر فحواه أن الكاتب البريطانى « ديفيد يالوب » قد أكد فى كتابه « باسم الرب » أن البابا يوحنا بولس الأول قد قُتِلَ بالسم بأمر من المحفل الماسونى الإيطالى السرى ( بى ٢ ) الذى يختبىء مؤسسه « ليتشيو جيلى » حالياً فى أمريكا اللاتينية - وذلك بوضع مادة الدجتالين السامة ضمن الأدوية التى يتناولها البابا .

كم هو تجلى !!

ونورد هنا صورة لما نُشِرَ بجريدة الأهرام :

■ كتاب بريطاني جديد :

# البابا الراحل مات مسموما

## قبل بدء حملة تطهير في الفاتيكان

لندن ـ وكالات الانباء ـ اكد الكاتب البريطاني ديفيد يالوب ان البابا يوحنا بولس الاول ـ الذى لم يستمر في منصب البابوية عام ١٩٧٨ سوى ٣٣ يوما ـ قد قتل بالسم ولم يمت متأثرا بازمة قلبية كما اعلن الفاتيكان انذاك

وقال يالوب في كتاب جديد له بعوان باسم الرب نشرت الصحف البريطانية امس مقتطفات منه ـ ان البابا السابق اغتيل بامر من المحفل الماسوني الايطالي السرى بى ٢ الذى يختبىء مؤسسة ليتشيو جيلى حاليا في امريكا اللاتينية ـ وذلك بوضع مادة الدجتالين السامة ضمن الادوية التى يتناولها البابا .

واضاف الكاتب البريطاني ان اسباب اغتيال البابا السابق ترجع الى انه كان يعد للقيام بحملة تطهير شاملة في الفاتيكان تتضمن اقالة عدد من كبار المسئولين فيه واجراء تحقيق حول الاوضاع المالية في الفاتيكان واتخاذ اجراءات لتخفيف القيود التى تفرضها الكنيسة الكاثوليكية حول منع الحمل .

واوضح يالوب ان بين المسئولين الذين كان البابا سيقوم بعزلهم ـ القس بول مارسينكوس الذى كان محافظا لبنك الفاتيكان وروبرتو كالفي الذى كان يرأس بنك امبروسيانو اكبر بنوك ايطاليا وعثر عليه

[ البقية صفحة ١٠ عمود ٤ ]

# الفصل الثالث

## الشراك .. والسبك .. والرسن !!

ما هى العلاقة بين تسمية الحلقات أو المراتب التى يتدرج فيها المنتسبون إلى المحافل الماسونية وبين صفة الصنعة واسم الحرفة ومراتب العمل في بناء الهيكل الإسرائيلى القديم ؟

كيف يسقط الصيد فى شِراك الصائد ؟ ، أى كيف تقع الضحية الأُممية – غير اليهودية – فى حبال المحافل الماسونية ! ؟

كيف يتم تجنيد العملاء وسبك الخامة الفريسة وشدّها بالرسن الغليظ المربوط بوتد الدائرة الجهنمية ... ؟

وابتداءً هناك لافتة معلقــة على باب المصــيدة – المحفل . فكلمة الماسونية ( Freemasonry ) تعنى البنّاء الحر ، والماسونى ( Freemason ) هو البنّاء ، وجمعها الماسون أو الماسونيون ( Freemasons ) أى البنّاءون الأحرار .

هذه هى اللافتة الجذّابة التى ينضوى تحتها ذوو الروح العامة كما يداهنهم أو يسميهم « حكماء صهيون » ... وهى لافتة ذات جرس وبريق :

حرية .. وبناء !!

وتبدأ أولى مراحل المصيدة بنداء يزعم أنها جمعية أو محفل ( Lodge ) مفتوح الأبواب لجميع البشر من كل النحل والمذاهب والديانات ... ولا دخل للماسونية فى عقائد الناس ... وكل ما يهم المنظمة وحدة الجنس البشرى بهدف الأخوة والخيرية والحرية والمساواة والسلام والخدمة والمصلحة العامة للإنسانية .

وهذه اللافتة وهذا النداء لهما فى المشاعر هزة وفى الضمائر أصداء ... لهما فى الأسماع نغم وفى العيون بهار .

ونمشى مع الفكرة خطوة خطوة ... على الطريقة إياها !!

ونمضى على طريق النور نستخرج من حارات الظلام المغلقة شهادة حَبر ماسونى يبين مدى مصداقية عدم تدخل الماسونية فى عقائد المنتسبين ، ويهتك الستر عن هذا الزعم فى عرى صريح .

يقول « آرثر إدوارد وايت » فى موسوعته « دائرة معارف جديدة فى الماسونية » : « فى العصور القديمة .. اتهم الماسون فى كل قُطر بأنهم ينتمون إلى ديانة ذلك القُطر ... لكن يُعتقد الآن أنه من المناسب القول بأنهم ملتزمون بالعقيدة التى يوافق عليها جميع البشر » !! ( ص ٥ ) .

فى هذا النص يدحض الحَبر الماسونى مقولة اعتناق الماسون ديانة شعوبهم ويبرىء رفاقه من تهمة انتمائهم إلى عقائد أوطانهم التى أُلصقت - كفرية - بهم من قديم !

لكن أى عقيدة جامعة هذه التى يُبَشِّر بها الحَبر الماسونى ؟ !!

ومما استعرضنا من نصوص ماسونية فيما سبق أرى أننا قد وصلنا الى قناعة يقينية تحدِّد ماهية جذور الفكر والتراث المنشئين لتصورات الماسون العقائدية .

إنها العقيدة اليهودية ... وإنه التراث الإسرائيلى .. !!

وإلى خطوة أُخرى ... !!

**ومع مرجع آخر حُجة فى المسألة يُوضِّح كيفية صياغة الخامة الماسونية فى قالب هذه العقيدة الجامعة .**

**فى كتابه « الماسونية التأملية » يقول « ا . س . ماكبرايد » : « نحن نهدف إلى بناء الإنسانية معنوياً فى بناء منظَّم وفق خطة وتصميم »(ص ٣ ) .**

بناء معنوى ... !!

منظم .......... !!

وفق خطة ..... !!

وتصميم ...... !!

ويُفتح باب المصيدة – المحفل الماسونى – « فيدخله الأمميون – غير اليهود – عن فضول محض أو على أمل فى نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التى تجرى فيها ، وبعضهم يغشاها أيضاً لأنه قادر على الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل . والأمميون يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ، ونحن نوزعها جزافاً ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكى توجه لخدمة مصالحنا كل من تتملكهم مشاعر الغرور ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية وبأنهم وحدهم أصحاب الآراء وأنهم غير خاضعين فيما يرون لتأثير الآخرين .

وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأمميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة ( Naivite ) بإثارة غروره وإعجابه بنفسه ، وكيف يسهل من ناحية أخرى أن نُثَبِّط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة . ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له .

وبذلك ندفعه إلى حالة خضوع ذليل كذل العبد إذ نصده عن الأمل فى نجاح جديد .

وبمقدار ما يحتقر شعبنا النجاح ويقصر تطلعه على رؤية خططه متحققة يحب الأمميون النجاح ويكونون مستعدين للتضحية بكل خططهم من أجله .

إن هذه الظاهرة ( Feature ) فى أخلاق الأمميين تجعل عمل ما نشتهى عمله معهم أيسر كثيراً . إن أولئك الذين يظهرون كأنهم النمورة هم كالغنم غباوة ورؤوسهم مملوءة بالفراغ » . ( البروتوكول الثالث عشر من بروتوكلات حكماء صهيون – ترجمة محمد خليفة التونسى – ص ١٩١ ) .

ويفترض حكماء صهيون أن عقل الأُممى لكونه « ذا طبيعة بهيمية » محضة غير قادر على تحليل أى شىء وملاحظته ، لذلك يصبح من السهل اصطياد « البهائم العاملة » – كما يسمونها ودفعها إلى هذه المصيدة حيث يتم المسخ « بغسل الدماغ » .

والذين أمكن اصطيادهم ممن انطبق على عقولهم صفة الطبيعة البهيمية يقعون « فى كتلة المحافل » كقطيع من « الأغنام » أو « خنازير » لا تدرى ماذا يُراد بها حيث ينتظرها « الذئاب » فى داخل الحظيرة .

ذئاب ماكرة من نوع جديد لا تتعجل أكل فريستها على الفور وإنما تعدها « طعوماً » لصيد غيرها فى مثابرة وأناة ، ليزداد الصيد على مدى السنين انتظاراً « للوليمة العالمية » التى تكوِّنها « قطعان » الدنيا كلها !! فلا تجد الأغنام – عندما يحين أكلها وتستنجد طلباً للخلاص – من ينقذها من أنياب « المارد الجبار » ( Monstar ) المسمى « إدارة الحكومة العليا » ...... حيث ستمتد أيديه « كالمخالب الطويلة المدى » لتصل أى مكان فى عالَم يسيطر عليه صنَّاع الماسون وصنائعهم .

« إن الأُمميين كقطيع من الأغنام وإننا لذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة ؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شىء ، والى هذا المصير سيُدفعون فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم « واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع » .

ولستُ فى حاجة مُلِّحة إلى أن أُخبركم إلى متى « سيطول بهم الانتظار » حتى ترجع إليهم « حرياتهم الضائعة » !!

أى سبب أغرانا بابتداع سياستنا وبتلقين الأُمميين إياها ؟ لقد أوحينا إلى الأُمميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفى وماذا حفذنا على اختيار هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ونحن « جنس مشتَّت » عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة بل بالمراوغة فحسب ؟

هذا هو السبب الصحيح ، والأصل فى تنظيمنا « للماسونية » التى لا يفهمها أولئك « الخنازير » ( Swine ) من الأُميين ولذلك لا يرتابون فى مقاصدها . لقد أوقعناهم فى كتلة « محافلنا » التى لا تبدو شيئاً أكثر من « ماسونية » كى « تذر الرماد » فى عيون رفقائهم » ( البروتوكول الحادى عشر - ترجمة محمد خليفة التونسى - ص ١٧١ ) .

وفى الحظيرة أو المصيدة مسبك للصياغة وقوالب تصب فيها الخامة الماسونية فى حلقات أو درجات قد أُعدت لتلائم كل مرحلة بذاتها وفق رموز وطقوس وطلاسم خاصة مرتبطة بأسرار معينة ، ثم تتطور إلى مرحلة أخرى بمواصفات جديدة لها ، لها أسرارها وطقوسها ورموزها وطلاسمها المنوطة بالمرحلة .. وهكذا دواليك .

١ - درجة « المبتدىء أو الصبى » ( Apprentice ) وهى تقابل صفة الصبية أو المبتدئين في الصنعة الذين كان يستخدمهم « سليمان » فى بناء الهيكل ، ويُسمى المنتسب فيها الأخ ( Brother ) .

٢ - درجة « الصانع الحاذق أو المهنى المحترف » ( Craftsman ) وهي تُقابل أرباب الحِرف ( Fellow Crafts ) الذين كان سليمان يستخدمهم رؤساء مهن أو حِرف عند بناء الهيكل .

ويتحدث كتاب « الطقوس المثالية للماسونية الاسكتلندية - أدنبرة ١٩٢٧ » عن الأصل الذى انطلقت منه تسمية هاتين الدرجتين فيقول :

« عند بناء هيكل الملك سليمان استخدم عدداً كبيراً جداً من الصنّاع ، وكانوا يتكونون من مبتدئين فى الصنعة « صبية » وأرباب المهنة » .

( ص ٥١ - ٥٢ ) .

( At the buildng of king soloman's temple, vast number of arif-iciens were employed consisted of « Entered Apprentices »

and fellows of ctaft) P. 51- 52, The Standard Ritual of scotish Freemasonry, Edinburgh . 1927 .

٣ – درجة « الأستاذ » ( Master ) : ويتدرج صاحبها في ألقاب « الأستاذ المحترم والمبجل والأعظم » وهذه الدرجة تقابل الصفة التى انطبقت على « حيرام أبيف » الذى جاء من صور ليشرف على بناء هيكل سليمان من جميع النواحى الفنية وكان يجيد كل المهن والصناعات . وقد جاء عنه فى « سفر أخبار الأيام الثانى » : « ... ماهر فى صناعة الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجارة والخشب والأرجوان والأسمانجونى والكتان والقرمز ونقش كل نوع من النقش واختراع كل اختراع يُلقى عليه » ( الأيام الثانى ٢ : ١٣ ) .

٤ – مرتبة « العقد الملوكى » ( Royal Arch Chapter ) أو « الدرجة الملوكية لأورشليم » ( Holy Royal Arch Of Jerusalem ) وهى الدرجة الرابعة فى السلك الماسونى ومنها يتدرج المنتسب إلى الدرجات الأعلى فيما بعد حتى الدرجة الثالثة والثلاثين ، قمة التنظيم الماسونى ويُسمى المنتسب فيها الرفيق ( Companion ) وفيها تُبث الفكرة الإسرائيلية عقائدياً وسياسياً وتؤصل المسألة الصهيونية فكراً وتنظيماً .. ويسلك الرفيق فى هذه المرحلة كـ « يهودى » تماماً وقد ارتبط بالعمل المنظّم وفق « خطة وتصميم » من أجل جمع « أطفال إسرائيل » من « الشتات » واستعادة « أورشليم » مدينته الروحية وبناء « هيكلها الأقدس » .. !!

ويستوى فى هذه الدرجة اليهود الأُصلاء والمجندين العملاء من غير اليهود من الذين ترّقوا أو نجحوا !! فى اجتياز الدرجات الأولى الثلاث .

* * *

● الماسونية الكونية ( Ecumenical Masonry ) :

وهى التى تدير شئون الماسونية على مستوى العالَم وتبث عملاءها فى المراكز المؤثرة على مستوى صناعة القرار على تنوع صفاته ونوعياته ، سياسياً

وعسكرياً وفكرياً واقتصادياً واجتماعياً وإعلامياً ... وما إلى ذلك ، حتى تكون حركة العالم مدارة وفق الخطة الصهيونية على المستوى العام ، وإن تركت التفصيلات لمناورات الصراع المحلى ، حسب ظروف المرحلة والقُطر من حيث الزمان والمكان . وهى التى تُصَدِّر المؤامرات وتُدَبِّر الانقلابات وترسم الخطط للسيطرة على دول العالم ووضعها تحت السرج .

ودرجة العضوية فيها هى الدرجة « الثالثة والثلاثون » قمة التسلسل الماسونى . وغالبية أعضاء « المحفل الكونى الماسونى » وتشكيله سرى للغاية من اليهود أو اليهود المتنصرين أو النصارى المتهودين وقيادته غير معروفة .

فأمريكا مثلاً تُحكم من خلال الماسونية « بحيث أنه لا يتقلد الرئيس الأول منصبه فى الولايات المتحدة إلا إذا كان حائزاً على الدرجة ٣٣ فى الماسونية ، وأن جميع رؤساء الولايات المتحدة ومعاونيهم ينحنون أمام الصهيونية كما ينحنى الوثنى أمام القبر المقدس » كما قال « جون بيتى » فى كتابه : « الستار الحديدى الذى يُحيط بأمريكا » .

وعلى المستوى القُطرى أو الإقليمى تُوجد محافل تعمل بتنسيق مع المحفل الكونى لتنظيم العملاء وترتيب الأدوار وفقاً للظروف المحلية وملاءمتها للظروف الدولية .

وفى حضانة هذه المحافل يتم تفريخ الأحزاب والمنظمات والفتن والقلاقل والثورات والوسطاء وصياغة الأفكار التى يُراد بثُّها فى عقول الناس من خلال الصحيفة والكتاب والمنشور والمذياع والتلفاز ، وإجراء الدراسات حول اهتمامات الناس ، وصناعة وقياس الرأى العام ، وابتكار المناهج التربوية التى تخدم الحركة الصهيونية ، وتحريات المسائل الانتخابية والاقتصادية والاجتماعية ، وتدريب « الصبية » من « أصنام » الفكر والسياسة والاجتماع والتوجيه ، ودس وخلق الشُهرة للعملاء فى جميع المراكز المؤثرة فى صناعة القرار .

* * *

ومن خلال السبك وقوالب الصب التى تُصاغ فيها الخامة الماسونية فى حلقات متتابعة متدرجة ضمن البناء المعنوى المنظم وفق خطة وتنظيم تُنزع الفكرة الدينية الخاصة بالأمميين أو على الأقل تُقتلع أصولها العقائدية المميزة والمحددة .

تقول « تأريخية الماسون » ٢٥ أغسطس ١٩٥١ ( Freemasons Chronicle, August 25, 1951 ) :

« ليس للماسونية ألوهية » أى إيمان دينى بإله على نحو ما .

أما مجلة سنبوليزم ( Sinbolisme ) ١٩٢٢ فتقول : « ستحل الماسونية محل الأديان وأن محافلها ستقوم مقام دور العبادة » .

ولا يفوت المشرق الأعظم الفرنسى ( Le Grand Orient ) فى مضبطة مؤتمره عام ١٩١٣ أن يُذكّر المنتسبين بهذه الحقيقة فيصف الماسون بأنهم أعداء الدين ويطالبهم بالقضاء على مظاهره ، وأن الإنسانية سوف تُتخذ غاية من دون الله .

ويتحدث آرثر إدوارد فى « موسوعة جديدة فى الماسونية » عن دور الماسون الفرنسيين من درجة فرسان المعبد ( Templar Grades ) فيقول : « إنهم كانوا يخططون ويهدفون إلى تحطيم الحكومة الملكية فى فرنسا وإلى تحطيم العقيدة الكاثوليكية كذلك » ( ص ٤٣١ ) .

وفي سبيل الرموز المولع بها الماسون - قناعهم الخفى للعمل - وعلى طريق البناء المعنوى المنظّم وفق خطة وتصميم وفى الحلقات الثلاث الأول ، « درجة المبتدىء أو الصبى » ، « درجة الصانع الحاذق » ، « درجة الأستاذ المحترم أو المبجل أو الأعظم » ، يصبح إله الماسونية شيئاً يطلقون عليه :

المهندس الأعظم ( Great Geometrician ) .

البنّاء أو المعمارى الأعظم ( Great Architect ) .

وصك هذا الاسم الرمزى أو الباطنى ( Mystic ) فى هذه المراحل الثلاث له

مغزاه الواضح فى عملية البناء المقصود من الحركة الماسونية ذاتها ... ألف وياء المحفل :

البناء الثالث للهيكل الإسرائيلى فى القدس !!

أما الإله الرمزى فى الحلقة الرابعة - مرتبة العقد الملكى فاسمه : « يه - بل - أن » أى ( يهوه - بعل - أزوريس ) وقد فصّلنا ذلك فى فصل « العقيدة ... والتراث ... والرموز » لمناسبته لمادة ذلك الفصل .

ولكل « درجة » من درجات « السلك المخبوء » « قَسَم أو يمين » يُؤديه « العميل » أو « المنتسب » وفق الحلقات المتتابعة فى « البناء الماسونى المنظم » :

**قَسَم الدرجة الأولى :** « أنا ......... فى حضرة « المهندس الأعظم » للعالَم « والمحفل » المبجل الفاضل والمأذون « للماسون الأحرار » المنعقد بانتظام والمكرَّس تماماً ، وبكامل إرادتى ورضائى وبموجب هذه الوثيقة ، أعد وأُقسم بإخلاص وجدية أننى دائماً أدس وأخفى ولا أكشف أبداً أى جزء أو أجزاء ، أى نقطة أو نقاط ، من الأسرار التى تخص أو تنتمى الى « الماسون » الأحرار فى « الماسونية » التى عُرِّفت لى أو التى سوف تُوَّصل إلىَّ الآن أو فى أى فترة زمنية مستقبلة ، إلا لأخ أو إخوة صادقين موثوق به أو بهم ، وحتى هذا أو هؤلاء لا يُنقل له أو لهم إلا بعد تجربة حقة وامتحان قاس أو من خلال معلومات مؤكدة بأنه أو أنهم جدير أو جديرون بالثقة وفى وجود محفل كامل ومضبوط ومنظم للماسون القدماء .

كذلك فإننى أقسم بجدية أننى لا أكتب هذه الأسرار ولا أرسمها ولا أنقشها ولا أحفرها ولا أُبينِّ معالمها أو أخططها ولا أتسبب فى أن أجعلها تُؤدَى على النحو السابق بواسطة الآخرين . وإن كان فى استطاعتى أن أمنعها أن تُؤدَى على أي شىء متحرك أو غير متحرك تحت قبة السماء .. لأى حرف أو شخص أو رقم قد يصبح مقروءاً أو واضحاً أو معلوماً لنفسى أو لأى أحد فى العالَم

حتى تظل فنوننا وآدابنا السرية وطلاسمنا وشعائرنا وطقوسنا المخبوءة بعيدة الاحتمال لأن تُكشف أو تُعرف .

ومن خلال القَسَم ينبغى علىَّ أن ألاحظ ذلك دون أى انحراف أو مرواغة أو تحفظ عقلى . وأقل عقوبة فى حالة انتهاكها أن يُقطع حلقى ويُنزع لسانى من جذوره وأُدفن فى رمال البحر عند المياه المنخفضة حيث ينحسر المد ويندفع مرتين كل أربع وعشرين ساعة ، أو بالعقوبة الأشد تأثيراً وهى أننى أُوصم بالعار كفرد حانث فى قَسَمه بطريقة ماكرة ، خال من كل القيم الروحية والخُلُقية وغير صالح لأن أستقبل فى هذا المحفل المبجل أو أى مجمع أو جمعية شريفة تُقدِّر الشرف والفضيلة فوق المزايا السطحية والرتبة والثروة » !!

**قَسَم الدرجة الثانية :** « أنا .......... فى حضرة البنَّاء الأعظم للعالَم و « المحفل » المبجل والرفيع للشغَّالين الماسون ، المنعقد والمجتمع بانتظام ، والمكرَّس تماماً ، بإرادتى الحرة ورضاى ، وبموجب هذه الوثيقة ، أعد وأُقسم بجدية ووقار ، أنني أخفى ولا أكشف أبداً أياً من الأسرار والطلاسم التى تخص الدرجة الثانية فى « الماسونية » الملقبة « الزملاء أرباب الحرفة » لأى أحد داخل جديد فى الدرجة ، ولا لأى أحد فى هذا العالَم الجاهل غير « الماسونى » .

أكثر من هذا ، فإننى أرهن نفسى لأن أسلك « كشغَّال محترف » مخلص وصادق ، أرد على الإشارات وألبى الاستدعاءات ، وأحافظ على المبادىء المحصورة فى الدرجة السابقة .

وهذه النقاط السابقة والعديدة ، أُقسم بوقار أن أراعيها دون انحراف أو مراوغة أو تحفظ عقلى من أى نوع ، وعقوبتها فى حالة انتهاك أى منها ، ليست أقل من أن أترك شق صدرى الأيسر يُفتح ويُنزع قلبى منه ويُعطى لطيور السماء الجارحة أو يُلقى فريسة لوحوش الغابة المفترسة » !!

**قَسَم الدرجة الثالثة :** « أنا .......... فى حضرة العلى و « المحفل المبجل » الفاضل « لأستاذية الماسون » المشكّل على نحو واف ، والمنعقد بانتظام والمكرّس تماماً ، برضاى وإرادتى الحرة ، أقسم بجدية ، على هذه الوثيقة وبموجبها وأعد ، أننى دائماً أخبىء وأخفى ولا أكشف أبداً أياً من الأسرار والطلاسم التى تخص أو تنتمى إلى درجة الأستاذية الماسونية لأى أحد فى العالم ، إلا لمن له أو لهم من المنتسبين بطريقة مضبوطة ومشروعة ، وليس له أو لهم ، إلا بعد تجربة حقة واختبار قاس أو اقتناع تام أنه أو أنهم جديرون بهذه الثقة أو فى وجود محفل « أستاذية ماسونية » مفتوح كما ينبغى ...

وأيضاً أضع نفسى رهن التمسك بالمبادىء ، وأن ألبى وأطيع كل الإشارات والنداءات القانونية المرسلة إلىَّ من محفل « الأستاذية الماسونية » إن كان فى استطاعتى ، ولا ألتمس أى عذر إلا المرض أو الضرورات الملّحة أو مهنتى الخاصة أو العامة .

وأيضاً أتعهد بجدية أن أحافظ وأتمسك « بالنقاط الخمس للزمالة » قولاً وفعلاً ، وأن يدى التى أعطيت للأستاذ الماسونى ستكون ضماناً للإخوة ، وأن قدمى ستذكرنى برغباته ، وأن أكشف له قلبى لإنشاء عمود للدفاع والمؤازرة المشتركة ، وأن ابتهالاتى اليومية ستذكرنى برغباته ، وأفتح قلبى لأساعده فى حالة ضعفه ، وأريحه من حاجياته دون ضرر لنفسى أو جماعتى ، وأن صدرى سيكون مستودعاً أميناً لأسراره .....

وأخيراً ، أننى أحافظ على شرف الأستاذية الماسونية وأصونها بعناية كشىء يخصنى ، ولا أوذيه بنفسى ، ولا أسمح بمعاناته من الآخرين إن كان ذلك فى استطاعتى منع ذلك ، وأطرد أى تشويه فى سمعة اسمه الطيب ، وأحترم بشدة طهارة أولئك القريبين والأعزاء عليه ، فى أشخاص زوجته وأخته وطفلته .....

كل هذه النقاط ، أقسم بوقار ، أن ألاحظها دون أى انحراف أو مراوغة أو

أى تحفظ عقلى من أى نوع ، فى ظل عقوبة - فى حالة فسخ أى منها - ليست أقل من أن أشطر نصفين ، وتُحرق أحشائى لتصير رماداً ، وهذا الرماد يُبعثر على سطح الأرض ويُذَّرى بواسطة الرياح الأربع الأساسية للسماء ، حتى لا يُوجد أى أثر أو ذكر لهذا البائس الخسيس ، بين الناس ، وبخاصة « الأساتذة الماسون » !!

**قَسَم الدرجة الملوكية :** « أنا .......... فى حضرة الإله الحى الحق الأعلى ، وهذا المحفل « للعقد الملوكى المقدس » المشكّل والمجتمع والمنعقد بطريقة مشروعة ، بإرادتى الحرة ورضاى ، أقسم على هذه الوثيقة وبموجبها ، وأعد ، بجدية أننى دائماً أخفى وأدس ولا أكشف أبداً ، أياً من الأسرار والطلاسم المحددة لهذه الدرجة العليا ، الملقّبة « درجة أورشليم الملوكية المقدسة » ، لأى أحد فى العالم إلا أن يكون رفيقاً صادقاً ومشروعاً « للطبقة » والذى أجد أنه كذلك بعد اختبار قاس .

وأقسم أيضاً بجدية وحزم أننى لن أجرؤ على نطق « الاسم السرى المقدس » الذى قد يُنقل إلىّ الآن لأول مرة ، إلا فى حضور وبمساعدة اثنين من « رفاق المرتبة » ، أو فى وجود « محفل عقد ملكى » مشكّل بطريقة مشروعة .....

وأقسم بحزم وجدية أن أراعى هذه النقاط دون انحراف أو مراوغة أو تحفظ عقلى من أى نوع ، فى ظل عقوبة - ليست أقل - فى حالة فسخ أو انتهاك أى منها - من معاناة فقدان الحياة بقطع الرأس » !!

*    *    *

بهذه الكيفية وقد دُفع المنتسب أو العميل إلى « حالة خضوع ذليل كذل العبد » تصل « الخامة » الماسونية الى « وعدها المحتوم » لتصير « شيئاً » قابلاً « للتشكيل والصياغة » « وفق خطة وتصميم » ..... مجرد « مادة طيّعة » « لا تستعصى » على الصب فى قالب « البناء المنظم » !!

فمن خلال « الدرجات المتتابعة » أو « الحلقات المتدرجة » فى « السلك المخبوء » والتى تمثل « العقود الزمنية » فى « عمر الضياع » يتم « تدريب « الماسونى » على « الأسرار والطلاسم والرموز » « فينغسل دماغه » من كل « فكر قديم » يزاحم « الخطة والتصميم » « ويتلبد ذهنه » فلا يُعد قادراً على الوفاء لأى عملية عقلية تراجع أو تربط أو تحلل أو تستنبط أو تستنتج أو تتذكر ، لأن « السالكين » قد أصبحوا « كالغنم غباوة ورؤوسهم مملوءة بالفراغ »!!

« فانشلَّ التفكير » ولم يعد يعى إلا « الدور المرسوم » المحدَّد « لكل مرحلة » من مراحل « السبك » فى « البناء المنظم » !!

لقد « انفسخ ولاؤه » من كل دين أو عُرف أو قانون أو تشريع ، « وانفك ارتباطه » بأى وطن أو أهل أو قوم ، و « بات أداة للدورة » المجنِّد لها فحسب ، و « أفرغ وجدانه » من كل قيمة أو عاطفة أو مشاعر ، إلا تلك التى « ربطوه » بها فى معطيات « العهد » !! فى مراتب « الأخ » و « الزميل » و « الأستاذ » و « الرفيق » ..... أخوة وزمالة وأستاذية ومرافقة « الدائرة الجهنمية » بالطبع !!

لقد « أقسم » على « إخفاء الرموز والأسرار والطلاسم » عن عالَمنا الجاهل !! « الغير ماسونى » ، « والتزم » بأنه « لو ضيَّع » أى طلسم أو رمز أو أفشى أى سر أو خبء ، كتابة أو رسماً أو نقشاً أو لفظاً ، فإنه « راض » فى اقتناع تام « بالجزاء الوحشى » من خلال عقوبات أقلها « قطع الرأس » أو « قطع الحلق ونزع اللِّسان من الجذور » و « الدفن فى رمال شاطىء البحر » حيث « يعذبه المد والجزر » مرتين كل أربعة وعشرين ساعة ، أو أن « يُشق صدره » « ويُنزع قلبه » « ليُعطى لطيور السماء الجارحة » أو « يُلقى فريسة » « لوحوش الغابة الضارية » أو أن « يُحرق جثمانه ليصير رماداً » « يُذَّرى على

سطح الأرض » « تُحركه رياح السماء الأربع » حتى « لا يبقى أى أثر أو ذكر » لهذا « البائس الخسيس الموصوم بالعار » !!

أبعد ذلك خسران !! ؟

* * *

● **حاشية :**

من الطَريف أن الدكتور محمد حرب عبد الحميد ، فى ترجمته وتقديمه وتحقيقه لكتاب « مذكرات السلطان عبد الحميد - دار الأنصار القاهرة » قد أورد وثيقتين عن كتاب بالفارسية « سيد جمال الدين مشهور به أفغانى ، لمؤلفيه : أصغر مهدوى وأبرج أفشار ، طهران ١٣٨٣ هـ » الوثيقة الأولى عن صورة الطلب الذى قدّمه جمال الدين الأفغانى للانخراط فى سلك الماسونية ، والوثيقة الثانية صادرة عن « لوج كوكب الشرق » الماسونى بالقاهرة حول انتخابه « رئيساً محترماً » للوج !!

والأهم - عندى - هنا ليس واقعة دخول جمال الدين الأفغانى فى الماسونية ووصوله إلى مرتبة « رئيس محترم » ، ولا كذلك عبارة « إخوان الصفا وخلان الوفا » الواردة فى طلب الالتحاق إلى « أرباب المجمع المقدس الماسون الذى عن الخلل مصون » أصحاب « المجمع المطهر والمنتدى المفتخر » !!

ولا يهم كذلك كتابة التاريخ العبرى !! - المصاحب للتاريخ الميلادى - الذى أُرخَتْ به الوثيقة الثانية فى أعلاها من ناحية اليمين ، فذلك أمر يتفق مع طبائع الأشياء ، وطبائع الأشياء أنها ماسونية اليهود أو يهودية الماسون !!

إنما تعنينى كلمة « القادوم » التى وردت فى رد « اللوج » على قبوله « رئيساً محترماً له » فى عبارة :

« وعن أمر الرئيس محترم الحالى أدعو أخوتكم للحضور يوم الجمعة القادم !!

الجارى الساعة – ٢ عربى بعد الغروب إلى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم « القادوم » بعد إتمام ما يجب من التكريز الاعتيادى » .

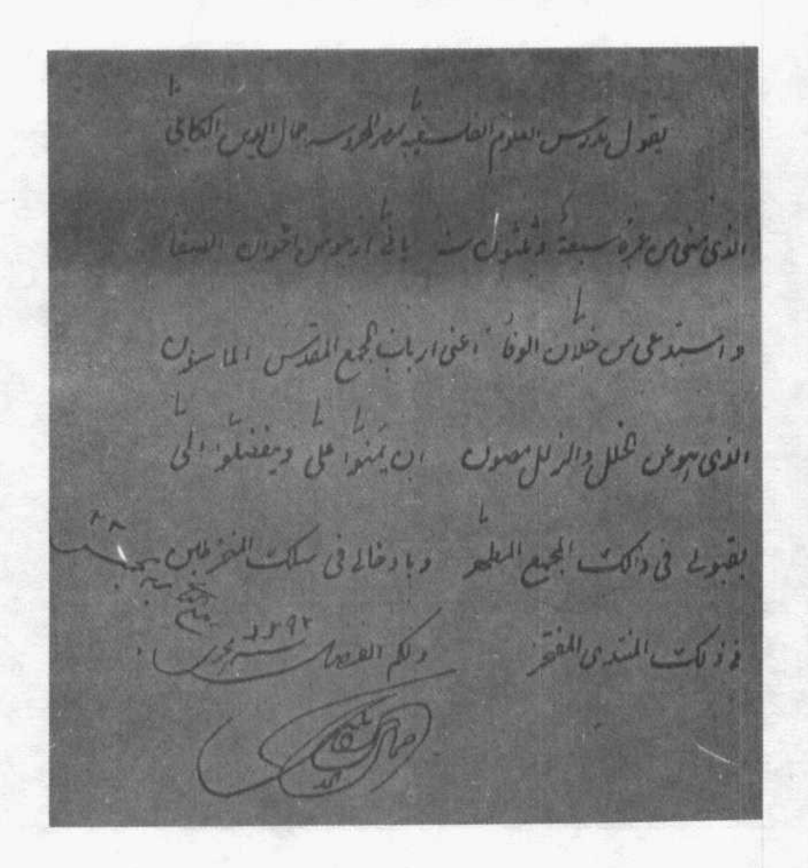
والقادوم – كما نعلم – آلة للنجر والنحت والبناء يستخدمها النجّارون والبنّاءون .

والرمز هنا واضح بلا أحجية أو ألغاز ، يرى الإنسان مغزاه ، عندما لا تُخطىء العين تقدير الأبعاد .

إنها العلاقة المميزة والطريق المرسوم والدور المحدّد للمحافل الماسونية فى غايتها النهائية :

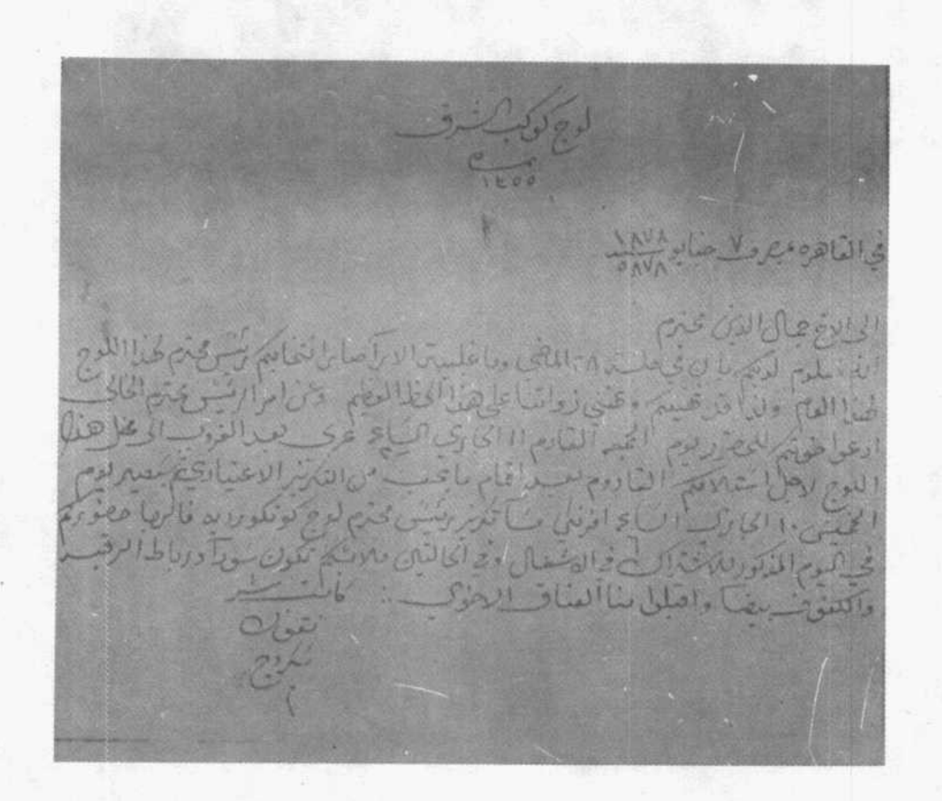
بناء الهيكل الإسرائيلى من جديد على جبل « المريا » فى « أورشليم » !!

*   *   *



يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي
الذي مضى من عمره سبعة وثلثون سنة بأني أرجو من إخوان الصفا
واستدعي من خلان الوفا أعني أرباب المجمع المقدس الماسوني
الذي هو عن الخلل والزلل مصون أن يمنوا علي ويتفضلوا إلي
بقبولي في ذلك المجمع المطهر وبإدخالي في سلك المنخرطين
في ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل

صورة الطلب الذى قدّمه السيد جمال الدين الأفغانى للانضمام إلى الماسونية ( عن كتاب سيد جمال الدين مشهور به أفغانى ، طهران ١٣٨٣ هـ ) .



لوج كوكب الشرق
نمرة ١٣٥٥

في القاهره مصر في ٧ [illegible] ١٨٧٨

الى الاخ جمال الدين محترم
انه معلوم لديكم بان في جلسة ٨ الماضي وبأغلبية الاراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج
[illegible] ولذا قد [illegible] على هذا الحظ العظيم [illegible] رئيس محترم الحالي
ادعو حضرتكم للحضور يوم الجمعة القادم ١١ الجاري الساعة [illegible] بعد الغروب الى محل هذا
اللوج لاجل [illegible] القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي [illegible]
الخميس ١٠ الجاري [illegible] رئيس محترم لوج كونكورديا [illegible] حضوركم
في اليوم المذكور [illegible]
والكشوف [illegible] واقبلوا منا العناق الاخوي
كاتب السر
[illegible]

صورة لوثيقة صادرة عن لوج كوكب الشرق الماسونى القاهرة إلى السيد جمال الدين الأفغانى حول انتخاب السيد رئيساً للوج ( عن كتاب أصغر مهدوى وزميله ) .

# تذييل

قلتُ فى هذا الفصل ، إنه من خلال الدرجات المتتابعة أو الحلقات المتدرجة فى السلك المخبوء التى تمثل العقود الزمنية فى عمر الضياع ، يتم تدريب الماسونى على الأسرار والطلاسم والرموز ، فينغسل دماغه ويتبلد ذهنه فَينْشَل تفكيره ولا يعد يعى إلا الدور المرسوم المحدَّد لكل مرحلة من مراحل السبك فى البناء المنظَّم .

ويقول البروتوكول التاسع لأحبار الماسون المسمى « بروتوكولات حكماء صهيون » : « ... وإننا نسخِّر فى خدمتنا أُناساً من جميع المذاهب والأحزاب : من رجال يرغبون فى إعادة إنشاء الملكيات ، وإشتراكيين ، وشيوعيين ، وحالمين بكل أنواع الطوبيات ، ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ... »

أى حميراً عليها البرادع ، يركبها قادة الماسونية العالمية ، مسخَّرين لغاية محدودة هى عودة اليهود وجمعهم من الشَتات إلى فلسطين ... ثم - وهو الأهم - إعادة البناء الثالث للهيكل الإسرائيلى فى القدس على أنقاض المسجد الأقصى !!

وأوضحتُ بالدليل القاطع الدرجات الماسونية الرسمية .

وكم هو تجلى !!

فبعد عام ونصف من صدور الطبعة الأولى للكتاب ، قرأتُ فى صحيفة الشعب الصادرة فى تاريخ ١٨ أغسطس ١٩٨٧ - الصفحة الرابعة - تحقيقاً صحفياً كتبه الأستاذ أبو العباس محمد وصوَّر وثائقه الأستاذ حسن التونى - أجزل الله لهما المثوبة .

● التحقيق المعجب يتحدث عن جمعية تسمى « جمعية الحمير المصرية » وتاريخها فى عمر الضياع أكثر من نصف قرن ، والدرجات فيها تناظر الحلقات

الماسونية الرسمية لكن فى عرى صريح يُبرز الدور الفعلى للمسخَّرين فى خدمة الصهيونية ، وأعضاؤها كانوا من قبل من السالكين أو المنتسبين فى وإلى « جمعية الماسونية المصرية » الملغاة رسمياً عام ١٩٦٣ ، والأعضاء حالياً فى بدائلها من الروتارى والليونز .

● وننقل بالحرف بعض ما جاء فى التحقيق المشار إليه آنفاً :

بلغ عدد أعضاء جمعية الحمير المصرية حتى الآن ٣٥ ألف عضو ، منهم عدد كبير جداً من نجوم المجتمع ، وعمرها أكثر من ٥٦ عاماً حيث بدأت تُمارس نشاطها منذ عام ١٩٣٢ ... بدأ زكى طليمات فى عام ١٩٣٢ تأسيس جمعية الحمير المصرية التى انضم إليها عدد كبير من المفكرين والكتَّاب والفنانين وغيرهم ، وفى مقدمة هؤلاء الفنان سيف وانلى ، والفنان سيد بدير ، وشكرى راغب أول مدير مصرى فى دار الأوبرا .

● رئيس شرف الجمعية الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة السابق الذى يقول : « إن جمعية الحمير المصرية الغرض منها انضمام خاصة الخاصة الشعور بأشياء ربما لا يراها الإنسان ذاته .

باختصار هى تهدف إلى إطلاق طاقات القادرين وعطائهم ، لتصل إلى غير القادرين .. » ويقول المرسى خفاجى رئيس الجمعية والحاصل على لقب « حامل الحدوة » ضمن اثنين آخرين هم فقط الذين حصلوا على هذا اللَّقب وهم زكي طليمات مؤسس الجمعية وشكرى راغب : « إنه يكفى الحمار فخراً أن يكون شعاراً للحزب الوطنى الديمقراطى الأمريكى والذى يُعتبر أكبر الأحزاب هناك ، هذا بالإضافة إلى أن الرئيس الفرنسى قد عزم على أن يتولى رئاسة جمعية الحمير الفرنسية والتى أُسست عام ١٩١١ بعد انتهاء فترة رئاسته لفرنسا » !

* * *

### ● البداية حرحور والنهاية حمار !

الطريف أن شروط العضوية ليست صعبة ، بل من حق أي مواطن الانضمام إليها ، لكن الصعب هو الحصول على لقب حمار . لماذا الصعوبة فى الحصول

على هذا اللّقب ؟ الإجابة ببساطة أن العضو عندما ينضم تُقَدَّر له الرتبة والوظيفة حسب مجهوده ونشاطه وعطائه .

١ - فعند بداية الانضمام يحصل العضو الحديث على لقب « **حرحور** » وهو ما يعنى صغير الحمار بعد ولادته .

٢ - ثم « **حامل اللجام** » أى الحمار فى شبابه ، أى « **الجحش** » .

٣ - وإذا أثبت العضو إخلاصاً فى تقديم العمل وبذل العطاء ، يحصل على لقب « **حامل البردعة** » أى « **حمار** » ويحصل العضو على هذا اللقب بصعوبة بالغة لدرجة أن مائتين فقط من بين ثلاثين ألفاً حصلوا عليه .

٤ - أما أرقى وأرفع الدرجات الوظيفية فى سلم جمعية الحمير فهو « **حامل الحدوة** » فقد أعطى هذا اللّقب لثلاثة فقط : زكى طليمات - شكرى راغب - وأخيراً : المرسى خفاجى .

* * *

## • مراسلات الأعضاء :

يراسل أعضاء الجمعية بعضهم البعض مستخدمين النصوص والأصوات الحميرية كتابة :

فقد كتب العضو « رشدي إسكندر » عضو الجمعية بالولايات المتحدة على كارت معايدة مرسلاً إلى رئيس جمعية الحمير بالقاهرة : « مع خالص نهيقي أيها الحمار العزيز ، كل عام وأنتم بخير » .

« أيضاً كتب المرسي خفاجي رئيس الجمعية كارتاً لزوجته - وهى حمارة أيضاً - يطلب منها إعطاءه كفنه وهو من ضمن أنشطة الجمعية وخدماتها للموتى » .

* * *

## • اكتشف الحمير أنهم حميراً :

ويوضح المرسي خفاجي أن فكرة انضمامه للجمعية وإنضمام آخرين جاءت بعدما اكتشفوا أنهم حمير بالفطرة ، وأنه قد تأكد تماماً أنه حمار عندما زار زكي طليمات في منزله في الخمسينات ليكتب بعدها طلب العضوية .. « بعد النهيق.. أرجو النظر في طلب عضويتي » .

* * *

## • الحمير الكبار :

بقى أن تعرف أهم الشخصيات التي انضمت للحمير وأصبحت حميراً بعد عناء ، ومنها الدكتور نبيل علوبة ، الدكتور محمود محفوظ وزير الصحة السابق ، سفير أندونيسيا السابق في القاهرة محمد حسان ، الفنانة نادية لطفي ، د . عفت عبد الباسط الأستاذ بكلية زراعة مشتهر ، الكاتب الساخر أحمد رجب ، ... بالإضافة إلى الأعضاء الذين سبق ذكرهم ، ولكن هل جميعهم حصلوا على لقب حمار ؟ أؤكد أنهم يبذلون قُصارى جهدهم من أجل نيل هذا الشرف !!

* * *

## • هل هناك علاقة بين الماسونية والحمير ؟

يقول صاحب التحقيق : هل توجد علاقة بين الماسونية وجمعية الحمير المصرية . سؤال ألح علينا بشدة ويبحث عن إجابة ؟ حدث ذلك عندما رأينا مجموعة من الشخصيات المهمة ينضمون إلى جمعية الحمير المصرية وهم بعينهم الشخصيات المؤسسة والنشطة في نوادي الروتاري والليونز !!

وما نعرفه عن نوادي الروتاري والليونز يكشف لنا عن أهداف خفية خطيرة تتستر وراءها جمعية الحمير ... فالمعلوم عن هذه النوادي أنها مراكز خطيرة تدعو للماسونية مستغلة شعار المحبة والسلام والخدمات الاجتماعية والخيرية ..... هذه واحدة .

أما الثانية ؛ فهى أن هؤلاء وهم محمود محفوظ وزير الصحة السابق ، وزكي طليمات ، ونادية لطفي ... وآخرون ، أعضاء في الروتاري وفي المحافل الماسونية !!

وتحديداً زكي طليمات - مؤسس الجمعية - هو أحد أعضاء الماسونية في مصر كما جاء في عدد يونيو ١٩٧٧ من مجلة الهلال .

وبالنسبة للدكتور محمود محفوظ رئيس شرف جمعية الحمير . فقد أورد الزميل الصحفي « حازم هاشم » في كتابه « المؤامرة الإسرائيلية على العقل

المصري » أنه أحد الذين يحرصون كل الحرص على التطبيع مع إسرائيل ودعم التعاون الثقافي والفني معها .

كل ذلك توقفنا أمامه ورأينا من الضروري طرحه ونحن نكتب تحقيقاً « حول جمعية الحمير » هذه لنعرف هل هناك علاقة بينها وبين الماسونية ، وماذا يريد هؤلاء بالتحديد ؟!!

شيء آخر أود الإشارة إليه ، وهو أن المصادر المالية تُقَدَّر بمبالغ ضخمة جداً وتُقَدِّم خدمات واسعة بواسطة الجمعية .. فمَن هؤلاء الذين لا يريدون كشف أسمائهم بحجة أنهم من أهل الخير ، وإذا كانوا كذلك فما هو دور الجمعيات الخيرية الإسلامية ، أليس من الواجب أن تقوم هى بتلقي هذه التبرعات الخيرية إذا كانت بحق لصالح الخير ولخدمة الإنسانية ؟

بقى أن نذكر أن الرئيس الفرنسي « فرانسوا ميتران » عقب إنهاء فترة رئاسته سيتولى رئاسة جمعية الحمير بفرنسا !!

ولكن في الوقت نفسه ، أكدت مصادر متعددة أنه لولا اختياره رئيساً للمحفل الماسوني في فرنسا بتوجيه من شقيقه « جاك ميتران » لما كان رئيساً لهذه الجمعية !!

أخيرا .. ونحن نورد هذه المعلومات السريعة التي علمنا بها ، نزيد إجابة شافية كافية لإزالة كل الشكوك التي أحاطت بجمعية الحمير المصرية والتعرف على مدى الارتباط بين الحمير والماسونية ( أ . م ) .

* * *

جمعية الحمير المصرية "تحت التأسيس"

بلغ إجمالي المصروف خلال الفترة من ١٩٨٦/١١/١ إلى ١٩٨٧/٦/٢٠ مبلغ
وقدره ١٤٨١٤٥,١١٠ مليم وبيانها تفصيلاً كالآتي:-

| | البيان | مليم |
|---|---|---|
| أولاً: | علاج وأدوية بيطرية | ٤٠٠٦,٢٥٠ |
| ثانياً: | الأجهزة الخاصة بالعيادة البيطرية دون [illegible] | ١٤٥٢,٢٠٠ |
| ثالثاً: | إعلانات ودعاية "أجهزة [illegible]" وإعلام | ١٢٩٢٠,- |
| رابعاً: | رواتب مالية ٢ [illegible] | ١٥٤٠,- |
| خامساً: | [illegible] | ١٢٧١٨٩,٨١٠ |
| سادساً: | [illegible] أدوية أخرى | ٣٦,٧٥٠ |

أمين الصندوق — محاسب/ شاهين [illegible]

رئيس الجمعية — [illegible]

رئيس المجلس — أ.د. محمود محفوظ



مبادئ جمعية الحمير

- الانتماء إلى مصر وشعبها.
- إنكار الذات [illegible].
- الوفاء وأن يكون مضرب الأمثال.
- العمل على تحقيق زيادة الإنتاج وجودته.
- العمل بين الجماهير من أجل تحقيق مصالحها.

هدف الجمعية العام
خدمة الناس بدون مقابل.

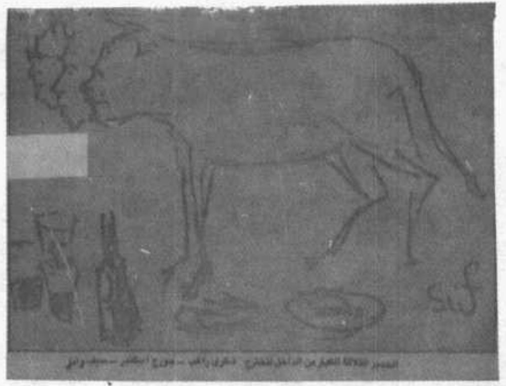
ألقاب أعضاء الجمعية

- حامل اللجام
- حامل البردعة
- حامل الفروة

الحمار حامل الحدوة
- [illegible]

[illegible] ... [illegible]

[illegible]: [illegible] حلوان [illegible] ٧٨٧٩٢٩
[illegible]: [illegible] (شقة ٣) تليفون: ٧٨٢٤٠١



الحمير الثلاثة الكبار من الداخل للخارج: شكري راغب – فوزي اسكندر – سيف وانلي



الحمير الأربعة المؤسسين للجمعية من اليمين للشمال: زكي طليمات – رشدي اسكندر – شكري راغب – سيف وانلي

الفصل الرابع

# قبل أن يأخذها الطلق ..... ولدت

« إشعياء »

تُرى ما هو البعد الكاسح من أبعاد المؤامرة الماسونية التي من أجلها نطالب بصياغة قوانين الأمن والدفاع للوقاية من الطابور الخامس ، المكلّف بإنجاز مهمات الردّة ، والتحوُّل والعمالة ... أي الألغام التلمودية المسماة بالماسون ، والمزروعة على امتداد الساحة الإسلامية ، بأسماء صريحة أو في أزياء بديلة ؟

لماذا تُحتِّم الضرورة الحياتية - حتى من قَبيل دافع غريزة البقاء - وجوب إصدار تشريعات أمن في قوة كاسحات الألغام أو مانعات الصواعق ؟

ما هو دور الهيكل في المؤامرة الكبرى ؟

ما هى مكانة الهيكل على خارطة الخراب العالمي المنتظر ؟

ما هو وضع الهيكل في خطة « المهندس الأقدس » ؟

ومن وسط الألغام المزروعة - وليحفظنا الله - نتابع الأفكار التي تعشعش في الأوكار .

فعندما تنضج المؤامرة الماسونية على أكتاف المسخَّرين ، من البهائم العاملة العُمى البُكم الصُم - أو كما يسميها : كتل الأحجار والسقالة التي ستختفي ، ويقام المعبد الإسرائيلي في أورشليم ، ستُصاغ « الخطة العُظمى للمهندس الأقدس » أى الله - تبارك وتعالى - بشأن أمم الأرض .

يقول « ماكبرايد » في عرى صريح : « إنه بهذا وحده - بالسلوك الهادىء والصامت يمكن أن تُصاغ الخطة العظمى للمهندس الأقدس ، ومع أننا - في

الوقت الحاضر - لا نرى تناسباً في حجم البناء الذي من أجله نعمل ، فسيأتي يوم تختفي فيه كتل الأحجار والسقالة ، ويقف معبد الأخوة الإنسانية والسلام ، متجلياً في أبهته وجماله ، الهيكل الذي تسكن فيه كل أمم الأرض في وحدة » . ( ص ١١٦ )

ما هي « الخطة العُظمى » « للمهندس الأقدس » ؟

ماذا يقصد بالسلوك الهادىء والصامت ؟

وهل صحيح أن الهيكل سيكون معبداً للأخوة الإنسانية والسلام تسكن فيه كل أمم الأرض في وحدة ؟

أما عن الخطة العُظمى للمهندس الأقدس فهى أن يجمع شعبه في صهيون عندما « يخرج قضيب من جذع « يسي » وينبت غصن من أصوله » ( إشعياء ١١ : ١ ) أي عندما يأتي الملك المنحدر من بذرة « داوود » بن « يسي » - المثل الأعلى للملك والموعود أن يخرج من صلبه المسيح اليهودي المنتظر ، أي الملك الإسرائيلي الممسوح بالدهن المقدس من كهنة الهيكل ، ليحكم الدنيا من أورشليم ويكون : « الرب قد أسس صهيون وبها احتمى شعبه » ( إشعياء ١٤ : ٣٣ ) حيث « يتأصل يعقوب ويزهر ويفرع إسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثماراً » . ( إشعياء ٢٧ : ٦ ) لأن الرب « سيسهر عليهم للبناء والغَرس » فلا يقول الأبناء بعد : « الآباء أكلوا حُصرماً وأسنان الأبناء ضرست » ( إرميا ٣١ : ٢٧ - ٢٩ ) لأنه « هكذا قال رب الجنود : غِرْتُ على صهيون غيرة عظيمة وبسخط عظيم غِرْتُ عليها . هكذا قال الرب : قد رجعتُ إلى صهيون وأسكن في وسط أورشليم فتُدعى أورشليم مدينة الحق ، وجبل رب الجنود الجبل المقدس » ( زكريا ٨ : ١ - ٣ ) .

وينطلق إشعياء بنذير اليوم الأسود الذي ينطلق فيه من الهيكل قرار الخراب العالمي بقيام « المملكة الإسرائيلية » ، حيث تكون « الأمة اليهودية » قد أنتجت في راحة تامة « ذكرها » ، أي ملكها الموعود .

« صوت صحيح من المدينة وصوت من الهيكل ( الذي يُسخِّر ماسونيونا وروتاريونا المسلمون لبنائه ) صوت الرب مجازياً أعداءه ( ومَنْ غيرنا ؟ ) قبل أن يأخذها الطلق ولدت . قبل أن يأتي عليها المخاض ولدت ذكراً . مَنْ سمع مثل هذا ؟ مَنْ رأي مثل هذه ؟ هل تمخض بلاد في يوم واحد أو تولد أمة دفعة واحدة ؟ فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها . افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها » ( إشعياء ٦٦ : ٦ - ١٠ ) .

ويبتهج - كذلك - زكريا مبشراً بالملك وبالسلام : « ابتهجي جداً يا ابنة صهيون . احتفى يا بنت أورشليم ، هو ذا ملكك يأتي إليكِ . هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان ... يتكلم بالسلام للأمم ، وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض » ( زكريا ٩ : ٩ - ١٠ ) .

أما السلام .. سلام « القرافة » ... سلام القبور لكل الأمم فيوضحه إشعياء :

« اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا ، ويا أيها الشعوب اصغوا ، لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها . لأن الرب سخطاً على كل الأمم وحُمُوّاً على كل جيشهم قد حرمهم ، دفعهم إلى الذبح . فقتلاهم تُطرح وجيفهم تصعد نتاناتها وتسيل الجبال بدمائهم » ( إشعياء ٣٤ : ١ - ٣ ) .

وعلى خرب الدنيا وأنقاض الشعوب ، ومن بين ركام الأرض ومن فوق جثث الضحايا المكشوفة ... من فوق الجبال التي تسيل دماً ، ومن وسط الجيف المنتنة للقتلى ، ينشد شعب الهيكل أغنية النصر :

« في ذلك اليوم يُغَنَّي بهذه الأغنية في أرض يهوذا : لنا مدينة قوية يجعل الخلاص أسواراً ومترسة . افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة » .

( إشعياء ٣٦ : ١ - ٢ ) .

وبعد أن تدخل الأمة البارة - أي اليهود - يكون السلام سلاماً لها وحدها ، وتكون صورته على النحو التالي :

« لأنه هكذا قضى الرب : ها أنذا أدير عليها سلاماً كنهر ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون ، وعلى الأيدي تُحملون ، وعلى الركبتين تُدللُون ( يالعدالة السلام ورقي التدليل ) !! كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا وفي أورشليم تعزون .. لأنه هو ذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة ( يالطيف ! ) ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار ، لأن الرب يعاقب وبسيفه على كل بشر ويكثر قتلى الرب » ( إشعياء ٦٦ : ١٢ - ١٦ ) .

السلام إذن « لصهيون » وعروسها أورشليم التي اجتمع فيه بنوها فولدت ذكرها أو ملكها في راحة تامة - حسب السلوك الهادىء والصامت - « قبل أن يأخذها الطلق ولدت » ومن أورشليم ، مجازياً أعداءه - كل شعوب الأرض عدا اليهود بالطبع - يقدم بالنار والمركبات والأسلحة يقتل ويدمر ويحرق وينتقم ويمثل بالجثث .

وأما « السلام » المنبعث من « الهيكل » - الذي بَشَّرَ به « ماكبرايد » الماسوني « وزكريا » النبي . ووضحه « إشعياء » النبي .. - بخصوص الباقين من أمم الأرض « الغرباء » أو « الجوييم » المعفي عنهم للاستعباد والإنتاج والخدمة ... هذا السلام يعني أن يرضع الشعب الإسرائيلي مجد الأمم حيث تنهمر عليه الثروات كالسيل ، محمولاً على أيدي الأرقاء مدللاً على الركبتين .

يالروعة الوحدة والأخوة الإنسانية التي ستسكن في ظل سلام الهيكل !!

ويلقي « إشعياء » مزيداً من الضوء ، ويوضح كثيراً من التفاصيل عن طبيعة هذه الأخوة بين الأمم الموحدة :

« قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليكِ . لأنه هى الظلمة تغطي الأرض ، والظلام الدامس للأمم . أما عليكِ فيُشرق الرب ومجده عليكِ يُرى فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك ، ارفعي عينيكِ حواليكِ وانظري قد اجتمعوا كلّهم جاءوا إليكِ . يأتي بنوكِ من بعيد وتُحمل

بناتك على الأيدي . حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غني الأمم تغطيك كثرة الجمال . بكران مدين وعيفة كلها تأتي من شبا ... كل غنم قيدار ( أحد أبناء اسماعيل جد العرب ) تجتمع إليكِ ، كباش نبايوت ( الابن البكر لإسماعيل جد العرب ) تخدمك » .

( إشعياء ٦٠ : ١ - ٧ )

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

ويواصل إشعياء رسم الصورة الموعودة :

« وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك ، لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخراباً تُخرَّب الأمم ... وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قديس إسرائيل ... وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي ملوك ... وشعبك كلهم أبرار . إلى الأبد يرثون الأرض » ( إشعياء ٦٠ : ١ - ١٦ ) .

وهكذا تكون الأخوة والعيش في سلام !!

ولنا سؤال فيما يخصنا نحن ، أبناء « قيدار » و « نبايوت » - أي من يتبقى منا بعد المذبحة العامة .

أيُكتفي بابتزاز ثرواتنا وامتصاص إنتاجنا ، نُرضعها بني عمنا ، أم لا بد من استرقاقنا ، في خضوع العبيد الساجدين لدى باطن الأقدام « ككباش » في صورة أشد بشاعة من الطريقة - إياها - يوم استعرضوا الأسرى ، عندما دخلوا « غزة » عام ١٩٥٦ ، وهتف أطفالهم على جسر « بنات يعقوب » : « موسى مات ... خلف زلمات ... محمد مات ... خلف بنات » !!

ولعل الصورة الرحيمة الوديّة ، عن نوع العلاقات المستقبَلة بين العرب واليهود هي تلك التي تعرضها مناهج التعليم الإسرائيلية ، على ما تتسم به الكتب المطبوعة المعلنة من حذر ومداراة أمام ما يُسمى بالرأى العام العالمي .

ففي قصيدة للشاعر اليهودي « ي . د . قمزون » بعنوان : « على قبر راحيل » يتحدث فيها عن صورة متخيِّلة عند هذا القبر الذي يؤمه اليهود على الطريق الموصل بين بيت لحم والقدس ، وهي صورة تُعبِّر عن السلام الذي يريده اليهود حيث يتخيل يهودياً يقف هناك فيمر به عربي على حماره ، وهو يحمل فوقه سلتين اثنتين من القرنبيط والبصل ، ويُجري الكاتب على لسان هذا العجوز العربي ، ما يُصوِّر حالة الاستعباد في المستقبل الذي يوده اليهود للعرب بعد السلام ، وقد جاء فيه ما ترجمته :

« حين مجيئك أيها اليهودي إلى بيت لحم سوف ترى عربياً عجوزاً راكباً حماره وسلتين إلى جانبه مثبتتين على متن الحمار . وبداخل سلتيه القرنبيط والبصل وعَلَم إسرائيل مرفوع بيده . يرفرف على الجانبين ويقول : أنا السلام . وعملي أن أبيع ما في سلتي . ما بين بيت لحم وأورشليم أذهب وأعود . ورغبتي بالسلام وليس بالحرب . سلام على إسرائيل وسلام على العرب » . ( مظفر الحسيني : العلاقات والسلام في مناهج التعليم اليهودي - الدعوة - العدد ٣٩ - رمضان ١٣٩٩ هـ ) .

والصورة الإنسانية « المسالمة » التي أبرزها « ي . د . قمزون » في قصيدته عن وظيفة « السكان العرب » على أرض « إسرائيل » الحالية ، في ظلال عَلَم السلام الإسرائيلي ، كحمَّالين للبصل والقرنبيط بين المدن اليهودية ، تتطابق تماماً مع تصور إشعياء عن دور الغرباء - الناجين من المذبحة الجماعية - كفَعلة في « مملكة إسرائيل الكبرى » الموعودة ، يرعون الأغنام ، ويحرثون الحقول لأصحاب « أرض الموعد » وينقلون الكروم لأصفياء الرب ، الآكلين لثروة الأمم المتأمرين على مجدها المباد ، أي الجالسين على تل خرابها .

يقول إشعياء في « الإصحاح الحادي والستين » :

« ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حرَّاثيكم وكرَّاميكم ،

أما أنتم فتُدعون كهنة الرب تُسمون خدام إلهنا . تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدها تتأمرون » ( إشعياء ٦١ : ٥ - ٦ )

* * *

وتتم خطة المهندس الأقدس بعد سلسلة من الخراب والتدمير على مستوى العالم في ظلام الهيكل وبوحي منه .

وتختص مصر ( واللّه العظيم ... مصر ) بالنصيب الأوفى ، فيتوعدنا إشعياء في الإصحاح التاسع عشر :

« وحي من جهة مصر . هو ذا « الرب » راكب على « سحابة » سريعة وقادم إلى مصر ... « ويذوب » قلب « مصر » داخلها . و « أهيج » « مصريين » على « مصريين » فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه « مدينة مدينة » . وتُهرق « روح مصر » داخلها ... وتنشف المياه من البحر « ويجف » النهر وييبس وتُنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر ويتلف القصب والأسل . و« الرياض » على النيل على حافة النيل وكل مزرعة « تيبس وتتبدد » . في ذلك اليوم « تكون مصر » كالنساء فترتعد وترجف من هزة يد رب الجنود التي يهزها عليها . في ذلك اليوم يكون في « أرض مصر » ( لا قدّر اللّه ) « خمس مدن » « تتكلم بلغة كنعان » - (يقصد اللُّغة العبرية ) » ( إشعياء ١٩ : ١ - ١٨ ) .

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !

ويشترك « العرب » - بالاسم الصريح - مع مصر في الوعيد بالخراب المنتظر ، يقول إشعياء :

**« وحي من جهة بلاد العرب . في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين ، هاتوا ماء لملاقاة العطشان ياسكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزه فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ومن أمام**

القوس المشدودة ، ومن أمام شدة الحرب . فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأخير يُفنى كل مجد « قيدار » . وبقية عدد قسى أبطال « بني قيدار » تقل لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم » ( إشعياء ٢١ : ١٢ - ١٧ ) .

ويواصل « إشعياء » نذيره بالخراب : « وحي من جهة دمشق . هو ذا دمشق تُزال من بين المدن وتكون رجمة ردم » ( إشعياء ١٧ : ١ ) .

ويشترك « إرمياء » مع « إشعياء » في رسم الصورة الموعودة لـ « دمشق » و « حماة » :

« عن دمشق . خزيت حماة وأرفاد .. في البحر اضطراب لا يستطيع الهدوء. وارتخت دمشق والتفتت للهرب . أمسكتها الرِدّة وأخذها الضيق والأوجاع كماخض ... لذلك يسقط شبابها في شوارعها ويهلك كل رجال الحرب في ذلك اليوم ... يقول رب الجنود وأشعل ناراً في سور دمشق » ( إرميا ٤٩ : ٢٣ - ٢٧ ) .

وعن بني « العرب » « من قيدار » فالتحريض عليهم دائم وتخريبهم وسلبهم باق ، وإحاطتهم بالخوف من كل جانب خط مستقيم :

« هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا إلى قيدار واخربوا بني المشرق . يأخذون خيامهم وغنمهم ويأخذون لأنفسهم شققهم وكل آنيتهم وجمالهم وينادون إليهم الخوف من كل جانب » ( إرميا ٤٩ : ٢٨ - ٢٩ ) .

أما مصر فيخصها « إرميا » بالنصيب الأوفى من رجس الخراب كما خصَّها « إشعياء » من قبل . وبعد أن « يأكل السيف » « ويشبع » ، ويرتوي من « دم » المصريين ، « تسبي » العذاري المصريات ، وقد ملأ الأرض صراخهن و« يُسحبن » أسيرات في « خزى » عالمي إلى أرض « إسرائيل » في « جلعاد » .

ولا يفوت « إرميا » وهو يرسم صورة مصر المذبوحة أن يُزيِّنها بديكور الخلفية المحيطة بالمنطقة ( Back ground ) فتكون هناك مذبحة أخرى في الفرات .

يقول سيدنا « ارميا » : « مَنْ هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواجها . تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه . فيقول أصعد وأغطي الأرض . أهلك المدينة والساكنين فيها . فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه ، فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمهم . لأن للسيد رب الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات . اصعدي إلى جلعاد وخذي بلسان يا عذراء بنت مصر . باطلاً تكثرين العقاقير . لا رفادة لك . قد سمعت الأمم بخزيك وقد ملأ الأرض عويلك لأن بطلاً يصدم بطلاً فيسقطان كلاهما معاً » (إرميا ٤٦ : ٧ - ١٢).

أما « الفلسطينيون » - سواء أكانوا من النسل العربي أو من الشعوب « الإيجية » التي عمرت فلسطين قبل بني إسرائيل بما يزيد على ألف عام وبعدهم - إن شاء الله - فلا بد من اجتثاثهم حتى يُفنوا عن بكرة أبيهم .

يقول « إرميا » : « من صوت قرع حوافر أقويائه من صرير مركباته وصريف بكراته لا تلتفت الآباء إلى البنين بسبب ارتخاء الأيادي . بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين لينقرض من صور وصيدون كل بقية تعين لأن الرب يُهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور . أتى الصلع على غزة . أهلكت آشقلون مع بقية وطائهم . حتى متى تخمشين نفسك . آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح . انضم إلى غمدك ، اهدأ واسكن . كيف يستريح والرب قد أوصاه . على أشقلون وعلى ساحل البحر هناك واعده » ( إرميا ٤٧ : ٣ - ٧ ) .

ويُعبِّر « إرميا » عن حقده على « الشعوب السامية » الأخرى التي كانت مستريحة في منطقة الشرق الأوسط من قديم لأنه مستقرة وهادئة لا يطاردها أحد ولا تولول طلباً للخلاص من سنيد أو « متكل » .

فهو يغار من شعب موآب لأنه مستقر في بلاده لم يسبه أحد - كما حدث لإسرائيل وحضارته مزدهرة ، لذلك بقي طعمه فيه ورائحته لم تتغير ... فلماذا يكون إسرائيل وحده الأضحوكة والعار ؟ ... من دون شعوب المنطقة ؟

حرام ..... !!

« مستريح « موآب » منذ صباه وهو مستقر على درديه ولم يفرغ من إناء إلى إناء ولم يذهب إلى السبي . لذلك بقى طعمه فيه ورائحة لم تتغير » ........ « فيخجل موآب من « كموش » كما خجل بيت إسرائيل من بيت « إيل » متكلهم » ... « أسكروه لأنه قد تعاظم على الرب فيتمرغ موآب في قبائه وهو أيضاً يكون ضحكة » ... « أفما كان إسرائيل ضحكة لك » !؟

( إرميا ٤٨ : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٢٧ )

حتى « بنو عيسو » شقيق يعقوب وتوأمه يتوعدهم ابن عمهم « إرميا » بالهلاك والدمار ... هلاك النسل ودمار الديار ... كارثة ساحقة لا يستطيعون الاختباء منها ... تفنى نسلهم هم وإخوتهم وجيرانهم ( بالمرة ) فلا تُبقى لهم على أثر ... أما مدينة « بصرى » وما حولها من مدن فتكون خراباً أبدياً وتكون الدهشة لفظاعة الخراب الملعون .

ويطفح ورى كبد « إرميا » - الذي أكلته الضغينة والحسد - على لسانه المرير فينطلق برجس الخراب الرهيب :

« ولكنني جردت عيسو وكشفت مستتراته فلا يستطيع أن يختبيء ، هلك نسله وإخوته وجيرانه فلا يُوجد ... لأني بذاتي حلفت ، يقول الرب ، أن بصرة تكون دهشاً وعاراً وخراباً ولعنة وكل مدنها تكون خربا أبدية » .

( إرميا ٤٩ : ١٠ - ١٣ )

أما « بنو عمون » فيخاف إرميا أن يرثوا إسرائيل فينفحهم « بنبوته » ... ويقذفهم بوعيد خرابه ، ولا ينسى أن يعد محرقة لإبادة نسائهم بالنار .

« عن « بني عمون » . هكذا قال الرب . أليس لإسرائيل بنون أو لا وارث له ، لماذا يرث ملكهم جاد وشعبه يسكن في مدنه ... لذلك ها أيام تأتي ، يقول الرب ، وأسمع في « ربة » بني عمون جلبة حرب وتصير تلاً خرباً وتُحرق بناتها بالنار فيرث إسرائيل الذين ورثوه ، يقول الرب » ( إرميا ٤٩ : ١ - ٢ ) .

وكأن الرب في النهاية قد لام نفسه وندم على قوله إنه سيهدم ما بناه ويقتلع ما غرسه . وقرر أخيراً :

« إن كنتم تسكنون في هذه الأرض فإني أبنيكم ولا أنقضكم ، وأغرسكم ولا أقتلعكم ، لأني ندمت عن الشر الذي صنعته بكم » .

ذلك أن الرب : « حين قسم العلى للأمم حين فرّق بنى آدم نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل ... إن قسم الرب هو شعبه يعقوب حبل نصيبه » .

ويُسهم « حزقيال » في قنبلة الحقد التي ستدمر بها خطة « المهندس الأقدس » دنيا الناس والحيوان والنبات والجماد . ويشارك « إشعياء » و « إرميا » في رجس الخراب الموعود .

ويتنبأ علي « صور » : « فصور » الساكنة عند مداخل البحر تاجرة الشعوب إلى جزائر كثيرة ، الكاملة الجمال وتخومها في قلب البحور وبنّاؤوها تمموا جمالها من سرو « ستير » ومن أرز « لبنان » وبلوط باشان وعاج جزائر كتيم وكتان مطرز من « مصر » وأسمانجوني وأرجوان من جزائر « أليشة » . وأهل « صيدون » ملاحوها . وفي جيشها رجال من « فارس » و« لود » و « فوط » رجال حرب . و « بنو أرواد » مع جيشها على الأسوار . والأبطال في البروج قد علّقوا أتراسهم على الأسوار . و « ترشيش » تاجرتها بالفضة والحديد والقصدير والرصاص ... وبلاد كثيرة تاجرتها بالعاج والأبنوس وملأوا أسواقها بالبهرمان والأرجوان والمطرز والمرجان والياقوت والخيل والفرسان والبغال و « يهوذا » تاجرتها بالحنطة والحلوى والعسل والزيت والبلسان . و« دمشق » تاجرتها بخمر « حلبون » . والصوف الأبيض . و« ددان » تاجرتها بطنافس للركوب و « العرب » وكل رؤساء « قيدار » تاجروها بالخرفان والكباش والأعتدة .......... » إلخ .

فلماذا يكون لصور كل هذا العز والخير والمتعة والرفاهية ؟ وبنو إسرائيل أسرى في سبي بابل ؟

حرام !!

وعلى ذلك يقذفها « حزقيال » بقنبلة حقد تقول :

« فأخرج ناراً من وسطك فتأكلك وأصيرك رماداً على الأرض أمام عيني كل من يراك . فيتحير منك جميع الذين يعرفونك بين الشعوب وتكون أهوالاً ولا توجد بعد إلى الأبد » ( حزقيال ٢٨ : ١٨ - ١٩ ) .

وأما « صيدون » فسيرسل عليها الرب من خلال نبوءة حزقيال :

« وأرسل عليها وباءً ودماً إلى أزقتها ، ويسقط الجرحى في وسطها بالسيف الذي عليها من كل جانب فيعلمون أني أنا الرب » ( حزقيال ٢٨ : ٢٣ ) .

فربما ذلك يُشفى غليل بني إسرائيل وقد أكلت صدورهم الضغينة والبغضاء .

ويتم ذلك عندما يجمع « رب الجنود » : « بيت إسرائيل من الشعوب الذين تفرّقوا بينهم ، وأتقدس فيهم أمام عيون الأمم يسكنون في أرضهم التي أعطيتها لعبدي يعقوب » .( حزقيال ٢٨ : ٢٥ ) .

أما « مصر » فكما خصها كل من « إشعياء » و « إرميا » بالنصيب الأوفى من رجس الخراب فكذلك « حزقيال » يشاركهما نفس الدرجة الحاقدة .

ويبدو أن هناك اتفاقاً بين السادة الأنبياء على « مصر » - حجر الزاوية وبيت القصيد - في عملية الخراب العالمي المنبثقة من خطة « المهندس الأقدس » .

يقول « حزقيال » : « ويعلم كل سكان « مصر » أني أنا الرب مع كونهم عكاز قصب لبيت إسرائيل عند مسكهم بك بالكف انكسرت ومزقت لهم كل

كتف ، ولما توكأوا عليك انكسرت وقلقلت كل متونهم ... تكون أرض « مصر » مقفرة وخربة ... لذلك ها أنذا عليك وعلى أنهارك وأجعل أرض « مصر » خرباً خربة مقفرة من « مجدل » إلى « أسوان » إلى تخم « كوش » ، لا تمر فيها رجل إنسان ولا تمر فيها رجل بهيمة ولا تسكن أربعين سنة ، وأجعل أرض « مصر » مقفرة في وسط الأراضي المقفرة ، ومدنها في وسط المدن الخربة تكون مقفرة أربعين سنة ، وأشتت المصريين بين الأمم وأبددهم في الأراضي ، لأنه هكذا قال السيد الرب : عند نهاية أربعين سنة أجمع المصريين من الشعوب الذين تشتتوا بينهم وأرد سبي « مصر » وأرجعهم إلى أرض فتروس إلى أرض ميلادهم ويكونون هناك مملكة حقيرة » ( حزقيال ٢٩ : ٦ - ١٤ ) .

و « مصر » - مصرنا الحبيبة مسيحيين ومسلمين - التي يعتبرها « حزقيال » وغيره من « أنبياء » بني إسرائيل المزعومين « القصبة المهشمة » لم يسبق أن سباها أحد أو اقتلع شعبها غاز وألقاها في بلاده كما حدث لليهود .. فـ « مصر » عند النكبات ومنذ « قمبيز » أو البطالمة أو الرومان في التاريخ القديم أو الغزو الأوروبي في العصر الحديث هى التي ذاب فيها ما تبقى من الوافدين . و« مصر » هى التي كانت تصنع « القوقعة » حول كيانها الأصيل عندما يداهمها الخطر ، فكانت تستعصى على ألف نبوءة ونبوءة لحزقيال ولألف شريك وشريك من أمثال « حزقيال » . ويوم جاءها العرب المسلمون برسالتهم الخالدة فاتحين وصارت مصر عربية مسلمة ظل أهلها على أرضهم يعتنقون الدين الجديث ويتكلمون لغة الدعاة ويستوعبون تراث الإسلام ويفتدونه بالمهج والأرواح ويعطونه أعظم ما في تاريخهم من أمجاد . والذين استقروا من العرب في وادي النيل عاشوا مع أهلها في رباط مستمد من آصرة العقيدة ومزجهم بهم نسب وشيج .

ولا يكتفي « حزقيال » بهذا الخراب المنتظر بل لا يزال يتنبأ :

« وكان إليَّ كلام الرب قائلا يابن آدم تنبأ وقل هكذا قال السيد الرب : ولولوا ياليوم . لأن اليوم قريب . ويوم للرب قريب يوم غيم . يكون وقتاً للأمم . ويأتي سيف على « مصر » ويكون في « كوش » خوف شديد عند سقوط القتلى في « مصر » ويأخذون ثروتها وتُهدم أسسها ، يسقط معهم بالسيف كوش وفوط ولود وكل اللفيف وكوب وبنو أرض العهد . هكذا قال الرب . ويسقط عاضدو مصر وتنحط كبرياء عزتها . من « مجدل » إلى « أسوان » يسقطون فيها بالسيف . يقول السيد الرب . فتقفر في وسط الأراضي المقفرة وتكون مدنها في وسط المدن الخربة . فيعلمون أني أنا الرب عند إضرامي ناراً في « مصر » ويكسر جميع أعوانها . في ذلك اليوم يخرج من قِبلي رسل في سفن لتخويف « كوش » المطمئنة فيأتي عليهم خوف عظيم كما في يوم « مصر » لأنه هو ذا يأتي » ( حزقيال . ٣ : ١ - ٩ ) .

ويواصل « حزقيال » إفراز أحقاده على « مصر » كأن يتنبأ بخرابها على يد « نبوخذ نصر » ملك بابل الكلداني - قاهر بني إسرائيل ومحطم « هيكلهم » وسابيهم أسرى أذلاء في أرض الرافدين - كعادة أنبيائهم في تحريض « مصر » على « بابل » ، و « بابل » على « مصر » ، و « آشور » على « بابل » ، و « آشور » على « مصر » ... فطرة وطبعاً وغريزة وسليقة . لكن ذلك وَلَّى زمانه وإن بقى سواد القلوب وغل الصدور على « مصر » صلاة كل يوم لبني إسرائيل . ومن ثَمَّ فلا داعي لنقل هذه النبوءات في هذا المقام . نحن معنيون فقط « بخطة المهندس الأقدس » التي ستُدمِّر الدنيا وصولاً إلى « المملكة الكبرى » .

ونمضي مع « حزقيال » :

فلأن غنم الرب « شعبه المختار » قد صار غنيمة - يقول « حزقيال » عن الرب :

**« هكذا قال السيد الرب : ها أنذا على الرعاة وأطلب غنمي من يدهم وأكفهم عن رعي الغنم ولا يرعى الرعاة أنفسهم بعد فأخلّص غنمي من أفواههم فلا تكون مأكلاً ، لأنه هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها . كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة ، هكذا أفتقد غنمي وأخلّصها من جميع الأماكن التي تشتت إليها في يوم الغيم والضباب . وأخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي وآتي بها إلى أرضها وأرعاها على جبال إسرائيل وفي الأودية وفي جميع مساكن الأرض » .**

**( حزقيال ٣٤ : ١ - ١٣ ) .**

حيث يرعون : « المرعى الجيد وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم ، وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تُكدِّرونها بأقدامكم » ( حزقيال ٣٤ : ١٨ ) .

على طريقة تسميم الآبار للآخرين .

ألم يشرب الإسرائيليون وبهائمهم .. ؟ فلماذا لا يكون الماء « للأمميين » غَوراً ؟

أيصح أن يكون « للجوييم » هذا الماء المَعين ؟

منتهى العدالة ... والعيش في سلام !!

وتمضي « نبوءة » حزقيال على طريق « بشارته » بمقدم « الملك » ......... ( داوود الجديد ) ... حيث يقول الرب :

« وأقيم عليها راعياً واحد فيرعاها عبدي « داوود » هو يرعاها وهو يكون لها راعياً . وأنا أكون لهم إلهاً وعبدي « داوود » رئيساً في وسطهم » .

**( حزقيال ٣٤ : ٣٣ - ٣٤ ) .**

**من أجل ذلك اليوم الموعود يتنبأ حزقيال بخراب أدوم وجبله سعير ، ولا يذكر معروفاً صنعه أدوم عندما لجأ بعض اليهود إلى جبال سعير « أدوم » هرباً من**

سبي بابل وعاشوا هناك في وسط بني عمهم لكنها ( قلة الأصل ) - الحسد الآكل للأكباد والحقد الأسود الذي يصبغ القلوب فكما خَرِبَ إسرائيل فلا بد أن يُخَرَّب أدوم كذلك ... حتى لو كان أدوم « عيسو » هذا ، شقيقاً وتوأماً لإسرائيل « يعقوب » وابناً لإسحاق وحفيداً لإبراهيم .

يقول حزقيال : « هكذا قال الرب : من أجل أن « أدوم » قد عمل بالانتقام على بيت « يهوذا » وأساء إساءة وانتقم منه ، لذلك هكذا قال السيد الرب وأمد يدي على أدوم وأقطع منها الإنسان والحيوان وأصيِّرها خراباً من « التيمن » وإلى « دَدان » يسقطون بالسيف » ( حزقيال ٢٥ : ١٢ - ١٣ ) .

أما « الفلسطينيون » فالعداوة أبدية والمذبحة الجماعية وعدهم المنتظر .

يقول « حزقيال » : « هكذا قال السيد الرب : من أجل أن الفلسطينيين قد عملوا بالانتقام وانتقموا نقمة بالإهانة إلى الموت للخراب من عداوة أبدية . فلذلك ، هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أمد يدي على الفلسطينيين وأستأصل الكريتيين وأهلك بقية ساحل البحر . وأجرى عليهم نقمات عظيمة بتأديب سخط فيعلمون أني أنا الرب إذ أجعل نقمتي عليهم » ( حزقيال ٢٥ : ١٥ - ١٧).

وأما « دانيال » فيشارك هو الآخر بنصيب في خطة « المهندس الأقدس » ويتوعَّد مصر بدفعة خراب لا فكاك منه :

« ويمد يده على الأراضي وأرض مصر لا تنجو . ويتسلط على كنوز الذهب والفضة وعلى كل نفائس مصر . واللوبيون والكوشيون عند خطواته . وتفزعه أخبار من الشرق ومن الشمال ، فيخرج بغضب عظيم ليخرب وليحرم كثيرين . وينصب فسطاطه بين البحور وجبل بهاء القدس ويبلغ نهايته ولا معين له » .

( دانيال ١١ : ٤٢ - ٤٥ )

وبعد خراب مصر - لا قدّر الله - وغيرها من أمم الأرض تكون المملكة الموعودة قد قامت بناء على « خطة المهندس الأقدس » حيث يمتلكها قديسو العلي ( شعب الله المختار ) تحت زعامة الملك اليهودي المنحدر من بذرة داوود .

« أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد وإلى أبد الآبدين » .

و « يوئيل » كغيره من الأنبياء . له سهم أساسي في الخطة ، فهو يتنبأ على صور وصيدون وجميع دائرة الفلسطينيين ببيع بَنيهم وبناتهم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسبائيين ( النخّاسين ... تجار الرقيق ) ( يوئيل ٣ : ٤ - ٨ ) .

ومع أنه في ذلك الزمان - يوم قيام « مملكة صهيون » ستمتلىء البيادر بالحنطة وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً ، ويكثر التين والكروم ، وتقطر الجبال عصيراً وتفيض التلال لبَناً ، وتفيض جميع ينابيع يهوذا ماء ، ويخرج من بيت الرب ينبوع يسقي وادي السنط ... إلا أن يوئيل - كغيره من حضرات الأنبياء - حتى في يوم الفرح هذا يقذف بوعيد الخراب :

« مصر تصير خراباً وأدوم تصير قفراً خرباً من أجل ظلمهم لبني يهوذا الذين سفكوا دماً بريئاً في أرضهم . ولكن يهوذا تسكن إلى الأبد وأورشليم إلى دور فدور وأبريء دمهم الذي لم أبرئه والرب يسكن في صهيون » .

( يوئيل ٣ : ١٩ - ٢١ )

و « عاموس » - أيضاً - يشارك في الخطة إياها . وخراب مصر على لسانه المرير :

« قد أقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم ، أليس من أجل هذا ترتعد الأرض وينوح كل ساكن فيها وتطمو كلها كنهر وتفيض ، وتنضب « كنيل مصر » ، ويكون في ذلك اليوم ، يقول السيد الرب : أني أغيّب الشمس في الظهر وأقتّم الأرض في يوم نور . وأحوّل أعيادكم

« نَوحاً » وجميع أغانيكم « مراثي » ، وأصعد على كل الأحقاء مسحاً وعلى كل رأس « قرعة » وأجعلها « كمناحة الوحيد » وآخرها يوماً مراً » .

( عاموس ٨ : ٧ - ١٠ )

ولكي لا يفلت أحد من خراب مصر المنتظر - لا قدَّر اللّه - فإن « عاموس » يتوعدنا بالمجاعة العامة والظمأ الجماعي حيث ينضب نهر النيل وينتهي اسمه إلى الأبد :

« والسيد رب الجنود الذي يمس الأرض فتذوب وينوح الساكنون فيها وتطمو كلها كنهر وتنضب كنيل مصر . الذي بنى في السماء علاليه وأسس على الأرض قبته الذي يدعو مياه البحر ،يصبها على وجه الأرض يهوه اسمه » .

( عاموس ٩ : ٥ - ٦ )

أرأيتَ ؟

أرأيتَ كيف يخص اليهود « مصر » في « كتابهم المقدس » وفيما ينطق به أنبياؤهم : إشعياء وإرميا وحزقيال ودانيال ويوئيل وعاموس ... وغيرهم ؟

أهذا هو الذي يُسمى سماحة وقيم روحية نابعة من الأديان ؟

أم أنه « ورى أكباد » و « غل صدور » طفحت شعابها بصديد « البغضاء » وسكبتها مرارة معتلة « بالحقد والضغينة » في أفواه نطقت برجس الخراب ؟

إن ما ينتظر « مصر » لو نجحت خطة « المهندس الأقدس » - لا قدَّر اللّه - ليس إلا الدمار الرهيب والمذبحة الجماعية والفناء التام فلا تبقى مصر بشراً وأرضاً وعمراناً وزرعاً وماءً .

أهذا هو « الدين » الذي يُراد إشراكه في « مجمع » يُقال إنه سيقام « لوحدة الأديان » ؟

أم هو تاريخ أسطوري - قوامه المؤامرة - قميئ ، ومؤامرة قائمة تعشعش في قيح ذلك التاريخ ؟

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

ولا ينخدعن أحد من الطيبين أو السذج أو الأغرار فيداخله نوع من الأمل أو الرخاء في علاقات ودية مع يهود ويعشم - من ثمّ - خيراً في سلام أممي بين « بني إسرائيل » وبين باقي « بني آدم » عندما سمع ما قاله « بيجن » و « كارتر » وترجمه المترجم بالعربية عن طريق البث المباشر صوتاً وصورة أثناء توقيع « معاهدة السلام » بين مصر وإسرائيل ... نقلاً عن النبي « ميخا » الذي قال :

« ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه شعوب . وتسير أمم كثيرة ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب فيُعلّمنا من طرقه ونَسْلُكَ في سبله لأنه من « صهيون » تخرج الشريعة ومن « أورشليم » كلمة الرب . فيقضي بين شعوب كثيرين ينصف لأمم قوية بعيدة فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل . لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب في ما بعد . بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب لأن فم رب الجنود تكلم . لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه ونحن نسلك باسم الرب إلهنا إلى الدهر والأبد » . ( ميخا ٤ : ١ - ٥ )

وهذا كلام جميل ما في ذلك شك ، حتى وإن تم في آخر الزمان أو عند قيام « مملكة صهيون الكبرى » بعد إتمام « الخطة العظمى للمهندس الأقدس » ومن عناصرها : الجثث المكشوفة من فوق الجبال التي تسيل دماً ومن وسط الجيف المنتنة للقتلى ، وبعد أن ينشد شعب الهيكل أغنية النصر على أنقاض الشعوب ومن فوق تل الخراب العالمي .. وحتى وإن رضي رب الجنود على غيرته وغيظه من الآلهة الأخرى واعترافه بوجود هذه الآلهة الغريبة شريكة له في التشريع والعبادة وسلوك العباد ... ورضاه بالآلهة المسبوكة والحيوانات والأوهام والأوثان المعبودة ومنها البقر والثعالب والنار ، وروحي بوذا وبراهما ، والعفاريت والأصنام ... « لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهه » .

لكن « ميخا » لا يلبث بعد أربع آيات أو أعداد في نفس الإصحاح ( الرابع ) أن يفضح الخطة عن أفكار الرب وقصده - بوحي من يهوه طبعاً - التي لم تعرفها أو تفهمها الفئة المتبقية من الشعوب - « الأُمميين » ( بعد المذبحة العامة ) والتي صدَّقت النداء فصعدت إلى جبل الرب وإلى بيت يعقوب لتتعلم من طرقه وشريعته ...

إن هؤلاء بعد أن « طبعوا » سيوفهم « سككاً » ورماحهم « مناجل » ، أي ألقوا بأسلحتهم من ورائهم ، يستدرجهم « الرب » حيث يُلاقون مصيرهم المحتوم في « المصيدة الربانية » على « هذه الصورة » التي جسَّمها ( ميخا ) : « يعافها اللصوص وقطاع الطُّرق ومحترفو القتل » الذين يربأون بأنفسهم ألا يحموا من استجار بهم أو يسلمونهم لمن يطلبونهم ... بل يعيشون في ظلالهم ضيوفاً آمنين من كل خطر .

أما « ميخا » فيقول : « والآن قد اجتمعت عليك « أُمم كثيرة » الذين يقولون : لتتدنس ولتتفرس عيوننا في صهيون . وهم لا يعرفون أفكار الرب ولا يفهمون قصده أنه قد « جمعهم كحزم إلى البيدر » . قومي ودوسي يا بنت صهيون لأني أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً « فتسحقين شعوباً كثيرين » وأحرم غنيمتهم للرب و « ثروتهم » لسيد كل الأرض » .

( ميخا ٤ : ١٠ - ١٣ )

وهكذا أصبح المغفلون « حزم قش » قد أُخذت إلى « بيدر » ، جاهزة لأن تدرسها وتسحقها « بنت صهيون » بقرنها الحديدي و « أظلافها » النحاس « غنيمة محرمة للرب » .

هذا هو سلام « أطيب » الأنبياء .

« السلام » الذي يريده ويفاخر به اليهود ومن يشاركونهم نفس الاعتقاد .

ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

ويوم تتم خطة « المهندس الأقدس » يكون الرب قد استخلص كل شعب إسرائيل من بين جميع الشعوب فلا يضيع فرد واحد منهم .

يقول « عاموس » : « لأنه ها أنذا آمر فأُغربل بيت إسرائيل بين جميع الأمم كما يُغربَل في الغربال حبة لا تقع إلى الأرض ... لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم » ( عاموس ٩ : ٩ - ١٢ ) .

ويقول « إشعياء » : « ويكون في ذلك اليوم أن الرب يجني من مجرى النهر إلى وادي مصر . وأنتم تلقطون واحداً واحداً يا بني إسرائيل » .

( إشعياء ٢٧ : ١٢ )

وإن هى إلا « لحيظة » ، يختبيء فيها الشعب المختار من وراء أبوابه آمنا من تسرب أي لفحة غضب ، ويخرج « يهوه » ليُجري المذبحة الجماعية للأمم :

« هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك ، اختبيء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب ، لأنه هو ذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فتكشف الأرض دماءها ولا تغطى قتلاها » ( إشعياء ٢٦ : ٢٠ - ٢١ ) .

وعند هذه المرحلة تكون الصهيونية قد استهلكت كل أنصارها وعملائها من القوى العظمى التي تساندها فلا تعد في حاجة إليها .. فلا أمريكا ولا روسيا ولا أوروبا ولا يحزنون :

« ويكون في ذلك اليوم أن بقية إسرائيل والناجين من بيت يعقوب لا يعودون يتوكلون أيضاً على ضاربيهم بل يتوكلون على الرب قدوس إسرائيل » .

وتُؤمِّن خطة « المهندس الأقدس » أرض المملكة وما يحيط بها من أراض بعيدة غريبة وفق مبادئ عقائدية وتشريعية تمهد الطريق لقيام المملكة التي سيعلن ملكها من الهيكل بُشرى « السلام العالمي » .

فقد كان رب الجنود قد شرع لشعبه من قبل قوانين الحرب والسلام في سفر « تثنية الإشتراع » و « يشوع » و « صموئيل الأول » وغيرها من الأسفار .

حدَّد لهم أسلوب معاملة الشعوب المحيطة بهم القريبة منهم ؛ أى التي تسكن أرض الموعد في المنطقة الداخلة في حدود المملكة الموعودة من النيل إلى الفرات .

وبيَّن لهم طريقة معاملة الشعوب البعيدة ؛ أي التي تقطن البلاد الأخرى فيما وراء حدود المملكة .. فيما بعد « جاسان » غرباً ( محافظة الشرقية في مصر ) ، وما بعد « الفرات » شرقاً ، وفيما وراء « العقبة » جنوباً ، وما بعد « صيدا » من الشمال .

فإذا قدمت إسرائيل لحرب « شعوب الدائرة الثانية » ( البعيدة ) وأنذرتها بالصلح . وآثرت هذه الشعوب السلامة وفتحت أبوابها لليهود فتكون هذه الشعوب للتسخير والاستعباد ، هذا في حالة الصلح والسلام . أما إذا كانت الحرب فقد أمرهم « رب الجنود » بقتل جميع الذكور وإبادتهم نهائياً . وأما النساء والأطفال والبهائم والأموال والديار وكل ما تبقى بعد هلاك الرجال والشباب فهى غنيمة مباركة من الرب يأكلها شعبه بالهناء والشفاء .

هذا عن الصورة « الرحيمة » ..

أما شعوب « الدائرة الأولى » ( المنطقة الداخلة في حدود مملكة قديسي العلى ) من النيل إلى الفرات ، فقرار الإعدام لكل شيء فيها نهائي ... لا نقض فيه ولا إبرام ... سواء سالمت هذه الشعوب أو حاربت ... صالحت واستسلمت أو غضبت وتمردت ... مذبحة جماعية ... لا تستبقى نسمة واحدة : رضيعاً أو طفلاً أو امرأة أو شيخاً .. ولا بهيمة : هزيلة أو سمينة .

وهذه هى الشريعة تتكلم :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلاح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها لك للتسخير ويُستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك

الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يُعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ؛ بل تحرمها تحريماً ، الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك » ( تثنية . ٢٠ : ١٠-١٧ ) .

وحدث « لأريحا » التي فاجأها بنو إسرائيل ليلاً والناس نيام بعد أن سهّلت لهم « راحاب » الزانية الخائنة عملية الدخول إلى ديار قومها ما يقصه « سفر يشوع » في عرى صريح :

« ... وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب ... واستحيا « يشوع » « راحاب » الزانية وبيت أبيها وكل ما لها . وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم . لأنها « خبأت » المرسلين اللّذين أرسلهما « يشوع » لكي يتجسسا أريحا » ( يشوع ٦ : ٢١ - ٢٥ ) .

وقال الرب « لشاول » :

« هكذا يقول رب الجنود . اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعفوا عنه ، بل اقتل رجلاً وامرأة . طفلاً ورضيعاً . بقراً وغنماً . جملاً وحماراً » .

( صموئيل الأول ١٥ : ٢ - ٣ )

« وضرب شاول عماليق من حويلة حتى مجيئك إلى شور التي مقابل مصر . وأمسك « أجاج » ملك عماليق حياً و « حرم جميع الشعب بحد السيف » . وعفا شاول والشعب عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف وعن كل الجيد ولم يرضوا أن يحرموها . وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرموها » .

( صموئيل الأول ١٥ : ٧ - ٩ )

أى أن بني إسرائيل بقيادة شاول قد التزموا بتنفيذ أمر الرب وأبادوا عن

طريق المذبحة الجماعية جماعة من البشر من حويلة إلى شور مقابل مصر باستثناء فرد واحد هو « الملك أجاج » الذي أسره شاول ... وأهلكوا جميع الماشية إلا خيارها ، وربما يكونوا قد عفوا عنها بغرض أكلها أو الاستفادة منها ، ومع ذلك غضب الرب لأنه اعتبر شاول قد انتهك القانون الإلهي وانحرف عن تطبيق الشريعة لما استثنى ملك عماليق من الذبح وعفا عن خيار الماشية وكان سبباً مفضياً إلى ندم الرب أن جعل شاول ملكاً وتركه في النهاية ليُدق جسمه بالمسامير على أسوار « بيت شان » .

« وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً : ندمت على أني جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يُقم كلامي » ( صموئيل الأول ١٥ : ١٠ - ١١ ) .

وعبثاً حاول شاول أن يلتمس الغفران ويعتذر بأنه خاف من الشعب الذي استحيا خيار الماشية وأخذها غنيمة ولم يقتلها لأجل الذبح للرب .

« فقال شاول لصموئيل : أخطأتُ لأني تعديتُ قول الرب وكلامك لأني خفت من الشعب وسمعت لصوتهم . والآن فاغفر خطيتي وارجع معي فاسجد للرب ، فقال صموئيل لشاول : لا أرجع معك لأنك رفضت كلام الرب فرفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسرائيل » ( صموئيل الأول ١٥ : ٢٤ - ٢٦ ) .

وطلب صموئيل النبي . أن يقدِّموا إليه « أجاج » ملك عماليق ، فذهب إليه « الأسير » فرحاً وقد ظن أن مرارة الموت قد زالت ، لكنه واجه الحقيقة : المتميزة الغريبة لبني إسرائيل وربهم الخاص وأنبيائهم المزعومين :

« فقطع صموئيل أجاج أمام الرب في الجلجال » (صموئيل الأول ١٥:٢٣).

وهنا لا بد من وقفة بمناسبة قوانين الحرب والسلام التي فرضها « يهوه » على شعبه المختار فريضة أبدية والتزم بها شعبه عقيدة وعبادة ، شريعة ونهجاً وطريقاً وترانيم كما نقص « التوراة » ( أسفار موسى الخمسة ) وأسفار « الأنبياء » و « التواريخ » و « الملوك » و « المزامير » .

إن هذه الصورة التشريعية والتنفيذية لقوانين الحرب والسلام الخالدة « لأنه

لا أحد يستطيع أن ينقض الناموس ولأن كلمة الرب مثبتة في السموات إلى أبد الدهور » . تسمو أمامها جرائم أعتى المجرمين . وعلى مدار التاريخ البشري كله لم يثبت أن أحداً ( من الخيابي ) من قطّاع الطُرق والقتلة وعصابات النهب والسلب والمرتزقة المؤجَرين للقتل ومصاصي الدماء من « جنكيزخان » و « هولاكو » والأسطوري « داراكولا » والإرْهابي « كارلوس » ... وغيرهم من الساقطين ... أن أحداً منهم لم يرق إلى هذا الحد الذي وصل إليه « يهوه » رب الجنود ولا دونه بآلاف الدرجات .

وقد وصف الأستاذ خليفة التونسي « يهوه » رب الجنود في مقال له بمجلة الرسالة ( السنة ١٨ : العدد ٨٠٥ في ٦ / ١٢ / ١٩٤٨ ) - فقال :

« إن الإله يهوه كما وصفته التوراة شيطان متوحش شرير شغوف بالفساد وإراقة الدماء ، وإن قاريء التوراة إذا حاول أن يتبين صفات « يهوه » رب الجنود وسيرته مع « شعبه المختار » وجب عليه أن يتصوُره مخلوقاً شيطانياً مسرفاً في الحب والتدليل « لشعبه المختار » وهو أعجز المخلوقات حيلة في سياستهم وسياسة خصومهم ، فبينما هو راض عنهم كل الرضا إذا هو ساخط عليهم كل السخط وهو مفرط في الحقد والكراهية لأعدائهم - فهو لذلك ولأنه لا حد لقدرته ولعدم حيلته - يُنزل ضرباته على هؤلاء الأعداء في إسراف وجنون وقسوة لا حد لها . وينتقم لأتفه الأسباب أبشع الانتقام ، وهو رغم قدرته التي لا حد لها - مخلوق جبان يهاب ما لا يهابه إنسان ذو شجاعة عادية ، فهو ينكص عن محاربة بعض أعدائه وأعدائهم ، لأن للأعداء في الحروب عجلات قوية ، فهو يترك اليهود وشأنهم ، ولا يخوض معهم في حربهم لهم خوفاً من هذه العربات ... إلى غير ذلك من الفروض المستحيلة التي لا يستطيع العقل أن يحتفظ بوحدته معها . ويكاد ينسحق تحت وطأتها » .

ولا يقولن أحد إن أسفار « التثنية » أو « يشوع » أو « صموئيل الأول » أو « القضاة » أو « إشعياء » أو « إرميا » وغيرها قد انتهى دورها وولّى

زمانها وأن ما حدث كان ظرفاً خاصاً لمرحلة تاريخية بعينها ... لا ... إنها العقيدة الواجبة التطبيق والشريعة المرعية الأحكام والناموس الأبدي الشامل النفاذ وصلاة كل يوم وميراث الآباء للأبناء . فالمملكة الموعودة لم تقم بعد ولا زال صديقنا الجديد « ديان » يستمتع بآخر كتاب له « أن نعيش مع التوراة » أو « الحياة مع التوراة » ..... !!

وقيام المملكة كما قامت الدولة لا بد على وجه الحتم أن ينطلق من هذه العقيدة ويصدر عن ذلك التصور .

أقول هذا ونحن مقبلون على التعامل في ظل علاقات طبيعية وسلام عادل ودائم !!

فكيف يمكن التعامل مع أناس حتَّمت عليهم عقيدتهم وشريعتهم أن يُنفِّذوا وسيُنفِّذوا ما نقلنا بعضه رغم أننا لسنا مشغولين بمناقشة الآخرين ... وبين أناس يُعلِّمهم دينهم أن من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً ... وأن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب .. وأن الله خلق البَشر شعوباً وقبائل ليتعارفوا .. وأن أكرمهم عند الله أتقاهم ... وأن امرأة دخلت النار بسبب قطة حبستها فماتت جوعاً ... وبيَّن لهم طريقة ذبح الحيوان بغرض أكله بالطريقة التي لا تُوجعه في لحظاته الأخيرة ... وحرَّم عليهم أكل المخنوقة من الماشية .

إن البون شاسع وعميق بين الاعتقاد في الإله الواحد الرحمن الرحيم الرب الأحد للناس جميعاً ، وبين اعتقاد الآخرين الذين جعلوه ينحط من مقام « رب العالمين » إلى درك « الإله القومي » الخاص بشعب دون الشعوب ، والذي لا يشبع من القتل ولا يرتوي سيفه من الدم ولا يمل من التهديد والوعيد ... نقمته على كل الشعوب ، وسيفه على كل البشر ، وتهديده ووعيده للناس جميعاً ... قد أغلق بابه دون كل بني آدم ، وفتحه فحسب لأولاد يعقوب ... رب الجنود سيقتل ... رب الجنود سيُبيد ... رب الجنود سيحرق ... رب الجنود سيُدَمِّر ... رب الجنود سيُمَثِّل بالجثث ويقيم مملكته لقديسي العلى - شعبه المختار -

ويعاقب أتباعه إن لم يفعلوا كذلك وينحطوا معه إلى ذلك الدَرك الهابط الذميم .

من حقي إذن وأبنائي وبناتي والرضيع والوليد القادم في الطريق وأمي وزوجتي أن نخاف من « يهوه رب الجنود » وخوفنا عادل ومشروع ... وأن يكون عندنا من سيرته فزع دائم ورعب مقيم .

ولعله من المفيد هنا أن ننقل صورة عن التعامل الإسلامي في الحرب والسلام عن .... كاتب متهم بالتشدد وعدم المرونة .

يقول « سيد قطب » في كتابه « هذا الدين » فصل : « خطوط مستقرة » تحت عنوان : « ذمة وخُلُق » - { دار الشروق ١٩٧٨ } :

« ... ولكن الإسلام حين جميع الناس على آصرة العقيدة ، وجعلها هى قاعدة التجمع أو قاعدة التفرقة ، لم يجعل الإكراه على العقيدة قاعدة الحركة فيه ، ولا قاعدة التعامل . ولم يجعل شريعة الغاب والناب هى التي تحكم علاقاته بالآخرين الذين لا يعتنقون عقيدته ، ولا يتجمعون على آصرته .

لقد فرض الله الجهاد على المؤمنين ، لا ليُكرهوا الناس على اعتناق الإسلام ، ولكن ليُقيموا في الأرض نظامه الشامخ العادل القويم . على أن يختار الناس عقيدتهم التي يحبون في ظل هذا النظام الذي يشمل المسلم وغير المسلم ، في عدل تام .

﴿ لاَ إكْرَاهَ في الدِّينِ ، قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ منَ الْغَيِّ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ وَيُؤمِنْ بالله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىْ لاَ انْفِصَامَ لَهَا ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

واعتبر الأرض التي يسيطر عليها النظام الإسلامي وتحكمها الشريعة الإسلامية هى « دار الإسلام » سواء أكان سكانها من معتنقي عقيدته كلهم أو كان بعضهم من معتنقي الديانات الأخرى ... واعتبر الأرض التي لا يسيطر

(١) البقرة : ٢٥٦

عليها النظام الإسلامي ولا تحكمها الشريعة الإسلامية هى « دار الحرب » أياً كان سكانها .

ولم يترك الأمر لشريعة الغاب والناب في العلاقات بين دار الحرب ودار الإسلام ، بل نظّم هذه العلاقات تنظيماً دقيقاً ، يحكمه الخُلُق والنظافة والاستقامة .

فدار الإسلام إما أن تكون على عهد وميثاق مع دار الحرب ، فهو العهد المرعي والميثاق المحفوظ ، لا غدر فيه ولا خيانة ، ولا مباغتة ولا مفاجأة . إلى أن ينقضي الأجل ، أو يُنقض العهد مع أهل دار الحرب .

وأكد على الوفاء بالعهد ، مبطلاً حجة « مصلحة الدولة » فإنها لا تُجيز نقض العهود :

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ، إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) .

فإذا كانت الحرب ، فهى الحرب التي لا تُهتك فيها حُرمة ، ولا يُقتل فيها صبي ولا شيخ ولا امرأة ، ولا يُحرق فيها زرع ، ولا يُتلف فيها ضرع ، ولا يُمَثَّل فيها بإنسان ، ولا تُصيب إلا المقاتلين الذين يحملون السلاح في وجه المسلمين ... وهذه وصية أبي بكر لجيش أسامة وهو ذاهب لمقاتلة الروم :

« لا تخونوا ، ولا تغلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تُمَثِّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة . ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة . وسوف تمرُّون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له ... اندفعوا باسم الله »
( ص : ٧٨ - ٩٠ . )

---

(١) النحل : ٩١ - ٩٢

وكان رحمه الله قد قال في نفس الفصل « خطوط مستقرة » وتحت عنوان « إنسانية كريمة » :

« وحادثة ابن القبطي الذي سابَقَ ابن عمرو بن العاص ، فاتح مصر وواليها فسبقه فضربه ابن عمرو ، فشكى أبوه إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فأقصَّه منه في موسم الحج وعلى ملأٍ من الناس ... حادثة معروفة .

وقد اعتاد الكتّاب أن يقفوا فيها عند عدل عمر ... ولكن الحادثة أوسع دلالة على ذلك التيار التحرري الذي أطلقه الإسلام في ضمائر الناس وفي حياتهم ...

مصر إذ ذاك بلد مفتوح . حديث العهد بالفتح وبالإسلام . وهذا القبطي قبطي لم يَزَل على دينه ، فرداً من جماهير البلد المفتوح . وعمرو بن العاص هو فاتح هذا الإقليم ، وأول أمير عليه من قِبَلِ الإسلام .... وحكّام هذا الإقليم قبل الفتح الإسلامي هم الرومان : أصحاب السياط التي تجلد ظهور شعوب المستعمرات ، ولعل ذلك القبطي كان ما يزال ظهره يحمل آثار سياط الرومان .

ولكن المد التحرري الذي أطلقه الإسلام في أنحاء الأرض أنسى ذلك القبطي سياط الرومان وذلها ، وأطلقه إنساناً حراً كريماً ، يغضب لأن يضرب ابن الأمير ابنه ، بعد اشتراكهما في سباق ، وهذه أُخرى ، ثم تحمله هذه الغضبة لكرامة ابنه الجريحة على أن يركب من مصر إلى المدينة ، لا طائرة ولا سيارة ولا باخرة ولا قطاراً ، ولكن جملاً ، يخب به ويقطع الأشهر الطوال ، كل ذلك ليشكو إلى الخليفة .. الخليفة الذي حرَّره يوم فتح بلده تحت راية الإسلام والذي علَّمه الكرامة بعد أن نسيها تحت وقع سياط الرومان .

وهكذا ينبغي أن نفهم ، وأن ندرك عمق المد الإسلامي التحرري . فليست المسألة فقط أن عمر عادل ، وأن عدله لا تتطاول إليه الأعناق في جميع الزمان ، ولكن المسألة بعد ذلك أن عدل عمر – المُستمَد من الإسلام ومنهجه ونظامه – قد انطلق في الأرض تياراً جارفاً مُحرِّراً مُكرِّماً للإنسان .. بصفته : الإنسان » .
( ص : ٨٢ – ٨٣ )

* *

● حاشية :

كنت قد ذكرت نصاً « لإشعياء » ضمن النصوص نقلتها عنه وهو يتوعدنا - مصر - والعرب والعالم بالخراب والتدمير والعبودية يقول :

« وحي من جهة بلاد العرب . في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين . هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء وافوا الهارب بخبزه . فإنهم من أمام السيوف قد هربوا . من أمام السيف المسلول ومن أمام القوس المشدودة ومن أمام شدة الحرب . فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قيدار . وبقية عدد « قسى » أبطال « بني قيدار » تقل ، لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم » ( إشعياء ٢١ : ١٢ - ١٧ ) .

ولا بد من وقفة عند هذا النص ...

لقد أورد الكاتب الإسلامي الباكستاني « مولاى محمد علي » هذا النص في كتابه « محمد رسول الله » { ترجمه مصطفى فهمي وعبد الحميد جودة السحار - مكتبة مصر } مستشهداً به « كنبوءة » سابقة تُبشّر بظهور النبي عليه الصلاة والسلام .

فقد قال : « وثَمَّ نبوءة سابقة تُحدِّد أرض النبي المنتظر بأنها بلاد العرب لا غيرها ... » وذكر النص : « وحي من جهة بلاد العرب ... » إلخ .

ثم أردف مُعلِّقاً : « وكلمة بلاد العرب تبدهك بالدليل الكافي . ثم الإشارة إلى من هرب - أي هاجر - تزيد في إيضاح مَنْ تقصده هذه النبوءة .. وليس في تاريخ الوجود ذكر إلا لهرب واحد وهجرة واحدة .... وثَمَّ شهادة صريحة تقول إنه هرب ( هاجر ) أمام السيف المسلول ... » إلى أن قال : « وهذان الحدثان التاريخيان الصحيحان - مضافاً إليهما تحديد ذكر بلاد العرب عينها موضعاً لمولد النبي محمد ﷺ دليل لا سبيل إلى مناقشته على أن النبوءة تقصد النبي محمد ﷺ » ( ص ٣٤ - ٣٥ ) .

لكن المسألة ليست على ما رأى « مولاى محمد علي » .

فكلام « إشعياء » - أو المنسوب إلى « إشعياء » - والذي أسماه « نبوءة » لا يقصد ذلك ألبتة ... إنها كمية الحقد الموجهة ضد العرب وتمني زوال مجدهم « يغنى مجد قيدار » - « وقيدار » هو أحد أبناء « إسماعيل » جد العرب . وحسن نية الكاتب المسلم وغيرته الإسلامية معروفة ومقدّرة . ونبوءة النبي ﷺ ثابتة بكل مقياس صحيح في التراث الصحيح لبني إسرائيل ، وهو غير ذلك المنشور بين دفتي هذا الكتاب .

إن هذا الكلام الذي أسماه « مولاى محمد علي » نبوءة خاص ببني النضير ، عن واقعة إجلائهم من جزيرة العرب بعد حصارهم في صَيَاصيهم وطردهم إلى « تيماء » في بلاد الشام .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [١] ..... ( صدق الله العظيم ) .

قال القرطبي في تفسيره : « قال الزهري : وكان أول حشر حُشروا في الدنيا إلى الشام ... قال قتادة : هذا أول الحشر . قال ابن عباس : هم أول من حُشرَ من أهل الكتاب وأُخرِجَ من دياره . وقيل إنهم أُخرجوا إلى خيبر ، وأن معنى ﴿ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ إخراجهم من حصونهم إلى خيبر . وقيل : تيماء وأريحاء »[٢] .

وقال ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » { مطبعة السعادة ١٣٥١ هـ ( ١٩٣٢ م ) ، الجزء الرابع ص ٧٦ } :

(١) الحشر : ٢

(٢) القرطبي - الجامع لأحكام القرآن الكريم . الجزء الثامن عشر - مطبعة دار الكتب ١٣٦٥ هـ ( ١٩٤٦ م ) ص ١٢

« فمن ذلك تقديره وتدبيره وتيسيره لرسول الله ﷺ وعباده المؤمنين في ظفرهم بأعدائهم الذين شاقُّوا الله ورسوله وجانبوا رسوله وشرعه ، وما كان من السبب المُفضي لقتالهم - كما تقدم - حتى حاصرهم المؤيَّد بالرعب والرَهَب مسيرة شهر ، ومع هذا فأسرهم بالمحاصرة بجنوده ونفسه الشريفة ست ليال ، فذهب بهم الرعب كل مذهب حتى صانعوا وصالحوا على حقن دمائهم وأن يأخذوا من أموالهم ما استقت به ركابهم ، على أنهم لا يصحبون شيئاً من السلاح إهانة لهم واحتقاراً ، فجعلوا يُخَرِّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار » .

فالعطشى الهاربون إلى أرض « تيماء » بخبزهم - ما استقلّت به ركابهم - الذين أجلوا بعد حصارهم هم يهود بني النضير ، وليست إذن هجرة النبي عليه الصلاة والسلام .

وهذا يدل على أن سِفر « إشعياء » قد كُتِبَ بعد حادثة بني النضير وبعد إشعياء نفسه بحوالي ١٢٥٠ سنة على طريقة التبديل والتحريف والتزوير والإضافات التي صنعها تاريخ المؤامرة اليهودية .

ويعترف صاحب « الكتاب يتكلم » { مطبعة الشرق الأوسط ١٩٥٠ } بأن الكتاب المقدس قد أحرق كله ، فهو يقول تحت عنوان كبير بارز « أحرق الكتاب المقدس » { ص ٦ } : « نجد في ( إرميا - ٣٦ : ٢٠ - ٢٣ ) أن الملك يهوياقيم ألتي الدرج المكتوبة فيه كلمات الله في النار فاحترق كله » .

وقد فتشتُ - أنا - في « إرميا » نفسه فوجدتُ النص الآتي :

« ثم دخلوا إلى الملك إلى الدار وأودعوا الدرج في مخدع « الياشاماع » الكاتب. وأخبروا في أذني الملك بكل الكلام . فأرسل الملك يهودي ليأخذ الدرج فأخذه من مخدع « الياشاماع » الكاتب وقرأه في أذني الملك وفي آذان كل الرؤساء الواقفين لدى الملك . وكان الملك جالساً في بيت الشتاء في الشهر التاسع والكانون قُدَّامه متّقد . وكان لما رأى قرأ يهودي ثلاثة سطور أو أربعة أنه شقّه بمبراة الكاتب وألقاه إلى النار التي في الكانون حتى فنى كل الدرج في النار التي في الكانون » . ( إرميا ٣٦ : ٢٠ - ٢٣ )

وقد توّصل البروفسور « مونتيه Montet » في دراسته للوثائق الدينية إلى تجريد الكتاب المقدس من كل صفات الصحة التاريخية [1] .

ويعتبر كثير من علماء الآثار بالذات - أن بعض سفر « إشعياء » - إن لم يكن كله - لا يرجع نصه إلى عهد بعيد .

ويذكر صاحب « الكتاب يتكلم » أنه قد عثر على سفر « إشعياء » ويُعلّق على ذلك بقوله : « الأمر الذي قابله علماء الآثار الكتابية بدهشة شديدة وارتياح كثير ، لا سيما ولم يكن لديهم من المخطوطات العبرية ما يرجع إلى أبعد من القرن التاسع بعد الميلاد . أما هذا الاكتشاف العجيب لا بد وأن يُلزم العلماء المدّعين بأن بعض سفر إشعياء لا يرجع نصه إلى عهد بعيد » (ص ١٢) .

فلا نبوءة إذن ولا يحزنون ... إن هو إلا ورى أكباد مريضة ، وعصارة مرارة معتلة ، وغل صدور طفحت شعابها بصديد البغضاء !!

إنه سجل المؤامرة الموجهة ضد كل الناس .. كتبته أقلام مدادها الحقد والكراهية والتربص بالأمم واغتيال الشعوب !!

بقيت نقطة لا ينبغي أن تفوتني في هذا التعليق ...

إننا لسنا مطالبين « بالتهافت » في التماس البشارة بنبوّة نبينا عليه الصلاة والسلام فيما يُسمى بالكتاب المقدس ، لأننا سنقع - من حيث لا ندري - في اعتراف ضمني بصحة وحيه ، ومن ثمّ ، بصدق ما تضمّنه بين دَفتيه من رجس الخرب !!

ولا أريد الاسترسال في هذا التعليق حتى لا أقع في مقولة تفتيت الوحدة الوطنية أو معاداة الثقافة العبرية !!

* * *

(١) الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين - دار الفكر ١٩٦٨ - ص ٩٥

## الفصل الخامس

# فشنو والأيدي المائة !!

● دميتنا الألغام الماسونية ، الجويم ، الصحافة والأدب ، الثورات والانقلابات .

● البهائم العاملة : المال ، التجارة ، الصناعة ، مسك الثور من قرنيه ، الفكر والتربية ، الوكلاء ، والمذاهب ، والأحزاب .

وبعد هذه الوقفة مع « الخطة العظمى للمهندس الأقدس » .. نصل حديثنا بخطة أخرى « سفلية » لمهندسي الأرض من « شيوخ صهيون » .

ذلك أن « الخطة العظمى للمهندس الأقدس » تتطابق مع الغاية النهائية للمؤامرة الجهنمية في « مقررات » قادة « الماسون » المعروفة باسم « برتوكولات حكماء صهيون » .

فالجهد البشري « للمؤامرة الإسرائيلية » من خلال « البروتوكولات » ينبثق تلقائياً من « الخطة العظمى للمهندس الأقدس » وتتوافق بالضرورة « عناصر المؤامرة » مع « أركان الخطة » وصولاً « بالشعب المختار » إلى « مملكة إسرائيل الكبرى » .

وسواء صَعَّدَ « ماكبريد » وغيره من قادة « الماسون » مسيرة الحركة الماسونية لتلتقي في مرحلتها النهائية بعد بناء « الهيكل » بالخطة العظمى «للمهندس الأقدس » ..... أو نطق « الأنبياء » بالوحي ..... تفصيلات خطة « يهوه رب الجنود » يوم ينطلق « صوت صحيح » من الهيكل « مؤذناً» بمخاض « الأمة اليهودية » في « صهيون » ومولد ذكرها « القضيب الخارج من جذع يسي » – الملك النابت من غصن « داوود » .... أو وضع « هرتزل » « وشيوخ إسرائيل » من « ماسوني الدرجة الثالثة والثلاثين » مؤامرة وصول

« رأس الأفعى » إلى « صهيون » في مقررات السيطرة على الدنيا تمكيناً لمجيء « قطب العالم » - « الملك اليهودي » ... « مسيح إسرائيل » ...

فالغاية واحدة ...

تتم من سلسلة الخراب والتدمير ..

ومن خلال أدوات محدَّدة ..

وتمر على أكتاف المُسَخرِّين ، سواء أكانوا « الخنازير » أو « البهائم العاملة » أو « كتل الأحجار » أو « السقالة » التي ستختفي أو « الغرباء الحرَّاثين الكرَّامين » .

ففي سنة ١٨٩٧ عُقِدَ في مدينة « بال » بسويسرا « المؤتمر الصهيوني الأول » برئاسة الصحفي النمسوي « هرتزل » ، وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أغنى « حكماء صهيون » ممثلين لخمسين جمعية « يهودية » ، وقد صدرت عنه « قرارات » سرية عُرِفت فيما بعد باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » ، وقد تمكنت « سيدة » فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من الصهاينة في أحد أوكارهم « الماسونية » السرية في « فرنسا » أن « تختلس » بعض هذه الوثائق السرية .

وصلت هذه الوثائق إلى « اليكس نيقولانيفتش » الروسي الذي سلَّمها بدوره إلى صديقه العالِم الروسي « سيرجى نيلوس » الذي نشرها بالروسية سنة ١٩٠٢ وأعاد طبعها مع مقدمة وتعقيب سنة ١٩٠٥ . وطُبعت مرة أخرى في سنة ١٩١١ . ولما طُبِعت سنة ١٩١٧ صادرها « الشيوعيون البلاشفة » الذين كانوا قد استولوا على « روسيا » بزعامة « لينين » في ذلك العام ، ووصلت النسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى « المتحف البريطاني » وسُجِّل عليها تاريخ تسلمها ( ١٠ أغسطس ١٩٠٦ ) .

وترجم « فيكتور مارسدن » مراسل جريدة « مورننج بوست » في روسيا « البروتوكولات » إلى الإنجليزية ونشرها .

وقد أعيد طبعها عدة مرات ، كانت الأخيرة والخامسة منها عام ١٩٢١ ، وهي النسخة المعتمدة للترجمة إلى العربية [١] .

ومن هذه « البروتوكولات » ننقل بعض الخطوط الرئيسية في « المؤامرة الماسونية الكبرى » ، عن ترجمة الأستاذ « التونسي » ، نحدد المعالم مع النصوص المقابلة :

● من خلال « التنظيم الماسوني » الذي يقوده « شيوخ صهيون » وقيادته « غير معروفة » ، يصطاد « اليهود أو وكلاؤهم » « البهائم العاملة » من الأمميين - غير اليهود - من جميع طبقات المجتمع ، ويجندونهم في هذا التنظيم السري ، ويُسخِّرونهم كأدوات أو وكلاء تُنَفِّذ أدواراً بعينها بعيون معصوبة .

ومن الأوكار أو « الخلايا الماسونية » « يستقي » القادة « المعلومات » والأخبار « وقياس الرأى العام » .

ومن خلالها يتم « زراعة القلق والفتن » في « الأرض الأممية » و « غرس الفيروسات الغريبة » التي تفتك بالخلايا الأممية الحية .

ويوكل إلى هؤلاء الوكلاء أو العملاء إنجاز المؤمرات وتنفيذ « الانقلابات » مستفيدين من خدمات الاشتراكيين والثوريين والبوليس :

« وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة ، سنحاول أن نُنشيء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالَم . وسنجذب إليها كل ما يصير أو مَنْ يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة (Public Spirit) وهذه

---

(١) راجع : « الخطر اليهودي » - « بروتوكولات حكماء صهيون » - « محمد خليفة التونسي » دار الكتاب العربي . وكذا : « جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت » :

( Jewish Conspirucy and the Muslim world, Social Reform. Society - Kuwait ) .

الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار ، كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية .

وسوف نُركِّز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستتألف هذه القيادة من علمائنا ، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون ، كي نحجب المكان الذي نُقيم فيه قيادتنا حقيقة . وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم عنها وفي رسم نظام اليوم ، وسنضع الحبائل والمصايد في هذه الخلايا لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية . وإن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا وسنهديها إلى تنفيذها حالما تتشكل .

وكل الوكلاء ( Agents ) في البوليس الدولي السري تقريباً سيكونون أعضاء في هذه الخلايا .

ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا ، لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتنا ( Enterprises ) وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين الطوائف ، وأن يعاقبوا أيضاً أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا .

ومعظم الناس الذين يدخلون في الجمعيات السرية مغامرون يرغبون أن يشقُّوا طريقهم في الحياة بأي كيفية ، وليسوا ميَّالين إلى الجد والعناء . وبمثل هؤلاء الناس سيكون يسيراً علينا أن نتابع أغراضنا ، وأن نجعلهم يدفعون جهازنا للحركة .

وحينما يعاني العالم كله القلق فلن يدل هذا إلا على أنه قد كان من الضروري لنا أن نقلقه هكذا ، كي نحطم صلابته العظيمة الفائقة . وحينما تبدأ المؤامرات خلاله فإن بدءها يعني أن واحداً من أشد وكلائنا إخلاصاً يقوم على رأس هذه المؤامرة . وليس إلا طبيعياً أننا كنا الشعب الوحيد الذي يُوجِّه المشروعات الماسونية ، ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف كيف يواجهها . ونحن نعرف الهدف الأخير لكل عمل ، على حين أن الأميين ( غير اليهود ) جاهلون بمعظم

الأشياء الخاصة بالماسونية ، ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون . وهم بعامة لا يفكرون إلا في المنافع الوقتية العاجلة ، ويكتفون بتحقيق غرضهم ، حين يُرضى غرورهم . ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم ، بل كنا نحن أنفسنا الذين أوحينا إليهم بها » .

( البروتوكول الخامس عشر : ص ١٨٩ - ١٩١ )

● ومن خلال الماسونية وفي درجاتها المتقدمة يتم السيطرة على العالم حيث يصبح المنتسبون المتدرجون من الحلقة الرابعة ، أو من سخَّرهم شيوخ صهيون بالواسطة من خلال القوى الكبرى ، مجرد أدوات في لعبة الأمم :

« وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد ، ولن يكونوا مُدَربين على فن الحكم ، ولذلك سيكون من السير أن يُمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا في أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دُرِّبوا خِصيصاً على حكم العالَم منذ الطفولة الباكرة . وهؤلاء الرجال - كما علمتم من قبل - قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية ، ومن تجربة التاريخ ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية ، والأُميون ( غير اليهود ) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة ، بل يتبَّعون نسقاً نظرياً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه . ومن أجل ذلك لسنا في حاجة إلى أن نُقيم للأُميين وزناً .

دعوهم يتمتعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يُلاقوا يومهم ، أو دعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذّات وملاهٍ جديدة ، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية ، دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم ، وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا ، نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة . إن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافاً في مزاولة المعرفة التي حصَّلتها من العلم الذي قدَّمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي توخيناه » .

( البروتوكول الثاني : ص ١٣١ - ١٣٢ )

● وعلى رأس هؤلاء « الرؤساء » الإداريين المندسين في جهاز الحكم والفكر والتربية والثقافة والصحافة والإعلام ، يعد « حكماء صهيون » رؤساء الدول بطريقة مباشرة من خلال عضوية هؤلاء في « المحافل الماسونية » أو بطريقة غير مباشرة من خلال « تجنيدهم » عن طريق « القوى الكبرى » الدائرة في « فَلَك الماسون » ، ويصبح هؤلاء الرؤساء دُمًى يمسك قادة « المحفل الماسوني » الكوني خيوط تشغيلها :

« وهكذا ثبّتنا اللّغم الذي وضعناه تحت الأميين ، أو بالأحرى تحت الشعوب الأمية ، ... ويومئذ لن نكون حائرين في أن تُنفّذ بجسارة خططنا التي سيكون « دميتنا » ( Dummy ) مسئولاً عنها . ماذا يعنينا إذا صارت رتب طلاّب المناصب ضعيفة ، وهبّت القلاقل من استحالة وجود رئيس حقيقة ؟ أليست هذه القلاقل هى التي ستُطيح نهائياً بالبلاد ؟

ولكي نصل إلى هذه النتائج سندبر « انتخاب » أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسوّدة بفضيحة « بنامية » ( Panama ) أو صفقة أخرى سرية مريبة . إن رئيساً من هذا النوع سيكون مُنفّذاً وافياً لأغراضنا ، لأنه سيخشى التشهير ، وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذي يتملك دائماً الرجل الذي وصل إلى السلطة ، والذي يتلهف على أن يستبقى امتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه الرفيع » ( البروتوكول العاشر : ص ١٦٥ - ١٦٦ ) .

● وتُؤمّن الخطة طريقة « ستر عورات هذا الرئيس » في الداخل من خلال « مجلس الشعب » على النحو التالي :

« إن مجلس ممثلي الشعب ( The House of Representatives ) سينتخب الرئيس ويحميه ويستره ، ولكننا سنحرم هذا المجلس ( House ) سلطة تقديم القوانين وتعديلها .

هذه السلطة سنعطيها الرئيس المسئول الذي سيكون ألعوبة خالصة ( Mere Puppet ) في أيدينا ، وفي تلك الحال ستصير سلطة الرئيس هدفاً مُعرّضاً

للمهاجمات المختلفة ، ولكننا سنعطيه وسيلة الدفاع ، وهي حقه في أن يستأنف القرارات محتكماً إلى الشعب الذي هو فوق ممثلي الأمة ؛ أي أن يتوجه الرئيس إلى الناس الذين هم العميان ، وهم أغلبية الدُهماء .

وإلى ذلك سنعطي الرئيس سلطة إعلان الحكم العرفي ، وسنوضح هذا الامتياذ بأن الحقيقة هي أن الرئيس – لكونه رئيس الجيش – يجب أن يملك هذا الحق لحماية الدستور الجمهوري الجديد ، فهذه الحماية واجبة لأنه ممثلها المسئول .

وحين نقدم الدستور الجمهوري الجديد سنحرم المجلس – بحجة سر الدولة – حق السؤال عن القصد من الخطط التي تتخذها الحكومة . وإذا صاروا معارضين بالرغم من هذا ، فإننا سنسمح للممثلين الباقين بالاحتكام إلى الأمة ، وسيكون حقاً لرئيس الجمهورية أن يعيِّن رئيساً ووكيلاً لمجلس النواب ومثلهما لمجلس الشيوخ ، ونستبدل بفترات الانعقاد المستمرة للبرلمانات فترات قصيرة مدى شهور قليلة .

وإلى ذلك سيكون لرئيس الجمهورية – باعتباره رأس السلطة التنفيذية – حق دعوة البرلمان وحله . وسيكون له في حالة الحل إرجاء الدعوة لبرلمان جديد » .

( البروتوكول العاشر : ص ١٦٦ – ١٦٨ )

وعندما تتراكم الأخطاء وتفسد خطط التنمية أو الإصلاح المرتقبة وينكص الرؤساء عن وعودهم التي خدَّروا بها الجماهير ... وعندما يستشرى الفساد وتصعد نتانات الظلم والقهر ... يجد حكماء صهيون لدميتهم (Dummy ) أو ضحكتهم ( Caricature ) أو ألعوبتهم ( Puppet ) أي الرئيس ، سبيل الخروج من الأزمة وقد ألقيت التبعة على أكباش فداء :

« ولكن – لكيلا يتحمل الرئيس المسئولية عن نتائج هذه الأعمال المخالفة للقانون مخالفة صارخة ، من قبل أن تبلغ خططنا وتستوي – سنُغري الوزراء وكبار الموظفين الإداريين الآخرين الذين يحيطون بالرئيس ، كي يَموِّهوا أوامره ، بأن يصدروا التعليمات من جانبهم ، وبذلك نضطرهم إلى تحمل المسئولية بدلاً من الرئيس ، وسننصح خاصة بأن تُضم هذه الوظيفة إلي مجلس الشيوخ أو إلى

مجلس شورى الدولة أو إلى مجلس الوزراء ، وأن لا توكل إلى الأفراد . وبإرشادنا سيفسر الرئيس القوانين التي يمكن فهمها بوجوه عدة .

وهو - فوق ذلك - سينقض القوانين في الأحوال التي نعد فيها هذا النقض أمراً مرغوباً فيه ، وسيكون له أيضاً حق اقتراح قوانين وقتية جديدة ، بل له كذلك إجراء تعديلات في العمل الدستوري للحكومة محتجاً لهذا العمل بانه أمر تقتضيه سعادة البلاد » ( البروتوكول العاشر : ص ١٦٨ ) .

● وتتجه « خطة المهندس الأقدس » أو « نسختها الأرضية المعاونة » إلى أهدافها الكبرى ، بعد السيطرة على أجهزة الحكم في أمريكا وأوروبا وعالمنا الإسلامي المنكوب وغيرها من بلاد العالم ، وتوجيهها للرأي العام العالمي وإرباكه ، إلى إحداث الفتن والقلاقل والثورات والعداوات القومية والعرقية والطائفية والدينية والمهنية في سلسلة من التحركات في مختلف المجالات :

فأوروبا - وأمريكا امتداد لها وشريك - هي سيدة الدنيا على مدى القرنين التاسع عشر والعشرين ، وهي الضابطة للأنظمة المسخ التي استعمرت أقطارها ، وبعد رحيل الاستعمار العسكري سلّمت مفاتيح القلعة لهذه الأنظمة - صبية وتلاميذ ... من أوروبا هذه - وأمريكا قائد وشريك - تخرج إشارة الحركة :

« في كل أوروبا - وبمساعدة أوروبا - يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة . فإن في هذا فائدة مزدوجة ، فأما أولا : فبهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد ، مع قدرتنا على إعادة النظام ، وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند إلحاح الضرورة متى لزم الأمر . وأما ثانياً : فبالمكايد والدسائس ، سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات ، ولم نحبكها بسياستنا فحسب ، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضاً » ( البروتوكول السابع : ص ١٥١ ) .

● وعلى هذا النحو يصنع الماسون « الثورات » أو « الانقلابات » أو يحتوونها أو يوّجهونها ، أو يشاركون فى مناقصة « صناعة » الأبطال وبناء الزعماء . أو يفتحون أبواب « البيت الأبيض » أو « الأصفر » أو « الأزرق » لصانع القرار فيه بتوجيه من « المحفل الماسونى » المنتشر فى كل أنحاء الأرض « كغطاء وقناع » :

« كل جمهورية تمر خلال مراحل متنوعة : أولها فترة الأيام الأولى لثورة العميان التى تكتسح وتُخرِّب ذات اليمين وذات الشمال . والثانية هى حكم الغوغاء الذى يُؤدِّى إلى الفوضى ، ويسبب الاستبداد . إن هذا الاستبداد من الناحية الرسمية غير شرعى ، فهو لذلك غير مسئول . وإنه خَفِىٌ محجوب عن الأنظار . ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوساً به . وهو على العموم تُصرِّفه منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء ، لذلك سيكون أعظم جبروتا وجَسارة . وهذه القوة السرية لن تفكر غى تغيير وكلائها الذين نتخذهم ستاراً ، وهذه التغييرات قد تُساعد المنظمة التى ستكون كذلك قادرة على تخليص نفسها من خدمها القدماء الذين سيكون من الضرورى عندئذ منحهم مكافآت أكبر جزاء خدمتهم الطويلة .

من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن . إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالَم ليعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا . ولكن الفائدة التى نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة فى خطة عملنا وفى مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالَم كثيراً » ( البروتوكول الرابع : ص ١٤٠ - ١٤١ ) .

● ونمضى مع الخطة الماسونية وهى تتسلل إلى المراكز الحساسة فى التشريع والجيوش والأحزاب حيث تُوجهها إلى الفوضى والتخريب :

« وإننى أستطيع فى ثقة أن أصرِّح اليوم بأننا أصحاب التشريع ، وأننا المتسلِّطون فى الحكم ، والمقرِّرون للعقوبات ، وأننا نقضى بإعدام مَنْ نشاء

ونعفو عَمَّن نشاء ، ونحن كما هو واقع – أولوا الأمر الأعلون فى كل الجيوش ، الراكبون رؤوسها ، ونحن نحكم بالقوة القاهرة ، لأنه لا تزال فى أيدينا الفلول التى كانت الحزب القوى من قبل ، وهى الآن خاضعة لسلطاننا . إن لنا طموحاً لا يُحد ، وشرهاً لا يشبع ، ونقمة لا ترحم ، وبغضاء لا تُحس . إننا مصدر إرهاب بعيد المدى . وإننا نُسخِّر فى خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب : من رجال يرغبون فى إعادة إنشاء الملكيات ، واشتراكيين وشيوعيين ، وحالمين بكل أنواع الطوبيات ( Utopias ) ، ولقد وضعناهم جميعاً « تحت السرج » ، وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقى من السلطة ، ويحاول أن يُحطِّم كل القوانين القائمة . وبهذا التدبير تتعذب الحكومات ، وتصرخ طلباً للراحة ، وتستعد – من أجل السلام – لتقديم أى تضحية ، ولكننا لن نمنحهم أى سلام حتى يعترفوا فى ضراعة بحكومتنا الدولية العليا » .

( البروتوكول التاسع : ص ١٥٧ )

● وبعد السيطرة على رأس الحكم وأجهزته والتيارات السياسية والحزبية والفكرية فى الأقطار التى وضعها الطاغوت الماسونى تحت السرج يصبح من السهل « إمساك الثور من قرنيه » « وحفظه فى نظام » « وتأمين لَوْلبه » لكى يتحرك أمام الناس وكأنه – أى الثور – مستقل الإرادة :

« إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسونى هى « الحرية والمساواة والإخاء » وسوف لا نُبدِّل كلمات شعارنا ، بل نصوغها مُعبِّرة ببساطة عن فكرة ، وسوف نقول : « حق الحرية ، وواجب المساواة ، وفكرة الإخاء » . وبها « سنمسك الثور من قرنيه » وحينئذ نكون قد دمَّرنا فى حقيقة الأمر كل القُوى الحاكمة إلا قوتنا ، وإن تكن هذه القوى الحاكمة نظرياً ما تزال قائمة . وحين تقف « حكومة » من الحكومات نفسها موقف « المعارضة » لنا فى الوقت الحاضر فانما ذلك « أمر صورى » متخذ « بكامل معرفتنا » ورضانا ، كما أننا محتاجون الى انفجاراتهم المعادية للسامية ، كيما نتمكن من حفظ « إخوتنا الصغار » فى نظام ... ولكيلا تتحطم أنظمة الأمميين قبل الأوان الواجب

أمددناهم بيدنا الخبيرة ، وأمّنا غايات « اللّوالب » فى « تركيبهم الآلى » . وقد كانت هذه « اللوالب » ذات نظام عنيف ، لكنه « مضبوط » ، فاستبدلنا بها تركيبات تحررية بلا نظام ، إن لنا يداً فى حق « الحكم » وحق « الانتخاب » ، وسياسة الصحافة ، وتعزيز حرية الأفراد ، وفيما لا يزال أعظم خطراً وهو « التعليم » الذى يُكوّن الدُعامة الكبرى للحياة الحرة » .

( البروتوكول التاسع : ص ١٥٥ - ١٥٩ )

● وعلى ذلك تخطب كل القوى ود « صهيون » المتغلغلة فى جميع « الأنشطة » المندسة فى كل « الأجهزة » ، الراكبة على متن « المسخّرين » من « البُكم والعُمىَ والصُم » :

« ونحن الآن - كقوة دولية - فوق المتناول ، لأنه لو هاجمتنا إحدى الحكومات الأممية لقامت بنصرنا أخريات . إن المسيحيين من الناس فى خستهم الفاحشة ليساعدوننا على استقلالنا حينما يخرُّون راكعين أمام القوة ، وحينما لا يرثون للضعيف ولا يرحمون فى معالجة الأخطاء ، ويتساهلون مع الجرائم ، وحينما يرفضون أن يتبينوا متناقضات الحرية ، وحينما يكونون صابرين إلى درجة الاستشهاد فى تحمل قسوة الاستبداد الفاجر »(البرتوكول الثالث : ص ١٣٩) .

« لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره فى جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية ، بنشر التعصبات الدينية والقَبلية خلال عشرين قرناً ، ومن هذا كله تتقرر حقيقة : هى أن أى حكومة منفردة لن تجد لها سنداً من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا . لأن كل واحدة منها ستظن أن أى عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتى . نحن أقوياء جداً ، فعلى العالم أن يعتمد علينا ويُنيب إلينا . وإن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تُبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سراً : « بحكمى فليحكم الملوك »

( It is through me that Kings reign )

إننا نقرأ فى شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض ، وقد منحنا الله العبقرية ، كى نكون قادرين على القيام بهذا العمل . إن كان فى معسكر أعدائنا عبقرى فقد حاربنا ، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً لأيد عريقة كأيدينا » ( البروتوكول الخامس : ص ١٤٤ - ١٤٥ ) .

« وبإيجاز من أجل أن نُظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية فى أوروبا سوف نبيِّن قوتنا لواحدة منها متوسلين بجرائم العنف ، وذلك هو ما يُقال له حكم الإرهاب ، وإذا اتفقوا جميعاً ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية » ( البروتوكول السابع : ص ١٥٢ ) .

● وتتضمن الخطة السيطرة على الرأى العام العالمي وتحييره على النحو التالى :

« ولضمان الرأى العام يجب أولاً أن نُحَيِّره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحى لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون ( غير اليهود ) فى متاهتهم . وعندئذ سيفهمون أن خير ما يسلكون من طرق هو أن لا يكون لهم رأى فى المسائل السياسية : هذه المسائل لا يُقصد منها أن يدركها الشعب ، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب . وهذا هو السر الأول .

والسر الثانى - وهو ضرورى لحكومتنا الناجحة - أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية فى البلاد ، حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح فى ظلامها المطبق ، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً .

هذه السياسة ستساعدنا أيضاً فى بذر الخلافات بين الهيئات ، وفى تفكيك كل القُوى المتجمعة ، وفى تثبيط كل تفوق فردى ربما يُعوِّق أغراضنا بأى أسلوب من الأساليب » ( البروتوكول الخامس : ص ١٤٦ - ١٤٧ ) .

● وللسيطرة على القناوات التى يجد فيها التفكير الإنسانى والتعبير عن الرأى ترجماناً له . تُنظِّم « الخطة » الصحافة ووسائل النشر على الوجه التالى :

« الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين . ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات .

وبهذه الوسيلة سنعطل التأثير السيء لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جداً على العقل الإنسانى . وإذا كنا نُرخِّص بنشر عشر صحف مستقلة فسنشرِّع حتى يكون لنا ثلاثون ، وهكذا دواليك .

ويجب ألا يرتاب الشعب أقل ريبة فى هذه الإجراءات . ولذلك فإن الصحف الدورية التى ننشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا ، فتُوحى بذلك الثقة إلى القراء ، وتعرض منظراً جذاباً لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا ، وسيقعون لذلك فى شركنا وسيكونون مجردين من القوة » .

« وفى الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية . وستكون دائماً يقظة للدفاع عن مصالحنا ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفاً نسبياً .

وفى الصف الثانى سنضع الصحافة شبه الرسمية ( Semi - Official ) التى سيكون واجبها استمالة المحايد وفاتر الهمة .

وفى الصف الثالث سنضع الصحافة التى تتضمن معارضتنا ، والتى ستظهر فى إحدى طبعاتها مخاصمة لنا ، وسيتخذ أعداؤنا الحقيقيون هذه المعارضة معتمداً لهم ، وسيتركون لنا أن نكشف أوراقهم بذلك » .

« ستكون لنا جرائد شتَّى تؤيد الطوائف المختلفة : من أرستقراطية وجمهورية وثورية ، بل فوضوية أيضاً - وسيكون ذلك طالما أن الدساتير قائمة بالضرورة . وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندى « فشنو Vishnu » لها مئات الأيدى ، وكل يد ستجس نبض الرأى العام المتقلب » .

« ومتى ازداد النبض سرعة فإن هذه الأيدى ستجذب هذا الرأى نحو مقصدنا ، لأن المريض المهتاج الأعصاب سهل الانقياد وسهل الوقوع تحت أى نوع من أنواع النفوذ ، وحين يمضى الثرثارون فى توهم أنهم يرددون رأى جريدتهم الحزبية

فإنهم فى الواقع يرددون رأينا الخاص أو الرأى الذى نريده ويظنون أنهم يتبعون جريدة حزبهم ، على حين أنهم - فى الواقع - يتبعون اللّواء الذى سنحركه فوق الحزب ، ولكى يستطيع جيشنا الصحافى أن يَنفّذ روح هذا البرنامج للظهور ، بتأييد الطوائف المختلفة ، يجب علينا أن ننظّم صحافتنا بعناية كبيرة » .

« وباسم الهيئة المركزية للصحافة ( Central Commission Of the press) سننظّم اجتماعات أدبية ، وسيعطى فيها وكلاؤنا - دون أن يُفطن اليهم - شارة للضمان ( Countersign ) وكلمات للسر (Passwords) ، وبمناقشة سياستنا ومناقضتها ، من ناحية سطحية دائماً بالضرورة ، ودون مساس فى الواقع بأجزائها المهمة » .

( البروتوكول الثانى عشر : ص ١٧٦ - ١٨٧ )

« وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب وتهدئته فى المسائل السياسية ، حينما يكون ضرورياً لنا أن نفعل ذلك - وسنكون قادرين على إقناعهم أو بلبلتهم بطبع أخبار صحيحة أو زائفة ، حقائق أو ما يناقضها ، حسبما يوافق غرضنا ، وإن الأخبار التى سننشرها ستعتمد على الأسلوب الذى يتقبل الشعب به ذلك النوع من الأخبار ، وسنحتاط دائماً احتياطاً عظيماً لجس الأرض قبل السير عليها » ( البروتوكول الثانى عشر : ص ١٧٩ ) .

● وتكشف « المؤامرة الماسونية » سر « النهج الماسونى » فى الصحافة الفرنسية - وقتئذ - والذى عُمِّم فيما بعد فى كثير من البلاد التى خضعت « للطاغوت الماسونى » وتهتك السِتر عن خبايا المهنة :

« يقوم الآن فى الصحافة الفرنسية نهج الفهم الماسونى لإعطاء شارات الضمان ، فكل أعضاء الصحافة مرتبطون بأسرار مهنية متبادَلة على أسلوب النبوءات القديمة ، ولا أحد من الأعضاء سيُفشى معرفته بالسر ، على حين أن مثل هذا السر غير مأمور بتعميمه ، ولن يكون لناشر بفرده الشجاعة على إفشاء السر الذى عُهِدَ به إليه ، والسبب هو أنه لا أحد منهم يؤذن له بالدخول فى عالَم

الأدب ما لم يكن يحمل سمات بعض الأعمال المخزية فى حياته الماضية . وليس عليه أن يُظهر إلا أدنى علامات العصيان حتى تُكشف فوراً سماته المخزية » .

( البروتوكول الثانى عشر : ص ١٨٠ )

● وعلى طريق التعامل المرحلى مع الدول القائمة قبل القضاء عليها ، توضّح الخطة أسلوب المفاوض اليهودى فى الاتفاقيات والعلاقات والارتباطات :

« ولكى نصل إلى هذه الغايات ، يجب علينا أن ننطوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات ، ولكننا فيما يُسمى « اللُغة الرسمية » سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك ، كى نظهر بمظهر الأمين المحتمل للمسئولية . وبهذا ستنظر دائماً إلينا حكومات الأمميين - التي علّمناها أن تقتصر فى النظر على جانب الأمر الظاهرى وحده - كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية » .

( البروتوكول السابع : ص ١٥١ ) .

« يجب أن نأمن كل الآلات التى قد يُوجهها أعداؤنا ضدنا . وسوف نلجأ إلى أعظم التعبيرات تعقيداً وإشكالاً فى معظم القانون - لكى نُخلّصْ أنفسنا إذا أكرهنا على إصدار أحكام قد تكون طائشة أو ظالمة . لأنه سيكون هاماً أن نُعبِّر عن هذه الأحكام بأسلوب مُحْكَم ، حتى تبدو للعامة أنها من أعلى نمط أخلاقى ، وأنها عادلة وطبيعية حقاً . ويجب أن تكون حكومتنا محوطة بكل قوى المدنية التى ستعمل من خلالها » ( البروتوكول الثامن ، ص ١٥٣ ) .

● وعلى طريق الوصول إلى « مملكة داوود » يجب غسل أدمغة الأمميين وصياغة عقولهم من جديد وفق مناهج تربوية تُفَرِّغ الجوييم من زادهم الأصيل وتُحوِّلهم إلى مجرد مادة طيعة لا تستعصى على الصب فى قالب البناء الماسونى المنظم فيصيروا مجرد أدوات أو « سقالة » يستخدمها أو يمر عليها « أولاد يعقوب » إلى أورشليم .

فإذا كان إله الكنيسة عدو اليهود اللّدود ، وكنيسته فى أوروبا تُذكِّر الأتباع

بن صلبوه ، فإن اليهود قد أحلُّوا مكانه آلهة أخرى ، دبَّروا هم سيطرتهم على العقول فأفتت الناس فى « قصة الخَلق » و « علم النفس » وقوانين الحركة والاجتماع . ومن خلال اليهود ونصارى الغرب انتشرت ذات المناهج فى كل بلاد العالم ... ومنها عالمنا الإسلامى المنكوب .

« عليكم أن تُوجهوا التفاتاً خاصاً فى استعمال مبادئنا إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التى أنتم بها مُحَاطون ، وفيها تعملون ، وعليكم ألا تتوقعوا النجاح خلالها فى استعمال مبادئنا بكلّ مشتملاتها حتى يُعاد تعليم الأمة بآرائنا ، ولكنكم إذا تصرفتم بسداد فى استعمال مبادئنا فستكتشفون أنه – قبل مضى عشر سنوات – سيتغير أشد الأخلاق تماسكاً ، وسنضيف كذلك أمة أخرى إلى مراتب تلك الأمم التى خضعت لنا من قبل » (البروتوكول التاسع : ص ١٥٥).

« لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح « دارون » و « ماركس » و « نيتشه » قد رتبناه من قبل .والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممى ( غير اليهودى ) سيكون واضحاً لنا على التأكيد ، ولكى نتجنب ارتكاب الأخطاء فى سياستنا وعملنا الإدارى ، يتحتم علينا أن ندرس ونعى في أذهاننا الخط الحالى من الرأى وهو أخلاق الأمة وميولها » .

( البروتوكول الثانى : ص ١٣٢ )

« وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الديانات الأممية ( غير اليهودية ) ولكن لن يحكم أحد أبداً على ديانتنا من وجهة نظرها الحقة ، إذ لن يُستطاع لأحد أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا الخاص الذى لن يخاطر بكشف أسرارها » .

« وقد نشرنا فى كل الدول الكبرى ذوات الزعامة « أدباً » مريضاً قذراً يغثى النفوس . وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب . كى يُشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التى سنصدرها من موقفنا المحمود ، وسيقوم علماؤنا الذين ربُّوا لغرض قيادة الأمميين بإلقاء خطب

ورسم خطط وتسويد مذكرات ، متوسلين بذلك الى أن تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة وتلك الأفكار التى تلائمنا » .

( البروتوكول الرابع عشر : ص ١٨٦ )

« وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين ( Clergy ) من الأمميين ( غير اليهود ) فى أعين الناس ، وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كئوداً فى طريقنا . وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً .

اليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان ، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدءاً إنهياراً تاماً ، وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى . على أن مناقشة هذه النقطة أمر سابق جداً لأوانه » .

( البروتوكول السابع عشر : ص ٢٠٤ - ٢٠٥ )

« إن الناس محكومين بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم ، وسيعيشون فى هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين ، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض . وهذا هو السبب الذى يُحتم علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية » ( البروتوكول الرابع : ص ١٤١ ) .

« ولقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علّمناه من مبادىء ونظريات معروف لدينا زيفها التام ، ولكننا نحن أنفسنا الملقّنون لها . ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلى للقوانين السارية من قبل ، بل بتحريفها فى بساطة وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها » .

( البروتوكول التاسع : ص ١٥٩ )

« ولهذا السبب سنحاول أن نُوَجّه العقل العام نحو كل نوع من أنواع النظريات المبهرجة ( Fantastic ) التى يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية . لقد

نجحنا نجاحاً كاملاً بنظرياتنا عن التقدم فى تحويل رؤوس الأُمميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية . ولا يُوجد عقل واحد بين الأُمميين يستطيع أن يُلاحظ أنه فى كل حالة وراء كلمة « التقدم » يختفى ضلال وزيغ عن الحق . ما عدا الحالات التى تُشير فيها هذه الكلمة إلى « كشوف مادية أو علمية » .

( البروتوكول الثالث عشر : ص ١٨٣ )

● ونتيجة لهذا الغَرس الزنيم فى الذهنية الأممية ... وحصاداً لهذا الڤيروس الغريب من خلال المناهج التربوية والنظريات الفاسدة يجنى شيوخ صهيون هذه الثمرة :

« حينما نُمكّن لأنفسنا فنكون سادة الأرض - لن نُبيح قيام أى دين غير ديننا ، أى الدين المعترف بوحدانية الله الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالَم .

ولهذا السبب يجب علينا أن نُحطّم كل عقائد الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمار ملحدين فلن يدخل هذا فى موضوعنا . ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التى ستُصغى إلى تعاليمنا على دين « موسى » الذى - وكّل إلينا بعقيدته الصارمة - واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا » .

( البروتوكول الرابع عشر : ص ١٨٤ - ١٨٥ )

وهذه العقيدة الصارمة التى وكّلت إلى « بنى صهيون » إخضاع كل الأمم تحت أقدامهم أذلاء وأسرى وقتلى ، يتحدث عنها المزمور المائة والتاسع والأربعون من مزامير داوود :

« هللّويا . غنُّوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحة فى جماعة الأتقياء . ليفرح « إسرائيل » بخالقه . ليبتهج « بنو صهيون » بملكهم . ليُسبِّحوا اسمه برقص . بدف وعود ليُرنِّموا له . لأن الرب راض عن شعبه . يُجَمِّل الودعاء بالخلاص . ليبتهج الأتقياء بمجد ، ليُرنِّموا على مضاجعهم . تنويهات الله فى أفواههم ،

وسيف ذو حدين فى يدهم . ليصنعوا نقمة فى الأمم وتأديبات فى الشعوب . لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد . ليجروا بهم الحكم المكتوب . كرامة هذا لجميع أتقيائه . هللويا » ( مزامير ١٤٩ : ١ - ٩ ) .

*　*　*

● أما المال - عصب الحياة كما يسمونه - فلا بد من السيطرة عليه ، وتوجيهه وتنظيمه ، رصيداً ونقداً وديوناً ومصاريف ... وتؤمّن الخطة طريق حركته بين « الجوييم » - غير اليهود - حتى يظلوا أبداً « تحت السرج » .

وهذه هى « المؤامرة » تتكلم عن قوة الاقتصاد :

« وعلم الاقتصاد السياسى الذى محّصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج .

ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون لرأس المال مجال حر ، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلاً يد خفية فى جميع أنحاء العالم . ومثل هذه الحرية ستمنح التجارة قوة سياسية ، وهؤلاء التُجّار سيظلمون الجماهير بانتهاز الفرص » ( البروتوكول الخامس : ص ١٤٥ ) .

● ومن اليهود تتم الاستدانة فتقع الدول فى قبضتهم :

« وسواء أنهكت الدول الهزاهز الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجى ، فإنها فى كلتا الحالتين تُعَد قد خربت نهائياً كل الخراب وستقع فى قبضتنا ، وإن الاستبداد المالى - والمال كله فى أيدينا - سيمد إلى الدولة عوداً لا مفر لها من التعلق به ، لأنها - إذا لم تفعل ذلك - ستغرق فى اللُّجة لا محالة » .

● ولا بد من السيطرة على الصناعة والتجارة والمضاربة ... وتوجيه المضاربة تؤدي إلى تخريب الأرض الزراعية ... وتخريب الصناعة كذلك :

« وفى الوقت نفسه يجب أن نفرض كل سيطرة ممكنة على الصناعة والتجارة ، وعلى المضاربة بخاصة ، فإن الدور الرئيسى لها أن تعمل كمعادل للصناعة .

وبدون المضاربة ستزيد الصناعة رؤوس الأموال الخاصة ، وستتجه إلى إنهاض الزراعة بتحرير الأرض من الديون والرهون العقارية التى تقدمها البنوك العقارية . وضرورى أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا .

وبهذه الوسيلة سوف يُقذف بجميع الأمميين إلى مراتب العمال . وعندئذ يخر الأمميون أمامنا ساجدين ليظفروا بحق البقاء .

ولكى نُخرِّب صناعة الأمميين ونساعد المضاربات ، سنشجع حب الترف المطلق الذى نشرناه من قبل ... كما أننا فى الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك . كما سننسف بمهارة أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال » .

( البروتوكول السادس : ص ١٤٩ - ١٥٠ )

● وعن القروض التى تلجأ إليها الدول تتحدث « المؤامرة » :

« إن القروض الخارجية مثل العَلق الذى لا يمكن فصله من جسم الحكومة حتى يقع من تلقاء نفسه . أو حتى تتدبر الحكومة كى تطرحه عنها . ولكن حكومات الأمميين لا ترغب فى أن تطرح عنها هذا العَلق بل هى عكس ذلك . فإنها تزيد عدده ، وبعد ذلك كُتب على دولتهم أن تموت قصاصاً من نفسها بفقد الدم ... القرض هو إصدار أوراق حكومية توجب التزام دفع فائدة تبلغ نسبة مئوية من المبلغ الكلى للمال المُقتَرض . فإذا كان القرض بفائدة قدرها خمسة من مائة ، ففى عشرين سنة ستكون الحكومة قد دفعت بلا ضرورة مبلغاً يعادل القرض لكى تُغطى النسبة المئوية ، وفى أربعين سنة ستكون قد دفعت ضعفين ، وفى ستين سنة ثلاثة أضعاف المقدار ، ولكن القرض سيبقى ثابتاً كأنه دَين لم يُسدَّد .

والحكام الأمميون – من جرَّاء إهمالهم أو بسبب فساد وزرائهم أو جهلهم – قد جرُّوا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا ، حتى إنهم لا يستطيعون تأدية هذه الديون .

ويكفى للتدليل على فراغ عقول الأمميين المطلقة البهيمية ، أنهم حينما اقترضوا المال منا بفائدة خابوا فى إدراك أن كل مبلغ مقترض هكذا ، مضافاً اليه فائدة ، لا مفر من أن يخرج من موارد البلاد » .

( البروتوكول العشرون : ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ) .

● ومن أجل ذلك الهدف يقول « حكماء صهيون » :

« إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين ، وهذا هو السبب فى أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسى الذى يعلمه اليهود ، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات وأصحاب الملايين ، وأمرهم لا يزال أعظم قدراً – إذ الواقع أن كل شىء سوف يقرره المال . وما دام ملء المناصب الحكومية بإخواننا اليهود فى أثناء ذلك غير مأمون بعد ، فسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم ، كى تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم » ( البروتوكول الثامن : ص ١٥٤ ) .

وستكون نتيجة هذه السيطرة إشاعة الانحلال وتأصيل الحقد الطبقى :

« إن خيرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر فى أيدى الأمميين ، بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائننا . إن الصراع من أجل التفوق . والمضاربة فى عالم الأعمال ستخلقان مجتمعاً أنانياً غليظ القلب منحل الأخلاق . هذا المجتمع سيصير منحلاً كل الانحلال ، ومبغضاً أيضاً من الدين والسياسة . وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد . وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب متخذاً اللّذات المادية التى يستطيع أن يمده بها الذهب مذهباً أصيلاً . وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأمميين دون احتجاج

بدافع نبيل ، ولا رغبة فى الثورات أيضاً ، بل تنفيساً عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا » ( البروتوكول الرابع : ص ١٤٢ ) .

● أما ضبط « صهاريج الثروة » الضخمة « بتنظيم الاحتكارات » العظيمة فله دور رئيسى فى الخطة وهو « ضرب الثقة » بالحكومات الأممية عندما « يسحب » اليهود أموالهم فى « اللحظة الأخيرة » ... يوم يقررون وقوع الأزمة السياسية :

« سنبدأ سريعاً بتنظيم احتكارات عظيمة – هى صهاريج للثروة الضخمة – لتستغرق خلالها دائماً الثروات الواسعة للأمميين إلى حد أنها ستهبط جميعها وتهبط معها الثقة بحكومتها يوم تقع الأزمة السياسية ، وعلى الاقتصاديين الحاضرين بينكم اليوم هنا أن يُقدِّروا أهمية هذه الخطة » .

( البروتوكول السادس : ص ١٤٨ )

* * *

● وتُؤمِّن « المؤامرة الماسونية » الكبرى السيطرة على « عمال العالم » من خلال « الأيديولوجية الماركسية » و « التنظيم » المنبثق عنها و « طاقة الحقد » التى ربطت بين « واقع الحال » و « النظرية » . وقد رتَّب « شيوخ صهيون » غايات « اللَّوالب » وضبطوها وفق مراحل زمنية على طول خط المسافة المؤدى إلى قيام « مملكة داوود » .

« إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحرِّرين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية . وهذا ما تُبشِّر به الماسونية الاجتماعية .

ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء والتى يؤججها الضيق والفقر . وهذه المشاعر هى وسائلنا التى نكتسح بها بعيداً كل مَنْ يصدوننا عن سبيلنا .

وحين يأتى أوان تتويج حاكمنا العالمى سنتمسك بهذه الوسائل نفسها ؛ أى نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شىء قد يثبت أنه عقبة فى طريقنا » .

( البروتوكول الثالث : ص ١٣٦ ، ١٣٧ )

« ... وفى ظل الأحوال الحاضرة للجمهور والمنهج الذى سمحنا له باتباعه يؤمن الجمهور فى جهله إيماناً أعمى بالكلمات المطبوعة وبالأوهام الخاطئة التى أوحينا بها إليه كما يجب ، وهو يحمل البغضاء لكل الطبقات التى يظن أنها أعلى منه . وأن هذه البغضاء ستصير أشد مضاءً حيث تكون الأزمات الاقتصادية مستحكمة لأنها ستُوقف الأسواق والإنتاج . وستخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التى فى قبضتنا . وبمساعدة الذهب الذى هو كله فى أيدينا . وسنقذف دفعة واحدة إلى الشوارع بجموع جرّارة من العمال فى أوروبا . ولسوف تقذف هذه الكتل عندئذ بأنفسها إلينا فى ابتهاج ، وتسفك دماء أولئك الذين تحسدهم لغفلتها منذ الطفولة ، وستكون قادرة يومئذ على انتهاب ما لهم من أملاك . إنها لن تستطيع أن تضرنا ، لأن لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا ، وسنتخذ الاحتياطات لحماية مصالحنا » .

( البروتوكول الثالث : ص ١٣٧ ، ١٣٨ )

● وغسل « الدماغ » من العقيدة الدينية ، وتحريكه فى إطار نظريات وفروض زائفة ، تمهيداً لملئه بالفكرة الإسرائيلية « وخلاصها » المُرتجَى ...... يتطلب ابتداءً طمس ذاكرة الأمميين لكل قيم الحق والخير والماضى الغالى فى تاريخهم القديم ... أى المرحلة التى سبقت خضوعهم للنظام التربوي الماسونى :

« وسنتقدم بدراسة مشكلات المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات ، وبدراسة التاريخ القديم الذى يشتمل على مُثُل سيئة أكثر من اشتماله على مُثُل حسنة ، « وسنطمس » فى ذاكرة الإنسان العصور الماضية التى قد تكون شؤماً علينا ، ولا نترك إلا الحقائق التى ستُظهر أخطاء الحكومات فى ألوان قاتمة فاضحة ... وسيعطى الأساتذة دروساً فى النظريات الفلسفية الجديدة التى لم تُنشر بعد على

العالم متخذين منها مستنداً على صدق إيماننا وديانتنا ... ولقد وضعنا من قبل نظام إخضاع عقول الناس بما يُسمى « نظام التربية البرهانية » الذى فُرِضَ فيه أن يجعل الأُميين غير قادرين على التفكير باستقلال » .

( البروتوكول السادس عشر : ص ٢٠٢ - ٢٠٣ )

● ولإبعاد الناس عن التفكير الجاد فى المسائل السياسية وغلق أبصارهم وإلهائهم عن جادة الصواب كان لا بد من إيجاد بدائل ينغمس فيها الأصفار تاركين « للطاغوت الماسونى » ووكلائه التى تحكم دنيا الناس « رسم » خطوط « لعبة الأمم » وتحريك « الدُمى » :

« ولكى نبعدها عن أن تكتشف بأنفسها أى خط عمل جديد سُنلهيها أيضاً بأنواع شتّى من الملاهي والألعاب ومُزجيات الفراغ والمجامع العامة وهَلُمَ جراً .

وسرعان ما سنبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتّى في كل أنواع المشروعات : كالفن والرياضة وما إليهما . هذه المُتع الجديدة ستُلهى ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيقف جميعاً معنا لسبب واحد : هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة » ( البروتوكول الثالث عشر : ص ١٨٣ ) .

● وبعد كل هذه العناصر الرئيسية في « الخطة » التي ربطت « الخنازير » أو « البهائم العاملة » أو « الأدوات والسقالة » من « الماسون الأُميين » غير اليهود - « بشيوخ صهيون » من « ماسوني الدرجة الثالثة والثلاثين » ترسم المؤامرة الماسونية طريق « الدُمى » أو « الوكلاء » وتضع خارطة لتحركاتهم في داخل « أوطانهم » التي وضعها « حكماء صهيون » « تحت السرج » وقد أمّنت المؤامرة غايات « اللُولب » .

« اللُولب » الإسرائيلي بالطبع ... وفق تطورات المسألة اليهودية : من « آلام المخاض » ثم « ميلاد الدولة النواة » ثم « نمو الوليد المدلّل » ثم « نضجه بأسنان حادة وذراع طويلة وقدرته على الإحاطة والابتلاع » وإلى « تفرغه »

لإعداد ترتيبات قيام « مملكة إسرائيل الكبرى » التي يجلس في « قدس أقداسها » المسيح المنتظر « ملك إسرائيل » الخارج من « بذرة داوود » !!

● تتحدث « الخطة » عن تغيير « الوكلاء » من خلال استخدام الحرية أو «التحرر » بمعنى « الفوضى » :

« إن الحرية السياسية ليست حقيقة . بل فكرة ، ويجب أن يعرف الإنسان كيف يُسخِّر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية فيتخذها طُعماً لجذب العامة إلى صفه إذا كان قد قرَّر أن « ينتزع » سلطة « منافس له » .

وما على الحكومة الجديدة إلا أن تحل محل القديمة التي أضعفتها التحررية ، لأن قوة الجمهور « العمياء » لا تستطيع البقاء يوماً واحداً بلا قائد .

وعندما يصل الحاكم الجديد إلى سُدة الحكم ، فإنه سيجد المبرر للقضاء على هذه الحرية التي أتت به أصلاً إلى مقعده المصنوع مهما كان ذلك منافياً للأخلاق ...

لماذا لا يكون منافياً للأخلاق لدى دولة يتهددها عَدُوان : أحدهما خارجي والآخر داخلي – أن تستخدم وسائل دفاعية ضد الأول تختلف عن وسائلها الدفاعية ضد الآخر . وأن تضع خطط دفاع سرية ، وأن تهاجمه في اللَّيل أو بقوات أعظم ؟

ولماذا يكون منافياً للأخلاق لدى هذه الدولة أن تستخدم الوسائل ضد مَنْ يُحطِّم أسس حياتها وأسس سعادتها ؟

... إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء . والحاكم المُقيَّد بالأخلاق ليس بسياسي بارع . وهو لذلك غير راسخ على عرشه . لا بد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء ، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تصير رذائل في السياسة ، وأنها لتبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألدُّ الخصوم .

هذه الصفات لا بد أن تكون هي خصال البلاد الأممية ( غير اليهودية ) ولكننا غير مضطرين إلى أن نقتدى بهم على الدوام » .

( البروتوكول الأول : ص ١٢١ - ١٢٣ )

● وترسم الخطة كيف يتخذ الوكيل - الحاكم الجديد - لنفسه خطاً جديداً في الهجوم ، عندما تصير شخصيته بتراء عقيمة :

« فإني أتخذ لنفسي فيها خطاً جديداً للهجوم ، مستفيداً بحق القوة لتحطيم كيان القواعد والنُظم القائمة ، والإمساك بالقوانين ، وإعادة تنظيم الهيئات جميعاً . وبذلك أصير ديكتاتوراً على أولئك الذين تخلُّوا بمحض رغبتهم عن قوتهم وأنعموا بها علينا » ( البروتوكول الأول : ص ١٢٣ ) .

وتكون نتيجة هذه الديكتاتورية والتنفيذ الأعمى للخطة الماسونية :

« إذا قاد الأعمى أعمى مثله فسيسقطان معاً في الهاوية . وأفراد الجمهور الذين امتازوا من بين الهيئات - ولو كانوا عباقرة - لا يستطيعون أن يقودوا هيئاتهم كزعماء دون أن يُحطّموا الأمة » ( البروتوكول الأول : ص ١٢٤ ) .

ولا بد من المحافظة على الأنظمة الأممية الموضوعة تحت السرج لتؤدي دورها في تمهيد « الطريق » ... « تأمينه وحراسته » ... الطريق إلى « مملكة داود » :

« ولكي لا تتحطم أنظمة الأمميين قبل الأوان الواجب ، أمددناهم بيدنا الخبيرة ، وأمَّنا غايات اللَّوالب في تركيبهم الآلي . وقد كانت هذه اللَّوالب ذات نظام عنيف ، لكنه مضبوط ، فاستبدلنا بها ترتيبات تحررية بلا نظام . إن لنا يداً في حق الحكم وحق الانتخاب وسياسة الصحافة وتعزيز حرية الأفراد ، وفيما لا يزال أعظم خطراً وهو التعليم الذي يُكوِّن الدعامة الكبرى للحياة الحرة » .

( البروتوكول التاسع : ص ١٥٩ )

● وبذلك تظل « العلاقة الزنيمة » قائمة بين « صهيون المستقبل » و « نعال التبعية » في « أقدام اليهود » ، وتبقى « قبضة قادة الماسون » ضاغطة على « رقاب العميان » في « سجن مؤبد » ، من خلال « أنظمة » هؤلاء « الوكلاء » :

« ولكى لا تتحرر أيدي العميان من قبضتنا فيما بعد - يجب أن نظل متصلين بالطوائف اتصالاً مستمراً ، وهو إن لا يكن إتصالاً شخصياً ، فهو على أى حال إتصال من خلال أشد إخواننا إخلاصاً » ( البروتوكول التاسع : ص ١٥٨ ) .

● ومن خلال هؤلاء « الوكلاء » المخلصين - إخوان اليهود - يمسك مصممو « المؤامرة الصهيونية » كل الخيوط في أيديهم ، ويُسَخِّرون كل أمم الأرض لبناء « الصَرح الجديد » « إسرائيل الكبرى » ... ومن « هيكلها الأقدس » يحكم « مسيحها » « سيد الأرض » النائب عن « رب الجنود » كل شعوب الدنيا :

« إننا نعتمد على اجتذاب كل الأمم للعمل على « تشييد الصَرح الجديد » الذي وضعنا نحن تصميمه . ولهذا السبب كان من الضروري لنا أن نحصل على خدمات « الوكلاء » المغامرين الشجعان « الذين سيكون في استطاعتهم أن يتغلبوا على كل العقبات في طريق تقدمنا » .

( البروتوكول العاشر : ص ١٦١ ، ١٦٢ )

● ولأن الناس - كما يقول حكماء صهيون - « مُستعبَدون في عَرق جباههم للفقر بأسلوب أفظع من قوانين رق الأرض » ، فإن الجماهير الغفيرة ستخضع لهؤلاء « الوكلاء » - القادة - لأن هؤلاء « العملاء » القادة - بأنظمتهم «الشمولية الديكتاتورية » يؤكدون لشعوبهم المطحونة ، من خلال الإعلام والسجن والذبح والفصل ، أنهم « مصدر » رزقهم الوحيد . وعلى « رأس النظام » لا بد أن يكون هناك « وكيل أعلى » « رأس واحد » ، في « رأسه » وحده «مرحلة الخطة » المدَّرب عليها في « زمنها الموقوت » والتي لا ينبغي لأحد أن يعرفها غيره ... أما الهيئات الشكلية « ديكور النظام » . فإن « التركيب الآلي » الذي يربط بينها جميعاً معروف « لشيوخ صهيون » ولها وظيفة محددة : هى إعطاء « شرعية قرار المرحلة » .

● ومن خلال « الرأس » أو « الدُّمية » يُنَفِّذ « قادة الماسون » خططهم بجسارة حيث قد أصبح « الوكيل الدُّمية » مسئولاً عن « إقليمية التنفيذ » :

« وسيخضع « الرعاع » لهذا « النظام » لأنهم سيعرفون أن هؤلاء « القادة» مصدر « أجورهم وأرباحهم وكل منافعهم الأخرى » . إن « نظام الحكومة » يجب أن يكون من عمل « رأس واحد » لأنه سيكون من المحال تكتيله إذا كان عملاً مشتركاً بين عدة عقول متعددة . وهذا هو السبب في أنه لا يُسمح لنا إلا بمعرفة خطة العمل . بل يجب ألا نناقشها بأى وسيلة حتى لا نُفسد تأثيرها ولا نُعطِّل وظائف أجزائها المنفصلة » .

« ... في كل البلاد تقوم هذه « الهيئات » ذاتها ولكنها تحت أسماء مختلفة « فمجالس نواب الشعب » و « الوزارات » و « الشيوخ » و « مجالس العرش » من كل نوع و « مجالس الهيئات التشريعية » و « الإدارية » .

ولا حاجة بي إلى أن أوضح لكم « التركيب الآلي » الذي « يربط » بين هذه الهيئات المختلفة ، فهو « معروف لكم من قبل معرفة حسنة » .

ولتلاحظوا فحسب أن كل هيئة من الهيئات السالفة الذكر « توافق وظيفة مهمة في الحكومة » . إني أستعمل كلمة « مهمة » لا إشارة إلى الهيئات بل إشارة إلى « وظائفها » ( البروتوكول العاشر : ص ١٦٣ ، ١٦٤ ) .

« ...... ويومئذ لن نكون حائرين في أن نُنَفِّذ بجسارة خططنا التي سيكون « دميتنا » مسئولاً عنها . ماذا يعنيا إذا صارت رُتب طلأب المناصب ضعيفة . وهبَّت القلاقل من إستحالة وجود « رئيس » حقيقة ؟ أليست هذه القلاقل هى التي ستُطيح نهائياً بالبلاد ... » ؟ ( البروتوكول العاشر : ص ١٦٤ ، ١٦٥ ) .

● وهؤلاء « الدُّمى » من « ملوك » و « رؤساء » جذبهم « حكماء صهيون » إلى الثراء الحرام والمُتع والملّذات ، لكى يصرفونهم عن مجرد واجباتهم اليومية في حكوماتهم ، ليصبحوا - فحسب - « ستاراً » « تُخفَي » وراءه « المؤامرة الماسونية » بمكائدها ودسائسها :

« إن ملوك الأمميين الذين ساعدناهم ، كى نُغريهم بالتخلي عن واجباتهم في الحكومة بوسائل الوكالات والولائم والأبهة والملاهي الأخرى - هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا حجباً لإخفاء مكايدنا ودسائسنا » .

( البروتوكول العشرون : ص ٢٢٤ )

● ومع كل هذه « السيطرة » على « رأس الحكم » أو « أجهزة الحكم » و « هيئاته » التشريعية والإدارية ... « والهيمنة » على كثير من الطوائف و « العمال » و « الأحزاب » و « الصحافة » و « نظم التربية والثقافة » ... فإن « الخطة الماسونية » تحسب حساب كل شيء ، فخطتها « دقيقة المنافذ » ... أضيق من « سَم الخياط » ومن ثَمَّ لا تسمح « بقيد شعرة » قد « تنفذ » منها على وجه الخطأ أو الصدفة أو سوء الحساب .

● من ذلك فهى « تحول » بين التقاء « قوة الحكم » التي تسيطر عليها وبين من تسميهم « قوة الرعاع » التي تزعم أنها ضمن نفوذها ... لذا يجب أن تظل « القوتان » في « صراع دائم » فلربما أدى « الوصال » إلى التمرد على «قيد» صهيون :

« إننا نخشى تحالف « القوة الحاكمة » في الأمميين ( غير اليهود ) مع «قوة الرعاع العمياء » غير أننا قد اتخذنا كل الاحتياطات لنمنع احتمال وقوع هذا الحادث . فقد أقمنا بين القوّتين « سداً » قوامه « الرعب » الذي تحسه القوتان : كل من الأخرى » ( البروتوكول التاسع : ص ١٥٨ ) .

● وتؤمِّن الخطة طريقة التعامل مع القوى الخارجة عن « الدائرة الجهنمية » الرافضة للكيان الصهيوني الغريب ... « المؤمنة بحق أوطانها في النجاة من « المؤامرة الماسونية » ... المعتقدة بخرافة « التصور اليهودي » أمناً وعلما وحياة .. الحافظة لأمتها أن تقع في مصيدة « الخلاص الإسرائيلي المرتجى » .

ومن ثَمَّ ترسم للوكلاء أسلوب الخلاص من هؤلاء المتآمرين :

« وإذ أنّ المتآمرين مدفوعين بحبهم هذا الفن : فن التآمر ، وحبهم الثرثرة - فلن نمسهم حتى نراهم على أهبة المضى في العمل . وسنقتصر على أن نُقَدِّم من بينهم - من أجل الكلام - عنصراً إخبارياً » .

( البروتوكول الثامن عشر : ص ٢٠٩ )

« ولكى ننزع عن المجرم السياسي تاج شجاعته سنضعه في مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوى مع اللصوص والقتلة والأنواع الأخرى من الأشرار المنبوذين المكروهين .

وعندئذ سينظر الرأى العام عقلياً إلى الجرائم السياسية في الضوء ذاته الذي ينظر فيه إلى الجرائم العادية ، وسيصمها بوصمة العار والخزي التي يصم بها الجرائم العادية بلا تفريق » ( البروتوكول التاسع عشر : ص ٢١٣ ) .

● **ملحوظة** : وهذا هو الدرس « التلمودي » الذي تطبقه « الأنظمة » في جميع أقطار عالَمنا الإسلامي بحذافيره ، ودون أى تعديل ولو طفيف . إذ ينبغي أن تكون هناك « ذبيحة » أو « اتفاقاً جنائياً » للقيام « بقتل » هذه الذبيحة في كل قضية إسلامية حتى يبدو المتهمون قتلة ولصوصاً وأشراراً موصومين بالإجرام ..

* * *

وبعد أن تؤدي « المؤامرة الماسونية » عملها على مختلف الجبهات وفي جميع المجالات ، يصل اليهود إلى نقطة بالغة الأهمية - وهي أن تصبح « صهيون » هي « العين » الوحيدة التي يرى من خلالها الأُميون أو « البهائم العاملة » - كما يسميها « التلموديون » - صورة العالَم « ومن ثَمَّ يتمكن اليهود من إدارة « المجتمع الأُمى » :

« إذا كنا توصلنا في الأحوال الحاضرة إلى الظفر بإدارة المجتمع الأُمى إلى حد أنه « يرى » أمور العالَم « خلال المناظير » الملوَّنة التي « وضعناها » فوق

« أعينه » ، وإذا لم يقم حتى الآن عائق يعوق وصولنا إلى أسرار الدولة كما تُسمى لغباء الأمميين ، إذن - فماذا سيكون موقفنا حين نُعرف رسمياً كحُكّام للعالَم في شخص إمبراطورنا الحاكم العالمي » ؟

( البروتوكول الثاني عشر : ص ١٧٥ )

● وتأتي - بعد ذلك - المرحلة النهائية ، مرحلة « حصاد الهشيم الأممى » ، مرحلة جنى « رجس الخراب » الذي فجّرته « الألغام الماسونية » التي زرعتها « المؤامرة الصهيونية » في الشعوب الأممية ... في الأرض والضمير ، في المشاعر والعقول ... في الأنظمة والهيئات والأحزاب ... في الكتاب والصحيفة والاقتصاد ... في العلاقات والارتباطات والانقلابات ... إلخ .

وتأتي هذه المرحلة النهائية بعد أن تكون الأمم قد تبرّمت ( هكذا ) من حكوماتها العقيمة التي قادتها من خيبة إلى خيبة ... ويتحطم كل شيء ، وتعم الفوضى في كل مكان ، الفوضى التي ستصرفها « منظمة سرية » تعمل «خلف بعض وكلائنا » .

● وتصور « المؤامرة الماسونية » هذه المرحلة التي « تصرخ فيها الأمم » (طلباً لأجل الملك الطاغية من دم صهيون ) : يتم تسليح القوى المتضاربة ، المتصارعة من أجل السلطة ، في وقت واحد وتوجيهها من وراء ستار - كبهائم عاملة - إلى ميادين الحرب الأهلية :

« وضعنا القوى : كل واحدة منها ضد غيرها بأن شجعنا ميولهم التحررية نحو الاستقلال . وقد شجعنا كل مشروع في هذا الاتجاه ، ووضعنا أسلحة في أيدي كل الأحزاب . وجعلنا السُلطة هدف كل طموح إلى الرفعة . وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات ، وسرعان ما ستنطلق الفوضى ، وسيظهر الإفلاس في كل مكان » .

« وينشأ عن هذه الحالة العقلية أن الرعاع يُحطّمون كل تماسك ، ويخلقون الفوضى في كل ثنية وكل ركن » ( البروتوكول الثالث : ص ١٣٤ - ١٤٠ ) .

● وفي الطريق إلى مرحلة ضم الأمم واصطياد الشعوبَ لا بد من العنف المُغلّف بالرشوة والخديعة والخيانة :

« يجب أن يكون شعارنا « كل وسائل العنف والخديعة » .

إن القوة المحضة هى المنتصرة في السياسة ، وبخاصة إذا كانت مُقنّعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة ، يجب أن يكون العنف هو الأساس . ويتحتم أن يكون ماكراً خدّاعاً حكم تلك الحكومات التي تأبى أن تُداس تيجانها تحت أقدام « وكلاء » ( Agents ) قوة جديدة . إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير . ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في إعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غايتنا » .

( البروتوكول الأول : ص ١٢٦ ، ١٢٧ )

● أما الأرض - قاعدة التوسع - فلا بد من مصادرتها بتنفيذ أحكام الإعدام في أصحابها واتباع أسلوب العنف الحقود والصرامة تجاه كل تمرد قد يُبديه ملاّك الأراضي المصادَرة :

« وفي السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يُمكّننا من السيادة والقوة . إن دولتنا - متبعة طريق الفتوح السلمية - لها الحق في أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام ، وهي أقل ظهوراً وأكثر تأثيراً ، وإنها لضرورة لتعزيز الفزع الذي يُوَلِّد الطاعة العمياء . إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسي في قوة الدولة . فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب . بل من أجل الواجب والنصر أيضاً.

إن مبادئنا في مثل قوة وسائلنا التي نُعدها لتنفيذها ، وسوف ننتصر ونستعبد

الحكومات جميعاً تحت حكومتنا العليا لا بهذه الوسائل فحسب ، بل بصرامة عقائدنا أيضاً ، وحسبنا أن يُعرف عنا أننا صارمون في كبح كل تمرد » .

( البروتوكول الأول : ص ١٢٧ )

ويوم تقوم حكومة صهيون المركزية العالمية لحكم الدنيا وتصادر حرية الأُمميين ستبلغ حداً من القوة تستطيع بها أن تسحق أى تمرد في أى زمان وفي أى مكان ..... وسيكون قتالاً لم يسمع به أحد لو تصادف أن قاد « عبقري أُممى» - غير يهودي - شعبه للتمرد على « صهيون » :

« إننا سننظِّم حكومة مركزية قوية ، لكى نحصل على القوى الاجتماعية لأنفسنا ، وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة كما لو كانوا أجزاء كثيرة جداً في جهاز . ومثل هذه القوانين ستكبح كل حرية ، وكل نزعات تحررية يسمح بها الأُمميون ( غير اليهود ) وبذلك يعظم سلطاننا فيصير استبداداً يبلغ من القوة أن يستطيع في أى زمان وأى مكان سحق الساخطين المتمردين من غير اليهود .

..... إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مُختارون من الله لنحكم الأرض ، وقد منحنا الله العبقرية كى نكون قادرين على القيام بهذا العمل . إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا ، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤاً لأيد عريقة كأيدينا .

إن القتال بيننا سيكون ذا طبيعة متهوِّرة لم ير العالم لها مثيلاً من قبل . والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم » .

( البروتوكول الخامس : ص ١٤٣ - ١٤٥ )

● أما الأراضي المجاورة ( الدول العربية ) للدولة اليهودية « النواة » فلا ينبغي لها أن تقف في طريق قيام « مملكة صهيون الكبرى » ، وهى الأراضي التي حدَّدها سفر التثنية ( ٢ : ١٠ - ١٧ ) ، وإلا كانت الحرب « العالمية » التي يعتقد اليهود من قادة الماسون أنهم قادرون على إشعالها :

« ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على جانب ما يجاورنا من بلاد تلك الدول التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا ، ولكن إذا غدر هؤلاء الجيران فقرروا الاتحاد ضدنا - فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية » ( البروتوكول السابع : ص ١٥٢ ) .

● وتتحدث المؤامرة الماسونية عن إنجاز « الانقلاب الماسوني » الصهيوني بعد أن تفشل الفكرة القومية التي زرعها اليهود في فكر الأمم وأنظمتهم وحدودهم ونتج عنها الحرب والخلاف والخراب ... وبعد أن تفشّت العداوة والبغضاء والجوع والديون يوم يلجأون إلى « الخلاص الصهيوني » المُرتَجى ، طلباً « للسلام » ..... يومها سيقتنص اليهود الفرصة وقت أن تتقطع أنفاس الشعوب ، ولا يعطيها « بنو إسرائيل » فرصة إلتقاط الأنفاس .... يوم يشتد صراخ « الأُمميين » في أوطانهم ... عندما تبلغ الفتن الداخلية ذروتها وتلد القتل والفقر والجوع والمرض ... وتنسد كل المسالك والدروب :

« وحينما ننجز « انقلابنا السياسي » ( Coup d'état ) سنقول للناس : لقد كان كل شيء يجرى في غاية السوء ، وكلكم قد تألمتم ، ونحن الآن نمحق سبب آلامكم ، وهو ما يُقال له : القوميات ، والعملات القومية ، وأنتم بالتأكيد أحرار في إتهامنا ، ولكن هل يمكن أن يكون حكمكم نزيهاً إذا نطقتم به قبل أن تكون لكم خبرة بما نستطيع أن نفعله من أجل خيركم » ؟

« .... وذلك حين يحين الوقت لتغيير كل الحكومات القائمة ، من أجل أُوتقراطيتنا ، أن نعرف ملكنا الأوتقراطي يمكننا أن نتحقق منه قبل إلغاء الدساتير ، أعني بالضبط ، أن تعرف حكمنا سيبدأ في اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم - وهذا ما سيكون مدبراً على أيدينا - فيصرخون هاتفين : اخلعوهم ، وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يُوحدنا ، ويمحق كل أسباب الخلاف ، وهى الحدود والقوميات

والأديان والديون الدولية ونحوها ... حاكماً يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللّذين لا يمكن أن يُوجدا في ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا » .

« ولكنكم تعلمون علما دقيقاً وافياً أنه لكى يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجـاء ، لا بد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات ، فتستمر العداوات ، والحروب ، والكراهية ، والموت استشهاداً أيضاً ، هذا مع الجوع والفقر ، ومع تفشّي الأمراض ، وكل ذلك سيمتد إلى حد أن لا يرى الأُمميون ( غير اليهود ) أى مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة .

ولكننا إذا أعطينا الأمة وقتاً تأخذ فيه نَفَسها فإن رجوع مثل هذه الفرصة سيكون من العسير » ( البروتوكول العاشر : ص ١٦٢ - ١٧٠ ) .

● ومنذ اللّحظة الأولى لحدوث « الفزع المروِّع » عند قيام « الانقلاب اليهودي العالَمي » - لا قدّر اللّه - يتحدث « الممتلئون عنفاً وقوة وصلابة » - كما يصفون أنفسهم - عن موقفهم من الأُميين الذين سقطت أوطانهم خراباً تحت راية « النجمة السداسية » ، وقد أخذتهم المفاجأة واستغرقتهم البلبلة :

« إنه ليلزمنا منذ اللّحظة الأولى لإعلانه - بينما الناس لا يزالون يتألمون من آثار التغيير المفاجىء ، وهم في حالة فزع وبلبلة - أن يعرفوا أننا بلغنا من عِظم القوة والصلابة والامتلاء بالعنف أُفقاً لن ننظر فيه إلى مصالحهم نظرة احترام . سنريد منهم أن يفهموا أننا لن نتنكر لآرائهم ورغباتهم فحسب ، بل سنكون مستعدين في كل زمان وكل مكان لأن نخنق بيد جبارة أى عبارة أو إشارة إلى المعارضة » ( البروتوكول الحادي عشر : ص ١٧١ ) .

● وبعد « خنق » المعارضين « باليد الجبارة » ستمسك « حكومة صهيون العالَمية » ألسنة « الباقين » المُكرَهين على « ما يُمسك الرمق » من الخبز اليومي :

« إن الحاجة يومياً إلى الخبز ستُكره « الأُميين » ( Gentiles ) على الدوام إكراهاً على أن يقبضوا ألسنتهم ، ويظلوا خدمنا الأذلاء » .

( البروتوكول الثالث عشر : ص ١٨١ )

● ويتم ضبط وتنظيم السيطرة والحركة الداخلية في بلاد « المملكة » من خلال نظام عملاء أو وكلاء تُوضِّحه الخطة الماسونية :

« وسيُختار » وكلاؤنا ( Agents ) من بين الطبقات العُليا والدُنيا على السواء ، وسيُتخذون من بين الإداريين والمحررين والطابعين ، وباعة الكتب ، والكتبة ( Clerks ) والعمال ، والحوذية ، والخدم ، وأمثالهم . وهذه القوة البوليسية لن تكون لها سلطة تنفيذية مستقلة ، ولن يكون لها حق في اتخاذ اجراءات حسب رغباتها الخاصة ، وإذن فسينحصر واجب هذا البوليس الذي لا نفوذ له إنحصاراً تاماً في العمل كشهود ، وفي تقديم « بلاغات » ( Reports ) وسيُعتمد في فحص بلاغاتهم ومضبوطاتهم الفعلية على فرقة من مفتشي البوليس المسئولين ، وسيجري فحص مضبوطاتهم الفعلية على أيدي «الجندرمة » ( Gendarmes ) وبوليس المدينة ، وإذا حدث تقصير في تبليغ أى « مخالفة » ( Misdemeanour ) تتعلق بالأمور السياسية ، فإن الشخص الذي كان عليه تبليغها سيُعاقَب بتهمة الإخفاء العمد للجريمة ، إذا كان ممكناً إثبات أنه مجرم بمثل هذا الإخفاء . وعلى مثل هذه الطريقة يجب أن يتصرف إخواننا الآن ، أى أن يشرعوا بأنفسهم لإبلاغ السلطة المختصة عن كل المتنكرين « للعقيدة » ( Apostate ) ، وعن كلِ الأعمال التي تخالف قانوننا . وهكذا يكون واجب رعايانا في « حكومتنا العالمية » (Universal Government) أن يخدموا حاكمهم باتباع الأسلوب السابق الذكر » .

( البروتوكول السابع عشر : ص ٢٠٧ - ٢٠٨ )

● وتغلق المؤامرة الماسونية « دائرتها الجهنمية » بالإجراءات التالية ، التي ستقوم عليها « المملكة » ، ويستقر على أسسها « الحكم » ويضع «ملكها »

الموعود على رأسه « تاج العالم » ... وينطلق من « هيكلها » صوت « السلام العالمي » ... نفس الإجراءات التي تتطابق تماماً مع تصورات « إشعياء » وغيره من « أنبياء إسرائيل » .

● وهذه هي المؤامرة تتحدث عن « خطوطها » و « خطواتها » النهائية :

« سنعمل كل ما في وسعنا على منع المؤامرات التي تُدبَر ضدنا حين نحصل نهائياً على السلطة ، متوسلين إليها بعدد من الانقلابات السياسية ( Coups d'état ) المفاجئة التي سننُظّمها بحيث تحدث في وقت واحد في جميع الأقطار ، وسنقبض على السلطة بسرعة عند إعلان حكوماتها رسمياً أنها عاجزة عن حكم الشعوب ، وقد تنقضي فترة طويلة من الزمن قبل أن يتحقق هذا ، وربما تمتد هذه الفترة قرناً كاملاً ، ولكي نصل إلى منع المؤامرات ضدنا حين بلوغنا السلطة سنُنفّذ الإعدام بلا رحمة في كل من يُشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا » .
( البروتوكول الخامس عشر : ص ١٨٦ ، ١٨٧ )

« وسنضع موضع الحكومات القائمة مارداً (Monster) يُسمى إدارة الحكومة العليا ( Administration of the Supergovernment ) ، وستمتد « أيديه كالمخالب الطويلة المدى ، وتحت إمرته سيكون له نظام يستحيل معه أن يفشل في إخضاع كل الأقطار » ( البروتوكول الخامس : ص ١٤٨ ) .

« إن حكومتنا ستشبه الإله الهندي « فشنو Vishnu » وكل يد من أيديها المائة ستقبض على لَولب في الجهاز الاجتماعي للدولة » .

( البروتوكول السابع : ص ٢٠٦ )

« ويوم يضع « ملك إسرائيل » على رأسه المقدس التاج الذي أهدته له كل أوروبا - سيصير البطريك ( Patriarch ) لكل العالم .

إن عدد الضحايا الذين سيضطر ملكنا إلى التضحية بهم لن يتجاوز عدد

أولئك الذين ضحّى بهم الملوك الأُميون في طلبهم العظمة . وفي منافسة بعضهم بعضاً » ( البروتوكول الخامس عشر : ص ١٩٩ ) .

« إن هذا قد يستلزم مقداراً معيناً من العنف ، ولكن هذا النظام سيستقر أخيراً ، وسنبرهن على أننا المتفضلون الذين أعادوا السلام المفقود والحرية الضائعة للعالَم المكروب ، وسوف نمنح العالَم الفرصة لهذا السلام وهذه الحرية ، ولكن في حالة واحدة ليس غيرها على التأكيد - أي حين يعتصم العالَم بقوانيننا اعتصاماً صارماً » ( البروتوكول الثاني والعشرين : ص ٢٢٨ ) .

« يجب أن يظهر الملك الذي سيحل الحكومات القائمة التي ظلّت تعيش على جمهور قد تمكنّا نحن أنفسنا من إفساد أخلاقه خلال نيران الفوضى . وأن هذا الملك يجب أن يبدأ بإطفاء هذه النيران التي تندلع اندلاعاً مطرداً من كل الجهات.

ولكي يصل الملك إلى هذه النتيجة يجب أن يُدمِّر كل الهيئات التي قد تكون أصل هذه النيران ، ولو اقتضاه ذلك إلى أن يسفك دمه هو ذاته ، ويجب عليه أن يُكوِّن جيشاً منظَّماً تنظيماً حسناً ، يُحارب بحرص وحزم عدوى أي فوضى قد تُسمِّم جسم الحكومة .

إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله ، ومُعيَّناً من أعلى ، كي يُدمِّر كل الأفكار التي تُغري بها الغريزة لا العقل ، والمبادىء البهيمية لا الإنسانية ، إن هذه المبادىء تنتشر الآن انتشاراً ناجحاً في سرقاتهم وطغيانهم تحت لواء الحق والحرية .

إن هذه الأفكار قد دمَّرت كل النظم الاجتماعية ، مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل ( Kingdom of Israel ) [1] .

---

(١) في ترجمته « للبروتوكولات » ، نقل الأستاذ « التونسي » عبارة « ملك إسرائيل » ( Kingdom of Israel ) وصحتها في النص الإنجليزي : King of the ) Jews ) .

ولكن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا . وحينئذ يجب علينا أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أى قذر في طريق ملكنا .

وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم « صلّوا لله » واركعوا أمام ذلك « الملك » الذي يحمل آية التقدير الأزلي للعالم ، والذي يقود الله ذاته نجمه ، فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه ( Himself ) قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة » .

( البروتوكول الثالث والعشرون : ص ٢٣٠ - ٢٣١ )

« إن قطب ( Column ) العالم في شخص الحاكم العالمي ( World ruler ) الخارج من بذرة إسرائيل - ليطرح كل الأهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه . إن ملكنا يجب أن يكون مثال العزة والجبروت ( Erreprochable ) .

« وقّعه ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين » ..

( البروتوكول الرابع والعشرون : ص ٢٢٣ )

* * *

● أرأيت ؟ ...

أليست « خطوط » هذه المؤامرة « الماسونية » التي رُسمت في « بازل » عام ١٨٩٧ هي نفسها « الخطة العظمى » « للمهندس الأقدس » التي « بَشَّر بها » الحَبر الماسوني « أ . س . ماكبرايد » - عام ١٩١٤ - « البهائم العاملة » ، البُكم الصُم العُمي ، السالكين في صمت وهدوء ، أو كما يُسميهم « كتل الأحجار والسقالة التي ستختفي » ويُقام على أنقاضها « المعبد الإسرائيلي » في « أورشليم » ؟

وقبل ذلك ، وبعد ذلك أيضاً ، أليست هى ذات المؤامرة التي تُسهب في الحديث عنها « النصوص الكتابية » ( Biblical Scripture ) في أسفار

« التوراة » و « المزامير » و « التواريخ » و « الملوك » و « الأنبياء » ؟

هي ... هي بشحمها ولحمها التي نطق بها « إشعياء » وبقية « أنبياء إسرائيل » :

يوم « ينطلق صوت صحيح من الهيكل » يعلن « ميلاد أمة دفعة واحدة ». يوم « تمخض صهيون وتلد بنيها » ... حيث « يتأصل يعقوب ويفرع ويملأون وجه المسكونة ثماراً » ... « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله » ... وتهتف « بنت أورشليم » بالملك صاحب السلطان « من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض » ... ويأتي الوعيد « بشارة » للأمم والشعوب والأرض وكل نتائجها « بالتحريم » والدفع إلى « الذبح » ، فقتلاهم تُطرح ، وجيفهم تصعد نتاناتها « وتسيل الجبال بدمائهم » ... وتدخل الأمة البارة « أرض الموعد » وما حولها ، ويكون السلام لها وحدها ... « وتتحول إليها ثروة البحر » ويأتي اليها « غِنى الأرض » ... يسيل عليها « مجد الأمم » ... فترضع « خيرات الشعوب وثدي الملوك » ... « تُدلّلها كل أمم الأرض علي الركبتين وتحملها على اليدين » ... تضعها فوق الرؤوس ويخدمها الملوك ... ويبني « بنو الغريب » أسوار عاصمتها « أورشليم » ويكونون «خدماً ورعاة » ... وحرّاثين وكرّامين « لشعب الله المختار ... « ويسجد » الناس ... كل الناس « لدى باطن قدمي صهيون » .. وتسير « الشعوب خاضعة ذليلة » إلى « مملكة داوود » التي ستمتص « لبن الأمم » ... وشعبها كلهم أبرار « يرثون الأرض إلى الأبد » ...

● ويحدث ذلك بعد « سلسلة من الخراب » على مستوى الدنيا كلها لا تُبقي إلا « الفعلة » لمملكة « قديسي العلى » ... وتختص « مصر » بالنصيب الأوفى من الدمار « .. مصر التي يذوب قلبها داخلها » ويقتل المصريون بعضهم بعضاً « كل واحد أخاه وصاحبه » ... « مدينة مدينة » وتهرق روح

مصر « ... وتنشف المياه من البحر » ... « ويجف النهر وييبس » وتنتن مياهه « وتتبدد كل المزارع » ... حتى السواقي « تجف » ... و « تصبح مصر كالنساء » خوفاً وفزعاً ... ويصبح في داخلها خمسة أقاليم تتكلم «اللُّغة العبرية » ... وتُسبى « بناتها العذارى » ويُسحبن « أسيرات » إلى أرض إسرائيل في « جلعاد » ..... وتتحولّ الأعياد نواحاً والأغاني مراثي ... وتخرب الأرض من مجدل إلى أسوان ... !!

أبقى بعد ذلك شيء يُقال ؟ !

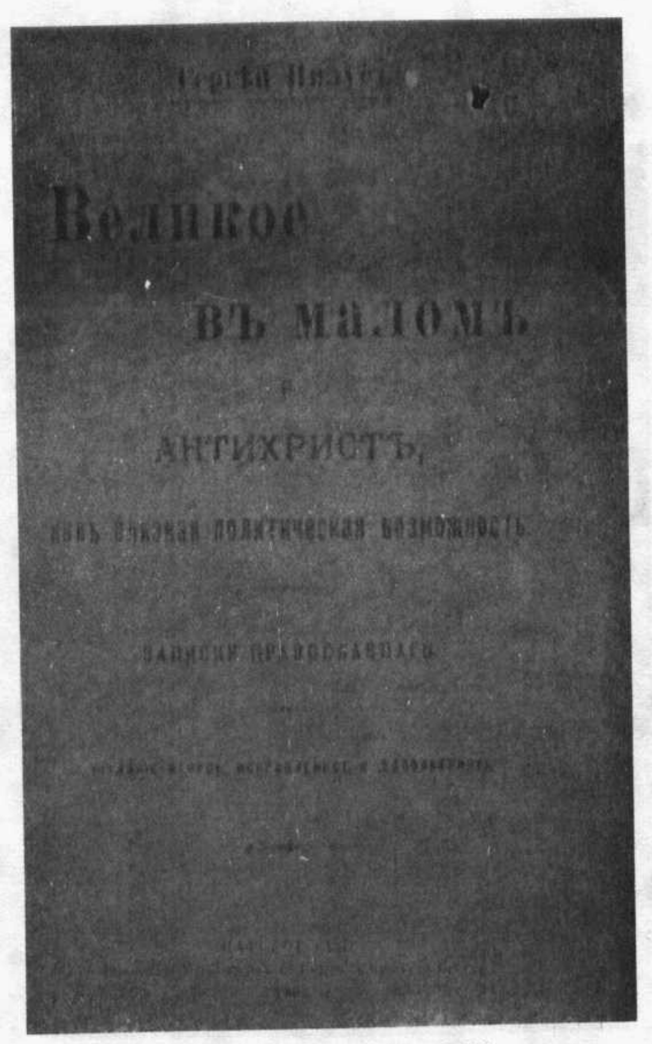
ألا من له أذنان للسمع فليسمع !!

* * *



A type - Written copy of the protocols on rice paper circulated in Siberia . It was taken from the 4th edition ( 1917) of Nilus . There are a number of interesting notes by an unknown editor . Taken to America from Vladivostok in August 1919

نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة للبروتوكولات على ورق من الأرز كانت متداولة في سيبيريا . وقد أخذت من الطبعة الرابعة ١٩١٧ لنيلوس .




Title - page of 2nd. edition (1905) of Nilus, a copy of which is in the British Museum Library . The Library number can be seen at the top . It reads : Sergei Nilus, The Great in The Small and Antichrist. As a Near Political Possibility. Notes of an Orthodox Christian. (2nd. edition, revised and enlarged ) . Press of the Tsarkoye Selo Red Cross Committee . 1905 .

صفحة العنوان للطبعة الثانية ١٩٠٥ لنيلوس ونسخة منها في مكتبة المتحف البريطاني ، عن كتاب :

Jewish Conpiracy and the Muslim world, Social Refom Society - Kuwait

# الفصل السادس

## أجر الغرباء

تُرى ما هو الأجر الذي سيتقاضاه « ماسونيونا » !! المسلمون ، وكان الماسون الأمميين – غير اليهود – من دخولهم المصيدة وصبهم في قالب البناء المنظم وقد مُسِخوا قطع شطرنج – من غير قطعة الملك بالطبع – وصيرورتهم خنازير مقيدة بلوالب الإله « فشنو » ، غذاؤها كناسة القمامة الماسونية ، وحركتها محكومة بسلسلة السلك الماسوني المتدرج المخبوء ! ؟

أهو الدور الموقوت الذي يؤدونه عملاء أو بهائم عاملة ، في مرحلة زمنية بذاتها ، ثم يُستهلكون كنعل مهترئة ، في مدة قصيرة ، ثم يُتخلص منهم بالقتل أو السم ، أو النسيان على أحسن الفروض .. ليمارس نفس الدور وكلاء جدد عندما يُراد تغيير الوجوه أو تعديل الخطة وفق الظروف الدولية أو المحلية أو انكشاف الأدوار بناء على حركة « الآس » الذي يمسك به دائماً « حكماء صهيون » !! ؟

يقول حكماء صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين :

« إننا سنُقدِّم الماسون الأحرار !! إلى الموت بأسلوب لا يستطيع معه أحد – إلا الإخوة ( أى اليهود ) – أن يرتاب أدنى ريبة في الحقيقة ، بل الضحايا أنفسهم أيضاً لا يرتابون فيها سلفاً ، إنهم جميعا يموتون – حين يكون ذلك ضرورياً – موتاً طبيعياً في الظاهر – حتى الإخوة – وهم عارفون بهذه الحقائق – لن يجرأوا على الاحتجاج عليها .

وبمثل هذه الوسائل نستأصل جذور الاحتجاج نفسها ضد أوامرنا في المجال الذي يهتم به الماسون الأحرار . فنحن نبشر بمذهب التحررية لدى الأُمميين ، وفي الناحية الأُخرى نحفظ شعبنا في خضوع كامل » .

( البروتوكول الخامس عشر : ص ١٩٣ )

أهذا هو حصاد الخيانة والعِمالة والرِدّة والألغام ... وفك الارتباط بالأوطان والأديان والعقائد والأهل والقوم ... وفراغ الوجدان من كل قيمة أو عاطفة أو مشاعر ... وغسل الدماغ وبلادة الذهن وشل التفكير وطمس الذاكرة سلباً لنعمة العقل !! ؟

أتساوي هذه النتيجة - أو المُحصّلة أو العائد - عُمر الإنسان ، وقد نَفَق !! ليس في مقبرة صهيون وإنما في كومة المحرقة الأممية التي سيُقذف بها في مذبلـة التاريخ !! ؟

وللتذكير فحسب نود أن يعي صغار الماسون من أهلنا !! وهم واقفون على أولى درجات السلم المخبوء قبل التورط في أبعاد المؤامرة الماسونية ، قبل أن يصعب الخلاص ويتسعصى الانفكاك !! .. نود منهم أن يراجعوا - حتى من قبيل الأمن والحياة - مصير إخوة لهم من ماسوني الأمميين لم يشفع لهم طول الممارسة أو طيلسان الشعائر والطقوس والرموز ، أو عمق الولاء لخطط صهيون أو مكانه المنصب المصنوع !! .

إن طلعت باشا رئيس المحفل الأكبر التركي المسمى - المشرق الأعظم العثماني- رئيس الوزارة التركية !! في انقلاب الدونمة والماسون ، ظل وفياً لدوره القذر حتى أدت سالونيك دورها وسقطت دولة الخلافة الإسلامية .. آخر الدول الجامعة للمسلمين !!

ثم رأت كل قوى عالم العدو = وعلى رأسها القوة اليهودية = أن تتخلص من ماسوني سالونيك ليتولى الحكم ماسوني مناستر ... وهرب طلعت باشا غداة سقوط الآستانة في يد كل قوى عالم العدو . وركّبَ الصنم البديل « أتاتورك » على قاعدته في أنقرة .

ويوم أن حاول طلعت باشا الفهم وادعى كذباً أنه أدرك أخيراً أبعاد المؤامرة الماسونية عاجلته على الفور رصاصة ماسونية يهودية أسكتت إدراكه إلى الأبد

فلفظ أنفاسه العفنة في ألمانيا وشُوِّن جثمانه الوبيء في حفرة مجهولة هناك ... كعادة كل المطايا والعملاء والأصفار !!

... وكذلك لقي نفس المصير ماسوني كبير آخر !!

فيوم حاول نيازي باشا – عضو المحفل الماسوني وواحد من الكبار الذين كانوا يحكمون في إستانبول بعد رحيل المغفور له السلطان عبد الحميد ... يوم حاول مجرد مناقشة إحدى الخطط الماسونية ألقمه اليهود رصاصة في فمه أردته قتيلاً في ألبانيا !!

واغتيل الأوروبي « مورجان Morgan » لحظة اختلافه مع الماسون ! واغتيال الرجل ليس إلا مجرد مثال على وجود مثل هذه الحوادث الوحشية التي يلجأ إليها الماسون للمحافظة على أسرارهم وخططهم من الكشف العلني للناس ، لو خاطر أحد الأوربيين بحياته – في يقظة الضمير – وهتك الستر عن خبايا الدور السياسي الذي يقوم به الماسون .

وكثيرون .. كثيرون ، من كبار « الزعماء الأبطال » !! ، في جيلنا المعاصر ، لقوا نفس المصير !! بالسم أو القتل أو السجن أو النفي على أحسن الفروض !!

وأما عن دعاوي الخيرية والتكافل والأخوة التي تدعيها الماسونية ... فهذا مثل قريب :

كان المهندس محمد كامل الهنيدي – مهندس بلدية المنصورة في منتصف الثلاثينيات – عضواً نشطاً ، يدفع اشتراكاً شهرياً قدره خمسة جنيهات . وتصادف أن سلط الرجل من عربة البلدية « الكارتة » ، وفقد بصره . ولم يكن وقتها نظام المعاشات . وذهب الرجل إلى محفله مصدقاً حكاية كفالة الماسون الخيرية الشهرية . فطرده رئيس المحفل وقتذاك « محمد رفعت » الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمعارف وحرَّم عليه الحضور وحذَّره من إفشاء الأسرار . وعاد الرجل إلى بيته = وهو صهر لبعض أصدقائنا = يُردِّد : « هذا انتقام من الله .. لقد كنا نرتكب الفاحشة مع نسائنا ساعة إطفاء الأنوار في المحفل » !!

وأيضاً ... ما هو الأجر الذي سيحصل عليه ماسونيونا المسلمون وكل الأمميين الماسون حتى لو طال بهم العمر الدنىء ومضوا على درب الخيانة - بالسلوك الهادىء والصامت ككتل أحجار وسقالة - كما وصفهم ماكبرايد وصدّقوا أنهم سيعيشون بعد المذبحة الجماعية للخطة العظمى للمهندس الأقدس !! ورأوا معبد الأخوة والإنسانية .. هيكل صهيون يقف متجلياً في أبهته وجماله !! ؟

ماذا عن المغفلين الماسون أو البناءين الأحرار من « بني الغريب » الذين « يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك » !! ؟

يجيبنا « إشعياء » على الفور : « ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ( الخطاب لليهود بالطبع ) ويكون « بنو الغريب » حرّاثيكم وكرّاميكم . أما أنتم فتُدعَون كهنة الرب . تُسمون خُدَّام إلهنا . تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدها تتأمرون » .

(إشعياء ٦١ : ٥ - ٦)

ويجيب كذلك « حزقيال » : « وقل للمتمردين لبيت إسرائيل : هكذا قال السيد الرب : يكفيكم كل رجاساتكم يابيت إسرائيل بإدخالكم أبناء الغريب الغُلف القلوب ، الغُلف اللّحم ليكونوا في مقدسي فيُنجّسوا بيتي بتقريبكم خبزي الشحم والدم ... ولم تحرسوا حراسة أقداسي بل أقمتم حُرّاساً يحرسون عنكم في مقدسي . هكذا قال السيد الرب : ابن الغريب أغلف القلب وأغلف اللّحم لا يدخل مقدسي من كل ابن غريب الذي من وسط بني إسرائيل » .

( حزقيال ٤٤ : ٦ - ٩ )

من أي مكان ياتُرى سينفذ الغرباد إلى هيكل الرب الذي زعم « ا . س . ماكبرايد » أن أمم الأرض ستسكن فيه في وحدة باعتباره معبد الأخوة والإنسانية !! ؟

كيف ياتُرى سيُدخل ماكبرايد بهائمه العاملة .. الماسون الغرباء إلى مقدس الرب فيُنجّسوه ! ؟

ومن الأصدق !! ؟

ماكبرايد يقول : تسكن فيه كل أمم الأرض في وحدة !!

والرب يقول : ابن الغريب لا يدخل مقدسي !!

كلام الرب - على وجه اليقين - أصدق .

وماكبرايد يعرف أنه يضحك على الأغنام الغبية - ورؤوسها مملوءة بالفراغ - فيستدرجها إلى السُخْرة لبناء الهيكل الذي لن تُدَنّسه رجاساتها !!

وبقى سؤال بالغ الأهمية ..

ماذا عن المنظمات الماسونية المنتشرة في جميع البلاد الأُممية ! ؟ يوم تقوم مملكة داوود !! ؟

ماذا عن هذه المنظمات التي استُخدمت فبنت في آلية المُسَخَّرين وخرس الحمير وصمم كتل الأحجار !! ؟

يجيبنا شيوخ صهيون من ماسوني الدرجة الثالثة والثلاثين :

« إن تأليف أى جماعة سرية جديدة سيكون عقابه الموت أيضاً ، وأما الجماعات السرية التي تقوم في الوقت الحاضر ونحن نعرفها والتي تخدم وقد خدمت أغراضنا ، فإننا سنحلها وننفي أعضاءها إلى جهات نائية من العالَم . وبهذا الأسلوب نفسه سنتصرَّف مع كل واحد من الماسونيين الأحرار !! الأُمميين (غير اليهود) الذين يعرفون أكثر من الحد المناسب لسلامتنا . وكذلك الماسونيين الذين ربما نعفو عنهم لسبب أو لغيره سنبقيهم في خوف دائم من النفي . وسنُصدر قانوناً يقضي على كل الأعضاء السابقين في الجمعيات السرية بالنفي من أوروبا حيث سيقوم مركز حكومتنا » . !!

( البروتوكول الخامس عشر : ص ١٨٧ )

مساكين أقرباؤنا الماسون الغرباء !!

الموت لمن يريد أن يكون ماسونياً جديداً !! .. عندما تقوم مملكة شعب الله المختار !!

الموت أيضاً - لمن يعرف أكثر من الحد المناسب لسلامة أصحاب المملكة !!.. وهؤلاء هم الذين تغلغلوا في السلك المخبوء من الدرجات المتقدمة على درب خدمة صهيون أكثر من جزاء سنمار !!

ألم يقل لهم ماكبرايد من قبل أن كتل الأحجار والسقالة ستختفي يوم يتم البناء ، فظنوها رمزاً - كعادة الماسون المولعين بالرموز الشغوفين بالطلاسم والألغاز !! ؟

وأما الباقون من مُنحطّي الدرجات الذين سيُعفي عنهم لسبب أو لغيره ، فإلى النفي والتشريد إن كان ثمة مكان يصلح لبقاء إنسان آمناً من أن يمتد إليه المارد الجبار المسمى إدارة الحكومة العُليا ويديه كالمخالب الطويلة المدى .

وأما الشغيلة الذين سيُعفى عنهم للخدمة ، فسيبقون في خوف دائم بعيداً عن المدينة المقدسة لأنهم دنس الأمم ورجاسات الشعوب - يعملون في خدمة أسيادهم رعاة أو فَعلة أو حرّاثين أو كرّامين ، ينقلون ثروة الأمم التي سيأكلها بنو إسرائيل ... قديسو العلى وجنود يهوه وأصحاب مملكة داوود !!

وأما الأفكار التي بشّر بها الماسون الغرباء كببغاوات تردد أقوال ملقنيها ... بشروا بها من قبل هم وأسلافهم وأخلافهم ودُمرت شعوبهم ... فقد أدت دورها وانتهت :

« لأن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا .. ويجب علينا أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أى قذر في طريق ملكنا » !! .

......... كما جاء في البروتوكول الثالث والعشرين ، أى أن الماسون وما حُشيت به عقولهم وما ألقى في صدورهم ليست إلا القذارة التي أدّت دورها

رجساً في الشعوب الأممية والتي يجب الآن كنسها وازالتها من طريق مسيح إسرائيل !!

أفيصح – بعد ذلك – أن يُصدّق المغرَّر بهم ، المُستدرَجون من حيث لا يعلمون أن « الماسونية » هي « البناء الحر » ، وأن « الماسون » هم « البنّاءون الأحرار » ! ؟

ألم يأن لهم أن يدركوا أن الفكرة والتنظيم والحركة والمنتسبين ليسوا كمنطوق الترجمة بحال من الأحوال ! ؟

فإن صحت الترجمة اللّفظية « البنّاء الحر » فإن كُنه الحركة عند كهنتها أنفسهم – وكما رأيتَ – لا تعني إلا شيئاً واحداً هو « عبودية الهدم » .. تماماً على طريقة بعض أصحابنا في صعيد مصر يسمون ذوي العاهات – شفقة بهم أو تدليلاً لهم – بأسماء مناقضة على طول الخط لحالاتهم الخِلقية . فيُطلقون على الأعمى اسم « فانوس » وعلى الأطرش « جرس » وعلى الأصم « سمعان » وعلى القصير « نخلة » وعلى الأبله « حكيم » !!

وطبيعي أن يعرف كل من سمعان وفانوس وجرس ونخلة وحكيم أنهم ليسوا – على وجه اليقين – كذلك .. ومن ثَمَّ فهم لا يكذبون على أنفسهم ليعيشوا في وهم البصر والسمع والطول والحكمة !!

أليس ذلك بكاف لإيقاظ النيام ؟

تُرى هل يثوب بنو قومنا = ولا نسميهم كما يسميهم قادتهم : « هؤلاء الخنازير » = إلى رشدهم ويعودون إلى جادة الصواب !! ؟

فسيطول بهم الانتظار ، ولن تُعاد إليهم حرياتهم المفقودة !!

أليس من الضروري أن يخرجوا من فراغ الموت .. فراغ العدم .. سجن اللاشيئية والظُلمة !!

أليس صحيحاً كل الصحة أن الماسوني « رجل أعمى ، في غرفة مظلمة ، يبحث عن قطة سوداء لا وجود لها » .

وإذا كان الهدف المركزي - الأساسي والنهائي - للماسون هو بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصا - لا قدَّر اللّه - والماسون ليسوا أكثر من بهائم عاملة قد وضعها مُسيِّروها تحت السرِج بعد أن أصبحت دُمىً لمن يمسك الثور من قرنيه ... !!

فكيف يبني البنّاءون الأحرار بناءً لن يُعطوا عليه أجراً فحسب ، بل لن يُسمح لهم بدخول الهيكل ولو لكنس زبالة « محروقات التقدمة » من « منافض المذبـح » أو جمع الفتات المتبقى على « المائدة المقدسة » ... لأنهم رجاسات أُمَمية محرومون من الموعد والخلاص !! ؟

أيجدر بأهلنا الماسون !! أن يُسخَّروا في انتظار ذلك الآتي من النسل المقدس النابت من بذرة داوود المبارَك من رب الشعب المختار والممسوح بدهن كهنة أورشليم في قدس الأقداس ملكاً على كل الدنيا ومسيحاً لخلاص إسرائيل !!؟

ثم يستعبد من يتبقي منهم بالرق لأطـفال « إيل » المدللّين ، ويُحرمون بأمـر « يهوه » من كل شيء ولو حتى بكائية عزاء من مزامير داوود !! ؟

فالمزامير من داودد الملك إلى « يهوه » رب الجنود .. و « يهوه » قد قاس الأرض الموعودة وشرَّع قوانين ذبح أهلها ومَنْ حولهم ، وأمر يشوع بن نون بتقسيمها على أولاد يعقوب ... !!

وأورشليم الجديدة لها إثنى عشر باباً بأسماء أسباط إسرائيل ، ولن يُسمح للعملاء الماسون من البهائم العاملة بالاقتراب من أى باب فهم كباقي الأُممين أو الجوييم رجاسات تُنجس وتُدنس أرض الميعاد !!

ولا خلاص إلا برعوية إسرائيل .. رعوية جنسية عِرقية وراثية !! وليست معنوية كما يبشرنا خبثاء الماسون !!

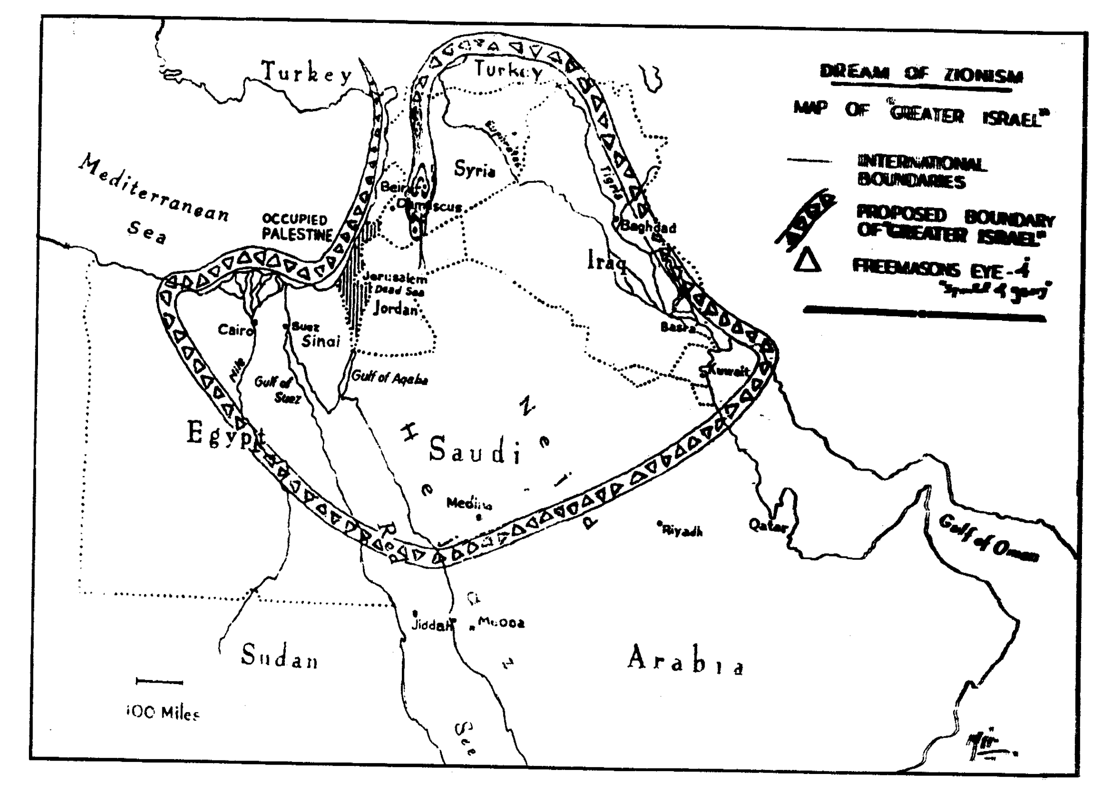
فالقصة الكتابية والمؤامرة الماسونية تُقرِّر أن لإسرائيل العقد والصفقة والموعد والاشتراع والخلاص !!

أما الأفعى فلها رأس وذيل .. !!

وهي كي تضم رأسها إلى ذيلها لا بد لها من حركة ومجال وطريق ... وقوى كبرى وأدوات وأدوار وانقلابات .. !! وخط يربط الصفقة والأسطورة والمطايا تحت السرِج .. !!

.......... وتلك حكاية أخرى !!

* * *




حلم الصهيونية - خريطة لإسرائيل الكبرى

# الفصل السابع

## الصفقة والأسطورة !!

**تقول الحكاية الإسرائيلية : إن الله الرب الأحد للعالم رب تاجر .. قومى متعصب لشعبه وميراثه « إسرائيل » ، وأنه قد أتم في شأن اليهود صفقة رابحة مع أبيهم « إبراهيم » ... صفقة رابحة جداً لصالحهم ، والحق يُقال ، يتعهد بها أن يرتفع بهم في النهاية إلى السيادة على الأرض !!**

( راجع هـ . ج . ويلز « موجز تاريخ العالم » ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ) .

وكانت التوراة قد أخرجت « إسماعيل » بكر « إبراهيم » من الصفقة وجعلتها في « إسحاق » أخيه ، مع أن الرب بارَك « إسماعيل » وأعلن أنه يُثمِرُه ويُكَثِرُه كثيراً جداً ، ويجعله أمة كبيرة ، ويلد اثني عشر رئيساً .

( تكوين ١٧ : ٢١ )

ثم عادة التوراة فأخرجت « عيسو بن إسحاق » من الصفقة وحصرتها في شقيقه وتوآمه « يعقوب » ، الذي اشترى بُكورية أخيه « عيسو » بخبز وطبيخ عدس ، وسرق منه بركته بمؤامرة غَشٍّ بها أباه « إسحاق » .

وهذه هى الحكاية العجيبة !!

حبلت زوجة « إسحاق » « رفقة » العاقر ، وولدت توأمين : « عيسو » وبعده « يعقوب » ويده قابضة بعقب أخيه . وكبر الغلامان . وأحب إسحـاق « عيسو » وأحب رفقة « يعقوب » .

وجاء « عيسو » من الحقل وقد أعيا تماماً من الجَهد والجوع . وكان «يعقوب» يأكل فطلب منه « عيسو » أن يُعطيه طعاماً فرفض « يعقوب » أن

يُطعم أخاه إلا إذا باع له بُكوريته . فباع « عيسو » البكورية بخبز وطبيخ عدس لأنه كان يُشرف على الموت .

ولما شاخ « إسحاق » وكلّت عيناه عن النظر دعا « عيسو » وطلب منه أن يصطاد له من البرية صيداً ويصنع له طعاماً يحبه لكى يباركه قبل أن يموت . وذهب الابن المطيع لينفذ أمر أبيه كي ينال البركة .

وتآمرت « رفقة » - التي كانت تتصنت على زوجها وابنها - مع ابنها « يعقوب » ضد ابنها « عيسو » . فصنعت له طعاما وألبسته ثياب « عيسو » الفاخرة التي كانت عندها في البيت . وألبست يديه وملاسة عنقه جلد جدي ماعز لكى يغش والده « إسحاق » عندما يدخل إليه ، لأن « عيسو » كان أشعراً « ويعقوب » كان أملساً !!

وأتى « يعقوب » أباه بالطعام وزعم أنه « عيسو » . وجسه « إسحاق » وقال : إن الصوت صوت « يعقوب » لكن اليدين يدا « عيسو » . وأقسم « يعقوب » أنه « عيسو » . ولم يستطع « إسحاق » أن يُميِّز ملمس شعر يد الإنسان وملمس شعر الجلد الماعز أو حركة الجلد الإضافي الموضوع على الرقبة واليدين !! فصدَّقه وأكل وأعطاه البركة !! وعضده بحنطة وخمر !!

ولما فرغ « إسحاق » من بركة « يعقوب » جاء « عيسو » بطعامه ودخل به إلى أبيه .

وقال « عيسو » : ليقم أبي ليأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك .

فسأل « إسحاق » : مَنْ أنت ! ؟

فأجاب « عيسو » : أنا ابنك ... بكرك « عيسو » !!

فارتعد « إسحاق » وقال لابنه : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك !!

ولم يُجْدِ صراخ « عيسو » ورجاؤه وبكاؤه وتوسله أن يبارك أبوه المحب ابنه البار المطيع إذ ليس من المعقول أن تكون له بركة واحدة !!

ولم يستجب « إسحاق » رغم اعترافه بأن يعقوب قد خدعه وغشَّه فيرحم توسل « عيسو » ويباركه أيضاً ... بل لم يترك المسكين لحاله دون بركة فحسب ، ولكنه زاد الطين بلة فدعا على « عيسو » بالعبودية لأخيه « يعقوب » وبالجفاف في معاشه فيكون مسكنه بلا دسم في الأرض ولا ندى من السماء !!

وخرج « عيسو » - هكذا - بلا ذنب من النسل المقدس !! بلا بركة أو بُكورية !!

باع البُكورية من الجوع المميت بأكلة عدس ، وسُرِقت منه البركة بمؤامرة !!

وبذلك أصبح « يعقوب » وارثاً للصفقة إياها بالبخل والأثرة والغش والخداع !! ( تكوين ٢٧ : ١ - ٣٩ ) .

والتجأ « يعقوب » إلى خاله « لابان » في « فدان آرام » بعد أن خوَّفته أمه من أخيه . وتعاقد مع خاله أن يخدمه في رعى ماشيته سبع سنوات في مقابل زواجه من ابنة خاله الصغرى « راحيل » . وفي نهاية المدة غشَّه خاله فأدخل عليه ابنته الكبرى « لية » !! ولم يكتشف « يعقوب » أنه اضطجع مع « لية » وليست « راحيل » إلا في الصباح ، مع أنه عاش معها في بيت أبيها سبع سنوات من قبل !! ولما كان « يعقوب » يُحب « راحيل » فقد قبل أن يخدم سبع سنوات أخرى بـ « راحيل » !! ( تكوين ٢٩ : ١ - ٢٨ ) .

واتفق « يعقوب » مع « لابان » خاله ، أن تكون أجرته من رعى الغنم كل شاه تُولَد من الغنم بلقاء ورقطاء ، وكل حَمَل أسود من الخرفان ، وكل أجلح أبيض من الماعز . فعمد « يعقوب » - بعد الاتفاق - إلى قضبان رطبة من لوز ودلب فكان يكشح السواد منها لتصير ذات ألوان كتلك التي اتفق أن تكون أجرته منها ، وينصبها في مساقي الغنم من المياه ، لتتوحَّم بينها الأغنام فتلد ذات الألوان !!

وهكذا أثرى « يعقوب » على حساب خاله بهذه الطريقة المباركة !!

( تكوين ٣٠ : ٣١ - ٤٣ )

ولما أحس بضيق أولاد خاله منه هرب مصطحباً أسرته وماشيته .

وظهر له الله - سبحانه - وجهاً لوجه ، في مكان أسماه يعقوب « فنوئيل » وتصارع الله - جَلّ وعلا - مع « يعقوب » حتى الفجر ، ولم يغلب أحدهما الآخر !! فضرب الرب « يعقوب » على حُقّ فخذه لما رأى أنه لا يقدر عليه !! ولذلك لا يأكل « بنو إسرائيل » عرق النَسا الذي على حُقّ الفخذ .

وسمّى الله « يعقوب » بعد هذه الواقعة !! اسماً جديداً فدعاه « إسرائيل » لأنه جاهد مع الله والناس وقدر !! ( تكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣٢ ) .

وعبر يعقوب « إسرائيل » الأردن إلى أرض كنعان بأولاده : « رأوبين » و« شمعون » و « لاوى » و « يهوذا » و « بساكر » و « زبلون » من زوجته « لية » . و« يوسف » من « راحيل » التي ولدت ابنها الآخر « بنيامين » - فيما بعد - في أرض كنعان ، و « جاد » و « أشير » من « زلفى » جارية « لية » و « دان » و « نفتالى » من « بلهة » جارية « راحيل » .

ثم رحل بعد ذلك « يعقوب » وبنوه الأحد عشر وأولادهم إلى مصر عندما حدثت مجاعة في الفترة ( ١٦٠٠ - ١٥٠٠ ق . م ) في أرض الهلال الخصيب ، وقد أقاموا هناك حوالي ٤٣٠ سنة حتى أخرجهم « موسى » . وظلوا في التيه حوالي ٤٠ سنة . وقد حكم الرب على « موسى » و « هارون » بأن ينظرا أرض الموعد !! من قبالتها ولكن لا يدخلاها لأنهما : « خنتمانى في وسط إسرائيل عند ماء مريبة قادش في بريه صين إذ لم تقدساني وسط بني إسرائيل » .

( تثنية ٣٢ : ٥١ )

ولقّن الرب بني إسرائيل من خلال « موسى » أوامره بإبادة شعوب المنطقة وما جاورها ، ودفع كل إنس وبهيمة فيها إلى المذبحة الجماعية العامة التي لا يفلت منها إنسان : طفل أو شيخ أو امرأة ، ولا حيوان : هزيل أو سمين !!

فقال الرب « لموسى » في سفر التثنية :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح . فإن أجابتك إلى

الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يُعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً : الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك » !! ( تثنية ٢٠ : ١٠ - ١٧ ) .

وطلب منهم الرب !! أن يُقَسِّموا الأرض بالقرعة حسب أسباط آبائهم ، وأن يقتلعوا كل ما عليها من بَشَر :

« تملكون الأرض وتسكنون فيها لأني قد أعطيتكم الأرض لكى تملكوها وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم . الكثير تُكثِّرون له نصيبه ، والقليل تُقلِّلون له نصيبه . حيث خرجت له القرعة فهناك يكون له . حسب أسباط آبائكم تقتسمون . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها » !! ( عدد ٣٣ : ٥٣ - ٥٦ ) .

وحدَّد لهم كذلك طريقة معاملة نساء السبى الجميلات :

« إذا خرجتَ لمحاربة أعدائك ودفعهم الرب إلى يديك وسبيتَ منهم سبياً ورأيت في السبى امرأة جميلة الصورة والتصقتَ بها واتخذتها زوجة ، فحين تُدخلها إلى بيتك تحلق رأسها وتُقلِّم أظفارها » !! ( تثنية ٢١ : ١٠ - ١٢ ).

ودخل بنو إسرائيل فلسطين - كشعب - لأول مرة بقيادة « يشوع بن نون » - كما تقول الرواية الكتابية - بعد أن أغاروا على أرض كنعان ، وقد عبروا الأردن من جهة الفيافى العربية إلى أريحا . وقد سهَّلت لهم « راحاب » الزانية

عملية الدخول إلى بني قومها حيث « أرسل « يشوع بن نون » من شطيم رجلين جاسوسين سراً قائلاً : اذهبا انظرا الأرض وأريحا . فذهبا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك » !! ( يشوع ٢ : ١ ) .

وحدث لأريحا التي فاجأوها ليلاً والناس نيام ، ولرحاب الزانية الخائنة ما يقصه « سفر يشوع » فى عرى صريح :

« ... وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب ... واستحيا «يشوع» راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها . وسكنت في وسط « إسرائيل» الى هذا اليوم . لأنها خبأت المرسلَين اللذين أرسلهما « يشوع » لكى يتجسسا أريحا » !! ( يشوع ٦ : ٢١ - ٢٥ ) .

وتقص « أسفار اليهود » أنه بعد موت « يشوع » ذهب سبط « شمعون » و « يهوذا » وضربوا الكنعانيين والفريزيين في بازق . وكانت طريقتهم الربانيـــة !! عندما يريدون أن يستحيوا فرداً أن يمسكوا الرجل ويقطعوا أباهم وأصابع اليدين والرجلين ليجعلوه يلتقط تحت الموائد طوال حياته .

( قضاة ١ : ١ - ٧ )

وكانوا عند موت القاضي يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوا ويسجدوا لها ( قضاة ٢ : ١٩ ) .

وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم وتركوا الرب إله آبائهم وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأغاظوا الرب ، فحمى غضب الرب على « إسرائيل » فدفعهم بأيدي ناهبين ثم تراجع وأقام لهم قضاة فخلَّصوهم من يدى ناهبيهم . لكنهم لم يسمعوا لقضاتهم ، بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها فغضب عليهم الرب ، فصرخوا طلباً للخلاص ، فخلَّصهم الرب من يد أعدائهم كل أيام القاضي لأن الرب ندم من أجل

أنينهم بسبب مضايقيهم ومزاحميهم . وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم بالذهاب وراء آلهة أُخرى « فحمى غضب الرب على إسرائيل وأقسم ألا يعود يطرد إنساناً من أمامهم » من الأمم الذين تركهم «يشوع » عند موته ( قضاة ٢ : ١١ - ٢٦ ) .

وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فندم على قراره السابق وحنث في قَسمه ( تعالى اللّه عن ذلك علواً كبيراً ) وتراجع فأقام لهم « مُخَلِّصاً » هو « عثنيئيل ابن قناز » أخا « كالب الأصغر » فكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل وخرج للحرب ( قضاة ٣ : ٩ - ١٠ ) .

وضرب « عجلون » ملك « مواب » إسرائيل بعد أن جمع « بني عمون » و« عماليق » فعبد بنو إسرائيل ملك « مؤاب » ثماني عشرة سنة ، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام لهم الرب مُخَلِّصاً هو « أهود بن جيرا » وخَلَّصهم بالطريقة الآتية :

أرسل بنو إسرائيل بيد « أهود » هدية لـ « عجلون » ملك « مؤاب » ، وعمل « أهود » لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع ، وتقلده تحت ثيابه على فخذه اليُمنى ، وقدَّم الهدية لـ « عجلون » ملك « مؤاب » . وأخذ الملك ( على نياته ) الهدية وصرف جميع الواقفين عنده فدخل إليه « أهود » وقال له :

« لي كلام سر إليك أيها الملك . عندي كلام اللّه إليك » . فقام عن الكرسي ليستمع فمد « أهود » يده اليسرى وأخذ السيف عن فخذه اليمنى وضربه في بطنه فدخل القائم أيضاً وراء النصل وطبق الشحم وراء النصل لأنه لم يجذب السيف من بطنه . وخرج « أهود » وأغلق أبواب العلية وراءه وأقفلها . ونزل وضرب بالبوق وتبعه بنو إسرائيل وقد نزلوا عن الجبل وضربوا مدينة « المؤابيين » ولم ينج أحد ، واستراحت الأرض ثمانين سنة » ( قضاة ٣ : ١٥ - ٣٠ ) .

وكان بعده « شمجر بن عناة » فضرب من الفلسطينيين ستمائة رجل بمنساس البقر . وهو أيضاً خلَّص إسرائيل . وباع الرب بني إسرائيل إلى « يابين » ملك

« كنعان » الذي ملك في « حاصور » لأنه كان له تسعمائة مركبة من حديد ، وصرخ بنو إسرائيل للرب طالبين المخلّص فبعث لهم « دبورة » امرأة نبية وكانت « قاضية » إسرئيل في ذلك الوقت فترنمت « دبورة » وغنت للرب : « أنا أنا للرب أترنم . أزمِّر للرب إله إسرائيل » ( قضاة ٤ : ٥ ) .

واستراحت الأرض أربعين سنة ودفع الرب بني إسرائيل ليد « مديان » سبع سنين :

وإذا زرع « إسرائيل » كان يصعد « المديانيون » و« العمالقة » و« بنو المشرق » يصعدون عليهم وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً . لأنهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد في الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد . ودخلوا الأرض لكي يُخَرِّبوها فذل إسرائيل جداً من قِبَلِ المديانيين وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وطلبوا المخلّص .(قضاة ٦ : ٣ - ٦) .

فالتفت الرب إلى « جدعون بن يوأش » وقال : اذهب وخلّص إسرائيل من كف « مديان » . ( قضاة ٦ : ١٤ ) .

وكان بنو إسرائيل في ذلك الوقت يعبدون « البعل » فهدم « جدعون » مذبح البعل وقطع السارية التي عنده فسمّاه أبوه في ذلك اليوم « ير بعل » قائلاً : « ليقاتله البعل لأنه قد هدم مذبحه » .

ولكي يتأكد « جدعون » أن الرب لم يضحك عليه !! ويتركه وحده في القتال ، وأنه قد أرسله مخلّصاً لإسرائيل ، قام بسلسلة من التجارب ليمتحن بها الرب !!

فقال له : إن كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينك فاصنع لي علامة أنك تكلمني . فعمل « جدعون » جدي معزي وايفه دقيق فطيراً ووضع اللّحم في سلة ، وأما المرق فوضعه في قدر ووضع اللّحم والفطير وسكت المرق على صخرة تحت البطمة ، فمدّ ملاك الرب طَرف العُكّاز الذي بيده ومسّ اللّحم والفطير فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللّحم والفطير .

وامتحن « جدعون » الرب مرة أخرى قائلاً : « إنه يضع جزّة الصوف في البيدر ، فإن كان طلٌ على الجزّة وحدها وجفاف على الأرض كلها علمتُ أنك تُخلّص بيدي إسرائيل كما تكلمت » . وفعل الرب كذلك .

وامتحن « جدعون » الرب مرة ثالثة قائلاً : « أمتحن هذه المرة فقط بالجزّة ، ليكن جفاف في الجزّة وحدها وعلى كل الأرض ليكن طلّ » . وفعل الرب كذلك.
( قضاة ٦ : ١ - ٤٠ ) .

وكان بعد موت « جدعون » أن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء « البعليم » وجعلوا لهم « بعل بريث » إلهاً . وترأس « أبيمالك » على إسرائيل ثلاث سنين ، وذهب ليحارب أهل « شكيم » ، ولما اقترب من البرج ليحرقه بالنار طرحت امرأة قطعة رحى على رأسه فشجّت جمجمته ، فدعى حالاً الغلام حامل عدّته وقال له : اخترط سيفك واقتلني لئلا يقولوا عني قتلته امرأة ، فطعنه الغلام فمات . ولما رأى رجال إسرائيل أن « أبيمالك » قد مات ذهب كل واحد إلى مكانه . وكان « أبيمالك » قد قتل من قبل إخوته السبعين !!

( قضاة ٨ : ٣٣ ، و٩ : ٢٣ - ٥٥ )

وقام بعد « أبيمالك » لتخليص إسرائيل « تولع بن فواه بن دودو » فقضى لإسرائيل ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم قام بعده « يائير الجلعادي » فقضى لإسرائيل اثنتين وعشرين سنة ، وكان له ثلاثون ولداً يركبون على ثلاثين جحشاً ولهم ثلاثين مدينة .

وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب . وعبدوا « البعليم » و« العشتاروث » و« آلهة أرام » و« آلهة صيدون » وآلهة « موآب » وآلهة « بني عمون » وآلهة « الفلسطينيين » ، وتركوا الرب ولم يعبدوه . فحمي غضب الرب على إسرائيل وباعهم بيد « الفلسطينيين » وبيد « بني عمون » ، فحطّموا ورضّضوا بني إسرائيل ثماني عشر سنة . جميع بني إسرائيل الذين في عبر الأردن في أرض الأموريين الذين في « جلعاد » ، وعَبَرَ « بنو عمون »

الأردن ليحاربوا أيضاً « يهوذا » و« بنيامين » و« بيت أفرايم » فتضايق إسرائيل جداً . ( قضاة ١٠ : ٦ - ١٠ ) .

فصرخ بنو إسرائيل طالبين الخلاص فترأس عليهم « يفتاح الجلعادي » جبار بأس وهو ابن امرأة زانية . ( قضاة ١١ : ١ ) .

وحقد سبط « أفرايم » الإسرائيلي على « يفتاح » لأنه حارب « بني عمون » ولم يدعهم للذهاب معه فقال لهم إنه ناداهم ليخلّصوه من « بني عمون » فلم يخلّصوه من يدهم . وصعدوا لحربه ، فجمع « يفتاح » كل رجال « جلعاد » وأخذوا يذبحون كل من يقابلونه من « بني أفرايم » ، وسقط في ذلك الوقت من « أفرايم » اثنان وأربعون ألفاً . أي قتل إسرائيلُ إسرائيلَ .

وقضى « يفتاح » لإسرائيل ست سنين .

وقضى بعده لإسرائيل « إيصان » من « بيت لحم » ، وكان له ثلاثون ابناً وثلاثون ابنة أرسلهن إلى الخارج ، وأتى من الخارج بثلاثين ابنة لبنيه ، وقضى سبع سنين .

وقضى بعده « أيلون الزبلوني » عشر سنين .

وقضى بعده « عبدون بن هليل الفرعتوني » ، وكان له أربعون ابناً وثلاثون حفيداً يركبون على سبعين جحشاً ، قضى لإسرائيل ثماني سنوات .

وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب ، فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة .

وجاء « شمشون بن منوح » من امرأة عاقر لم تلد « لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن إلى يوم موته » فكبر الصبي وباركه الرب وابتدأ روح الرب يُحرّكه .

ونزل « شمشون » إلى « تمنة » ورأى امرأة من بنات الفلسطينيين وتزوجها

وأعطى قومها أحجية ليحلُّوها برهان ثلاثين قميصاً وثلاثين حلّة بنات ، فعجزوا واستمالته امرأته فعرفت منه الأحجية وأظهرتها لبني شعبها .

ثم صارت امرأة شمشون لصاحبه الذي كان يصاحبه ولم يدعه أبوها يدخل إليها .

فأمسك « شمشون » ثلاثمائة ابن آوي وأخذ مشاعل وجعل ذَنباً إلى ذَنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبين في الوسط ثم أضرم في المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون .

وصعد « الفلسطينيون » ونزلوا في « يهوذا » ، فصرخ الإسرائيليون إلى « شمشون » فوجد لحي حمار طرياً فعد يده وأخذه وقتل به ألف رجل . ودعا المكان « رمت لحي » !! وقضى لإسرائيل في أيام سيطرة الفلسطينيين على اليهود عشرين سنة . ( قضاة ١٤ : ٢ - ٢٠ ، و١٥ : ١ - ٢٠ ) .

ثم ذهب « شمشون » إلى غزة ، ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها واضطجع هناك إلى نصف اللّيل ، ثم قام وأخذ مصراعى باب المدينة والقائمتين وقلعهما مع العارضة ووضعها على كتفيه وصعد بها إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون . ( قضاة ١٦ : ١ - ٣ ) .

وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في وادى سورق اسمها « دليلة » التي احتالت عليه وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت بإذلاله ، وفارقته قوّته فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس ودعوه ليلعب لهم بين الأعمدة في بيت « داجون » إلههم ، وقبض « شمشون » على العمودين المتوسطين اللّذين كان البيت قائماً عليهما فأتي عليها وقال « شمشون » : لتمت نفسي مع الفلسطينيين ، وانحنى بقوة فسقط البيت على مَنْ فيه !!

( قضاة ١٦ : ٤ - ٣٠ ) .

وهكذا تستمر الأسطورة اليهودية في سِفر القضاة تتحدث عن مضايقة

بني إسرائيل الرب وحمو غضبه ، ثم صراخ إسرائيل ، ثم تراجع الرب وندمه فيرسل لهم مُخَلِّصين .

وعمد بنو إسرائيل بعد ذلك إلى اختيار ملك هو « شاول » الذي لم تزد قيادته عن قيادة القضاة . في زمن يقارب ( ١٠٠٠ ق . م ) لكنه قُتِل بسهام الفلسطينيين في معركة « جبل جلبوع » وأُخذت دروعه إلى معبد الربة الفلسطينية « ڤينوس » ودُقَّ جسمه بالمسامير علىَ أسوار « بيت شان » وسمَّروا رأسه في بيت داجون » . ( الأيام الأول . ١ : ١ - ١٣ ) .

وكان « شاول » أول من « مُسِحَ » ملكاً إسرائيلياً ... أي مُسِحَ رأسه بالدهن المقدس - وهى عادة كانت عند الشعوب السامية القديمة في المنطقة عند تنصيب ملوكهم - وكان شاول بذلك أول « مسيح » هتف له اليهود « يحيا الملك » .

وكان بنو إسرائيل قد طلبوا من قاضيهم « صموئيل » النبي - وقد اجتمع كل شيوخهم في « الرامة » - أن يجعل لهم ملكاً كسائر الشعوب .

وساء الأمر في عيني « صموئيل » ، لكن الرب طلب منه أن يسمع لصوتهم « لأنهم لم يرفضوك أنت ، بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم » !!

( صموئيل الأول ٨ : ٧ )

ومن هنا بدأ حقد الرب على الملك الجديد ... البديل !!

وحدث بعد ذلك أن الرب كشف أذن « صموئيل » وأخبره بأن يمسح « شاول ابن قيس بن أبينيل » من سبط « بنيامين » ملكاً على إسرائيل . فأخذ « صموئيل » قنينة الدهن وصبَّها على رأس « شاول » ، وذهب الشعب إلى « الجلجال » وهناك ملَّكوا « شاول » رئيساً على ميراث الرب .. إسرائيل .

( صموئيل الأول . ١ ، ١١ )

وطلب الرب من « شاول » : « هكذا يقول رب الجنود . اذهب واضرب

« عماليق » وحرموا كل ماله ولا تعفوا عنه . بل اقتل رجلاً وامرأة . طفلاً ورضيعاً . بقراً وغنماً . جملاً وحماراً » . ( صموئيل الأول ١٥ : ٢ - ٣ ) .

ونفّذ « شاول » كلام الرب فقضى على جميع شعب « عماليق » بحد السيف وأباد أملاكه المحتقرة وماشيته الهزيلة . لكن المسكين أخطأ خطيئة فاحشة إذ عفا عن « أجاج » ملك « عماليق » وأمسكه حياً وخضع لرأي بني إسرائيل فعفا عن خيار الغنم والبقر والثنيان والخراف وعن كل الجيد .

فأعلن « الرب » : « ندمتُ على أني جعلتُ « شاول » ملكاً لأنه رجع من وراي ولم يُقِم كلامي » . ( صموئيل الأول ١٥ : ١٠ - ١١ ) .

وطلب « صموئيل » النبي !! أن يقدّموا إليه « أجاج » ملك « عماليق » فذهب إليه الأسير فرحاً - وقد ظن أن مرارة الموت قد زالت - فقطعه « صموئيل » أمام الرب في « الجلجال » .

وذهب روح الرب من عند « شاول » وباغته روح رديء من قِبَلِ الرب .

وطلب الرب من « صموئيل » أن يذهب إلى « بيت لحم يهوذا » ويمسح « داوود » - وحل روح الرب على « داوود » من ذلك اليوم فصاعداً .

وحارب « الفلسطينيون » بني إسرائيل ، وقتل « داوود » « جليات » أحد المبارزين الفلسطينيين بالمقلاع - وحقد « شاول » على « داوود » .

وأحبت « ميكال » ابنة شاول « داوود » ، فحسن الأمر في عيني « شاول » وقال : أعطيه إياها فتكون له شركاً وتكون يد الفلسطينيين عليه .

وطلب « شاول » مهراً لابنته مائة غلفة من الفلسطينيين لأن « شاول » كان يفكر في أن يوقع « داوود » بيد الفلسطينيين ، وخيّب « داوود » أمله وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل .

وازداد حقد « شاول » على « داوود » وأراد قتله ، فهرب « داوود » من

أمامه . ويحكي سفر « صموئيل الأول » عن مطاردة « شاول » لـ « داوود » ومغامرات « داوود » الهروبية واختفائه في البيادر والمغارات ولجوئه إلى الفلسطينيين طلباً للحماية .... يحكي ذلك في قصص ظريفة مسلية حقاً .

ومن هذه الحكايات أن « داوود » لجأ إلى « أخيش » ملك « جت » :

وكان أن خاف « داوود » من « أخيش » فغيّر عقله وتظاهر بالجنون وأخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته ، فطرده « أخيش » لما تأكد من جنونه ... وهكذا نجا « داوود » .

وظل « شاول » يطارد « داوود » .

وقال « داوود » في قلبه : إني سأهلك يوماً بيد « شاول » فلا خير لي إلا أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين فييأس « شاول » مني فلا يبحث عني بعد .. فلجأ مرة أخرى إلى « أخيش بن معوك » ملك « جت » .. وأعطاه « أخيش » صقلغ . وكان مع « داوود » ستمائة رجل .

وصعد « داوود » ورجاله وغزوا « الجشوريين » و« الجزريين » و« العمالقة » ( نسي سفر صموئيل الأول أن « شاول » قد أهلك جميع « العمالقة » ويبدو أن التوراة سريعة النسيان !! ) لأن هؤلاء من قديم سكان الأرض من عند « شور » إلى أرض « مصر » . وضرب « داوود » الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة ، وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً ، ورجع وجاء إلى « أخيش » .

وهكذا ...............

واجتمع « الفلسطينيون » لمحاربة إسرائيل ، ولما رأى « شاول » جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً ، فسأل « شاول » من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فقال « شاول » لعبيده فتّشوا لى على امرأة « صاحبة جان » فأذهب إليها وأسألها .... فتنكر « شاول » ولبس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلاً وقال : اعرفي لي بالجان

وأصعدي لي من أقول لك ... فقالت المرأة : من أصعد لك ؟ فقال : أصعدي لي « صموئيل » . فلما رأت المرأة « صموئيل » صرخت بصوت عظيم وكلّمت المرأة « شاول » قائلة : لماذا خدعتني وأنت « شاول » ؟ فقال لها الملك : لا تخافي ، فماذا رأيتِ ؟ فقالت المرأة لـ « شاول » : رايت آلهة يصعدون من الأرض . فقال لها : ما هى صورته ؟ فقالت : رجل شيخ صاعد وهو مغطي بجبة . فعلم « شاول » أنه « صموئيل » فخرَّ على وجهه إلى الأرض وسجد . فقال « صموئيل » لشاول : لماذا أقلقتني بإصعادك إياى ؟ فقال « شاول » : قد ضاق بي الأمر جداً ، الفلسطينيون يحاربونني ، والرب فارقني ولم يجيبني لا بالأنبياء ولا بالأحلام ، فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع . فقال « صموئيل » : ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك ؟ وقد فعل الرب نفسه كما تكلم عن يدي وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاها لقريبك « داوود » ، لأنك لم تسمع لصوت الرب ولم تفعل حمو غضبه في « عماليق » ، لذلك قد فعل الرب بك .
( صموئيل الأول ٢٨ : ٤ – ١٨ )

وهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع . فشد الفلسطينيون وراء « شاول » وبنيه ، وقَتَلَ « شاول » وبنوه الثلاثة ، وقطع الفلسطينيون رأسه ووضعوا سلاحه في « بيت عشتاروث » وسمَّروا جسده على سور « بيت شان » . ( صموئيل الأول ٣١ : ١ – ١٠ ) .

وحارب بيت « شاول » بيت « داوود » مدة طويلة ، وفي النهاية مسح الإسرائيليون « داوود » ملكاً عليهم في حبرون .

وذهب « داوود » وكل إسرائيل إلى « أورشليم » – أي « يبوس » . وهناك « اليبوسيون » سكان الأرض . وقال سكان « يبوس » لداوود : لا تدخل إلى هنا . فأخذ « داوود » حصن صهيون . هي مدينة داوود . وقال داوود : إن الذي يضرب « اليبوسيين » أولاً يكون رأساً وقائداً .

( أخبار الأيام الأول ١١ : ٤ – ٦ )

أي أن « أورشليم » - أو « يبوس » - ظلّت في أيدي أصحابها الشعب « اليبوسي » حصينة منيعة حتى غزاها « داوود » . وكان ذلك أول دخول لبني إسرائيل إليها منذ خروجهم من مصر .

ولم ينقطع تواتر سكان « أورشليم » الأصليين حتى مع وجود الغزاة اليهود على الدهر كله .

هذه شهادة « التوراة » ، ناهيك عن حقائق التاريخ التي ترفض أي وجود عِرقي خالص لشيء يُسمى بالشعب الإسرائيلي في أورشليم .

وأراد « داوود » أن يبني بيتاً من أرز للرب في مدينة « داوود » - « صهيون » - فقال الرب لـ « ناثان » النبي فيما يشبه العتاب :

« اذهب وقل لـ « داوود » عبدي : هكذا قال الرب . أنت لا تبني لي بيتاً للسكنى . لأني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت إسرائيل إلى هذا اليوم ، بل سرت من خيمة إلى خيمة ومن مسكن إلى مسكن . في كل ما سرت مع جميع إسرائيل هل تكلمت بكلمة مع أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرعوا شعبي إسرائيل قائلاً : لماذا لم تبنوا لي بيتاً من أرز » .

( أخبار الأيام الأول ١٧ : ٤ - ٦ )

ولا نعرف هل فضّل الرب الترحال ، ورفض الاستقرار ، لأن هذه المرحلة لم تأت بعد ، ويهمه في المقام الأول أن يكون مع شعبه الهمجي المتجوّل .. ليكون معهم في اصطياد البلاد والإغارة على الشعوب !؟ أم أن الرب غاضب جداً لأنه منذ « الخروج » من مصر ، ومروراً بـ « يشوع » و« القضاة » و« صموئيل الأول » حتى « داوود » ، لم يفكر أحد في أن يبني له بيتاً للسكنى !! إلا خيمة الاجتماع التي تُفَك وتُنصب في كل رحلة !؟

وتعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً .

ويحكي « سِفر صموئيل الثاني » و « أخبار الأيام الأول » قصصاً كثيرة عن

معارك « داوود » مع الفلسطينيين والشعوب الأُخرى في أرض « كنعان » والشعوب المجاورة ... ولا يفوت السِفر أن يُحصى القتلى الذين قتلهم « داوود » ، ويصف طريقة القتل .

ويؤرخ « أخبار الأيام الأول » مُلخِّصاً ما فَصَّله « صموئيل الثاني » فيقول إن « داوود » : ضرب من « آرام » اثنين وعشرين ألف رجل لما جاء « آرام » دمشق لنجدة « هدر عزر » ملك « صوبة » .

وضرب من « أدوم » في وادي الملك « ثمانية عشر ألفاً » .

وقتل - أيضاً - من آرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف رجل .

وأخرب أرض « بني عمون » ، وهدم « ربة » العاصمة ، وأخرج الشعب الذي بها ونشرهم بمناشير ونوارج من حديد وفؤوس ، وهكذا صنع « داوود » لكل مدن « عمون » !! ( أخبار الأيام الأول ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ) .

ويحكي « سِفر أخبار الأيام الأول » أن الرب جمل وباء في إسرائيل ، فسقط من إسرائيل سبعون ألف رجل . وأرسل الله ملاكاً على « أورشليم » لإهلاكها ، وفيما هو يُملك رأى الرب فندم على الشر وقال للملاك المُهلك : كفى .. الآن رُدَّ يديك . وكان ملاك الرب واقفاً عند بيدر « أرنان اليبوسي » .

( أخبار الأيام الأول ٢١ : ١٤ - ١٥ )

وسبب هذا « الوباء » و « الغضب » هو « الرب » نفسه دون أن يستفزه أحد . وهذه هى الحكاية ، كما يرويها « سِفر صموئيل الثاني » :

« وعاد فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم « داوود » قائلاً : امض واحصى إسرائيل ويهوذا ، فقال الملك لـ « يوآب » رئيس الجيش الذي عنده : طف في جميع أسباط إسرائيل وعدُّوا الشعب ... ، .. فدفع « يوآب » جملة عدد الشعب إلى الملك ، فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مستل السيف ورجال « يهوذا » خمسمائة ألف .............. » .

ولما أقام « داوود » صباحاً كان كلام الرب إلى « جاد النبي » رائي داوود قائلاً : اذهب وقل لداوود : هكذا قال الرب : « ثلاثة أنا عارض عليك فاختر لنفسك واحداً منها فأفعله بك » ، فأتى جاد إلى داوود وأخبره وقال له : أتأتي عليك سبع سنى جوع في أرضك ، أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك ، أم يكون ثلاثة أيام وباء في أرضك ؟ . فالآن اعرف وانظر ماذا أرد جواباً على مُرسلي ؟

واختار « داوود » الثالثة » .

وهكذا ............. » .

الرب هو الذي أهاج « داوود » على الشعب !!

والرب هو الذي أمره بإحصاء إسرائيل ويهوذا !!

ونفّذ داوود أمر الرب !!

وغضب الرب من داوود لأنه أحصى الشعب وخيّره بين عقوبات ثلاث !!

واختار داوود عقوبة الوباد والهلاك !!

وندم « الرب » لمّا رأى الملاك المُهلك واقفاً بسيفه !!

........................... !! ؟

والقصة مذكور مرة أخرى بنفس التفاصيل ، مع تغيير في ألفاظ نص العقوبة الثالثة في « أخبار الأيام الأول » – مع الزيادة :

« أو ثلاثة يكون فيها سيف الرب ووباء في الأرض وملاك لرب يعثو في كل تخوم إسرائيل » . ( أخبار الأيام الأول ٢١ : ١٢ ) .

واشترى داوود بيدر « أرنان اليبوسي » بستمائة شاقل ذهباً ، وبنى هناك مذبحاً للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة ، وأجابه الرب بنار من السماء على مذبح المحرقة ، وأمر الرب الملاك فرد سيفه إلى غمده !! وأنشأ « داوود »

كورس ثابتاً للغناء أمام خيمة الرب - مسكنه المؤقت - بآلات رباب وعيدان وأبواق وصنوج ليُرنِّموا الرب !! ويُغنُّوا له !! وأقام كذلك كهنة أمام مسكن الرب في المرتفعات التي في « جبعون » ليصعدوا المحرقة صباحاً ومساءً .

( أخبار الأيام الأول ٢١ - ٢٣ )

وجرى بعد ذلك أنه كان لـ « أبشالوم بن داوود » أخت جميلة اسمها « ثامار » فأحبها أخوها « أمنون بن داوود » ، ومرض « أمنون » وأحصر للسقم من أجل « ثامار » أخته ، لأنها كانت عذراء وعسر في عيني « أمنون » أن يفعل لها شيئاً . وكان لأمنون صاحب اسمه « يوناداب بن شمعي » وكان رجلاً حكيماً جداً ، فدبَّر لـ « أمنون » كيف يستدرج أخته ، فاضطجع « أمنون » فجاء الملك ليراه فقال أمنون : دع ثامار أختي فتأتي وتصنع أمامي كعكتين فآكل من يدها ، فذهبت ثامار إلى بيت « أمنون » وعملت الكعكتين ، وأبى « أمنون » أن يأكل إلا إذا خرج كل الناس من الغرفة . فأخذت ثامار الكعكتين ، وأتت بهما « أمنون » أخاها إلى المخدع ، فأمسكها وقال لها : اضطجعي معي ، وتمكَّن منها وقهرها . وبعد أن اضطجع معها دعا غلامه وأمره بطردها وإغلاق الباب . ( صموئيل الثاني ١٣ - ١٧ ) .

ودبَّر بعد ذلك « أبشالوم » شقيق « ثامار » مؤامرة قتل فيها أخاه « أمنون » الذي زنى بأخته العذراء « ثامار » . ( صموئيل الثاني ٢٣ - ٣٣ ) .

وخرج « أبشالوم » على أبيه « داوود » ونادى بنفسه ملكاً على كل إسرائيل . وأما « داوود » فبعد مطاردة ابنه له صعد في مصعد جبل الزيتون باكياً ورأسه مغطى ويمشى حافياً ، وكذلك فعل مَنْ تبقى معه من الشعب .

وأما « أبشالوم » وجميع الشعب رجال إسرائيل فأتوا إلى « أورشليم » ، ودخل « أبشالوم » إلى سراري أبيه اللواتي تركهن لحفظ البيت ونصب له رجاله خيمة على سطح البيت ودخل على سراري أبيه أمام جميع إسرائيل .

وحدثت بعد ذلك معركة في « وعر أفرايم » بين شعب إسرائيل أتباع

« أبشالوم » وبين عبيد « داوود » انكسر فيها شعب إسرائيل ، وكان هناك مقتلة عظيمة ، قُتِلَ عشرون ألفاً ومنهم « أبشالوم » . وعاد الملك مرة ثانية للملك « داوود » . ( صموئيل الثاني : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ) .

وكان جوع في أيام « داوود » ثلاث سنين ، فطلب « داوود » وجه الرب فقال الرب : هو لأجل « شاول » لأنه قتل الجبعونيين . والجبعونيون ليسوا من « بني إسرائيل » بل من بقايا الأموريين ، وقد حلف لهم بنو إسرائيل وطلب « شاول » أن يقتلهم لأجل غيرته على بني إسرائيل ويهوذا ، وسلّم « داوود » سبعة أبناء لـ « شاول » إلى يد الجبعونيين فصلبوهم على الجبل أمام الرب في ابتداء حصاد الشعير !! ( صموئيل الثاني ٢١ : ١ - ٨ ) .

والمعجب هنا تردد « يهود » » !! فهو الذي كان قد شرع قتل جميع شعوب أرض الموعد ومن ضمنهم الأموريين بحيث لا يتبقى منهم نسمة واحدة ، و« شاول » نفّذ أولاً كلام الرب ، وثانياً لغيرته على إسرائيل .. مع أن الرب رفضه من قبل لمجرد أنه استحيا رجلاً واحداً من « عماليق » هو الملك « أجاج » ، لكنها الأسطورة ... والتناقض ... والفكاهة أيضاً !!

ومع كل ما نقلناه من هذه الأساطير « الأسفار » ... واختيارنا جانب القوة لصالح إسرائيل ... حتى لا تتطاول قالة تزعم أننا انتقينا نقاط الضعف في تاريخهم المسطور بين دفتي كتابهم المقدس بالوحي !! وأننا بحثنا لهم عن جوانب انكسار أو انحسار أمام سيادة شعوب المنطقة الساكنة بصفة أصلية من قبلهم بالآف السنين في أرض الموعد ... مع كل هذا فإن كل المجد ... وكل القوة .. وكل الاستقرار الذي وصفت به الأسفار عصر « داوود » رمز المُلك المُقنَّن .. الموديل أو الطراز الذي ينبغي أن يكون عليه كل ملوك إسرائيل ... والذي من أجله يتحتم أن يخرج من بذرته الملك العالمي .. « مسيح إسرائيل » !! ... مع

كل هذا ؛ فإن سيادته في أرض كنعان لم تتعد بضعة قرى داخل التلال الداخلية في أرض الموعد ... وظل الساحل الشرقي كله والأراضي التي خلفه في أيدي الشعوب الإيجية المعروفة بالفلسطينيين ... والجنوب كله تحت سيطرة القبائل العربية القديمة ... والشمال من السامرة فما فوق ... في أيدي الشعوب السامية الأخرى !!

بل إن المعجب أن « بيت لحم » القريبة جداً من « يبوس » أو « أورشليم ».. بيت لحم وفيها « سبط يهوذا ».. وفيها سكن « فارص » و« عوبيد » و« يسي » و « داوود » ... لم تكن بصفة مستمرة تحت سيطرة الملك « داوود » ... وكان يتنازع السيادة عليها الفلسطينيون والملك داوود .. أي كان الفلسطينيون يأتون تلك المسافة الشاسعة من غزة أو أشدود أو أشلقون أو حيفا أو يافا أو بيت شان لينازعوا « داوود » السيطرة على مسقط رأسه ... بل كان للفلسطينيين – أكثر من هذا – محلة أو قرية أو ضاحية في « بيت لحم » حتى إن « داوود » كان يتوق إلى ماء من بئر « بيت لحم » والفلسطينيون هناك مسيطرون .

وهذا « سِفر صموئيل الثاني » يتحدث في صراحة متناهية :

« وجيش الفلسطينيين نازل في وادي الرفائيين . وكان « داوود » حينئذ في الحصن ، وحفظه الفلسطينيون حينئذ في « بيت لحم » . فتأوه « داوود » وقال : مَنْ يسقيني ماء من بئر « بيت لحم » التي عند الباب ؟ فشق الأبطال الثلاثة محلة « الفلسطينيين » واستقوا ماء من بئر « بيت لحم » التي عند الباب وحملوه وأتوا به إلى « داوود » ، فلم يشأ أن يشربه بل سكبه الرب . وقال : حاشا لي يارب أن أفعل ذلك ، هذا دم الرجال الذين خاطروا بأنفسهم ، فلم يشأ أن يشربه . هذا ما فعله الثلاثة الأبطال » .(صموئيل الثاني ٢٣ : ١٣ – ١٧).

وكما خرج « أبشالوم بن داوود » على أبيه ، خرج أيضاً رجل بنياميني هو « شبع بن بكرى » على « الملك داوود » ... فضرب بالبوق وقال : ليس لنا قسم فى داوود ولا نصيب فى « ابن يسى » فصعد كل رجال إسرائيل من وراء « داوود » إلى وراء « شبع بن بكري » . وأما رجال « يهوذا » فلازموا ملكهم ، أي « داوود » .

وخاف « داوود » على نسائه فجاء إلى بينه وأخذ النساء السراري العشر اللّواتي تركهن لحفظ البيت وجعلهن تحت حجر ، وكان يعولهن ولم يدخل إليهن بل كنّ محبوسات إلى يوم موتهن !! في عيشة العزوبة !!

وأرسل « داوود » رجاله بقيادة « يوآب » . وفي الطريق أمسك « يوآب » بلحية أحد رجال « داوود » المشهورين ويدعي « عماسا » ليُقَبله !! لكن « يوآب » ضربه بسيفه بغتة فدلق أمعاءه على الأرض ، وتمرغ « عماسا » في الدم وتفرّج عليه الناس إلى أن مات ، ثم نقلوه عن السكة ، وخاف الشعب وعبر كل إنسان وراء « يوآب » لاتباع « شبع بن بكري » ، وحاصر « يوآب » وجيشه « آبل بيت معكة » وأقاموا مترسة حول المدينة لحصارها ، وجميع الشعب الذين كانوا مع « يوآب » كانوا يُخرِّبون لأجل إسقاط السور .

لكن امرأة حكيمة من المدينة فكّت الحصار بأن أتت إلى جميع شعبها بحكمتها فقطعوا رأس « شبع بن بكري » وألقوه إلى « يوآب » فضرب بالبوق وانصرف . ( صموئيل الثاني . ٢ : ١ - ٢٣ ) .

وشاخ الملك « داوود » . وكانوا يُدثّرونه بالثياب فلم يدفأ . فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء ، فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك . ففتّشوا على فتاة جميلة في جميع

تخوم إسرائيل فوجدوا « أبيشج الشمونية » فجاءوا بها إلى الملك ، وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها !!

( الملوك الأول ١ : ١ - ٤ ) .

ومات الملك « داوود » ومُسِحَ ابنه « سليمان » ملكاً وجلس على كرسي أبيه . وسبق ذلك محاولة من « أدونيا بن داوود » من امرأته « حجيث » الذي قال : أنا أملك ، وعدّ لنفسه عجلات وفرساناً وخمسين رجلاً يجرون أمامه . ولم يُغضبه أبوه قط قائلاً : لماذا فعلت هكذا ؟ وهو أيضاً جميل الصورة جداً وقد ولدته أمه بعد « أبشالوم » ، وكان كلامه مع « يوآب » قائد جيش « داوود » ومع « أبياثار » الكاهن فأعانا « أدونيا » .

وأما « صادوق الكاهن » و « بناياهو » و « ناثان النبي » و « شمعي » و « ربعي » والجبابرة الذين لداوود فلم يكونوا مع « أدونيا » ، فذبح « أدونيا » غنماً وبقراً ومعلوفات عند حجر الزاحفة ودعا جميع إخوته بني الملك وجميع رجال « يهوذا » عبيد الملك . ( الملوك الأول ١ : ٥ - ١٠ ) .

وتدخل « ناثان النبي » لصالح « سليمان » فذهب إلى « بتشبع » أم « سليمان » وطلب أن تدخل على الملك « داوود » وتقول له : « أما حلفت يا سيدي لأمتك ، قائلاً : إن سليمان ابنك يملك بعدي ، فلماذا ملك أدونيا » ؟!

ودخل « ناثان النبي » إلى « الملك داوود » وسجد له على وجه الأرض وقال له : أأنت قلت إن « أدونيا » يملك بعدي - وهو يجلس على كرسيٍّ ؟!

وأفاق « الملك داوود » من غفلته وأمر بأن يركبوا ابنه « سليمان » على بغلة « داوود » وينزلوا به إلى « جيحون » وليمسحه هناك « صادوق » الكاهن ، و « ناثان النبي » ملكاً على إسرائيل ، وليضربوا بالبوق ، وليقولوا : « يحيا الملك سليمان » .

وفعلوا كذلك .. وبذلك صار الملك سليمان !!

وشرع بعد ذلك « الملك سليمان » في بناء « بيت الرب » في « أورشليم » في « جبل المريا » في بيدر « أرنان اليبوسي » لأن الرب قرَّر أن : « أسكن في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل » .

( الملوك الأول ٦ : ١٣ )

وتم البناء في سبع سنوات بمساعدة ومدد من « حيرام » ملك « صور » الذي أرسل لـ « سليمان » خشب سرو وخشب أرز ، وإشراف فني من « حورام أبي » من « صور » أيضاً وكان ماهراً في جميع الحرف والفنون ، وعن طريق تسخير الرجال الأجنبيين في أرض إسرائيل !! الذين وجدوا : « مائة وثلاثة وخمسين ألفاً وستمائة . فجعل منهم سبعين ألف حمال وثمانين ألف قطّاع على الجبل وثلاثة آلاف وستمائة وكلاء لتشغيل الشعب » .

( أخبار الأيام الثاني ٢ : ١٧ - ١٨ )

ويتحدث « سفر الملوك الأول » « وأخبار الأيام الثاني » عن سير عملية البناء وطريقة العمل وشكل المبنى تصميماً وزخرفة ومساحة وأدوات .

وبعد أن أكمل البناء قال « سليمان » : « قال الرب إنه يسكن في الضباب ، وأنا بنيت لك بيت سكن مكاناً لسكناك إلى الأبد » .

( أخبار الأيام الثاني ٦ : ١ - ٢ )

« أما جميع الشعب الباقين من « الأموريين » و « الحثيين » و « الفرزيين» و « الحويين » و « اليبوسيين » الذين ليسوا من بني إسرائيل . أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم جعل عليهم « سليمان » تسخير عبيد إلى هذا اليوم » !! .

( الملوك الأول ٩ : ٢٠ - ٢٢ )

« وأحب « الملك سليمان » نساءً غريبة . كثيرة مع « بنت فرعون » :

« مؤابيات » و « عمونيات » و « أدوميات » و « صيدونيات » و « حثيات » .. من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يُميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق « سليمان » بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه . وكان في زمان شيخوخة « سليمان » أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى . ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب « داوود » أبيه ، فذهب « سليمان » وراء « عشتورث » الإهة «الصيدونيين» و « ملكوم » رجس « العمونيين » . وعمل « سليمان » الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداوود أبيه . حينئذ بنى « سليمان مرتفعة لكموش رجس « الموآبيين » على الجبل الذي تجاه « أورشليم » ، ولمولك رجس « بني عمون » . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللّواتي كنّ يُوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على « سليمان » لأن قلبه مال عن الرب « إله إسرائيل » الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أُخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب » ( الملوك الأول ١١ : ١ - ١٠ ) .

و « سليمان » هذا الذي صوّرته « التوراة » بأنه كفر وارتد وطلّق الرب إله إسرائيل وعبد أصنام ورجاسات وأوثان الأمميين بعد أن أمالت نساؤه السبعمائة وسراريه الثلاثمائة قلبه عن طريق الرب .... « سليمان » هذا .. أحد ملكين اثنين « داوود - سليمان » لا تملك التوراة غيرهما - ولا كذلك تاريخ بني إسرائيل كله من خلال أقدس كتبهم - كملكين حكما المملكة الواحدة فيما زعموا أنهم اقتطعوه من أرض الموعد ؟!

مجرد ملاحظة !!

هذا هو عصر القوة والمجد والسيادة والأبهة والذكاء عن تاريخ بني إسرائيل منذ دخل « يشوع بن نون » إلى أرض الموعد عن طريق « راحاب » الزانية، مروراً بـ « القضاة » و « شاول » وإلى « الملك داوود » و « الملك سليمان » .... ومن قبل ذلك اختصاص « يعقوب - إسرائيل » بالعهد والصفقة والموعد !!

نقلتُه بنصه من « التوراة » ..

اخترتُ عناصر القوة دون سواها ..

ذكاء « يعقوب » في ابتياعه بكورية أخيه « عيسو » وسرقته بركته بمؤامرة فنية وحيلة ماكرة غشَّ بها أباه الضرير « إسحاق » !!

ثراء « يعقوب » الفاحش عن طريق الضحك على خاله . بأنه استولد ذات الألوان التي اتفق مع « لابان » أن تكون أجرته منها في مقابل الرعي !! فكان يكشح السواد عن قضبان ( أعواد ) اللوز والدلب التي بين مساقي المياه ليجعلها ملونة أسود - أبيض ، ويجعل الماشية تتوحم بينها فتلد نفس ألوان الأعواد .... مهارة !!

صراع « يعقوب » مع الرب من أول الليل حتى الفجر ، وصموده أمام الرب الذي لم يستطع أن يغلبه حد الغيظ لدرجة أن الرب خبطه بعصا على حُقِّ فخذه .... ثم إعجاب الرب به لهذه القوة فاستحق أن يسميه « إسرائيل » .... أي مجاهد الرب !!

خدعة « يشوع » العسكرية بدخوله « أريحا » عن طريق « بيت دعارة » خانت من خلاله صاحبته « راحاب » بني قومها وسمحت للجواسيس أن يضطجعوا فيه فسهل أمر الاختراق إلى أرض كنعان !!

قوة التشريع الإسرائيلي في تصفية كل شعوب أرض الموعد فلا تستبق منهم نسمة : امرأة أو طفلاً أو شيخاً أو رضيعاً ، ولا حيواناً : هزيلاً أو سميناً .... أما الشعوب المحيطة بأرض الموعد فإلى الرق والعبودية - لبني إسرائيل بالطبع - عدا الذكور الذين يجب أن يُقتلوا جميعاً بحد السيف !!

الابتكار الفني في الرعب والتخويف كأن يُقَطِّعوا أصابع اليدين والرجلين ليجعلوا من يريدون إبقاءه حياً يلتقط طوال حياته تحت الموائد !!

تسخين الرب واستمالته وأخذه إلى جانبهم بإغاظته بعبادة البعل ... حتى يغار ويلجأ إلى خلاصهم !!

قوة « شمشون » الخارقة الذي قتل ألف رجل بلحي حمار طرى - أي بالفك الأسفل لحمار !! ( لا تسألني كيف وجد البطل شمشون ذقن حمار أو الجزء السفلي من فك حمار طرياً !! ) - . فن « شمشون » في ربطه ذيول ثلاثمائة ثعلب - أو « ابن آوى » - بعضها إلى بعض ووضعه مشعلاً بين ذَنبين وأطلقها فأحرقت زرع وكروم وأجران الفلسطينيين .

قصة شهامة « يهوذا » الذي زنى بامرأة ابنه بأجرة جدي ماعز ، عَزَّ عليه في النهاية إرسالها إليها ... فلما أرادوا حرقها بعد أن حبلت وكبر بطنها ، اعترف « يهوذا » بالواقعة وأنها - أي امرأة ابنه الزانية كانت أبر منه !!( وسنذكرها في موقعها عند عرض قضية اختلاط اليهود بالشعوب الأخرى ) .

فطنة « داوود » وحدة ذكائه . فبعد الزنا بامرأة جنديه !! أراد أن ينسب ما في البطن إلى رجلها « أوريا » ، ثم قتله إياه بطريقة فنية بعد أن رفض الرجل أن ينام في بيته !! ( وسنعرضها عند مناقشة خرافة الجنس اليهودي ) .

التزام « داوود » العسكري في نشر الشريعة اليهودية وصرامته في تطبيقها . فبعد تخريبه أرض « بني عمون » أخرج الشعب العموني ونشره بمناشير ونوارج من حديد !!

تسخير « سليمان » لجميع الغرباء في مملكته - سخرة عبيد - وهؤلاء الغرباء هم أبناء الشعوب التي كانت تسكن تلك البلاد قبل أن يغزوها بنو إسرائيل - كاحتياطات أمن !!

وأعتذر أنني لم أنقل فقط إلا خيابة « شاول » الذي نفّذ أمر الرب بحذافيره فقتل جميع « العماليق » وبهائمهم ، إلاّ أنه استثنى الملك « أجاج » فأسره وعفا عن خيار الغنم !! فاستحق ندم الرب أن جعله ملكاً . وعُذرى أن السياق في سرد القصة الإسرائيلية هو الذي جعلني أنقل حكاية أحد الرحماء !! الذين لم يلتزموا بكلام رب الجنود لدواعي الأمن !!

أما ما بقى من الحكاية الإسرائيلية كما تقصها « التوراة » وأسفار « الملوك »

و « التواريخ » و« الأنبياء » - وهو عصر الانحطاط والكفر والهزيمة والضربات القاضية التي نزلت بالشعب المختار !! ومنها الأسر والسبي والشتات - فلن أنقله بمثل هذه الكثافة والنصوص والتفاصيل حتى لا يغضب « بنو عمنا » أو « أصدقاؤنا » الجدد ، لا سيما ونحن في مرحلة تطبيع العلاقات !!

يكفي فقط ذكر بعض المعلومات القليلة أو الإشارة إلى بعض الوقائع الخفيفة بالإحالة إلى « التوراة » ..

فبعد موت « سليمان » مباشرة ، انقسمت المملكة إلى قسمين : « مملكة يهوذا » في الجنوب و « مملكة إسرائيل » في الشمال .

ذلك أن بني إسرائيل بعد موت « سليمان » طلبوا من ابنه « رحبعام » أن يُخفِّف عليهم نَير أبيه الثقيلة . لكنه قال لهم : أبي ثقَّل نيركم ، وأنا أزيد عليه .. أبي أدبكم بالسياط ، وأما أنا فبالعقارب » .

ولم يسمع لكلامهم - جاوب الشعب : أي قسم لنا في « داوود » ولا نصيب لنا في « ابن يسي » . كل واحد إلى خيمته يا إسرائيل . وملكوا عليهم « يربعام بن نباط » . وهكذا أصبح « رحبعام بن سليمان » ملكاً على « يهوذا » ، و « يربعام بن نباط » ملكاً على « إسرائيل » .

ولما تثبتت مملكة « رحبعام » وتشددت ، ترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل معه .

وفي السنة الخامسة للملك « رحبعام » ، صعد « شينشق » ملك مصرعلى « أورشليم » وأخذ المدن الحصينة التي لـ « يهوذا » وأتى إلى « أورشليم » .

واتخذ « رحبعام » ثمانية عشر امرأة وستين سرية ، وولد ثمانية وعشرين ابناً وستين ابنة ، وملك سبعة عشر سنة في « أورشليم » واسم أمه « نعمة العمونية ».

وخلف « أبيا » رحبعام . واشتعلت الحرب بين « مملكة يهوذا » و « مملكة إسرائيل » .

وبعد « أبيا » ملك « آسا » في يهوذا . وفي السنة السادسة للملك « آسا » صعد « بعشا » ملك إسرائيل على يهوذا . واستعان « آسا » بالملك « بنهدد » ملك « أرام » الساكن في دمشق ، وأرسل له من خزائن بيت الرب فضة وذهبا لينقص عهده مع « بعشا » ملك إسرائيل » فيصعد عنه ، فسمع « بنهدد » للملك « آسا » وأرسل الجيوش التي غارت على مدن إسرائيل وضربوا عيون المياه وجميع مخازن مدن « نفتالي » .

وأتى « بنو موآب » و « بنو عمون » و « جبل سعير » إلى « يهوشافاط » ملك « يهوذا » للحرب .

وملك « ناداب بن يربعام » على إسرائيل في السنة الثانية لـ « آسا » ملك يهوذا وعمل الشر في عيني الرب وسار في طريق أبيه وفي خطيته التي جعل بها إسرائيل يخطئ .

وملك « آخاب بن عمري » على إسرائيل في السنة الثامنة والثلاثين لـ « آسا » ملك يهوذا ، وعمل الشر في عيني الرب ، واتخذ « إيزابل » ابنة ملك الصيدونيين امرأة وعبد « البعل » وسجد له وأقام له مذبحاً في السامرة ، وزاد « آخاب » في العمل لإغاظة الرب أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله ، وقتلت « إيزابل » زوجته « أنبياء الرب » وقطعتهم حتى أن « عوبديا » الذي على البيت خبأ مائة وخمسين نبياً وعالهم بخبز وماء . وكان أنبياء « البعل » أربعمائة وخمسين نبياً ، وأنبياء « السواري » أربعمائة . وكلهم يأكلون على مائدة « إيزابل » . وحرّض « إيليا » النبي الشعب فأمسكوهم فنزل بهم « إيليا » إلى نهر « فيشون » وذبحهم هناك .

وعصى « موآب » على إسرائيل بعد وفاة « آخاب » في زمن ابنه « آخزيا » الذي مرض فأرسل رسلاً يسألون « بعل زبوب » إله « عقرون » إن كان يبرأ من المرض .

وفي عهد « يهورام بن آخاب » صعد « بنهدد » ملك « أرام » وحاصر

السامرة وكان جوع شديد في السامرة . وهم حاصروها حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة ، وربع القاب من زبل الحمام بخمس من الفضة . وبينما كان ملك إسرائيل جائزاً على السور صرخت امرأة إليه تقول : خلّص يا سيدي الملك . فقال : لا يخلصك الرب . من أين أخلصك . أمن البيدر أو من المعصرة ؟ ثم قال لها الملك : مالك ؟ فقالت : إن هذه المرأة قد قالت لي هاتي ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابني غداً . فسلقنا ابني وأكلناه . ثم قلتُ لها في اليوم الآخر : هاتي ابنك فنأكله فخبأت ابنها . ( الملوك الثاني : ٦ ) .

وفي زمن « يوآش » ملك يهوذا جاء رؤساء يهوذا وسجدوا للملك فسمع لهم وتركوا بيت الرب إله آبائهم وعبدوا السواري والأصنام ، فكان غضب الرب على « يهوذا » و « أورشليم » لأجل إثمهم هذا . وأرسل إليهم أنبياء لارجاعهم فلم يصغوا . ولبس روح الله « زكريا بن يهوياداع » الكاهن فرجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب .

وصعد جيش « أرام » وأتوا إلى « يهوذا » و « أورشليم » وأهلكوا كل رؤساء الشعب . وجميع غنيمتهم أرسلوها إلى ملك دمشق .

وأما الملك « عزيا » فقد ساعده الرب في حرب الفلسطينيين والعرب الساكنين في « حور بعل » . ثم غضب عليه الرب في النهاية وأصابه بالبرص إلى أن مات !!

وأما الملك « آحاز » فقد سار في طرق إسرائيل وعمل تماثيل مسبوكة لـ « البعليم » وأوقد في وادي « ابن هنوم » وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم ، وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء ، فدفعه الرب ليد ملك « أرام » فضربوه وسبوا منه سبياً عظيماً وأتوا به إلى دمشق .

وحارب ملك إسرائيل « يهوذا » فقتل منها مائة وعشرين ألف في يوم واحد، وسبى بنو إسرائيل من إخوانهم مائتي ألف من النساء والبنين والبنات ، ونهبوا منهم أيضاً غنيمة وافرة وأتوا بها إلى السامرة .

وأرسل الملك « آحاز » إلى ملوك « آشور » لكي يساعدوه .

وأتى « الأدوميون » وضربوا « يهوذا » وسبوا سبياً .

واقتحم « الفلسطينيون » مدن يهوذا وقراها وسكنوا هناك .

ولكي يغيظ الملك « آحاز » -ملك يهوذا- الرب الذي قصَّر !! في خلاصه ، زاد خيانة بالرب وذبح لآلهة دمشق الذين ضاربوه . وقال : لأن آلهة ملوك آرام تساعدهم أنا أذبح لهم فيساعدونني . ( أخبار الأيام الثاني : ٢٨ ) .

وأما الملك « منسي » فكان ابن اثنتي عشرة سنة حين ملك ، وملك خمساً وخمسين سنة في « أورشليم » ، وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام « بني إسرائيل » . ( لم يطرد الرب أياً من الأمم . فلا زال الفلسطينيون والعمونيون والأدميون والمؤابيون والكنعانيون والصيدونيون وغيرهم باقون في أرضهم ، ويغيرون على بني إسرائيل الغزاة ويسكنون في مدنهم - في نفس السِفر الذي ننقل منه . وفي « سفر القضاة » سكن بنو إسرائيل وسط جميع الأمم ... وذكرها بالاسم . لكن ما الحيلة والتوراة سريعة النسيان !! ) فبنى المرتفعات وأقام مذابح البعليم وعمل سواري وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح في بيت الرب وعبر بنيه في النار وسحر واستخدم جاناً وتابعه وأكثر عمل الشر في عيني الرب لإغاظته ووضع تمثال الشكل في بيت الله . ( أخبار الأيام الثاني : ٣٣ ) .

وصعد « حزائيل » ملك « أرام » وحارب « جت » وأخذها ثم حوّل وجهه إلى « أورشليم » فأخذ « يهوآش بن أخزيا » ملك يهوذا جميع الأقداس وكل الذهب الموجود في خزائن بيت الرب وأرسلها إلى « حزائيل » ملك أرام فصعد عن « أورشليم » .

وفي السنة الثالثة والعشرين لـ « يوآش بن أخزيا » ملك « يهوذا » ملك « يهو آحاز بن ياهو » على إسرائيل في السامرة سبع عشرة سنة وضايق ملك « أرام » إسرائيل كل أيام « يهو آحاز » ( الملوك الثاني ١٢ ، ١٣ ) .

. . . . . . . . . . .



وهكذا تستمر « الحكاية الإسرائيلية » في سرد « منحنى السقوط » إلى أن وصلت إلى النهاية ... « الأسر » و « السبي » و « الشتات » و « الضياع » !!

فصعد ملك آشور « شلمناسر » على كل الأرض وحاصر السامرة ثلاث سنين، وفي السنة التاسعة « لهوشع » أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى « آشور » وأسكنهم في « حلح » وخابور نهر « جوزان » وفي مدن « مادي » .

وفي السنة الرابعة عشرة للملك « حزقيا » صعد « سنحاريب » ملك آشور على جميع مدن يهوذا الحصينة وأخذها . وأرسل « حزقيا » ملك يهوذا إلى ملك « آشور » يقول : قد أخطأت ، ارجع عني ومهما جعلت عليا حملته . فوضع ملك « آشور » على « حزقيا » ملك يهوذا ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب . فدفع « حزقيا » جميع الفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك وقشر الذهب عن أبواب هيكل الرب والدعائم ودفعه لملك « آشور » ( الملوك الثاني : ١٦ ، ١٨ ) .

وغضب الرب جداً على إسرائيل ونحّاهم من أمامه ، ولم يبق إلا سبط « يهوذا » وحده ، ويهوذا أيضاً لم يحفظوا وصايا الرب بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها .

وفي عهد الملك « يهوياقيم » الذي عمل الشر في عيني الرب صعد « نبوخذ نصر » ملك بابل وقيّده بسلاسل نحاس ليذهب به إلى بابل ، وأخذ الملك البابلي أمتعة بيت الرب إلى بابل .

وملك بعده « يهوياكين » الذي تمرد على الملك « نبوخذ نصر » ، فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم . ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعاً إلى « بابل » . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهكوا جميع آنيتها الثمينة . وسبي الذين بقوا من السيف إلى « بابل » فكانوا له ولبنيه عبيداً ( أخبار الأيام الثاني : ٣٦ ) .

ومن الغريب أن النبي « إرميا » كان يشجع بني قومه على السبي ويبارك لهم الأسر ويطلب من الأمم الأخرى أن تخضع لملك « بابل » . وكان يسير بين الناس وقد وضع حول رقبته نيراً ورباطاً ، يدفعهم إلى « العبودية » من أجل الحياة !!

« هكذا قال الرب لي : اصنع لنفسك ربطاً وأنياراً واجعلها على عنقك . وأرسلها إلى ملك أدوم وإلى ملك موآب وإلى ملك بني عمون وإلى ملك صور وإلى ملك صيدون بيد الرسل القادمين إلى « أورشليم » إلى « صدقيا » ملك يهوذا . وأوصهم إلى سادتهم قائلاً : هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل : إني أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض بقوتي العظيمة وبذراعي الممدودة وأعطيتها لمن حسن في عيني . والآن قد دفعت كل هذه الأراضي ليد « نبوخذ نصر » ملك بابل عبدي وأعطيته أيضاً حيوان الحقل ليخدمه ..... ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم « نبوخذ نصر » ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل أني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع والوباء يقول الرب : حتى أفنيها بيده » !! ( إرميا ٢٧ : ٢ - ٨ ) .

ويرسم « حزقيال » - في السفر المسمى باسمه - لوحة فنية رائعة عن انحلال المملكتين اليهوديتين : « إسرائيل » وعاصمتها « السامرة » ، و « يهوذا » وعاصمتها « أورشليم » وهلاكهما وتدميرهما ، وذبح وأسر وسبي سكانهما . يقول « حزقيال » في الإصحاح الثالث والعشرين ( من ١ - ١٩ ) :

« وكان إليَّ كلام الرب قائلاً : يابن آدم ؛ كان امرأتان ابنتا أم واحدة . وزنتا بمصر . في صباهما زنتا . هناك دغدغت ثديهما وهناك تزغزت ترائب عذرتهما . واسمهما « أهولة » الكبيرة و « أهوليبة » أختها ، وكانتا لي وولدتا بنين وبنات . واسماهما « السامرة أهولة » و « أورشليم أهوليبة » . وزنت « أهولة » من تحتي وعشقت محبيها « آشور » الأبطال اللابسين الأسمانجوني ولاة وشحَناً كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل . فدفعت لهم عقرها لمختاري بني آشور

كلهم وتتجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم . ولم تترك زناها من مصر أيضاً ، لأنهم ضاجعوها في صباها وزغزغوا ترائب عُذرتها وسكبوا عليها زناهم . ولذلك سلمتها ليد عشاقها ليد بني آشور الذين عشقتهم . هم كشفوا عورتها . أخذوا بنيها وبناتها وذبحوها بالسيف فصارت عبرة للنساء وأجروا عليها حكماً.

فلما رأت أختها « أهوليبة » ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها ، وفي زناها أكثر من زنا أختها . عشقت بني آشور الولاة والشحن الأبطال اللابسين أفخر لباس . فرساناً راكبين الخيل كلهم شبان شهوة . فَرأيتُ أنها تنجست ولكلتيهما طريق واحدة . وزادت زناها . ولما نظرت إلى رجال مصوَّرين على الحائط صور الكلدانيين مصورة بمغرة ، منطقين بمناطق على أحقائهم ، عمائمهم مسدولة على رؤوسهم . كلهم في المنظر رؤساء مركبات شبه بابل الكلدانيين أرض ميلادهم . عشقتهم عند لمح عينيها إياهم ، وأرسلت إليهم رسلاً إلى أرض الكلدانيين . فأتاها بنو بابل في مضجع الحب ونجسوها بزناهم فتنجست بهم وجفتهم نفسها . وكشفت زناها وكشفت عورتها فجفتها نفسي كما جفت نفسي أختها . وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر » .

* * *

آن لنا الآن أن نخرج من إسار « الحكايات الإسرائيلية » التي ولجتها باختياري الحر ، وأرهقتُ القاريء المسلم معي ، وهو وأنا نلوك عبارات سقيمة تميَّزت بها النصوص « الكتابية » ، واضطرتني أمانة الرواية والسرد أن أنقلها بقدِّها و « قدسها !! » حتى لا تكون هناك شبهة من « تحريف » !! قصدنا إليها ونحن ننقل عن « وحي » الكتاب المقدس !!

ولعليِّ أيضاً أثقلتُ على وجدان القاريء المسلم وأعييتُ سمعه وبصره في معاناة بالغة وهو يجتاز معي « غابة » من فساد التصور الاعتقادي وسفالة السلوك ووحشية المعاملات في المحيا والممات ، في الحرب والسلام ...... من الرب إلى الفرد .

ومع ذلك - وعسى أن يقبل القاريء عذري - كانت هناك أسباب دافعة وغلاَّبة لهذا الولوج الذي خرجنا منه بحمد الله وسلامته .

أولها : أن الرواية « الكتابية » عن حكاية « بني إسرائيل » عند « بني إسرائيل » هى قمة التاريخ والمجد والصدق والحضارة .... ووضع اليد أيضاً !!

ومن ثَمَّ فإن عرضها من مصادر أصحابها بهذا القدر من الكثافة والثقل لا يعتبر مجاملة مني في أخذ وجهةِ الطرف موضوع الدراسة من منبعه الأصيل فحسب ، بل هى مداعبة حد الغزل !!

وهذا لعمري أقصى ما يصل إليه الإنسان من ود إذا صالح الآخرين وطبَّع معهم العلاقات !!

وهذا في مناهج البحث قمة الحيدة والموضوعية .

وثانياً : فإنني - كما عرضتُ من قبل - قد اخترت عناصر القوة والمجد والذكاء والحيلة لأنقلها بنصها وصورتها ومررت مرور الكرام على عناصر الضعف والانحطاط والانكسار والسبي والكفر بالرب وإغاظة يهوه رب الجنود .

وتركتُ عن عمد « تشريعات القرابين » و « حرائق التقدمة » التي يشمها « الإله الحي » رائحة سلامة ، ومائدة الرب في « قدس الأقداس » ، والدم الذي يرشه الكهنة على الأبرص والمريض ، وتصميم الشقق البوص التي سكن فيها الرب ، سكناً مؤقتاً ، ونظام البخور وكسر الأوعية وتماثيل الكروبيم وطريقة حياكة رداء الكهنة وتخصيص عائلة يتسلسل منها التكهين للرب ، والميت الذي يُستدعي فيحضر بجبته ، والتوابع والجان ... وهى شعائر أحط بكثير من « طقوس الوثنيين » !!

فعلتُ ذلك حتى لا تتطاول قالة تزعم أنني اخترت « لبني عمنا » جوانب الضعف !! .

وهذا - وأعترف - يعتبر انحيازاً في الانتقاء !!

وثالثاً : أن القارىء المسلم العادي - وربما فوق العادي - قد لا يعلم شيئاً عما يحتويه ما يُسمى بـ « الكتاب المقدس » بين دفتيه ، أعنى « العهد القديم » منه - « عهد إسرائيل » - والذي تبلغ صفحاته ١٣٥٨ صفحة بالبنط الصغير . مع أن هذا القارىء يراه قابعاً على طاولة - منضدة - في بيوت إخوانه المسيحيين ، فيظن أنه كتاب « بركة !! » أو« قيم روحية نابعة من الأديان » !!

فأردتُ أن يكون هذا الفصل نافذة على « الحكاية الإسرائيلية » ، والضغينة والحقد تسيل من الحروف ، وغل الصدور يرسم الكلمات ، وورى الأكباد طافح يغشى السطور !!

أردتُ أن يكون هذا الفصل إطلالة على الخطر !! فـ « العهد القديم » ليس إلا مزرعة ديناميت يُراد بها تفجير الجويم أي الأمميين ، وكمائن تربص للفتك بجميع شعوب الأرض ، ونبوءات برجس الخراب الذي ينتظر الدنيا بأسرها ، ووعداً بأن يجلس على تل خرابها الشعب المختار يوم تقوم « مملكة إسرائيل الكبرى » عندما يخرج قضيب من جزع « يسيٍّ » وينبت غصن من أصوله ، أي عندما « تمخض صهيون » وتلد « ذكرها » أو « ملك العالم » ... « مسيح إسرائيل المنتظر » !!

تاريخ قوامه المؤامرة قميء ، ومؤامرة قائمة تعشعش في قيء ذلك التاريخ !!

ورابعاً : أن الإنسان تعوزه أحياناً الحاجة إلى الاسترخاء النفسي .. والعقلي .. والعضلي من شد الأعصاب في حياتنا العصرية - حياة القلق .. والضيق .. والإرهاق .... من الفأس إلى القلم .

كل شيء عقلي .. علمي .. رياضي .... أرقام .. أوراق .. جرى .... حركة مستمرة للحصول على لقمة العيش أو الوقوف في أوتوبيس أو قطار .... أو الحصول على مكان لابن أو ابنة في المدارس والمعاهد والجامعات .... حياة معقدة بمشكلات الحضارة .

فهذا الإنسان الذي تعوزه حاجة الاسترخاء النفسي والعقلي والعضلي قد يلجأ

إلى الأسطورة علّه يجد عندها نسياناً مؤقتاً أو تسلية لساعة أو بعض الساعة ، وربما تريحه بعض الوقت ...... ثم يعود إلى نشاطه من جديد .

وكان كتاب « ألف ليلة وليلة » في الأزمنة التي خلت يقوم بين الناس بهذه الحاجة ويلبي تلك المتعة . لكن ظروف العصر منعت كتاب « ألف ليلة وليلة » من التداول أو امتنع الناس أنفسهم عن طلبه . ونسى جيلنا شكله وربما لا يسمع عنه الجيل الجديد . فرأيتُ أن « أُمتّع !! » الناس بالحكايات الإسرائيلية لبعض الوقت ، إن هم أشقاهم الجهد فقد يجدوا عندها الاسترخاء ، حتى وإن كان سخف التصوُّر وفساد المحتوى لا يفي بالدور الذي كان يقوم به بيننا المرحوم « ألف ليلة وليلة » !!

....................

فليسامحني القارىء المسلم – إذن – وليقبل عذري في هذا المضمار !!

والآن وقد خرجنا من إسار « الأسطورة الإسرائيلية » – بحمد الله وسلامته – وجب علينا أن نستفتي حقائق التاريخ في حكاية بني إسرائيل واليهود بعامة .

على أننا سنعود إلى التوراة مرة أخرى لتشهد بنفسها على أهلها وأدعيائها في مزاعم « الشعب اليهودي » !! و « الجنسية اليهودية » !!

يقرر « هـ . ج . ويلز » في كتابه « موجز تاريخ العالم » ( ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد – مكتبة النهضة المصرية ) : أن اليهود كانوا شعباً من الهمج مغموراً في منطقة التلال الداخلية التي لم يغزوا غيرها ولم يزيدوا عليها شيئاً ، وكان السهل الساحلي في أيدي شعوب إيجية تُعرف بـ « الفلسطينيين » . وقد استطاعت مدنهم « غزة » و « جات » و « أشدود » و « عسقلان » و « يافا » أن تصمد لهجوم « العبرانيين » . وأما باقي أرض الموعد فكان في يد الشعوب « الكنعانية » السبعة . وكان « حكام اليهود » خلال أكبر جزء من هذه الفترة « قضاة من الكهنة » لكنهم عمدوا في زمن ما يقارب ( ١٠٠٠ ق . م ). إلى انتخاب ملك هو « شاول » الذي لم تزد قيادته على

قيادة القضاة فهلك في معركة « جبل جلبوع » وأخذت دروعه إلى معبد الربة الفلسطينية « ڤينوس » ودُقَّ جسمه بالمسامير على أسوار « بيت شان » .

وبتولي « داوود » أشرقت فترة الاستقرار الوحيدة لهم على مر الدهر كله ، وتولى بعده « سليمان » . ولم يكن « سليمان » في أوج مجده إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة ، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث أنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى « شينشق » أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على « أورشليم » .

ويقف كثير من « النقّاد » موقف « المستريب » إزاء قصة مجد « سليمان » التي توردها « أسفار الملوك والأيام » وهم يقولون إن الكبرياء القومي !! لدى كُتّاب متأخرين هو الذي دعاهم إلى إضافة أشياء إلى القصة والمبالغة فيها . فلو أننا استخرجنا من القصة أطوال « معبد سليمان » لوجدنا أن في الإمكان وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي . وواضح مما تقص التوراة أن « سليمان » بدّد ما يملك في المظاهر ، وأنه أبهظ شعبه بالعمل والضرائب . ولما أن مات انفصل الجزء الشمالي من مملكته وأصبح « مملكة إسرائيل » بينما ظلت « أورشليم » حاضرة « يهوذا » .

وبعد موت « حيرام » ملك « صور » انقطع العون الذي كانت تتقوى به « أورشليم » ولم يتمتع الشعب العبراني باستقرار المعيشة إلا أمداً وجيزاً . وأصبح تاريخ « ملوك إسرائيل » و « ملوك يهوذا » تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرحى تعركهما على التوالي سوريا ثم بابل من الشمال ، ومصر من الجنوب .. هى قصة « نكبات وتمردات » لا تعود عليهم إلا بإرجاء « النكبة القاضية » .. قصة « ملوك همج » يحكمون شعباً من الهمج حتى وافت سنة ( ٧٢١ ق . م ) . محت يد « الأسر الآشوري » مملكة إسرائيل من الوجودوزال شعبها من التاريخ . وعندما غزا « الفرعون نخاو » « الإمبراطورية الآشورية » ، اعترضه « يوشع » ملك « يهوذا » ، فهزمه « نخاو » وقتله عند « مجدو »

في عام (٦٠٨ ق ، م ) . وأصبحت « يهوذا » دولة تابعة لمصر . وقد ظلت « يهوذا » أمداً بعيداً تستفيد من تأليب مصر على الإمبراطورية الشمالية . ثم حَلَّ بمملكة « يهوذا » ما حَلَّ بإسرائيل من قبل ، فمزقها الملك الكلداني « نبوخذ نصر » ملك بابل كل ممزق ، فأمر فنُهبت « أورشليم » وأحرقت ، وحُمِلَ مَنْ بقى بها من الناس أسرى إلى « بابل » .

ولم يكن اليهود شعباً متحضراً أو متحداً ، ولم يكن فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة . وتاريخهم نفسه لا يذكر أن الأسفار القديمة من « التوراة » كانت تُقرأ . ولم تُذكر الكتب لأول مرة إلا في عهد « يوشع » ، ويلوح أن توراتهم لم تكن تحتوي في ذلك الوقت إلا على « أسفار موسى الخمسة » . ولو تأملتَ قصص التوراة لوجدتها وثيقة الصلة بأساطير بابلية تشبهها مثل قصة « شمشون » التي لها نظائر سومرية وبابلية » !!

لكن « الأسر البابلي » مدَّنهم . وهناك في بابل جمعوا تاريخهم وطوَّروا تقاليدهم ونمُّوها . وهناك تعلَّموا الحضارة . والذين أتوا بعد ذلك من الأسر البابلي بأمر « قورش » كانوا مختلفين عن أولئك الذين أُسِروا من قبل . ومع ذلك لم يكن يجمعهم على تباين أصولهم واختلاف عناصرهم إلا قوة الكلام المسطور تحكمه حصافة الكاهن ومطامع الملك !!

أما « أنبياؤهم » فهم متباينو الأصل إلى أقصى حد . كانوا يخوضون في السياسة إلى أقصى حد . ولطالما حرَّضوا الناس على « مصر » تلك « القصبة المهشمة » على حد تعبيرهم أو على « آشور » أو « بابل » !!

( نصاً ولفظاً من صفحة ٨٩ - ٩٧ )

ولما انتصر الملك الفارسي « قورش » على « بابل » - ومن خلال جسد « أستير » الداعرة ( ولها سفر في الكتاب المقدس ) الذي بيع للملك المجوسي ، أمر « قورش » بإعادة يهود السبي إلى اليهودية وصرَّح لهم ببناء الهيكل في ظلال السيادة الفارسية .

عاد « البعض » لكن « الغالبية » فضّلت أن تعيش في المنفى حيث ازدهرت وتقدّمت واغتنت في جو بابل المثير !! وذابوا هناك !!

الذي بقى وعاد إذن إلى « أرض كنعان » أو « فلسطين » عدد قليل ممن أُطلق عليهم أو أطلقوا على أنفسهم « شعب إسرائيل » !!

والأمر في غاية الوضوح والدقة ...

فـ « مملكة إسرائيل » الشمالية كانت تتكون من « عشرة أسباط » من أسباط « إسرائيل » .. وقد محاها الأسر الآشوري .. وأزال شعبها من التاريخ .. حيث فنوا أو هلكوا أو ذابوا في شعوب الإمبراطورية الآشورية .

و « مملكة يهوذا » – المنطقة الجنوبية التي غزاها الإسرائيليون من قبل – سباها « نبوخذ نصر » . وكانت تتكوّن من سبطين من أسباط إسرائيل ، والذي عاد من السبي بعد هزيمة « بابل » على يد « فارس » أقل من النصف ، لأن الغالبية – كما قلنا – فضّلت حياة المنفى في « بابل » على العودة إلى « أرض الميعاد » !!

الذي بقى إذن ممن كانوا يحملون الاسم القديم « إسرائيل » أقل من $\frac{١}{١٢}$ من الشعب المختار على أحسن الفروض !!

[ راجع : « ألفريد لييننتال » – « ما ثمن إسرائيل ؟ » : ص ٢١٥ ، ٢١٦
Alfred M. Lilienthal: « What Price Israel » ] .

ونتابع بعد ذلك حكم « السوريين » و « الإغريق » و « الرومان » لمنطقة جبال « اليهودية » التي سكن فيها القادمون من المنفى مع غيرهم من شعوب المنطقة التي كانت ساكنة فيها من قبل – ولم يسبها أحد – أو التي جاءت فيما بعد ، من الشعوب السامية الأخرى ، التي لم ينقطع على مر الدهر كله تواتر وجودها في هذا الإقليم وما حوله ... وجود كثيف .. وأصيل .. وغلاّب .

وفي عام ٧٠ بعد الميلاد قضى « الرومان » نهائياً على الجماعة اليهودية

التي شكّلت ما يُعرف بـ « الكومنولث اليهودي » وهدموا الهيكل وشتّتوا مَنْ تبقى من « اليهود » إلى مختلف بلاد العالم ، وأقام الامبراطور الروماني « هادريان » مكان الهيكل الإسرائيلي معبداً رومانياً على شرف الرب « چوبيتر » ( Capitoline Jupiter ) .

« وعلى امتداد العصر المسيحي كله استمر الحجم البشري لسكان فلسطين عربيا { لينتتال - ما ثمن اسرائيل ؟ صفحة ١٩ } وهذا هو نص ألفاظ الكاتب اليهودي :

( Throughout the entire Christian era, the bulk of the Palestine's Population Continued to be Arab . )

وفتح المسلمون « فلسطين » وسلّمت « بيت المقدس » - أورشليم - بدون قتال في عام ١٥ هـ ( ٦٣٣ م ) .. ودخلها أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » بصفته رأس الدولة المسلمة والقائد الأعلى لجيوش الفتح المبين .

وصاح « البطرك سفرونيوس » الذي عُيِّن دليلاً للفاتح العظيم « عمر بن الخطاب » عند تجوله في المدينة المقدسة - عندما رأى هذا الزاهد العربي يقف عند مذبح كنيسة الضريح - صاح بأعلى صوته :

« إن هذا هو رجس الخراب - يقصد النبوءة - الذي تكلم عنه النبي « دانيال » بحق في الكتاب المقدس » !!

{ « أومان » - « الإمبرطورية البيزنطية » - تعريب : الدكتور مصطفى طه بدر - دار الفكر العربي - ص ١٢٨ } .

وربما كان « البطرك » يقصد ما جاء في الإصحاح الثاني عشر من « دانيال » :

« فنظرتُ أنا ( دانيال ) وإذا باثنين آخرين قد وقفا واحد من هنا على شاطيء النهر ، وآخر من هناك على شاطيء النهر . وقال للرجل اللابس الكتّان

الذي من فوق مياه النهر : إلى متى انتهاء العجائب ؟ فسمعتُ الرجل اللابس الكتّان الذي من فوق مياه النهر إذ رفع يُمناه ويُسراه نحو السموات وحلف بالحي إلى الأبد أنه إلى زمان وزمانين ونصف . فإذا تم تفريق أيدي الشعب المقدس تتم كل هذه ..... ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ألف ومئتان وتسعون يوماً ، طوبي لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوماً » ( دانيال ١٣ : ٥ - ١٢ ) .

وسواءً عندنا ، إن كان « سفرونيوس » يقصد هذا النص الكتابي - وهو يصيح عندما رأى أمير المؤمنين - أو لم يقصده على الإطلاق !!

وطلب « المسيحيون » من أهل « إيليا » - القدس - ألاّ يساكنهم في المدينة « يهود » .

... لكن : هل يوجد شيء يسمى « الشعب الإسرائيلي » من الناحية العِرقية أو الجنسية أو الأنثروبولوجية !؟

أصحيح أن كل من يُطلق عليهم أو يطلقون على أنفسهم اسم يهود ينتمون إلى إسرائيل وأولاده ، أسباطه الإثنى عشر .. ومن ثَمّ فهم إسرائيليون ، تنعتهم كلمة الشعب الإسرائيلي ويباركهم مصطلح « الشعب المختار » .. وتأسيساً على ذلك فهم داخلون في الصفقة إياها التي عقدها الأب إبراهيم مع الرب !!؟

أحقاً صفت أي بقعة من فلسطين يوماً ما ، وعلى مر الدهر كله ، أو خَلَتْ لبنى إسرائيل المزعومين دون تداخل عِرقي أو اختلاط نَسبي أو امتزاج جنسي مع الشعوب الأخرى .. سكانها من قبل وبعد اليهود !!؟

أتُعتبر « اللملمة » الحالية في فلسطين وأكثر من ٨٣٪ منها من يهود « الاتحاد السوفييتي » ويهود شرق أوروبا !! ..... أتُعتبر هذه « اللملمة » إسرائيلية « العِرق » و « العَقد » و « الأرض » و « الموعد » و « التاريخ » !!؟

وبناءً على المهج الذي سرنا عليه في هذا البحث فإننا سنستفتى « التوراة » في هذا الشأن وأسفارها قد كتبها اليهود بأيديهم إما بإيحاء الهوى !! أو « بوحي يهوه » !! .. وهى عندهم قمة الصدق في القصة والتاريخ .

تعترف « التوراة » باختلاط أولاد إسرائيل بالشعوب الأخرى في أرض الموعد وسكناهم معهم :

« ولم يطرد بنو إسرائيل « الجشوريين » و « المعكيين » فسكن « الجشوري » و « المعكي » في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم » ( يشوع ١٣ : ١٣ ) .

« وكان الرب مع « يهوذا » ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد » ( قضاة ١ : ١٩ ) .

« و « وبنو بنيامين » لم يطردوا « اليبوسيين » سكان « أورشليم » فسكن « اليبوسيون » مع « بني بنيامين » في أورشليم إلى هذا اليوم » .

( قضاة ١ : ٢١ ) .

« و « أفرايم » لم يطرد « الكنعانيين » الساكنين في « جازر » فسكن الكنعانيون في وسطه في جازر » ( قضاة ١ : ٢٩ ) .

« زبلون لم يطرد سكان « قطرون » ولا سكان « نهلول » فسكن الكنعانيون في وسطه » ( قضاة ١ : ٣٠ ) .

« ولم يطرد أشير سكان عكو ولا سكان صيدون وأحلب وأكزيب وحلبة وأفيق ورحوب . فسكن الأشوريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم » . ( قضاة ١ : ٣١ - ٣٢ )

« ونفتالي لم يطرد سكان بيت شمس ولا سكان بيت عناة . بل سكن في وسط الكنعانيين سكان الأرض » ( قضاة ١ : ٣٣ ) .

« فهؤلاء هم الأمم الذين تركهم الرب ليمتحن بهم بني إسرائيل .. أقطاب الفلسطينيين الخمسة ( الغزى ، والأشدودي ، والأشقلوني ، والحثي ،

والعفروني ( ستة وليس خمسة .. ويبدو أن التوراة ضعيفة في الحساب !! ) وجميع « الكنعانيين » و « الصيدونيين » و « الحويين » ... فسكن بنو إسرائيل في وسط « الكنعانيين » و « الحثيين » و « الأموريين » و« الفرزيين » و « اليبوسيين » . واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءً ، وأعطوا بناتهم لبنيهم ، وعبدوا آلهتهم » ( قضاة ٣ : ١ - ٦ ) .

أي سكنوا وسط كل شعوب المنطقة !!

وأنهم لم يطردوا أياً من شعوب المنطقة !!

وأن وعد « يهوه » لهم بطرد هذه الشعوب لم يتحقق ... سواء لخوف « يهوه » من « العجلات الحربية » .. أو « للامتحان » ، كما برّر هو - أي يهوه - موقفه !! ..... وفي « نحميا » :

« وساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ونصف كلامهم باللّسان الأشدودي ولا يحسنون التكلم باللّسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب » .

( نحميا ١٣ : ٢٣ )

ويتحدث « حزقيال » عن أورشليم التي كثر زناها مع الأجانب ولم تشبع : « فاتكلتِ على جمالك وزنيتِ على اسمك وسكبت زناكِ على كل عابر ... في رأس كل طريق بنيتِ مرتفعتكِ ورجسّتِ جمالك وفرّجتِ رجليك لكل عابر ، وأكثرتِ زناك وزنيتِ مع جيرانك بنى مصر الغلاظ اللّحم وزدتِ في زناكِ لإغاظتي ... وزنيتِ مع بني آشور إذ كنت لم تشبعي فزنيتِ بهم ولم تشبعي أيضاً ، وكثّرت زناكِ في « أرض كنعان » إلى أرض الكلدانيين وبهذا أيضاً لم تشبعي ... أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها ، لكل الزواني يعطون هدية ، أما أنت فقد أعطيتِ كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوكِ من كل جانب للزنا بكِ وصار فيك عكس عادة النساء في زناكِ إذ لم يزن وراءكِ بل أنت تُعطين أجرةَ ولا أجرة تُعطَى لكِ فصرتِ بالعكس » !!

(حزقيال : ١٦ : ١٥ - ٢٤ )

* * *

وتتحدث الأسفار المقدسة !! عن اختلاط الشعب المختار بشعوب المنطقة الساكنين وسطها .. ليس بالزواج الطبيعي فحسب من الأموريات والمؤابيات والفلسطينيات والكنعانيات ... ولكن بالزنا أيضاً !!

أكثر من هذا ...

إن قبيلة « يهوذا » - « السبط الرابع لإسرائيل » سبط الرئاسة والملك قد نشأت أصلا من ( زواج إسرائيلي - كنعاني ) ، ( إسرائيلي - موآبي ) ، ( إسرائيلي - حثي ) . وهذه هى الحكايات العجيبة في هذا الاختلاط :

تزوج « يهوذا » ابنة رجل كنعاني اسمه « شوع » . وزوَّج ابنه « عير » زوجة كنعانية اسمها « ثامار » . ومات « عير » فزوَّجها لابنه « أونان » : فكان إذا دخل على امرأة أخيه أفسد على الأرض لكي لا يُعطي نسلاً لأخيه !!

وانتظرت « ثامار » أن تتزوج من الابن الأخير ليهوذا « شيلة » . وطال بها الانتظار فزنى بها حماها « يهوذا » فولدت له توأمين هما « فارص » و« زارح » . وفارص هذا هو الجد الأكبر لـ « بوعز » الذي تسلسل منه « داوود » ...

.............................

تغرَّب « أليمالك » من « بيت لحم يهوذا » في بلاد « « موآب » هو وامرأته « نعمى » وابناه « محلون » و « كليون » ، ومات « أليمالك » وبقيت نعمى وابناها . فأخذا لهما امرأتين موآبيتين اسم إحداهما « عرفة » واسم الأخرى « راعوث » ، ومات الزوجان وعادت « نعمى » إلى أرض « يهوذا » ومعها كنتها « راعوث » التي لصقت بها . وكان لـ « نعمى » ذو قرابة هو « بوعز » فطلبت نعمى من كنتها « راعوث » أن تغتسل وتتدهن وتلبس ثياباً جديدة بعد أن تخلع ثياب ترملها وتذهب إلى « بوعز » الذي كان يذري بيدر الشعير في تلك الليلة وتضطجع معه هناك . فذهبت « راعوث » إلى البيدر . وأكل « بوعز » وشرب وطاب قلبه ودخل واضطجع في طرف العرمة فدخلت « راعوث » سراً وكشفت ناحية رجليه واضطجعت معه حتى الصباح .

وقرَّر بعد ذلك « بوعز » أن يتزوج « راعوث » الموآبية امرأة « محلون » !!

وحبلت « راعوث » وولدت « عوبيد » وهو أبو « يسيٍّ » ، و« يسيٍّ » أبو «داوود » !!

وهذه مواليد فارص ( ابن الزنا الذي ولدته « ثامار» الكنعانية ليهوذا ) :

وهذه مواليد « فارص » : فارص ولد « حصرون » ، وحصرون ولد « رام » ، ورام ولد « عميناداب » ، وعميناداب ولد « نحشون » ، ونحشون ولد « سلمون » وسلمون ولد « بوعز » ، وبوعز ولد « عوبيد » ، وعوبيد ولد « يسيٍّ » ، ويسيٍّ ولد « داوود » ( من سفر راعوث بالنص ) .

..............................

أما قصة زنى داوود بامرأة « أوريا الحثي » !! فهى أكثر القصص الثلاثة عجباً وأخسهن وقوعاً على ما عرضته التوراة في عرِى صريح – في سفر صموئيل الثاني – مع أن داوود الملك ... هو « الموديل » النموذجي للملك القوى المبارَك الصالح ... وفيه وفي نسله حصر الرب رئاسة شعبه «إسرائيل».... ومن صلبه يتحتم – بشارة ووعداً – أن يخرج « المسيح المنتظر» ..... « ملك العالم واليهود » !!

وأستغفر الله – كمسلم – مما جرى به القلم في نقل الباطل عن نبي الله « داوود » عليه السلام ؛ كما أمرنا القرآن الكريم ، وأدبتنا به شريعة الخُلق والنظافة والطُهر والاستقامة ... شريعة الإسلام .

وهذه هى القصة :

أرسل داوود « يوآب » وعبيده معه فأخرجوا « بني عمون » وحاصروا « رِبَّةَ » العاصمة ، وأما « داوود » فأقام في « أورشليم » . وكان في وقت المساء أن « داوود » قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فأرسل « داوود » وسأل عن المرأة فقال واحد : أليست هذه « بشثبع » امرأة « أوريا الحثى » ؟ فأرسل

« داوود » رسلاً وأخذها واضطجع معها . وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها . وكان زوجها أحد جنود الملك المقاتلين في حصار ربَّةَ « بني عمون » !!.

وحبلت المرأة فأرسلت رأخبرت « داوود » وقالت : إني حُبلي . فأرسل « داوود » إلى « يوآب » يقول له : أرسل إليّ أوريا الحثي . فأتى « أوريا » وقال له داوود : انزل إلى بيتك واغسل رجليك ( أي كان « داوود » يريد إلصاق « ابن الزنا » بأوريا ... !! ) ورفض الرجل ونام على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته ، وأخبروا « داوود » أن أوريا لم ينزل بيته ، فقال « داوود » لأوريا : أما جئتَ من السفر ؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك؟ فقال أوريا لداوود : إن « التابوت » و« إسرائيل » و « يهوذا » ساكنون في الخيام، وسيدي يوآب وعبيد سيدي ما يزالون على وجه الصحراء ، وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي ؟! ( وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر) . فقال « داوود » لأوريا : أقم هنا اليوم أيضاً ، وغداً أطلقك ، فأقام «أوريا » في أورشليم ذلك اليوم وغده . ودعاه « داوود » فأكل أمامه وشرب وأسكره . وخرج عند المساء ليضطجع مع عبيد سيده ، وإلى بيته لم ينزل .

وفي الصباح كتب « داوود » مكتوباً إلي « يوآب » وأرسله بيد « أوريا » وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا « أوريا » في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت . وكان في محاصرة « يوآب » المدينة أنه جعل « أوريا » في الموضع الذي علم أن رجال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا « يوآب » فسقط بعض الشعب من عبيد « داوود » ومات « أوريا الحثي » أيضاً . فأرسل « يوآب » وأخبر « داوود » بجميع أمور الحرب . وأخبره بموت « أوريا الحثي » .

وأرسل « داوود » وضم « بشثبع » إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له « ابن الزنا » . ومات المولود بعد أن مرض مرضاً ثقيلاً . وكان « داوود » يُصلّي ويصوم ويسأل الله ويضطجع على الأرض دعاءً للولد . ولما مات الولد

قام « داوود » عن الأرض واغتسل وادهن . ولما استفسر منه عبيده عن سبب ذلك قال : لما كان الولد حياً صمتُ وبكيتُ لأني قلت : من يعلم ؟ ربما يرحمني الرب ويحيا الولد ، والآن قد مات الولد فلماذا أصوم وأصلّي ؟! وولدت بعد ذلك « بثشبع » ابناً هو « سليمان » !!.

أي أن الملك « داوود » متسلسل من ثلاث أمهات غير إسرائيليات . و« سليمان » متسلسل بالتالي - من أربع أمهات أجنبيات غير يهوديات !!.

* * *

● ملحوظة :

وجّه « سِفر صموئيل الثاني » التهم التالية إلى الملك « داوود » :

١ - ارتكب فاحشة الزنا وجنوده خارج يهوذا وهو يتسكع على سطح منزله يتفرج على عورات النساء !!.

٢ - زنى الملك بامرأة أحد قادته وهو يدافع عن المملكة .

٣ - أراد أن ينسب ابن الزنا لأوريا .

٤ - إن القائد الأعلى دبّر مؤامرة لقتل أحد جنوده وهو يُقاتِل من أجل إحضار تابوت عهد الرب .

٥ - حاول مع أوريا ثلاث مرات أن يدفعه ليبيت في بيته ، وأخيراً أسكره لكن الرجل رفض ذلك بشدة حتى وهو في سكر مدبّر من مليكه ... رفض أن يذهب إلى بيته وجنود سيده في الخيام بعيداً يقاتلون في أرض بني عمون ... !!

وهكذا يكون عرض نموذج الملك الذي يبشرنا « بنو صهيون » بمقدمه مسيحاً ومخلّصاً وسيداً لكل العالم !!

.........................

وتزوج « يوسف » السبط الحادي عشر من « مصر » ومات فيها .. وكان ولديه « أفرايم » و « منسّي » مصريين إلى حد كبير .

وفصيلة كاملة من « شمعون » - الابن الثاني لإسرائيل - كانت تسمى « سول » باسم ابن من « امرأة كنعانية » .

* * *

ونخرج من « شهادة التوراة » إلى « حقائق التاريخ » و « علم الأنثروبولوجي » ودراسة أحد كبّار الباحثين اليهود .

تقول حقيقة تاريخية بالغة الدلالة أن « الخان بولان » - خان الخزر - اعتنق الديانة اليهودية وفرضها على شعب بلاد الخزر في القرن السابع الميلادي . وكان « الخزر » شعباً وثنياً ، فأراد لهم ملكهم - أو خانهم - ديانة سماوية واختار الديانة « اليهودية » بالطريقة العجيبة التالية :

أحضر ثلاثة ممثلين دينيين يمثلون الديانات الثلاث : « الإســلام » و « المسيحية » و « اليهودية » ووضعهم في مجادلة ومناقشة عن أفضلية كل من الديانات الثلاث . لكن أحداً من الثلاثة الممثلين لم يستطع أن يقنع الآخرين باعتناق دينه . وتدخل « الخان بولان » وسأل كل ممثل على حدة .

سأل المسلم إن كان عليه أن يترك الإسلام ، فأي الديانتين يختار ؟ فأجاب بأن اليهودية أقرب إليه من المسيحية .

وسأل المسيحي نفس السؤال فأجاب بأنه لو ترك المسيحية فإنه سيعتنق اليهودية .

وعلى هذا الأساس البسيط اعتنق « الخان بولان » اليهودية باعتبارها قاسماً مشتركاً ، وفرضها على شعبه الخزري . و« الخزر » من « الجنس القوقازي » .

وغزا « الروس » مملكة الخزر في عام ٩٦٩ وسقطت العاصمة « أتيل » في أيدي « سلاف كييف » . وفي حملة مشتركة من الروس والدولة البيزنطية تم الاستيلاء على منطقة « أكرمان » الخزرية . وتفرّق اليهود الخزر في « روسيا » و«شرق أوروبا » . وتزوج واستقر كثير منهم في المجر والنمسا وبولندا . وهؤلاء

اليهود « الأشكانيز Ashkenazim »- كما يُسمى « يهود شرق أوروبا » - ليس فيهم أي أثر للدم السامي على الإطلاق - كما تقدَّم .

لا أحد منهم تبلغ به « صفاقة الوجه » فيزعم بالتالي أنه من « أبناء إسرائيل» !! الإثنى عشر .... وحتى لو صعَّد « الأشكانيز » نسبهم إلى أبعد من « إسرائيل » فلن تربطهم أي قرابة أو نسب « بإسحاق » أو « إبراهيم » أو « تارح » أو « ناحور » أو « سروج » أو « رعو » أو « فالج » أو « عابر » أو « شالح » أو « أرفكشاد » ولا حتى « سام بن نوح » نفسه .

لا وشيجة قرابة أو نسب على الإطلاق تربط « يهود » روسيا وشرق أوروبا بالأب « إبراهيم » ولا الحفيد « إسرائيل » ولا الأسباط الإثنى عشر .

وعلى هذا فهم جنسياً وتاريخياً وجغرافياً غير داخلين في « عقد الرب مع إبراهيم » .... الصفقة إياها التي أصبحت من نصيب إسرائيل بعد أن خرج منها من قبل « إسماعيل » بن إبراهيم و « عيسو » بن إسحاق - شقيق يعقوب .

والغالبية العظمى التي كوَّنت دولة « إسرائيل » والتي تُشكِّل حوالي ٨٣ ٪ ( ثلاثة وثمانين في المائة ) من سكانها من اليهود الخزر . ومنهم القادة الكبار من « هرتزل » و « وايزمان » مروراً بـ « مناحيم بيجن » و « بن جوريون » وانتهاءً بـ « ديان » .

وعلى ذلك فالوطن !! الذي تاق « وايزمان » وغيره من « الأشكانيز » اليهود - وكانوا عصب وجنود وسلاح « الحركة الصهيونية » الحديثة ليس وطنهم ولا وطن آبائهم ولا أجداد أجدادهم بحال من الأحوال .

وطن آبائهم هناك شمال « بحر الخزر » !!

ألا يخجل العزيز « بيجن » من مقولة « أرض الأجداد » وأنه قد بكى عند دخوله « القدس » فقبَّل الأحجار التي كانت في سور « أبيه داوود » !؟

وفي كتابه المعجَب « ما ثمن إسرائيل What price Israel » ؟ . يقول الكاتب اليهودي الأمريكي الذائع الصيت « ألفريد ليننتال » :

« إن علم « الأنثروبولوچي » قد قسَّم النوع البشري إلى ثلاثة أجناس ملحوظة هى « النجرو Negro » أو « الزغبي » ، و « المغولي Mongolian » أو « الشرقى Oriental » و « القوقازى Couasian » أو « الأبيض White » وأن الأفراد من ذوي المعتقد اليهودي يوجدون بين الأجناس الثلاثة الرئيسية وفروعها الثانوية » .

على اعتبار أنه :

« طالما أن الأجناس قد تداخلت بالتزاوج عبر التاريخ ، فإن البشرية قد أصبحت أكثر فأكثر مزيجاً أو خليطاً من كل الدماء » ( ص ٢١٥ ) .

ويوضح « ليننتال » في فصل ممتع ، موضوعي النظرة ، علمي المنهج ، بعنوان « الخرافة الجنسية » ( The Racial Myth ) كيف نشأت هذه « الخرافة » أو « الأسطورة » :

« إن « خرافة الجنس اليهودي » قد نشأت من حقيقة أن الكلمات « عبري Hebrew » ..... « إسرائيلي Israelite » ..... « يهودي Jew » .... « اليهودية Judaism » .... « الشعب اليهودي Jewish People » قد استخدمت مترادفة .

فكلمة « عبري » تُطلق على الفترة من « العصر الكتابي » إلى الاستقرار في « أرض كنعان » . و« إسرائيلي » تشير فقط إلى « أفراد القبائل الإثنى عشر » لإسرائيل « يعقوب » . و« يهود » تُشير إلى « أفراد قبيلة يهوذا » الابن الرابع ليعقوب ، وأيضاً إلى مواطني « مملكة يهوذا » وبخاصة في أيام النبي « إرميا » في ظلال « الاحتلال الفارسي » ، ثم أصبحت تُطلق فيما بعد على أى فرد ومن أي أصل طالما كانت ديانته « اليهودية » . وأما كلمة « اليهودية » فلم يعرفها « العبرانيون » أو « الإسرائيليون » وإنما ظهرت فقط

مع « المسيحية » ، وعندما ولدت هذه الكلمة « اليهودية » لم تعد هناك « دولة للإسرائيليين » أو العبرانيين .... وأن الذين اعتنقوا الديانة اليهودية كانوا خليطاً من أجناس ودماء شتّى » ( ص ٢١٦ ) .

ويتحدث « لينتنال » في هذا الفصل من بحثه عن « القبائل المفقودة » من « أسباط إسرائيل » فيقول :

« بدأت إثنا عشرة قبيلة في « كنعان » منذ خمسة وثلاثين قرناً ، ولا أحد يعرف ماذا حدث للقبائل العشر الضائعة ( يقصد الذين محاهم الأسر الآشوري عندما أزال مملكة إسرائيل نهائياً من التاريخ ) .... ولم تختف عشرة قبائل فحسب ، بل إن أكثر من نصف القبيلتين المتبقيتين ( يقصد اللّتين سباهما الملك الكلداني نبوخذ نصر ) لم تعد من المنفى في بابل .... فكيف يدّعي أي أحد أنه ينحدر مباشرة من ذلك المجتمع الصغير الذي سكن الأرض المقدسة منذ عصر « العقد » بين إبراهيم والرب » !؟

ويتساءل « لينتتال » :

« مَنْ أولئك الذين أتى بهم « موسى » إلى أبواب أرض كنعان ؟ ويُلقي بعض الضوء على « القصة الكتابية » عن « يوسف » فيقرِّر أنه قد حدثت مجاعة في الفترة ( ١٦٠٠ - ١٥٠٠ ق . م ) في أرض الهلال الخصيب وتحركت شعوب رُحَّل تعود إلى أصل بابلي وآرامي مع شعوب سامية أخرى « كالمؤابيين » و « الأدوميين » و « العمونيين » إلى « مصر » ... ولما عادت هذه الشعوب ومعهم المنسوبون إلى إسرائيل من مصر سرعان ما امتصتهم « أرض كنعان » واختلط دم الغزاة مع دم الكنعانيين » ( ص ٢١٥ - ٢١٨ ) .

وقد توصل الأساتذة الأنثروبولوچيون « واسينبيرج Weissenberg » و « هيرتز Hertz » و « فيشبيرج Fishberg » - وكلهم يهود - و « بوز Boas » و « ريبلي Ripley » و « ميد Mead » و « بيتارد Pittard » وآخرون إلى حقيقة مؤداها : أنه أينما يوجد « اليهود » فإنهم يشبهون الناس

الذين يعيشون في وسطهم ، وحتى أولئك الذين يشتركون في اسم أسرى عام بزعم أنه يعود إلى « القبائل العبرانية » مثل « ليڤي » أو « كوهين » لديهم قليل من التشابه الجسماني . ولا توجد سمات جنسية شائعة في أولئك الذين يعتبرون أنفسهم يهود » .

وأيضاً : « إن اليهود هم الناس الذين يعتنقون الديانة اليهودية وهم من كل الأجناس . فحتى اليهود « الزنوج » و « المغول » و « الأوربيون » ينتمون إلى أنواع بيولوجية مختلفة » .

وكثير ممن يُطلقون على أنفسم يهوداً يشتركون في صفات جنسية مميزة كالعيون الزرقاء والشعر ، ومميزات جسمانية أخرى مع « الأموريين » أحد الشعوب السبعة التي كانت تسكن « أرض كنعان » من قبل وبعد الغزو العبري .

وكان يوجد كثيرون من غير الإسرائيليين قد تحوّلوا إلى الديانة اليهودية وأتوا من « بابل » مع أولئك الإسرائيليين العائدين من المنفى . وفي « بابل » وفي « أرض كنعان » اختلطت دماء كثيرين من اليهود مع غزاتهم ، ويشمل ذلك « الكنعانيين » و « الحثيين » و « العمونيين » و « الأشوريين » و « المصريين » و « المؤابيين » .

وتحوّل عدد من « الإغريق » و « اليمنيين » إلى الديانة اليهودية كفكرة توحيد ، بغض النظر عن دعاوي فكرة « الشعب المختار » التي خَصَّ بها الإسرائيليون أنفسهم .

ولا ينكر بنو إسرائيل « مملكة سبأ » اليهودية في « اليمن » و « ملوك حمير » والملك اليهودي « ذو نواس » وانتشار اليهودية في عهده ، في ذلك الركن الجنوبي الغربي من جزيرة العرب .... وكل هؤلاء ليسوا من « أسباط إسرائيل الإثنى عشر » !!

ويقول « ألفريد لينتتال » - عندما زار « القدس » في عام ١٩٤٤ - أنه قد دُهِش من البرهان المرئي والقاهر الذي يسخر من جنسية أو عِرقية يهودية . ففي لمحة واحدة استطاع أن يميز بين « اشكيناز بولندا » ويهود شبه جزيرة « إيبيريا »

و« شمال إفريقيا » واليهود « اليمنيين » واليهود « الألمان » . كلهم مختلفون ليس في الملامح الأنثروبولوجية فحسب ، ولكن أيضاً في الملْبَس والعادات والسلوك والمواقف العقلية .

ويتحدث « ليننتال » عن الفوارق العِرقية والوراثية التي تفصل بين يهود « جنوب أوروبا » الذين يشبهون ويحملون آثار فسيولوچية خاصة بشعوب البحر المتوسط كالطليان والإغريق ، وعن الفوارق بين يهود غرب أوروبا وشرقها ، وأن الاختلافات بين اليهود الأوروبيين والهنود واليمنيين والأحباش ، أكبر من تلك التي بين التيوتون والسُلاف واللاتين ( ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ) .

أبقى بعد ذلك شيء يُقال !؟

أليست خرافة وأُسطورة إذن حكاية وجود شعب إسرائيلي أو شعب يهودي أو قومية يهودية ينتمي أو تنتمي إلى « أرض الموعد » ، وأن هؤلاء أفراد « الشعب المزعوم أو « القومية الخرافة » داخلون في الصفقة إياها !! أو ذلك العَقد بين « إبراهيم والرب » - حتى على فرض صحة تلك الصفقة وذلك العقد !؟

ألا يحتاج « مناحيم بيجين » وغيره من « اليهود الاشكيناز » إلى مئات من صفائح المياة الساخنة تُنقع فيها وجوههم الباردة التي تصلبت على مقولة زائفة :

« لسنا في حاجة إلى اعتراف أحد في العالَم بإسرائيل ... يكفي فقط وعد آبائنا « إبراهيم وإسحاق ويعقوب » !!

ألم يأن لهم أن يعترفوا فحسب باغتصاب الأرض واستعمار الأمر الواقع ... وأن يوقنوا بأن « إبراهيم وإسحاق ويعقوب » لم يلدوهم أو تبنوهم أو أوصوا لهم بنصيب من الصفقة أو واعدوهم بالاستلحاق !!

* * *

# الفصل الثامن

## تحت السرج

**● الأفعى الماسونية ( الشتات ، الجيتو ، الطريق ، التهام أوروبا الغربية ) :**

يبدأ البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون بقوله : « أستطيع اليوم أن أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ، ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم « الأفعى الرمزية Sympolic Serpent » – شعار شعبنا – دورتها . وحينما تُغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوروبا محصورة فيها بأغلال لا تُكسر » .

ويوضح « سيرجي نيلوس Sergyei Nilus » أول ناشر لـ « بروتوكولات حكماء صهيون » خط سير طريق « الأفعى الرمزية » كما يلي :

« كانت مرحلتها الأولى في « أوروبا » سنة ٤٢٩ ق . م . في بلاد « اليونان » حيث شرعت الأفعى أولاً في عهد « بركليس Pericles » تلتهم قوة تلك البلاد .

وكانت المرحلة الثانية في « روما » في عهد « أغسطس Augustus » حوالي سنة ٦٩ ق . م .

والثالثة في « مدريد » في عهد « تشارلس الخامس Charles » سنة ١٥٥٢ م .

والرابعة في « باريس » حوالي ١٧٠٠ م في عهد الملك « لويس السادس عشر » .

والخامسة في « لندن » سنة ١٨١٤ م وما تلاها بعد سقوط « نابليون » .

والسادسة في « برلين » سنة ١٨٧١ بعد الحرب الفرنسية البروسية .

والسابعة في « سان بطرسبرج » التي رسم فوقها « رأس الأفعى » تحت تاريخ ١٨٨١

كل هذه الدول التي اخترقتها « الأفعى » قد زلزلت أسس بنيانها ، وألمانيا مع قوتها الظاهرة – لا تُستثنى من هذه القاعدة . وقد أبقى على إنجلترا وألمانيا من النواحي الاقتصادية ، ولكن ذلك موقوت ، ليس إلا ، إلى أن يتم للأفعى قهر روسيا التي قد ركزت عليها جهودها في الوقت الحاضر ، والطريق المستقبل للأفعى غير ظاهر على هذه الخريطة ، ولكن السهام تُشير إلى حركتها التالية نحو موسكو وكييف وأودسا .

ونحن نعرف الآن جيداً مقدار أهمية المدن الأخيرة من حيث هي مراكز للجنس اليهودي المحارب . وتظهر القسطنطينية كأنها المرحلة الأخيرة لطريق الأفعى قبل وصولها إلى أورشليم . ولم تبق أمام الأفعى إلا مسافة قصيرة حتى تستطيع إتمام طريقها بضم رأسها إلى ذيلها » .

ويواصل « نيلوس » حديثه :

ولكي تتمكن الأفعى من الزحف بسهولة في طريقها ، اتخذت صهيون الإجراءات الآتية لغرض قلب المجتمع وتأليب الطبقات العاملة : نُظِّم الجنس اليهودي أولاً إلى حد أنه لن ينفذ إليه أحد ، وبذلك لا تُفشى أسراره . ومفروض أن الله نفسه قد وعد اليهود بأنهم مقدَّر لهم أزلاً أن يحكموا الأرض كلها في هيئة « مملكة صهيون المتحدة » وقد أخبرهم بأنهم العنصر الوحيد الذي يستحق أن يُسمى إنسانياً .

ولم يُقصد من كل مَنْ عَداهم إلا أن يظلوا « حيوانات عاملة » وعبيداً لليهود ، وغرضهم هو إخضاع العالم ، وإقامة عرش صهيون على الدنيا .

وقد تعلَّم اليهود أنهم فوق الناس ( Supermen ) ، وأن يحفظوا أنفسهم

في عزلة عن الأمم الأخرى جميعاً . وقد أوحت هذه النظريات إلى اليهود فكرة « المجد الذاتي » لعنصرهم ، بسبب أنهم « أبناء الله » حقاً !!

وقد وطدت الطريقة الاعتزالية لحياة جنس صهيون توطيداً تاماً نظام « الكاغال Kaghal » الذي يحتم على كل يهودي مساعدة قريبه ، غير معتمد على المساعدة التي يتلقاها من الإدارات المحلية التي تحجب حكومة صهيون عن أعين إدارات الدول « الأممية » التي تدافع دائماً بدورها دفاعاً حماسياً عن الحكومة اليهودية الذاتية ، ناظرين إلى اليهود خطأ كأنهم طائفة دينية محضة ، وهذه الأفكار المشار إليها قبل - وهى مُقرَّرة بين اليهود - قد أثَّرت تأثيراً هاماً في حياتهم المادية ، فحينما نقرأ هذه الكتب مثل :

( Gopayon, 14. page 1; Eben - Gaizar, page 81 ) ;

( XXXVI Ebamot, 98, XXV. Ketubat. 36 ) ;

( XXXIV. Sandrip 746, XXX. Kadushin, 68 A ) ;

وهذه كلها مكتوبة لتمجيد الجنس اليهودي ، نرى أنها في الواقع تعامل « الأمميين » ( غير اليهود ) كما لو كانوا حيوانات لم تُخلق إلا لتخدم اليهود . وهم يعتقدون أن الناس وأملاكهم بل حيوانهم ملك لليهود ، وأن الله رخَّص لشعبه المختار أن يُسخِّرهم فيما يُفيده كما يشاء .

وتقرر شرائع اليهود أن كل المعاملات السيئة للأمميين تُغفر لهم في رأس سنتهم الجديدة ، كما يُمنحون في اليوم ذاته أيضاً العفو عن الخطايا التي سيرتكبونها في العام القادم .

وقد عمل زعماء اليهود كأنهم وكلاء استفزاز في الحركات المعادية للسامية ( Anti - Semtie ) بسماحهم للأممين أن يكتشفوا بعض أسرار التلمود ، لكي يُثير هؤلاء الزعماء بغضاء الشعب اليهودي ضد الأمميين .

وكانت تصريحات « عداوة السامية ( Anti - Semitism ) مفيدة لقادة

اليهود ، لأنها خلقت الضغينة في قلوب الأُميين نحو الشعب الذي كان يُعامَل في الظاهر معاملة سيئة ، مع أن تشيعاتهم وأهواءهم كانت مسجلة في جانب صهيون .

وعداوة السامية ( Anti - Semitism ) - والتي جرَّت الاضطهاد على الطبقات الدُنيا من اليهود - قد ساعدت قادتهم على ضبط أقاربهم وإمساكهم إياهم في خضوع . وهذا ما استطاعوا لزاماً أن يفعلوه لأنهم دائماً كانوا يتدخلون في الوقت المناسب لإنقاذ شعبهم الموالي لهم .

وليلاحَظ أن قادة اليهود لم يُصابوا بنكبة قط من ناحية الحركات المعادية للسامية ، لا في ممتلكاتهم الشخصية ولا مناصبهم الرسمية في إدارتهم .

وليس هذا بعجيب ما دام هؤلاء الرؤوس أنفسهم قد وضعوا كلاب الصيد المسيحية السفَّاكة ضد اليهود الأذلاء . فمكنتهم كلاب الصيد السفَّاكة من المحافظة لهم على قطعانهم ، وساعدت بذلك على بقاء تماسك صهيون .

واليهود - فيما يرون أنفسهم - قد وصلوا فعلاً إلى حكومة عُليا تحكم العالَم جميعاً ، وهم الآن يطرحون أقنعتهم عنهم بعيداً .

{ راجع : تعقيب سرجي نيلوس على بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة التونسي - ص ٢٣٧ - ٢٤٢ } .

وتقع جرثومة فكرة التفاف الأفعى اليهودية حول « الجوييم » ( Goyim ) أو « الأُميين ( Gentilem ) - وحتى تُكمل « الأفعى » دورتها بوصول رأسها إلى صهيون في ثنايا هذا المزمور :

« على أنهار بابل هناك جلسنا . بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا . لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ، ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين : رنِّموا لنا من ترنيمات صهيون .

كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة . إن نسيتك ياأورشليم تُنسى يميني

- ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحي .

اذكر يارب لبنى أدوم يوم أورشليم القائلين : هدُّوا هدُّوا حتى إلى أساسها . يا بنت بابل المخرَّبة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذى جازيتنا . طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة » ( مزمور : ١٣٧ ) .

وهذه الجرثومة النشطة تغذيها خلايا حية من النسيج الإسرائيلى الذى يتكوَّن أساساً من عناصر : السبى - الشتات - شعور الخزى - طاقة الحقد - عقدة الاضطهاد - خرافة الجنس - عقيدة الشعب المختار - قيادة الأحبار - التلمود - الإحساس بالضياع .... والكتاب المقدس أيضاً !!

وهذه العناصر وإن كانت أصيلة منذ وُجِدَ هذا النسيج ابتداءً إلا أن هناك عوامل أبقتها أبداً تفرز غذاء الأفعى .

فكما عرضنا فى فصل « الصفقة والأسطورة » محت يد الأسر الآشورى من التاريخ وإلى الأبد مملكة إسرائيل ... وهناك عند نهر « خابور » هلك أو امحى أو ذاب عشرة أسباط كانوا يُكوِّنون تلك المملكة المبادة عام ٧٢١ ق . م .

وأخذ « نبوخذ نصر » الملك الكلدانى يهود مملكة يهوذا - التى كانت تتكون من « السبطين » الباقيين من الأسباط الإثنى عشر - أسرى إلى بابل وهدم الهيكل عام ٥٨٦ ق . م .

ويوم هزم الفرس بابل وسمح الإمبراطور الفارسى « قورش » للأسرى اليهود بالعودة عام ٥٣٨ ق . م ، فضَّل غالبية السبايا البقاء فى جو بابل المثير حيث نموا وازدهروا هناك ... وعاد البعض فى ظلال السيادة الفارسية وتتابع عليهم بعد ذلك حكم الإغريق والسوريين والرومان

وهؤلاء الذين عادوا من بابل إلى أورشليم قد عادوا وفى وجدانهم أن أكثر من أحد عشر سِبطاً من عيال إسرئيل قد اختفوا للأبد من جرَّاء الأسر الآشورى

والسبى البابلى ... أى أنه لم يتبق من الإثنى عشر سِبطاً الذين كانوا قد بدأوا حياتهم فى « أرض كنعان » إلا أقل من ... السِبط !!

وهؤلاء الذين عادوا إلى « أورشليم » وقد ذهبوا إلى « بابل » من قبل همجاً ليس فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة ، عادوا وقد نمُّوا فى المنفى روح القومية وطوروا عُقدة الضياع بالإضافة إلى العُقد الأخرى المزروعة فى ذلك النسيج . وظلت هذه العقدة حية لدى قادتهم الذين حكموا هؤلاء البقية كأمة فى ظلال الإمبراطورية الفارسية ، وظهر ذلك واضحاً عند كهنتهم أو أنبيائهم مثل « عزرا » و « نحميا » .

ويوم حطَّم الرومان أورشليم فى عام ٧٠ بعد الميلاد ، ودمَّر الإمبراطور « هادريان » الهيكل نهائياً وأقام مكانه معبداً على شرف « جوبيتر Jupiter » عام ١٣٥ بعد الميلاد ، وقضى على ما أسماه اليهود « الكومنولث اليهودى » على إثر تمرد قام به « بار كوكبا Bar Kokba » و « رابى أكيبا Rabbi Akiba » تشتَّت اليهود فى العالَم ... أى أن الأقل من ١/١٢ مما تبقى من ذرية إسرائيل قد هام على وجهه ... شريداً طريداً !!

تشتت اليهود فى العالَم فى خزى الفاجعة .. وحقدها أيضاً .

وفى العالَم شعوب ودول وأوطان وأمم وإمبراطوريات .. حروب وحضارات .. ديانات وفلسفات ... هزائم وانتصارات ... قيام إمبراطوريات وانحلال إمبراطوريات ... وظهور أمم وقوميات ، وحتى دويلات ... وفى العالَم أجناس بيضاء وشقراء وصفراء وسوداء ... إلخ . لكن أحداً من البشر على المستوى الفردى أو الجماعى أو الإقليمى أو الوطنى أو الإمبراطورى لم يكن فى مثل هذا النسيج الإسرائيلى الفريد بعُقده المتجمعة فى كيان واحد ... البالغة التضخم ، والشديدة التنبيه والتركيز فى حضور يقظ مقيم !!

وأحس اليهود بغربتهم عن العالَم الذى يعيشون فيه ......... « عالم الشَتات » !!

هم .... وهم وحدهم بنسيجهم الخاص الذين افترضوا هذا الاغتراب .

ولكى يعيش اليهود حياة الاغتراب ، تلبية غريزية لهذه العناصر الكامنة اليقظة والتى تناديهم ملء الأسماع أنهم : يهود ... يهود ... يهود !! غرباء... غرباء .... غرباء !! والتى تُفرز لهذا النسيج غذاءه اليومى .. غذاء الأفعى .. كان لا بد من القوقعة أو السرداب المخبوء الذى تمارس فيه رأس الأفعى - ممثلة لحكماء صهيون - وصايتها وتنميتها لعقد النسيج حتى يظل جسمها - ممثلاً لعامة اليهود - مضبوط الحركة والإيقاع والتنسيق والتنظيم !! وفق عناصر الخطة ، فى عملية اختراق الدول والشعوب ، ووضع هيئاتها ومنظماتها وحكوماتها تحت السرج الماسونى ، لكى تُكمل الأفعى دورتها بضم الرأس إلى الذيل .. وصولاً إلى صهيون !!

ويبدو أن اليهود مغرمون جداً حد الشبق بالأفعى ... « الحية » التى تحدّث عنها أول أسفارهم - سفر التكوين :

قال ( الإصحاح الثالث ) من هذا السفر :

« وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا . فقالت الحية للمرأة : لن تموتا . بل الله عالِم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ...

فقال الرب الإله للحية : لأنكِ فعلتِ هذا ؛ ملعونة أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ، على بطنكِ تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك . وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » ( التكوين ٣ : ١ - ٥ ، ١٤ - ١٥ ) .

ومن هذا الدرس المقدس !! والمداومة على تلاوة « التوراة » أساسية - انتقل اليهم أثر التدريب ، وهم صانعو « التوراة » .. و « التوراة » هى العاصمة

الفعلية على مر الدهر كله ، وفازوا بنتيجة باهرة ، تعلّموا ومارسوا من محصلتها :

١ - المكر والخديعة والتربص وأنهم أحيل مخلوقات الله .

٢ - الاختباء والتمويه والاندساس والزحف من ( تحت لتحت ) عبر التراب والشقوق والأوكار والفجوات والشروخ .

٣ - العداوة القائمة مع باقى الأجناس ولدغها بالسم وإلا سحقت الأجناس الأخرى رأسها !!

٤ - وأنهم ملعونون من كل الناس !!

ومن هنا - من عناصر النسيج وعُقده ، ومن درس الحية - نبتت فكرة « الجيتو » !!

كان لا بد من « الجيتو » ( Ghetto ) - تلك الحارات اليهودية المقفلة أو الثكنات اليهودية المحصّنة أو الصياصى بلغة القرآن الكريم ... أقاموها داخل المدن فى كل البلاد التى نزحوا إليها أو تشتّتوا فيها .

وفى « الجيتو » عاشوا بالطبع فى عزلة عن العالَم الخارجى ... عاشوا كأمة وثقافة وعُقد وعقيدة وتحفز ... ومؤامرة أيضاً .

فى « الجيتو » طبقُّوا الشريعة العبرية القديمة ، ومارسوا قوانينهم ودفعوا ضرائبهم ، وأدُّوا التزاماتهم وصلواتهم فى المعبد .

وفى « الجيتو » انغمس اليهود فى تفاصيل الحياة التلمودية .

كانت « الجيتو » تحكم العمل والعبادة والرقص والملبس والأخلاق وحياة الكنيس ... حكمت كل جزئيات حياتهم الخاصة والعامة .

وفى أى مكان يخلو من حيطان « الجيتو » يصرخ قادتهم وأحبارهم ويناضلون من أجل العزلة والانفصال ... يُلقون الفزع فى روع رعاياهم ويخوِّفونهم بالوحوش المسيحية السفّاكة !!

وبهذا الأسلوب ... أسلوب تخويف القادة اليهود لرعاياهم اليهود من كلاب الصيد المسيحية السفّاكة ،،، استطاع القادة أن يمسكوا بالرعايا فى وحدة فزع ورعب وتلفت ... والتفاف حول فلتات الآخرين التى من خلالها يتمكنون من الاختراق !!

أما كلاب الصيد المسيحية السفّاكة التى ذكرها « نيلوس » ففحواها أن حكماء صهيون و « الأحبار » ( Rabbis ) كانوا يلقون ببعض اليهود طعوماً ... يُثيرون القلاقل والفتن يستفزون بها بعض المسيحيين فيحدث رد الفعل الشديد تجاه اليهود المساكين !! ... فيعلو الصراخ : مذابح اليهود ... العداء للسامية !! ولا يهم عدد الضحايا التى لقيت حتفها فى أفواه كلاب الصيد السفّاكة طالما أن هذه القرابين أو التقدمة - حسب ألفاظ الشريعة اليهودية - ستعمل على يقظة الأمة اليهودية !!

كان من مصلحة رأس الأفعى أن تظل هذه التقدمة على مذبح الطريق إلى صهيون دائمة ، كى يظل الرعب يقظاً شديد التنبيه طوال الوقت ، ينتفض له جسم الأفعى بصفة مستمرة وكأنه زيت الصيانة للموتور الإسرائيلى لحفظ حركة إخراننا فى نظام وانضباط !!

كان الأحبار والحاخامات والقادة على طول الخط ضد الانتشار والحياة الطبيعية والمواطنة والأخوة الإنسانية لليهود بين الشعوب التى يعيشون فيها كرعايا أو مواطنين .

ويشهد على ذلك الكاتب اليهودى « ألفريد ليننتال » فى كتابه البالغ الأهمية والذى كشف كثيراً من الحقائق الخافية على الأصفار فى عالَمنا الإسلامى المنكوب بـ « الماسون » - أدوات صهيون :

يقول « ليننتال » : « فى منتصف القرن التاسع عشر حاول الحَبر الألمانى « ماكس ليننتال » أن يُنشىء مدارس يهودية عصرية فى روسيا حيث تُدرَّسْ اللُّغة الروسية وعدة موضوعات علمانية ... لكنه هُزِمَ بواسطة الشك

الحبَرى أو الحاخامى ( Rabbinical Suspicion ) متحداً مع « الكبح الخزرى » ... أكثر من ذلك ، فإن اليهودى الشرقى لجأ إلى القومية اليهودية من أجل التحرير والعتق فقد علّموه - أى الأحبار والحاخامات - أن الحقوق السياسية التى يريدها هى تلك التى ينبغى أن يراها حقوقاً جماعية ... وهذه لا يفوز بها إلا فى فلسطين » ( ألفريد لينتتال - ما ثمن اسرائيل - ص ١٢ ) .

( Alfred M. Lilienthal - What price Israel , P. 12 )

أما البروفسور « سالو بارون Professor Salo Baron » فقد أشار فى تاريخه لليهودية بأن الحاخامية التُلمودية تصر على العزلة لأسباب عملية وطقسية ( شعائرية ) .

ويذكر « لينتتال » أن اليهودى « ظل منغمساً فى التفاصيل التلمودية داخل « الجيتو » ولم يكد يفكر إطلاقاً فى العالم المسيحى خارجه إلا على أمل أن يُسمح له فى أن يعيش من غير مضايقة أو تحرش » ( ص . ١ ) .

ولقد قامت « الجيتو » بدور طلائعى فى تمهيد طريق رأس الأفعى إلى صهيون . لقد ظلت جدران « الجيتو » فى أوروبا الشرقية فى المقدمة - محصّنة مُغلقة يتدرب داخلها حكماء صهيون على قيادة التنظيم الماسونى الذى سيقود الحركة الصهيونية فيما بعد ويُسَخِّر الأُميين من البهائم العاملة ويضعها تحت السرِج .

ولقرون طويلة ظل اليهود فى بولندا والنمسا وغيرهما من دول شرق أوروبا داخل الكاغالات ( Kehillahs ) أو الدهاليز الخفية منظمين يحكمهم مجلسهم القوى المشترك الذى سيربى جنود الحركة الصهيونية فيما بعد .

وتفتّق ذهن الأفعى اليهودية عن حيلة جديدة تُصطاد بها كلاب الصيد المسيحية فى سلام واسترخاء ، فأخذت عناصر النسيج وعُقده وعائد التدريب فى الجيتو ، تفرز خيوط شراك دقيقة ، صنعت منها الشبكة التى أوقعت فيها أوروبا .... وكانت تلك المصيدة هى « الماسونية » !!

وكان للماسونية جذور قديمة فى الفكر الإسرائيلى القديم !! فالمحادثة أو المجادلة التاريخية ( Historical Discourse ) تتضمن ترجمة خاصة عن الانتقال المخلص للأسرار الماسونية منذ عهد « سليمان » إلى الحروب الصليبية .

وقد ورد فى هذه المحادثة أن « سليمان » وحكماء اليهود من قبل ، قد خطَّطوا فى سنة ٩٢٩ ق . م لابتكار مكيدة يغزون من خلالها كل العالم ويفتحونه فتحاً سلمياً لصهيون !!

وكنا قد قلنا فى فصل « العقيدة ... التراث ... والرموز » أن التاريخ الماسونى قد بدأ فى أوروبا منذ ذلك الدور القذر الذى قام به « الماسون » أثناء الحروب الصليبية كطابور خامس يعمل من خلف جيش المسلمين ، وأن الهجمة النصرانية على ديارنا كانت هى البؤرة العفنة التى انطلق منها الڤيروس الغريب إلى أوروبا حيث أسس أوكارة - أى محافله - هناك ..... أى منذ توسّل الملوك والنبلاء الصليبيون ، ملتمسين فى إلحاح - كتحرش البغى برجل ( Solicited ) وحازوا القبول للدخول فى « الماسونية » .

وعُرِفت كلمة « الماسونية » منذ ذلك اللتاريخ القمىء ، وظهرت باسمها نتيجة لهذا الميلاد السِفاح !!

ونقلنا عن الحَبر الماسونى « آرثر إدوارد » أنه لما جاء الوقت الذى توّحدت فيه الماسونية المختارة مع درجة القديس جون المقدسى ، انتقلت الماسونية - التى كان موطنها الأصلى فى فلسطين - من خلال الملوك والنبلاء الصليبيين إلى « إيطاليا » و « أسبانيا » و « فرنسا » و « إنجلترا » ، ومنها إلى « اسكتلندة » ... وعندما عاد « إدوارد » الأمير الأسود من الحملة الصليبية الثامنة والأخيرة أصبح الحامى والمدافع عن الطبقة - الماسون - فى إنجلترا حيث اتخذت اسم الماسونية .

واعتبر « آرثر إدوارد » أن فرسان فلسطين هم آباء ومؤسسى الأخوة الماسونية .

ويجمع كثير من دارسى المسألة الماسونية أنها انتشرت من إنجلترا إلى القارة الأوروبية . ففى عام ١١٥٥ انتخب ملك إنجلترا « ريتشارد » الملّقب « قلب الأسد » أستاذاً أعظم للمحافل الماسونية .. وكان - أيضاً - أستاذاً أعظم لجماعة أطلقت على نفسها اسم الهيكليين ... وهى جماعة ماسونية تهدف إلى إعادة البناء الثالث لهيكل سليمان فى القدس .

و « ريتشارد » الأول - هذا - هو أحد السفّاحين الثلاثة - ملوك أوروبا - الذين قادوا الحملة الصليبية الثالثة ، وقد عاد خائباً إلى إنجلترا ، خائفاً من الهزيمة فيما لو هاجم القدس ، وذلك لقوة المدافعين عنها بقيادة صلاح الدين .

ومن بين الملوك والشخصيات الإنجليزية البارزة الذين انتسبوا للمحافل الماسونية ولعبوا أدواراً فى السلك المخبوء على مدى التاريخ الإنجليزى : هنرى الثانى ، هنرى الرابع ، هنرى الخامس ، جورج الأول ، جورج الخامس من الملوك - دزرائيلى ، لويد جورج ، ونستون تشرشل من رؤساء الوزراء - لورد كيرزون ، بلفور ، من الوزراء - بيكون ، صموئيل كلارك من الفلاسفة - هـ . د . لورانس ، تشارلز ديكنز من الأدباء - وأوليفر كروميل ، صاحب انقلاب المتطهرين ( Puritans ) - الذى أسّس ما يُشبه أول جمهورية بريطانية دامت أحد عشر عاماً ، هربرت صمويل أول حاكم بريطانى لفلسطين ... وكثيرون غيرهم ، يضيق المجال بذكرهم ، من شاغلى المناصب الكبرى ، ومن رجال الفكر والصحافة والاقتصاد ... وقادة الجيوش أيضاً ...

ويروى فتحى يكن فى كتابه « حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام » أن الماسون قد تمكنوا عام ١٦٢٠ من إشراك الأساقفة ورجال الأكليروس معهم وقلّدوهم رئاسة محافلهم ... ومنذ ذلك الحين أُضيفت إلى اسم رئيس المحفل كلمة « محترم » وهو لقب إيكليركى لا زال مستعملاً حتى اليوم ... وكانت

الأديرة ملجأً « للماسونيين » فى الحروب والتطورات ... وفى سنة ١٦٨٠ أُقيم الأب « ويرال » مفتشاً عاماً للماسون الأحرار فى بريطانيا ... ( ص ٦٤ ) .

وتتابع بعد ذلك سقوط الأساقفة الأنجليكان فى المصيدة الماسونية حتى أصبح أسقف ( بطريريك ) كانتربرى رئيساً للمحفل الأكبر الإنجليزى وهو أصبح فيما بعد القديس « دنتان » .

والواقع أنه منذ طلّقت بريطانيا الكاثوليكية وتحوّلت إلى البروتستانتية اخترقت الأفعى الماسونية الكنيسة البريطانية والكنائس المماثلة فى غرب أوروبا ، ووضعتها تحت البردعة اليهودية .

ويروى « خالد محمد على الحاج » فى كتابه « الكشّاف الفريد » نقلاً عن كتاب « الماسونية فى العراء » للدكتور محمد على الزغبى - أن الماسونية اسم حديث للقوة الخفية التى أسسها اليهود عام ٣٧ م فى الهيكل لتُجهز على المسيحية والمسيحيين ، وأن تلك القوة الخفية قد أخذت عام ١٧٢٧ بمؤتمر لندن وبرئاسة أندرسون - الذى عاش رئيس كنيسة بروتستانتية فى الظاهر وبالباطن يهودية - اسماً جديداً هو ماسونية ( ص ٣٤٩ ) .

ويقول أيضاً : إن الكنيسة البروتستانتية كانت - ولا تزال - تُقيم من الملوك ورؤساء الجمهوريات حماة للماسونية ، وأن بعض العميان الكبار لم يسعهم إلا الاعتراف بماسونية ، بل بيهودية « لوثيروس » - مارتن لوثر - وأن التخطيط اليهودى ، بالحركة اللُّوثرية ، استغل الدين للمصلحة اليهودية ، منذ ربط العهد الجديد بالقديم . لقد كان العهد القديم قبل لوثر مهجوراً أو مصفداً فى أقبية بعض الأديرة ، ثم أخذ بالظهور بعد الحركة اللُّوثرية وفاز بالترجمة والانتشار للاستغلال لصالح اليهود ( ص ٣٥٣ ) .

أما فى فرنسا ، فيتحدث الحَبر الماسونى « آرثر إدوارد » فى « موسوعة جديدة فى الماسونية » عن دور الماسون من درجة فرسان المعبد فى الثورة الفرنسية ، وأنهم كانوا يُخطِّطون ويهدفون إلى تحطيم الحكومة الملكية فى

فرنسا إلى تحطيم العقيدة الكاثوليكية كذلك ... وخلص إلى القول : « ببساطة يمكن أن نضع الفرض هكذا ... إن الماسون من درجة فرسان المعبد كانوا يهدفون إلى ثورة فى فرنسا ... وأن تلك الثورة الفرنسية قد جاءت » .

( ص ٤٣١ ) .

وتعتبر بروتوكولات حكماء صهيون أن الثورة الفرنسية كانت إحدى المنجزات الماسونية على طريق الوصول إلى مملكة داوود .

فقد جاء فى « البروتوكول الثالث » : « تذكروا الثورة الفرنسية التى نسميها الكبرى ... إن أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا ، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قُدماً من خيبة إلى خيبة ، حتى إنهم سوف يتبرأون منا لأجل الملك الطاغية من دم صهيون ، وهو الملك الذى نُعدُّه لحكم العالَم » !! .

أما نابليون الذى كان يُدَعمُه المشرق الأعظم الفرنسى ( Le Grand Orient ) : فقد أراد أن يُقلِّد الإمبراطور الفارسى « قورش » الذى حرَّر اليهود من الأسر البابلى بعد انتصاره على بابل وضمها لمملكته وسمح لهم بالعودة إلى القدس لإعادة البناء الثانى للهيكل .

ولقد جاء فى الجريدة الرسمية الفرنسية فى ( ٢٠ / ٤ / ١٧٩٩ ) نداء وجهه نابليون إلى اليهود يستفزهم للعمل تحت رايته حتى يُعيد إليهم ما أسماه « مجدهم الضائع وحقوقهم المسلوبة » .

وعندما اجتاح نابليون أوروبا فرض مساواة اليهود فى كل مكان وصل إليه . وفى عام ١٨٠٧ عقد مؤتمراً لـ « السنهدرين » (Sanhedrin ) - المجلس الأعلى لليهود - من كل أجزاء الإمبراطورية . وعندما سُئل هؤلاء الممثلين إن كانوا يعتبرون فرنسا وطنهم ، والفرنسيين إخوتهم ؟ أجابوا : « نعم حتى الموت » .

وجدير بالملاحظة أن المحفل الماسونى الفرنسى طرد الأمير « لوثيان » لأنه ألقى خطاباً أشاد فيه بالبابوية . ومعروف أن من أهداف المؤامرة الماسونية كان

ضرب الكنيسة الكاثوليكية التى كانت متشددة مع قتلة « الرب » !! أى اليهود .

وبعد أن استهلك الماسون نابليون ، قال قولته الشهيرة : « يجب أن نعترف أن الدنيا تُدار من قِبَلِ المنظمات السرية » !!

وفى ألمانيا أعلن بسمارك عام ١٨٧١ قراره الذى أسماه « تحرير اليهود » . وانشقت الأرض عن جمعيات ماسونية صهيونية أسمت نفسها « عشاق صهيون » .

يقول الكاتب اليهودى الذائع الصيت « بيرنارد لويس » فى كتابه ( Emergency of Modern Turkey - Oxford,1965 ) : كان الإمبراطور الألمانى ويلهلم وأمير ويلز - ولى عهد بريطانيا - من أبرز المنتسبين للمحافل الماسونية ومن قادة الماسونية العالَمية ... ولم ينحصر دورهما فى الالتزام بالفكرة أو أداء الطقوس أو تجنيد الأعضاء فحسب . لكن تعداه إلى توفير الحماية للمنتسبين داخل وخارج الحدود » ( ص ٢٠٨ ) .

ويذكر « لينتتان Lilienthal » أنه بحلول عام ١٨٧٤ مُنح اليهود فى إنجلترا وألمانيا وهولندا وبلجيكا والدانيمارك والنرويج حقوقاً كاملة كبقية المواطنين ، بل أكثر من ذلك ، اعتُبروا مواطنين متميزين ( Fully priviliged nationals ) ومع ذلك ظلّت حيطان الجيتو فى أوروبا الشرقية مُحصَّنة مغلقة !!

ويتحدث مؤلف كتاب (Jewish Conspiracy and the Muslim World) فى مقدمته لبروتوكولات حكماء صهيون - عن وقوع العالَم المسيحى فى قبضة الماسون فيقول : « إن العالَم المسيحى - كما هو واضح من الفحص الدقيق للملاحظات عن الأفعى الرمزية اليهودية - قد سقط ساجداً مغلوباً ووقع فى شرك هذه المؤامرة السرية اللاإنسانية المتحجرة القلب » ( ص ١٥ ) .

كان ملوك المال اليهود « آل روتشيلد » يموِّلون المحافل الماسونية التى تقوم بدورها كطليعة متقدمة للحركة الصهيونية فى إشعال النار بين القوى الأوروبية وتطوير العملية الاستعمارية . كان مركز ثقلهم لندن وباريس وممسكين بخناق أوروبا كلها يُحركون الملوك الأباطرة . تجسَّسوا وتآمروا على الحركات الوطنية . رشوا الملوك والحكّام ليركع العالم خاضعاً لمشيئة اليهودية العالمية .

وهكذا التهمت الخطة الصهيونية السرية وطليعتها الماسونية كل القوى الأوروبية لكى تُكمل الأفعى دورتها لغلق الطريق بعودة رأسها إلى صهيون . أعنى التفافها حول أوروبا القوية وتطويقها ... وتكون لشدة تكبيلها أوروبا قد طوّقت العالم أجمع !!

فعودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تدخل كل القوى الأوروبية فى المصيدة وفق عناصر الخطة من الأزمات الاقتصادية والفتن والحروب وبيوت المال والصحافة والفكر والمجندين الماسون فى جميع المراكز صانعة القرار ... والنساء اليهوديات المتنكرات فى صور الفرنسيات والإيطاليات .... وما إلى ذلك !!

وإذا كانت أوروبا الغربية القوية قد وقعت فى براثن « الماسونية » وتم تجنيد غالبية القوى الحاكمة فيها والمراكز صانعة القرار ، على تنوع مجالاته ، وانفتحت لليهود أو انفتح اليهود عليها ...

وفى الوقت ذاته ظلّت جدران الجيتو فى أوروبا الشرقية مُحَصنة مُغلقة على اليهود الذين يُنمُّون عُقدهم ويصرخون فى نفس الوقت من كلاب الصيد المسيحية السفّاكة ....

فإن الصهيونية العالمية قد حققت هدفين بحجر واحد :

فأولا : من أوروبا الغربية ، المتقدمة ، تتم السيطرة والقيادة العالمية ، من خلال سيطرة الماسون من درجات « فرسان المعبد » و « الأفعى النحاسية »

و « الصليب الوردى » على الحكومات الغربية ، ومن هناك تتم السيطرة على السياسة والفكر والصحافة والمال !!

وثانياً : جعل يهود أوروبا الشرقية ، وعلى رأسهم يهود الاتحاد السوفييتى المدرّبين فى الجيتو والكاغال - سلاحاً وعقداً ، والممسوكين فى نظام - جنود زحف رأس الأفعى إلى « صهيون » !!

وقدّم « موسى هيس Moses Hess » الصهيونية الحديثة فى كتابه « روما وأورشليم Rome and Jerusalem » فى عام ١٨٦٢

وتلاه « ليو بينسكر Leo Pinsker » بعد عشرين عاماً فى كتابه « التحرير الذاتى Auto - Emancipation » وفيه ذكر أن اليهود يُشكّلون وسط الأمم التى يسكنون بينها عنصراً متميزاً لا يمكن هضمه أو استيعابه بواسطة أى قُطر !!

وتحت قيادة « بينسكر » عُقِدَ أول مؤتمر يهودى قومى فى عام ١٨٨٤ فى سيليزيا . وكان بينسكر يهدف إلى : « أرض خاصة لنا » .

وتحركت الأفعى حركة نشيطة على المستوى العالمى !! من خلال الصحفى النمسوى « هرتزل Herzl » الأب الروحى للصهيونية العالمية وللدولة الإسرائيلية ، وتمجيداً لاسمه أُنشئت مدينة « هرتزليا » فى الأرض المغتَصبة ، وقد جرت فيها المفاوضات بين حكومتنا وإسرائيل !!

« أصدر هرتزل كتابه « الدولة اليهودية » فى عام ١٨٩٦

وتتلخص أفكار « هرتزل » فى هذا الكتاب فى منظمة يُطلق عليها « جمعية اليهود » تُشرف على تأمين هجرة اليهود إلى الوطن الموعود ، و « شركة يهودية » لدعم الجانب الاقتصادى لعملية الهجرة . ويكون مركز الشركة فى لندن ترعاها

بريطانيا وتخضع للقانون الإنجليزى برأسمال مبدئى حوالى خمسين مليون جنيه إسترلينى أو مائة مليون دولار . وحدَّد طريقة الاستيلاء على الأراضى فى الدولة الموعودة وأوضح طريقة التهجير إليها ، وأسلوب زرع المستعمرات الجديدة وإدخال الصناعات وتوفير الموظفين الذين يكون من بينهم ضباط جيش الدفاع وعددهم لا يقل عن ١٠ ٪ من عدد الذكور من سكان المستعمرات ... وللدولة الجديدة علمها ونشيدها ودستورها وجيشها ولغتها العبرية » !!

{ راجع : أمين هويدى - كيف يفكر زعماء الصهيونية - دار المعارف - ص ٢٦ - ٢٨ } .

وفى سنة ١٨٩٧ عُقِدَ فى مدينة « بازل » بسويسرا المؤتمر الصهيونى الأول برئاسة هرتزل وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من زعماء اليهود الحائزين على الدرجة الماسونية الثالثة والثلاثين - قمة التنظيم الماسونى . وقد صدر عن المؤتمر قرارات سرية عُرِفت باسم « بروتوكولات حكماء صهيون » . وقد تحدثنا عنها ونقلنا بعض خطوطها الرئيسية فى فصل « فشنو » من هذا الكتاب .

وبالإضافة إلى هذه البروتوكولات ، فقد نادى مؤتمر « بازل » علناً بوطن قومى شرعى آمن ومضمون من الدول فى فلسطين وأكد على حق اليهود فى الانفصال .

وعلى هذا « فإن حركة سياسية منظَّمة قد حلَّت محل المسيح المُنتظر فى إعادة الشعب اليهودى إلى فلسطين » !!

« فالمسيح الآتى الذى تغذت عليه الحياة القَبلية فى « الجيتو » عدة قرون قد ربى وعياً قومياً بين اليهود الشرقيين » !!

( ليننتال - ما ثمن إسرائيل - ص ١٤ )

لكن كيف تُكمل الأفعى دورتها وتقطع المسافة القصيرة المتبقية بين الرأس والذيل ! ؟

طريق الأفعى - كما تُشير السهام - ينبغى أن يخترق موسكو وكييف وأودسا كمراكز « الجنس اليهودى » [1] المحارِب ..... أى قهر روسيا !! كما يقول « نيلوس » .

* * *

## • انقلاب الدونمة والماسون ... فى عاصمة الإسلام :

تظهر القسطنطنية ، أى الآستانة - كما تشير السهام - كمرحلة أخيرة فى طريق الأفعى قبل وصولها إلى أورشليم !!

إن طريق اليهود الى « أورشليم » لا بد أن يخترق « الآستانة » ، لكن عَلَم الخلافة الإسلامية على « إسلامبول » عقبة كئود أمام بنى صهيون كى يمروا على « جسر بنات يعقوب » !! فكيف الوصول إلى « مملكة داوود » وفلسطين فى حِمى خليفة المسلمين ؟ فلسطين جزء من الدولة القائمة بأمر الإسلام - « الدولة العثمانية » - منذ فتح السلطان سليم الأول الديار المقدسة عام ١٥١٦ ، وواليها من قِبَلِ « خليفة المسلمين » يرصد كل وافد أجنبى إلى « بيت المقدس » ، فيطلب منه - بعد حجه - الرحيل ... ولكى تتم الأفعى الرمزية اليهودية دورتها وتُغلق دائرتها ، عندما تضم رأسها إلى ذيلها ، بوصول الرأس إلى « أورشليم » ، لا بد من تحطيم الدولة العثمانية ...ويوم تسقط « الآستانة » ستسقط القدس - تبعاً لذلك - فى أيدى اليهود .

وزُرِعت الڤيروسات الغربية فى الجسم العملاق ، من خلال الدخلاء من اليهود والأجانب ، رجالاً ونساءً ، وقد غيَّروا أسماءهم بأسماء إسلامية . وعملوا بمساعدة المحافل الماسونية وبتأييد من القوى الأوربية على الارتقاء فى المناصب ، وتغلغلوا فى شِعاب البِنية السياسية والاجتماعية والفكرية والتربوية

(١) ملحوظة : كان الصواب أن يستخدم نيلوس كلمة « اليهود » بدلاً من « الجنس اليهودى » إذ لا يوجد شىء اسمه « الجنس اليهودى » كما بيَّنا .

والعسكرية والاقتصادية للدولة . حتى وصل بعضهم إلى أعلى المناصب ، ومنها الصدارة العظمى - أى رياسة الوزارة - ووزراء وولاة وقادة جيوش وقادة المدارس العسكرية ، وقد وجدوا فى معطيات « الماسونية » الإنجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية أو الألمانية فلسفتهم وقيمهم وحركتهم ، ومن الخارجية البريطانية قبضوا الأموال ، ونفّذوا بالدعم والمساندة مخططات كل قوى عالم العدو لتدمير الدولة من داخلها (١) .

وعُرِف اليهود الذين تظاهروا بالإسلام وتستروا من وراء أسماء إسلامية بطائفة « الدونمة » .

و « الدونمة » كلمة تركية تعنى المرتدين ( Apostates ) أى الذين غيّروا دينهم من اليهودية إلى الإسلام ، وكانت مهمة هذه الطائفة زرع الفيروسات الغربية وتنشيطها ونشرها فى جميع أطر الدولة وتنظيماتها السياسية والعسكرية والثقافية ، وقد أدخلوا فى الجيش كثيراً من عناصرهم وأغووا عدداً من الضّالين والحاقدين والأغرار .

وظلّت هذه الطائفة محتفظة بتراثها الإسرائيلى وتقاليدها اليهودية وإن بقى ذلك فى زمانه سراً على الناس .

لكن « سيسل روث Cecil Roth » فى كتابه « الموسوعة اليهودية المثالية » ( The standard jewish Encyclopaedia ) هتك الستر عن ذلك السر .

يقول « روث » : « إن « الدونمة » - طائفة إسلامية يهودية - ومنهم جافيد بك ( ١٨٧٥ - ١٩٢٦ ) الذى تكرّر تعيينه وزيراً للمالية - قد قاموا بدور رئيسى قيادى فى ثورة الشبان الأتراك عام ١٩٠٩ ، تلك الثورة التى

---

(١) راجع كتابنا : « رؤية إسلامية فى المسألة الشرقية » باب : « الدوائر الثلاث » فصل : « العقبة إلى صهيون ... الطريق إلى أورشليم عبر الآستانة » .

نظَّمها وأوحى بها ووجهَّها الماسون ... وكانت طقوسهم وشعائرهم باللُّغة الأسبانية اليهودية قد بقيت سراً عميقاً ولكنها وُضِعَتْ تحت الأضواء وأمام النظرة العامة » ( ص ٥٧١ - ٥٧٢ ) .

وصنعت القوى اليهودية من بعض الجواسيس المتسكعين فى عواصم الغرب ساسة وأعلاماً وكتّاباً وأدباء وشعراء ومفكرين ... هرَّبتهم المحافل الماسونية إلى العواصم المعادية ، وفى مقدمتها لندن وباريس وبرلين وسان بطرسبرج ، ومن هناك راحوا يُصدرون صحفهم ومنشوراتهم ويحاربون الدولة ويُطلعون أعداءها على أسرارها ، تاركين أسرهم فى إعالة اليهود فى الداخل ، وتنفق الأوكار الصهيونية عليهم وعلى صحفهم وتُروِّج ادعاءاتهم فى الخارج .

وجاء السلطان عبد الحميد إلى مقام الخلافة الإسلامية فى « إسلامبول » ... جاء بمنهاج كامل للصحوة الإسلامية شمل كل مناحى الحياة ... وخطت الدولة فى عهده خطوات واسعة على طريق التقدم الأصيل .

وجاء « تيودور هرتزل » ، الصحفى النمسوى ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وكبير الماسون ، راكباً إكسبريس الشرق من ڤيينا إلى إستانبول ، علّه يجد ثغرة فى هذا الحِمى المنيع .

جاء ثلاث مرات ، مرة فى يونية ١٩٠١ ، والثانية فى فبراير ١٩٠٢ ، والثالثة فى يوليو ١٩٠٣

وعرض « هرتزل » على سلطان المسلمين أن :

١ - يُسدِّد ديون تركيا الكثيرة .

٢ - يُطوِّر تركيا صناعياً وتجارياً ومالياً من خلال بنوك أوروبا التى يملكها اليهود .

٣ - يُنشىء للدولة العثمانية السكك الحديدية والسفن التى تعبُر القارات .

٤ - يقود حملة صحفية عالمية تدافع عن السلطان وسياسته في مواجهة الدول الأوروبية .

٥ - يُنشىء أحدث جامعة عصرية تُعلِّم الشباب التركى جميع العلوم الحديثة بدلاً من ذهابهم إلى أوروبا التى تُسمم أفكارهم .

٦ - يقف إلى جانب الأتراك فى المسألة الأرمينية ويأخذ حِلف المسلمين ضد المسيحيين .

٧ - يهب السلطان « هدية » مالية قدرها مائة مليون جنيهاً ذهباً .

وكانت مطالب « هرتزل » :

إنشاء « شركة يهودية » تشترى الأراضي غير المزروعة فى فلسطين ، وتتولى هذه الشركة شراء الأراضى وزراعتها وتوطين اليهود فيها .

لكن الحارس اليقظ « عبد الحميد » أجاب فى حسم : « لا أملك هذا ... فلسطين ليست ملك الأتراك بل ملك العرب ... وبيت المقدس ليس ملك العرب بل ملك المسلمين » .

وقال السلطان لهرتزل وهو يرفض التفريط فى أى شبر من الأرض : « إذ أن الإمبراطورية التركية ليست ملكاً لى ... فليس فى استطاعتى والحال كذلك أن أهب أحداً أى جزء فيها ... فليحتفظ اليهود ببلايينهم فى جيوبهم ... فإذا قُسِّمت الإمبراطورية يوماً ما فقد يحصلون على فلسطين دون مقابل ... ولكن التقسيم لن يتم إلا على أجسادنا » .

ويصف الحاكم الأمين الوضع فى حالة قبول العرض - لا قدَّر اللّه - : « نكون قد وقَّعنا قراراً بالموت على إخواننا فى الدين » .

ويتحدث « خليفة المسلمين » - وفلسطين فى حماه - فاضحاً المحاولة الصهيونية : « لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط فى فلسطين ، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم ، وانتخاب ممثلين سياسيين ، وإنى أفهم جيداً

معنى تصوراتهم الطامعة هذه . وإنهم لسذج إذا تصوّروا أنى سأقبل محاولاتهم هذه ... إن هرتزل يريد أرضاً لإخوانه فى الدين ، لكن الذكاء ليس كافياً لحل كل شىء » .

وعن القدس الغالية يقول الرجل الأمين وهو يحسن استعمال مقام الخلافة :

« لماذا نترك القدس ؟ إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان ، وستبقى كذلك من مدننا المقدسة . وتقع في أرض إسلامية . لا بد أن تظل القدس لنا ».

وأدركت « الأفعى الصهيونية » أبعاد منهاج الصحوة الإسلامية في خطة السلطان عبد الحميد ، ففزع دماغها واضطرب ذيلها ... وكان لا بد من حركة نشطة ماكرة ، وخبيثة ، لكي تخترق المسافة الضيقة الباقية بين الرأس والذيل .

إن صلابة « عبد الحميد » هى السد المنيع على هذه المسافة .. سد يَحُول دون وصول « رأس الأفعى » إلى « صهيون » .

وكان لا بد أن يذهب عبد الحميد لتذهب معه كل عناصر المقاومة والتحدي والصمود .

فكانت الـ « يني طوران » و « انقلاب الدونمة والماسون » [١] .

ففي مواجهة الفكرة الإسلامية التي صبغت الدولة العثمانية خليفة أو سلطاناً ، حكومة وإدارة ، تشريعاً وتنظيماً ، معاملات وعلاقات ، حركة وغاية ، إرادة وراية ...

وطبعت الأمة مِلّة وجنسية وتاريخاً ، ثقافة وضميراً ومشاعر ، ذوقاً ووجداناً ونكهة ، جهاداً وتوجيهات ، حضارة وانتماء .....

كان لا بد من إيجاد البديل الساقط الهزيل ، واصطياد العملاء والمطايا لتربيتهم على هذا البديل الساقط الهزيل !!

---

(١) راجع كتابنا : « رؤية إسلامية في المسألة الشرقية » باب : « الدوائر الثلاث » فصل : « الينى طوران وانقلاب الدونمة والماسون » .

فكانت « البني طوران » أو « الطورانية الجديدة » نهجاً لأدوات اليهود ومن ورائهم كل قوى عالم العدو ، وبؤرة عفنة انطلقت منها المؤامرة الانقلاب ..!!

كان إنجيل الحركة « الطورانية الجديدة » - « البني طوران » - كتاب اليهودي الماسوني « ليون كاهون » :

( Introduction a L'histoire de L'Asie, Tures et Mongois, des ori gines a 1805).

« تاريخ الترك والمغول في آسيا من مبدأ نشأتهم إلى سنة ١٨٠٥ ( صدر في ١٨٥٦ ) » .

وقد اعتمد « المجمع العلمي الفرنسي » هذا الكتاب !! وكان « ناظم بك السلانيكي » السكرتير العام لجمعية « الاتحاد والترقي » يقوم بتدريسه للمنتسبين في الأوكار التي كانت تعمل تحت الأرض .

وقد تحدَّث فيه « كاهون » عن خصائص ما أسماه « القومية التركية » مشدداً على فضائل الترك العسكرية ... تحدَّث عن شهامة « تيمور لنك » وعبقرية « أتيلا » الملقَّب « نقمة الله » وعن سياسة « جنكيز خان » الذي سمَّى نفسه في بُخاري « غضب الله وعصا سخطه » !! وأوضح لهم « كاهون » طريقة العودة إلى الوثنية التركية التي زهقت منذ ألف عام مشيداً بالتدمير والتخريب وفظائع الهجمات البربرية أيام التتار والمغول على اعتبار أنها بطولات قومية !!

وعلى أساس من القاعدة القديمة التي وضعها لهم اليهودي المجري « قمبيري » ، والتي تقول : « لا وطن في الإسلام » انطلق الوطنيون من ببغاوات « تركيا الفتاة » يرددون « إنه كان من مآل الإسلام تحت تأثير العوامل والتقاليد العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية جعل الترك أمة شرقية ليس لها عمران خاص بها » !!

وخلص « قمبيري » بنتيجة تقول : « إنه يجب على تركيا أن تُغَرِّب – أي تصير غربية – وإما أن تهلك » !! .

ولكي يدفعهم إلى سرعة الطلاق أنهى سمومه بقوله : « ولما كانت لا تستطيع الأولى فلا مناص لها من الثانية » !!

وخاف المساكين من الهلاك !! وعملوا بالنصيحة أو بالتحدي ، وابتلعوا الطُعم وانطلقوا على أساس من هذا الزعم الرخيص يقولون : « إذا أخذت الإسلام من القومية التركية يبقى فيها المبدأ الطوراني ... أما الإسلام فيظهر بمظهر جديد ويكون ديناً قومياً » !!

والجزء الأخير من العبارة كان ذراً للرماد في العيون .. مقولة كاذبة وخادعة في الوقت ذاته للتغطية أمام الجماهير التركية المسلمة التي حقَّقت ذاتها في إسلامها وصاغها هذا الدين في قالب جديد .

إذن طالما أن الإسلام كان هو المصيبة !! التي حلّت بالترك فجعلتهم أمة شرقية لا عمران لها ولا وطن ولا قوم ( هكذا !! ) فلا خلاص إلا بالطلاق .. لأن الهلاك – كما علّمهم « قمبيري » – هو البديل !! وراحت جمعية « ترك أوجاقي » – أى « الموقد التركي – أو الوطن التركي تستخلص النشء لتُعلّمه تاريخ القبائل الطورانية ، وتُنشيء فرقاً من الغلمان الكشّافة برعاية أنور باشا . لصياغتهم في قالب عِرقي ينظر إلى ما وراء الإسلام لإحياء عهود غبرت في ماضي الترك الوثني البائد . وكانت معظم شاراتهم وجميع ألقابهم تركية بحتة سابقة على عهد الترك بالإسلام . ومن كان اسمه عربياً أبدل باسم تركي .

وقد أدلى زعماء الحركة بحديث للدكتور « ألفريد نوسينج » نُشر في جريدة « درتاج » الألمانية أوضحوا فيه أهداف « الفكرة الطورانية » جاء فيه :

١ – جعل روح القومية التركية مستقلة عن الإسلام .

٢ – جعل التركي العثماني تركياً أولاً ومسلماً ثانياً .

٣ – تحرير اللُغة التركية من الألفاظ العربية والفارسية .

{ راجع : « المقتطف » الجزء الخامس من المجلد التاسع والأربعين – نوفمبر ١٩١٦ – تحت عنوان « الحركة الطورانية الجديدة » ص ٤٢٥ – ٤٣٠. } .

وراحوا يقولون : إن التاريخ العثماني قد كُتبَ من وجهة نظر إسلامية بحتة فأصبح تاريخاً إسلامياً محضاً حطَّ من قدر عظماء الرجال ولعنهم أمثال « جنكيز خان » الذي غزا ديار المسلمين .

هذا عن « البني طوران » نهج الإنقلاب وعقيدته .

وأما التنظيم الذي أفرز الانقلاب – أي جمعية « الاتحاد والترقي » – فكان « يهودياً ماسونياً » ، مُسخَّراً من الدائرة الإسرائيلية العالمية ، مرتبطاً بالقوى الصليبية والدول الاستعمارية .

وزعماء الحركة وقادة التنظيم أمثال أنور وجمال ونيازي الألباني المتوحش وطلعت الدب الكبير الذي كان موظفاً صغيراً في مصلحة البريد و « چافيد » ، و « قره صو » اليهوديين ، و « ناظم السلانيكي » و « أحمد رضا » من « الدونمة » والدكتور « إسحاق شكوتي » والجاسوس الإنجليزي « ليون فهمي » والدكتور « بهاء الدين شاكر » والدكتور « إبراهيم تيمو » والدكتور « عبد الله جودت » من الدخلاء مجهولي النَسَب فكانوا من المنتسبين إلى المحافل الماسونية الفرنسية والإيطالية والإنجليزية والألمانية .

وسيطر « الإنجليز » على تشكيل التنظيم في « مناستر » ، وسيطر الألمان على تشكيل « سالونيك » .

ونورد هنا – باختصار – « شهادات اليهود » أنفسهم وشهادات بعض الإنجليز وشهادة أحد « النصارى العرب » في المهجر الأمريكي ، عن « يهودية » هذا التنظيم وهوية قادته العملاء !!

وليس من بين شهودي « كاتب مسلم » واحد – ما دام « حرّاس » ثقافة العدو في بلادنا يحبون شهادات « الخواجات » !!

يقول « برنارد لويــس Bernard Lewis » الكاتب اليهودي الذائع الصـيت في كتابه « مولد تركيا الحديثـة - أكسـفورد ١٩٦٥ (Emergence of Modern Turkey ) : « لقد كانت المحافل الماسونية أكثر من كونها مجرد غطاءً ثانوياً أو عرضياً لاجتماعات الضبّاط الشبان ... ذلك أنه في نوڤمبر ١٩١١ حدث أن « جاڤيد » الذي عبَّر في مناسبات عديدة عن اهتماماته وعلاقته « بالصهيونية » قد ربط للمرة الأولى « المحافل الماسونية » بالأهداف اليهودية » ( ص ٢٠٨ ) .

ويؤكد « جورج حدّاد » في كتابه « الثورات والحكم العسكري في الشرق الأوسط » . ( Revolutions and Military Rule in Middle East, New York 1965) على الدور وطليعته الطعم المتقدمة - أي الماسونية - في عمليات التخريب ضد الدولة وفي حركة « الاتحاد والترقي » الهدامة وثورتها اليهودية فيقول :

« ... إن الثورة التي تحركت ضد الدولة العثمانية ( ١٢٩٩ - ١٩٢٠ ) بواسطة المتآمرين اليهود الذين ثبت بكثير من البراهين البينة من مختلف المصادر أنهم كانوا معضدِّين في نشاط مكثَّف من الماسون . لقد تسلَّل اليهود داخل الجيش التركي وغووا وأضلوا العناصر الناقمة من معسكرات مقدونيا ، وهنا أصبح من السهل عليهم أن يتآمروا معاً ( اليهود والعناصر الناقمة التي أغووها من داخل الجيش التركي ، ويرتبطوا بالماسونية » ( ص ٥٢ ) .

ويشهد الكاتب اليهودي « آورام غالانتي » في كتابه « الأتراك واليهود » - « توركلر ويهوديلر » : { إستانبول } - نقلا عن تقديم « محمد حرب عبد الحميد » ( لمذكرات السلطان عبد الحميد ، ص ١٢ ) - يشهد على يهودية حركة « الاتحاد والترقي » وعمالة قيادتها لليهودية العالمية وارتباطهم بالجمعيات الإسرائيلية على مستوى العالم كله وليس داخل تركيا فحسب !!

يقول « آورام غالانتي » : « إن « الجماعات اليهودية » خارج نطاق نفوذ عبد الحميد أيّدت جمعية الاتحاد والترقي وكان هذا التأييد مفيداً أثناء ما كانت الجمعية تعد العدة للانقضاض على عبد الحميد » .

ويقول : « إن « الجمعية الإسرائيلية » بمصر أكدت أن من أهم واجباتها إدخال « المطبوعات » التي تهاجم السلطان عبد الحميد إلى داخل « حدود الدولة العثمانية » بأي شكل من الأشكال وهي المطبوعات التي كان يحررها أعضاء تركيا الفتاة » .

ويهتك « غالانتي » الستر عن خبر بالغ الخطورة والدناءة يوضّح قذارة الدور الذي قام به قادة الاتحاد والترقي ، وإلى أي مدى ارتكس هؤلاء « الأحرار » !! في المستنقع الوبيء ، وهم يستجدون تأييد سادتهم « الإسرائيليين » ليصنعوا منهم قادة وأبطالاً .

يقول « غالانتي » : « إن أحمد رضا رئيس الجناح المدني في الاتحاد والترقي ورئيس شعبة الجمعية في باريس اتصل أثناء وجوده في مصر عام ١٩٠٧ بـ « الجمعية الإسرائيلية بمصر » وكانت نتيجة هذا الاتصال أن صوّتت الجمعية إلى جانب أحمد رضا أثناء انعقاد مؤتمر الاتحاد والترقي في باريس ، وأدى هذا التصويت إلى فوز أحمد رضا برئاسة جمعية الاتحاد والترقي في ديسمبر ١٩٠٧ » .

وهكذا فاز العملاء بالتزكية وصاروا أبطالاً ... ميلاد عفن !! لبئس المولى ولبئس العشير !!

ويتحدث كاتب آخر هو « لورد كينروز Lord Kinros » في كتابه « أتاتورك ، وبعث أمة » (Ataturk, The Rebirth of a Nation, London, 1965) عن « الدور الماسوني » في « جمعية الاتحاد والترقي » .

يقول « كينروز » : « إن جمعية الاتحاد والترقي قد استفادت من أساليب وفنون الماسون » ( ص ٢٨ ) .

وفي الأوكار الماسونية وفي بيوت اليهود .. وفي ظل حماية اليهود وتحت الولاية اليهودية كانت تُعقد اجتماعات المؤامرة مُدعَمة من كل قوى عالم العدو التي أنفقت عليها بالمال الوفير !!

•

يقول « هـ . س . آرمسترونج » في كتابه « الذئب الأغبر - مصطفى كمال » { دار الهلال } : « ثم باح له واحد منهم أخيراً بأن منظمة ثورية كبيرة أُلِّفت في سالونيك وأُطلق عليهم اسم « الاتحاد والترقي » وبأن اجتماعاها تُعقد في بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية والجمعيات الماسونية ، إذ أن جنسيتهم هذه تحميهم - بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية - من الخضوع لأوامر القبض التي يصدرها السلطان ومن تفتيش البوليس لمنازلهم ، أو محاكمتهم أمام المحاكم التركية لأن لهم محاكمهم القنصلية الخاصة .. ومن ثَمَّ دأب أعضاء « الاتحاد والترقي » على الاحتماء بحصانة هؤلاء اليهود ، فكانوا يجتمعون في بيوتهم آمنين من كل خطر ! ( علامة التعجب ليست من عندنا ولكنها من « آرمسترونج » نفسه .. شهادة خواجة ) وكان بعضهم ومن بينهم « فتحي المقدوني » صديق مصطفى كمال القديم - قد انضموا إلى جماعة الماسون البنَّائين الأحرار - واستعانوا على تأليف جمعيتهم الثورية وتنظيمها باقتباس أساليب المنظمات الماسونية . وصاروا يتلقون الإعانات المالية الوافرة من مختلف الجهات » ( ص ٢٩ ) .

وعن « عمالة » عصابة تركيا الفتاة « الاتحاد والترقي » الصريحة للدائرة الاستعمارية الإمبريالية ، وتمتعها بحماية كل قوي عالم العدو ، يتحدث « اللورد كرومر » في « مذكراته » فيقول : « ... من ثَمَّ إن حزب تركيا الفتاة مديون

لإنجلترا ديناً كبيراً تستحق عليه جميل الشكر لأجل الحماية التي تمتع كثيرون من رجاله لـمّا لجأوا إلى مصر .. وإذا نظرنا إلى المسألة نظراً قانونياً فإن السلطان كان محقاً على الراجح في طلبه الرعايا العثمانيين الذين أسخطوه . ولكن ما دامت مصر راتعة تحت السيطرة الإنجليزية فيستحيل تسليم المجرمين السياسين » . ( المقتطف – فبراير ١٩١٥ – الجزء الثاني من المجلد ٤٦ ) .

ويتحدث اللورد « كرومر » عن هؤلاء الجواسيس ( الأبطال ) !! وعن أسمائهم المدوّنة في سجل الخيانة الوبيء والتي كانت من أسباب خلافه من الخديوي « عباس حلمي الثاني » : « ... ومن أسباب خلافي مع الخديوي عباس حلمي .. ومن هذا القبيل أن رجلاً جاءني ذات يوم وأخبرني أن في أحد المنازل « خزانة » فيها « أوراق » تُعلم منها أسماء رجال « تركيا الفتاة » ، وأنه رفع قضية بإغراء « الخديوي » على صاحب المنزل والقصد منها ضبط تلك الخزانة وأخذ ما فيها من الأوراق ، وأن « حزب تركيا الفتاة » في أشد القلق من جرّاء ذلك ... كان لا بد من المبادرة إلى تلافي « الخَطْب » في الحال لأنه يُراد وضع أختام المحكمة على الخزانة حالاً فيصعب فتحها بعد ذلك ، فأمرت «حكمدار البوليس » أن يذهب حالا ويفتح الخزانة ويأتي بما فيها من الأوراق إلى الوكالة البريطانية ، ففعل كما أمرته ثم أحرقت تلك الأوراق بعد ذلك ». ( اللورد كرومر – ( كتاب عباس حلمي الثاني ) – المقتطف – أغسطس ١٩١٥ ) .

ويحكي اللُّورد كرومر قصة « الجاسوس » اليهودي الماسوني « ليون فهمي » عضو « الاتحاد والترقي » الذي قبض عليه الخديوى عباس الثاني ووضعه في « اليخت » الخديوي الذي كان على أهبة السفر إلى الآستانة فخلّصه « كرومر » وهرّبه وختم اللورد كرومر حديثه بقوله : « ... وحسبت أنني عملت ما يجب

عليّ وهو حفظ شأن حكومتي بتخليص هذا الرجل من مخالب الآستانة »
( كتاب عباس الثاني - الفصل الخامس - بقلم اللُّورد كرومر - المقتطف - الجزء الأول من المجلد السابع والأربعين - أغسطس ١٩١٥ ص ١٢٢ - ١٢٣).

وهكذا أفرخت « الدوائر الثلاث » صغارها الأصفار بعد أن احتضنت هذا البيض الدنس في الأوكار المتحالفة : « المحافل الماسونية اليهودية » و « مراكز التبشير - التنصير - الصّليبية » و « السفارات والقنصليات الاستعمارية » .. وعشعش هذا « الفقس » القذر في تلك الأوكار .. يتمتع بحمايتها ويلتقط حبوب العمالة والرِّدة والجاسوسية ، وكان على ذلك الخبز شيء من السمن والعسل !!

وتحركت الدُّمى على مسرح الأحداث - والأسد جريح ومُحاط - تحمل شعارات خادعة : « التتريك » - « اللامركزية » - « الحكم الذاتي » - « الترقي » - « الدستور » - « الحرية » - « التقدم » - « المساواة » - « العدالة » ... إلى آخر هذه المعزوفة ... إلتي رقصت « الأفعى » على طلبها الأجوف فرقص معها العملاء والعور والببغاوات والقرود !!

وفي يوليو ١٩٠٨ تحرك نيازي عبر جبال مقدونيا بفرقة وزحف « أنور » بفيلق من شرق مقدونيا .. بضع مئات من الغوغاء يقودهم الدونمة وتلاميذ الماسون وصبية المبشرين وعملاء كل عالَم العدو . وتحدث الفتنة المسماة بالثورة ويرفض السلطان حمية جنوده الأصلاء الغيورين لسحقها .. ويستجيب لطلبات الماسون ويعلن أنور باشا دستور الحكم الجديد من شرفة فندق « أولمب بالاس » في الميدان الرئيسي بـ « سالونيك » ويهرع الخونة من الأتراك الذين كانوا يعيشون في الدول الأوروبية في حماية مخدوميهم إلى الآستانة ، ينشدون الظفر

بنصيب من الغنيمة ويتآمرون للاستئثار بالحكم ، وتعم الفوضى في جميع أنحاء البلاد ويضج الناس من عصابة الاتحاد والترقي وتهديدها معارضيها بالسجن والقتل .

وعلى الفور استغلت الدول الأوروبية الفرصة أو بمعنى أصح تحركت لتقطف ثمرة النبتة الخبيثة فاغتالت النمسا منطقة البوسنة والهرسك ، وضمّت اليونان إليها جزيرة كريت ، وأعلنت بلغاريا استقلالها العام بمعاونة روسيا » .
( آرمسترونج - الذئب الأغبر - دار الهلال - يولية ١٩٥٢ . ص ٣٥ ) .

وكان « للنصرانية » هى الأخرى نصيب في صدور هؤلاء العملاء وفي أعماق حركتهم ... أليست الصليبية واحدة من الدوائر الثلاث التي قامت بالتخريب في بلاد الأسد الجريح !!؟

والمراد هنا ليس التحول إلى المسيحية عقيدة .. ولكننا نعني ما تلّقاه هؤلاء العملاء في مدارس « الإرساليات الكنسية » من تخريب فكري وفساد وجداني وما ألقى في أعماقهم من شكوك وشبهات حول الإسلام عقيدة وشريعة ، نظاماً ودولة ، وما ربّى عليه الذين أوفدوا منهم إلى أوروبا « كتلاميذ مبتعثين » إلى المعاهد والجامعات .. أو الذين هربوا إلى بلاد الغرب أيام التحضير للانقلاب .. نشأوا في ظلال تربية « فرّغتهم » من زادهم الأصيل « وغرّبتهم » عقلاً وضميراً ، ذوقاً ومشاعر . ثم « الرجاء » الذي بدأ يدب في أعماق المبشرين نحو تلاميذهم القدامى الذين صار لهم الحكم والقرار في « إسلامبول » !!

وراح المبشرون يراجعون خططهم ومؤامراتهم مستغلين الأوضاع والظروف والإمكانيات التي ترتبت على رحيل « الحارس اليقظ » .. عبد الحميد !! .

يقول « و . هـ . ت . جايردنر W.H.T. Gairdner » في مؤتمر التبشير

الدولي [1] مساء السبت ١٨ يونية ١٩١ . تحت عنوان « تغيرات في المسألة التبشيرية - في الأراضي المحمدية » :

(Changes in The Character of the Missionary Problem II, in Mohammedan Lands )

« لو بدأنا بالإمبراطورية العثمانية ، نجد أن هناك حركة يمكن وصفها إجمالاً بأنها تهدف إلى تحقيق الحرية السياسة أولاً ثم الفكرية . وبالنتيجة فإن حركة مزدوجة كهذه لا بد وأن تؤثر على الدين ببطء ولكن بتأثير أكيد ... إن الموقف الخفي للشباب الأتراك أنفسهم من مسألة التسامح الديني هو في الغالب موقف متقدم جداً . والحقيقة أن النصرانية والنصارى هم في أعماق حركتهم إلي حد كبير ... ينبغي أن يُثمر نتائجاً هامة وبعيدة المدى » .

ثم يستطرد في خطابه الطويل أو خطته الجهنمية ، عن كيفية الإطاحة بآخر الدول الجامعة لوحدة المسلمين . مستغلاً الأوضاع الجديدة في ظل حكم العملاء الماسون .

وتردت الأحوال في كل مكان وكان هم الاتحاديين اقتناص المنافع من وراء « الدستور » - « الطُعم » الذي ألقوه من قبل إلى الغوغاء - وصيد الغنائم من خلال نيابتهم عن الأمة وأثرى القادة من خلال التجارة الحرام والاشتغال بالمقاولات .. وتصدّعت وحدة الاتحاديين واختلف رجال العصابة طرائق قدداً .. وراحت منشورات كل فريق حسب انتمائه إلى « المحافل الماسونية » المختلفة تنال من إسلام الفريق الآخر .

---

(١) The world Missionary Conference-Missions and Governmerts, Edinburgh June 1910.

وهي وثائق تمكنا من تصويرها من داخل المتحف البريطاني بلندن . راجع كتابنا : « الوثيقة ... السلام الخطر » !! المختار الإسلامي .

in our consultation this evening both must be kept in our minds. In the narrow sense, those resources are utterly insufficient to meet the situation to-day, though they could doubtless be more wisely disposed, more economically distributed, more richly used. But at our disposal also are the resources of the living God, and this thought will keep us reminded during this session also of the root lesson of this Conference, that only a new realisation of the meaning of a living God will avail us to accomplish or even continue our superhuman task

There is not time to indicate more than the foci where the particular crisis of to-day are centred Fathers and brethren, our motto must be *Verbum Sapientibus!* In this hall, and on this subject, I must and may emphasize each of these two words

Beginning, then with the Ottoman Empire, we find a movement which can broadly be described as one towards freedom, political first and then intellectual. Ultimately a double movement of this nature must react on religion slowly but surely. The inner attitude of the young Turks themselves to religious toleration is probably an advanced one. The very fact that Christianity and Christians have been to such a large extent at the bottom of their movement must produce far-reaching and important consequences Already in many parts of the Turkish Empire, notably Syria, the liberty of the press is making very great advances. Already some leaders of Islamic thought are disposed to query the whole elaborate fabric of Islam as historically evolved and elaborated, and to go back to the Koran, into which some of them read as much Christianity as they are able. Are not these facts a call to the Societies at work in the Ottoman Empire to stand by and to strengthen their work so as to be ready to take advantage of the expanding situation? May not the day for reaping the fruit of the marvellous endurance of the Armenian martyrs be nigh? It must come, as sure as there is a just God in Heaven!

**The following steps, then, seem incumbent: first, to strengthen the already splendidly successful work done for and amongst the several Eastern Churches in the Ottoman**

جزء من خطاب المبشر « و . هـ . ت . جايردنر » في مؤتمر التبشير الدولي المنعقد بالقاهرة – يونية . ١٩١ تحت عنوان : « تغييرات في سمة المسألة التبشيرية – ٢ – في الأراضي المحمدية » .

Empire, whether Anglican or non-Anglican. Secondly, to occupy the unoccupied districts through the Societies contiguous to them—these districts are mentioned in the Report of Commission I. Thirdly, to place literary work on a stronger and surer footing. (I will return to this point in a moment.) Fourthly, to put wise, continuous, and courageous pressure upon the Government to make full religious equality and liberty an actual fact in the Empire. Fifthly, to make a wise and courageous advance in direct work for Moslems. In an informal conference lately held in Beyrout, which I had the privilege of attending, one heard witness after witness dwelling on the extent to which such direct work is already being done, and the far greater extent to which, in the opinion of all, it might be now done. At the end of the day that informal conference expressed its opinion, with this Edinburgh Conference specially in view, as follows :—

"(1) That direct evangelistic work among Moslems, which has been going on quietly for several decades in Syria and Palestine, is more than ever possible to-day, whether by means of visiting, conversation, the production and careful distribution of Christian literature, Bible circulation, medical missions, and boys' and girls' schools. (2) That the promulgation of the Constitution has already, in the more enlightened centres, made this direct evangelistic work easier, and will, we trust, as the constitutional principle of religious equality becomes better understood by the people, make it increasingly so. And, on the other hand, we are face to face with a Mohammedan educational and religious revival which makes necessary this missionary advance if the prestige gained in the past is to be preserved and increased. (3) For which reasons it is certain that the time has come for a wisely planned and carefully conducted and intensely earnest forward move in work among Moslems in Syria and Palestine, and the attention of all the Societies already working in the field is to be directed towards immediately making that forward move."

Fathers and brethren, *Verbum Sapientibus!*

Passing to Egypt, where the larger measure of civil freedom makes the possibilities of direct Moslem work practically unlimited, we find that Cairo is still to-day the intellectual centre of Islam. It has been so ever since the decay of Bagdad under the Abbasides. It is therefore at this point

الجزء الخاص بدور النصرانية في الانقلاب الماسوني اليهودي في الدولة العثمانية { ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ } من الوثائق السرية لمؤتمر التبشير الدولي المشار إليه ...

وثارت الأمة على « الردة الطورانية » واستنكرت فتنة اليهود وأعلنت أنها مسلمة حتى النخاع ، وعمّت هذه الثورة الإسلامية كل أنحاء البلاد تؤكد على الوحدة الإسلامية في مقابل سياج القطيع . وتشكلت هيئة « الاتحاد المحمدي » أو « الاتحاد الإسلامي » ورفض الجنود المسلمون قيادة ضباطهم من « الدونمة » وعملاء اليهود !! وقتلوا كل من قابلوه من ضباطهم أعضاء الاتحاد والترقي، وأعلن الشعب التركي كلمته الصريحة بأن مهرجي عصابة الاتحاد والترقي - كما يشهد آرمسترونج - : « يهود وماسون وليسوا أتراكاً ولا مسلمين ، وكل ما يهدفون إليه هو القضاء على الإسلام والخلافة .. وتمرد جنود القسطنطينية وقتلوا ضباطهم أو سجنوهم .. وأعلنوا ولاءهم للسلطان خليفة الرسول العظيم ثم استولوا على القسطنطينية وطردوا منها أعضاء الاتحاد والترقي أجمعين » .

( آرمسترونج - الذئب الأغبر - ص ٣٥ )

وراح الأبطال الذين لم يكن لهم حتى مزايا أحلاس الطرقات وفتّوات الشوارع يهربون إلى المدن والقرى ويختبئون كالفئران في البيوت من أمام مطاردة الجنود الذين صمموا على إبادة العصابة .

وعُرفت هذه الحوادث بـ « حوادث ٣١ مارت » .

وتصوّرت عصابة الاتحاد والترقي ، التي انفرط عقدها وتهرأت جمعيتها وتصدّى لها - غير الشعب التركي المسلم - أعوان وحلفاء قدامى من بقايا المزبلة السابقة المسمون « بالأحرار العثمانيين » أو « العثمانيين الجدد » أو « تركيا الفتاة » - تصوّرت أن حسن معاملة السلطان لهم وتفضيله الشفقة على الضرب بشدة على الأيدي العابثة الملوّثة أن ذلك ضعف من السلطان !!

هذه واحدة ...

والثانية .. أن السلطان من موقعه كرب للعائلة ورمز لوحدة الأمة ، ومن يقينه الإسلامي بأمانة المسئولية التي يحملها في عنقه ، وفي يديه رايتها الغالية والعزيزة ، كان ضد أي قلاقل واضطرابات حتى ولو كانت لصالحه

ولصالح مقام الخلافة المهيب ولمقام السلطان الرفيع الذي تعوَّد الشعب التركي أن يعتبره « أب الأمة » - الصاري والعماد » - منذ أكثر من ستمائة عام .

وبذل السلطان أقصى ما في وسعه لقمع الشر وامتصاص النقمة والقضاء على الاضطرابات وإطفاء الحريق .

هناك نقطة لا ينبغي ألا تمر دون توضيح :

إن الثورة الإسلامية كانت طبيعية منذ تحرك « الدونمة والماسون والمغفلون » في يولية ١٩.٨ عبر جبال مقدونيا من معقل الفتنة في سالونيك ..

والجنود الذين قتلوا أو سجنوا ضباطهم كانوا مدفوعين « بغيرة إسلامية » - وربما معها « نخوة تركية » - ترفض و « تعاف » أن يحكم « اليهود » أو « عملاؤهم » آخر دول المسلمين .. أعنى دولة الخلافة .

وخوادث ( ٣١ مارت ١٩.٩ ) كانت قمة التصاعد في عمليات الرفض الجماهيري والعسكري . لكن الدول الأجنبية كان لها يد في تصعيد عمليات القتل وإثارة المشاعر على جميع الجوانب .. ومن ذلك « إحراق المصاحف » لكي يُتهم في هذه العملية الجماهير المسلمة أو العسكر الموالي للسلطان فيختلط الحابل بالنابل وتتداخل الصور فتخطيء العين تقدير الأبعاد .

وكذلك كان يوم ( ٣١ مارت ) فرصة لتصفية الحسابات القديمة بين كثيرين من رجال الدولة والساسة وقادة العسكر وأعضاء الجمعية أنفسهم كل حسب انتمائه إلى هذه القوة الأجنبية أو تلك ... حسابات الأحقاد ... والثأر ... والتيَّارات ... والولاءات ... والمحافل !!

وكذلك اختلطت الأمور ودنت الفرصة .

ومن وسط عجاجة الفتنة وضرام الحريق تحرك « محمود شوكت » - الجورجي الأصل - بجيش مقدونيا الثاني من قاعدة « أيا استفانوس » في « سالونيك » موطن « اليهود الأسبان » والأروام واليونان وسائر الأجناس ومعقل الفتنة

ومنبت الشر ومركز « المحفل الماسوني » الموالي للألمان إلى « الآستانة » وهناك أحاطوا بقصر « يلدز » مقر الخلافة والسلطنة ... وجاءهم « أنور » راكباً على حصان .. وقرر عسكر الماسون وشراذم الأجناس عزل سلطان تركيا وخليفة المسلمين !!

وتكوّنت لجنة من يونانيين وأرمن ويهود وكُلّفت بتبليغ الخليفة السلطان قرار العزل ومعها فتوى عالِم السوء الباطني العِرق « موسى أفندى كاظم » .

وكان تشكيل اللّجنة في حد ذاته يُشكّل وصمة عار لطّخت جبين من آثر السلامة وأغلق على نفسه بابه خوفاً من الشراذم القادمة ورضي بأن تدخل هذه اللّجنة على « أمير المؤمنين » !!

كانت اللّجنة [1] التي أبلغت خليفة المسلمين قرار عزله مكوّنة من :

١ - « إيمانويل قرة صوه » وهو « يهودي أسباني » الأصل ، وأحد قادة الاتحاد والترقي ، ولعب دوراً كبيراً في احتلال إيطاليا لليبيا . اقتنى أموالاً كثيرة من وظيفته كمفتش إعاشة الجيش أثناء الحرب عن طريق السرقة من تموين الجيش . وكان رئيساً لمحفل « ريزوليتا » المقدوني الماسوني . ولما انفضحت خيانته أثناء الحرب هرب إلى إيطاليا وهلك هناك سنة ١٩٣٤

٢ - « آرام » وهو « أرمني » - عضو الاتحاد والترقي - وعضو مجلس الأعيان .

٣ - « أسعد طوبطاني » وهو « ألباني » - عضو الاتحاد والترقي - نائب في مجلس المبعوثان .

٤ - « عارف حكمت » وهو « كرجي » العرق - عضو الاتحاد والترقي - ضابط بحري .

---

(١) نقلاً عن تقديم « مذكرات السلطان عبد الحميد » بقلم محمد حرب عبد الحميد - دار الأنصار .

هوان !!

أليس كذلك !؟

طامة كبرى قذفت بحمم الخزى في العيون .. لم تجد من يجاوب صدى وقعها الأسيف في ذلك اليوم الأسود المنحوس الحزين ( ٩ إبريل ١٩٠٩ ) .. ليقول رغماً عن السلطان الذي استعلى أن تُراق في سبيله الدماء :

واضيعتاه .. !!

وإسلاماه .. !!

..... ليت ذلك كان !!

أقول ذلك وأنا أعاني من هول الواقعة .. أعاني من إفراز نتانات عهود العهر في مسلسل المطايا والدُمى والعملاء .... منذ ذلك اليوم العَبوس القمطرير !! .

فأنا وأنت ، وهو وهي وهم .. من الصين إلى جبال الشطوط على المحيط الأطلسي .. ومن سيبيريا والتركستان إلى جنوب السودان .. نحن الجماهير المسلمة ننتمي إلى « عبد الحميد » .. الخليفة والعقيدة .. الوعي والنهج .. الشعار والأداء .. التحدي والصمود .

ونحن على وجه اليقين لا يربطنا أي شيء بأي « صفر » جاء بعد ذلك عتل زنيم !!

أيعقل أن يجمعنا أي رباط مع « قرة صوه » و « جافيد » و « طلعت » و « نيازي » و « لورنس » و « أتاتورك » و « بلفور » و « اللّنبي » و « حاييم ناحوم أفندي » أو « ليون كاهون » ... قادة الانقلاب وثمرته .. رؤوس جسر المرور اليهودي إلى « مملكة صهيون » !!

قبلتنا « الكعبة » .. وجهة وحركة وصلاة ، ورباطنا آصرة العقيدة ونسبها الوشيج .. وليس « محفل المشرق الأعظم » أو « محفل مقدونيا ريزوليتا »

حتى لو منحتنا درجات الصليب الوردي أو بناة الهيكل أو فرسان يهوذا أو الأفعى النحاسية ، ولا حتى نجمة داوود .

هذه بديهيات يعرفها تلاميذ الغزو وصنائعه وبدائله الذين تسلّموا مفاتيح القلعة في عالمنا الإسلامي الجريح بعد تصفية « المسألة الشرقية » .. سواء في ظل الحماية الإنجليزية أو الفرنسية أو العسكر الذين جاءوا بعدهم ثواراً فوق دبابات الأمريكان لتأمين « اللّولب » بعد أن عمّدهم « العم سام » !!

اللّولب الإسرائيلي بالطبع .. وفق تطورات المسألة اليهودية من آلام المخاض ، ثم ميلاد الدولة ، ثم نمو الوليد المدلّل ثم نضجه بأسنان حادة وذراع طويلة ، وقدرته على الإحاطة والابتلاع وإلي تفرغه لإعداد ترتيبات قيام مملكته الكبرى التي يجلس في قدس أقداسها « المسيح المنتظر » الخارج من « بذرة داوود » !!

لكن إذا كانت الجماهير التركية المسلمة المعروفة بغيرتها الدينية – وقد تمت كل الفتوحات التي أسست الدولة العثمانية من منطلق هذه الغيرة – لا تملك السلاح الذي تقاوم به ما سُمِيَ بجيش الحركة ، وتصد عن خليفة المسلمين أحلاس الشوارع والحانات وصبية اليهود وتلاميذ المبشرين وأبناء عاهرات سالونيك – فأين كان « الجيش التركي » ذو الحمية الإسلامية والولاء « لمنصب الخلافة » العالي المهيب ؟

هذا سؤال لا بد أن يعتمل في النفس المسلمة ، ويظل بوخزه الحاد في الضمير المرهف « للتاريخ الإيماني » لأمتنا المسلمة – مؤلماً وموجعاً .

وهو على أي حال سؤال وجيه .

والناس معذورون إن قالوا : إذا كان الجيش العثماني الشجاع الغَيور قد تحولّ إلى دونمة وماسون ، ورضيَ أن يُبلّغ الخليفة الإسلامي والسلطان العثماني قرار عزله يهود وأرمن وكرج ، وفقد نخوته حتى من قبيل القومية التركية البحتة .. فليكن ما كان !!

لكننا للإنصاف نجيب على هذا السؤال :

١ - إن السلطان رفض بشدة وصية كبار رجال الدولة المخلصين بإيقاف جيش الانقلاب في الطريق قبل وصوله إلى العاصمة ورفضَ ونبَّه بشدة ألا يخرج « الجيش » الموجود في « إستانبول » من ثكناته وينتشر ويتخذ مواقعه ليتصدى للشرذمة القادمة على مدى مسافة مئات الكيلو مترات . ومعروف أن « جيش إستانبول » من أكفأ جيوش الدولة العثمانية تدريباً وتنظيماً وتسليحاً ، وهو الذي تكسَّرت أمام صلابته أعتى الجيوش الأوروبية المتحالفة أن تدخل إسلامبول .

ألم يكن في استطاعة هذا الجيش أن يُبيد جيش الحركة القادم من « سالونيك » على بعد كبير وقد أرهقه السفر وأعياه طول الترحال ، ويعوزه النظام ، وهو في الوقت ذاته خليط من أجناس شتَّى تُثير نخوة الأتراك الأُصلاء !؟

٢ - رفض السلطان بشدة توسلات جنود « جيش الخاصة » الذي يعسكر في العاصمة أن يتصدُّوا لجيش الماسون . وجيش الخاصة على أكمل وجه من الاستعداد ، وضباطه وجنوده منتخبون مخلصون لمقام الخلافة الرفيع ولسلطانهم قائدهم الأعلى .

٣ - رفضَ السلطان بشدة أن يواجههم « سلاح البنادق » وهو من أكفأ الأسلحة في الجيوش العثمانية ومن أخلصها ولاءً للسلطان حتى أن قائده « خليل بك » جثى على ركبتيه وهو يبكي أمام السلطان متوسلاً : « تفضلوا بإصدار إذن جلالتكم » .

والسلطن مع ذلك يرفض بإصرار . ويعاود القائد المخلص الطلب : « لو سكتنا على اعتداء عدة مجانين فلن نخجل فقط أمام ضميرنا ، بل سيلحق اسمنا العار أيضاً أمام شعبنا وقومنا » .

وكان إخلاص هذا القائد لبلاده وخليفته وسلطانه قد حدَّد طريقه إلى حبل المشنقة عندما رحل « عبد الحميد » .

٤ - كان السلطان عبد الحميد لا يريد أن يريق دماء جنوده مفترضاً غالبية

تركية في جيش الحركة – جيش الانقلاب .. وكانت كلمات الرجل القائد ساعة أن أحاطت الشرذمة الباغية بالقصر في ذلك اليوم الأسود (٩ إبريل ١٩٠٩) :

« أليسوا جميعاً أتراكاً ؟ ... إنهم يريدون عبد الحميد ولا يريدون سواى . إن الأمة يا بنُي في حاجة إلى دمائكم ودمائهم فيما سيحيق بها غداً من نكبات » !!

وأمر قائد الحرس بالانصراف – كان رحمه الله يُحسن استعمال « مقام الخلافة » ويكره أن تسيل الدماء .

يقول رحمه الله في « مذكراته » ( ترجمة محمد حرب عبد الحميد ) :

« لو لم أكن قد أحسنت استعمال مقام الخلافة ونفوذ السلطنة لكان الدم يسيل مدراراً سواءٌ في إستانبول أو في الولايات » .

هذا ما فعله آخر خلفاء المسلمين وهو يواجه عصابة متمردة كان يمكن سحقها في سويعات ... الخليفة الذي يمنحه تفكيره وإحساسه بأنه متوضىء دائماً .. قوة ذات طعم مختلف ... قوة أكبر من أسلحة الذين دخلوا عليه ليعزلوه !!

أبعد ذلك تتطاول قالة عاهرة من أفواه نجسة لمرتدين أو عملاء أو زنادقة تزعم – فى رائحة كريهة – أن السلطان عبد الحميد كان « جلاداً » أو « أحمراً » أو « مُريقاً للدماء » !!؟

ونُحِّي « الحارس اليقظ » عن الحكم – عن خلافة المسلمين ، وعولج المجد الجريح بأن وُضِعَ على السدة العلية « سلطان كسيح » !!

فقد تولّى السلطنة « محمد رشاد » وكان مريضاً ولا حول له ولا طَول أمام عصابة الماسون التي كانت تحكم آخر دول المسلمين .

ورحل عبد الحميد : الوعي .. واليقظة .. والتحدي .. والصمود .

وعلى الفور : « انشقت الأرض مرة واحدة عن مستعمرات يهودية ذات أبنية شاهقة في مناطق حيفا ويافا والرملة والكرمل ، وهكذا فإن أُسس اسرائيل قد

أرسيت بأيدينا » - كما يقول بحق - « الجنرال جواد رفعت آتلخان » في كتابه « أسرار الماسونية » ( المختار الإسلامي - ص ٦٠ ) :

« وانتشرت الأوكار اليهودية في مختلف أنحاء البلاد ، لم يكن في العهد الحميدي إلا « محفل ماسوني » واحد للأجانب . أما في عهد الحرية فأرادت « الماسونية » أن تنتفع من إطلاق الحريات !! فلذا قام الدكتور اليهودي « جاك سهامي » باقتباس مبادىء « المشرق الأعظم الفرنسي » ومبادىء « المحفل الأكبر الإنجليزي » وكتب أسس الماسونية باللُّغة التركية وأعقبها بكتابات كثيرة عن الماسونية » !! ( المصدر السابق ص ٦١ ) .

وسيق الناس للإعدام بالجملة ، واستشرى الفساد وتفشَّت الرشوة في جميع أجهزة الدولة ، وسرق النواب الماسون من عصابة الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثان العثماني أقوات الشعب ومؤن الجيش ، وتولَّوا أعمال المقاولات الحكومية . وباع « جاڤيد » وزير المالية اليهودي خط سكة حديد بغداد للألمان .

ولم يكد يمضي عامان - على الانقلاب اليهودي حتى انقضَّت إيطاليا على ليبيا . ففي سبتمبر ١٩١١ أنزلت إيطاليا جيوشها على الشاطىء اللِّيبي وشنَّت هجوماً على « طرابلس » و « برقة » اللَّتين كانتا جزءين من دولة الخلافة الإسلامية وتغلبت الجيوش الإيطالية على الحامية التركية القليلة العدد .

وكان الجو في « إستانبول » مُسيلاً للعاب الذئاب الصليبية . فعصابة « الاتحاد والترقي » كانت هى حكومة المؤامرة التي مهدت للغزو ، وفي وجودها ومباركتها اتحدت كل دول البلقان المسيحية مجتمعة ضد تركيا يعضدها ويمدها بالسلاح والنفوذ القوى المسيحية الكبرى الأُخرى !!

وهذه هى الأدوار ، كل فيما يخصه :

« لعب « قره صو » أحد قادة الاتحاد والترقي - حكام الدولة العثمانية في أيامها الأخيرة ( ١٩٠٩ - ١٩١٨ ) - دوراً رئيسياً في احتلال إيطاليا لليبيا وكان يشغل وظيفة مفتش إعاشة . واضطر نتيجة لخيانته أن يهرب إلى إيطاليا

ويحصل على حق المواطنة الإيطالية واستقر في « تريستا » حيث مات عام ١٩٣٤ . ( مقدمة مذكرات السلطان عبد الحميد بقلم محمد حرب عبد الحميد - دار الأنصار . ص ٦ ) .

أما « متر سالم » اليهودي الماسوني فيتحدث عن دوره « الجنرال جواد رفعت آتلخان » في كتابه « أسرار الماسونية » ( ترجمة : نور الدين رضا الواعظ ، سليمان محمد أمين القابلي - المختار الإسلامي ) :

« إن طرابلس الغرب ( ليبيا الحالية ) التي تعتبر موطن أخلص أبناء الدولة العثمانية قد وقعت في مخالب الايطاليين بمؤامرة خبيثة دبَّرها اليهودي الماسوني « متر سالم » الحائز على الدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية .

« لقد ذهب « متر سالم » إلى إيطاليا وقابل رئيس بلدية روما اليهودي والحائز على الدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية ، ورسما الخطط اللازمة ودفعت الخزينة الإيطالية الملايين من اللّيرات الذهبية إلى اليهودي « متر سالم » لقاء إقناعه الدولة العثمانية بضرورة سحب الأسلحة والعتاد من طرابلس الغرب إلى إستانبول بحجة التغيير والإصلاح . وبمساعي الماسونيين أيضاً سِيقت قطعان الجيش إلى اليمن ، وهكذا سُلِّمت البلاد الطرابلسية ( ليبيا ) لَقمة سائغة للطليان .. » .

ومع الستار الحديدي « اليهودي الماسوني » يتحرك كل عالَم العدو النصراني الصليبي لإنجاز المؤامرة ، ولاقتطاع أجزاء أُخرى ، ولإيجاد المبرر لسحب القوات التركية على ضعفها . أي قلة عددها وقلة سلاحها .

ويشهد الكابتن « هـ . س . آرمسترونج » في كتابه المشار إليه آنفاً :

« وحدث بعد هذا أن أعلنت حكومة الجبل الأسود الحرب ، فإذا بدول البلقان المسيحية تتحد كلها ، لأول مرة في تاريخها ، ضد تركيا ، وإذا بالحكومة التركية تسارع إلى مهادنة إيطاليا كي توجه جهودها إلى الحرب المتاخمة .. وأرسلت تعليمات إلى طرابلس تقضي بسحب قواتها إلى مصر وإعلان استقلال طرابلس ، وعودة الضباط الأتراك فوراً إلى وطنهم .. لأن العدو على الأبواب يهدد بخطر الفناء » !

« ... وقوات « الصرب » ضربت ضربتها بدورها من الجنوب فاحتلت « سالونيك » وأسرت خمسة وعشرين ألفاً من الأتراك .. و « البلغار » جعلوا وجهتهم « القسطنطينية » وراحوا يدقون الخطوط المحصنة في « شطلحة » التي لا تبعد سوى خمسة عشر ميلاً عن العاصمة » !

« وهكذا اكتسحت الجيوش المهاجمة تركيا الأوروبية جميعها فلم يبق منها غير بضعة الأميال المحيطة بالعاصمة وقلعة « أدرنة » الكبيرة التي عُزِلت وحاصرها البلغار حصاراً شديداً .. وازدحمت العاصمة بالجرحى فغصّت بهم المستشفيات والكنائس والجوامع والدور الخاصة .. وانهار نظام التموين .. ومات الألوف بالكوليرا والتيفوس وألوف غيرهم من الجوع والبرد .. وفي ظل هذا استمر الساسة في العاصمة يتنازعون من أجل السلطان والنفوذ بحيث لم توجد حكومة وطيدة الدعائم لتسيطر على الحالة » ! ( ص ٤٤ - ٤٦ ) .

وسارت الأمور سيرتها المحتومة واتحد ماسونيو سالونيك عملاء الألمان مع ماسوني مناستر عملاء الإنجليز !!

لكن الانجليز والألمان أنفسهم لم يتحدوا !!

وقامت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤ بين ألمانيا والنمسا من جهة ، وإنجلترا وفرنسا من جهة أخرى .

وانضمت حكومة الاتحاد والترقي إلى جانب الألمان !!

وهكذا دخلت تركيا في حرب أوروبية لا ناقة لها فيها ولا جمل !!

وكانت هناك وصاية على الجيش التركي وتحركاته من قِبَلِ الألمان الذين تدخلوا وتسلّلوا إلى جميع ألويته وكتائبه وضجر الجنود الأتراك من تدخل الألمان وقادة الماسون .

وتمزق الجيش التركي تحت القيادة الفاشلة والعميلة على جميع الحدود والجبهات وتبعثروا بين هزيمة وانسحاب !! وتلقوا في الظهر الطعنة الغادرة من

التمرد المؤامرة التي أطلق عليها « الثورة العربية الكبرى » « ثورة لورنس » !!

ويوم حرّك الإنجليز « حسين بن علي » شريف مكة وأولاده ليخون دولته وينضم إلى أعدائها بشرذمة من المأجورين والموارنة ونصارى الشام تقوم بعملية عصابات الطابور الخامس تحت عَلَم الصليب البريطاني من خلف خطوط الجنود المسلمين الأتراك الأبرياء .. كانت حكومة الاتحاد والترقي قد أعطته بسياسة « التتريك » وكراهية العرب - مُسوِّغاً يُجاهر به أمام الجماهير العربية المسلمة معلناً الخيانة والانفصال .

وقد حاول الإنجليز أن يُحيِّدوا تركيا في الصراع وقاموا بمحاولات مع حكومتها ، بادىء الأمر - كي لا تشترك في الحرب العامة ، لكن الحاكمين في « إستانبول » أبوا إلا التبعية للألمان !!

فلقد كانت إنجلترا تخشى من استعمال تركيا لسلاح الخلافة .. يوم يعلن خليفة المسلمين - وإن كان لا رأي له في حكومة « الدونمة والماسون » - الجهاد المقدس فرضاً على المسلمين .

كذلك حاول الرئيس « ويلسون » الأمريكي في مفاوضات اشتركت فيها فرنسا وإنجلترا في جبل طارق أن يخرج الأتراك من الحرب بضمان ما تبقى لهم من ممتلكات ، لكن المحاولات فشلت بتدبير من اليهود بزعامة « وايزمان » !!

.......... !! ؟

وانتهت الحرب العظمى في عام ١٩١٨ بهزيمة ألمانيا وتركيا . وتحطّمت دولة الخلافة الإسلامية وتمزقت أوصالها وتهرأ كل شيء وتسيبت الأحوال في كل مجال .

وانقضّت الذئاب على الأسد الجريح وحطت الأساطيل والجيوش الصليبية في قلعة الإسلام التي صمدت لمدة سبعة قرون ، وكانت ذات يوم تحرس عالَمها الإسلامي في مساحة امتدت من « الفلبين » في أقصى الشرق إلى « جبال

الشطوط » على شاطيء بحر الظلمات - المحيط الأطلسي - في أقصى الغرب ، ومن « سيبريا » في شمال الدنيا إلى جنوب السودان !!

واستولى العسكر الإنجليز على قلاع « الدردنيل » .. والسفن البريطانية والصليب يعلو سارياتها تتبختر في مياه البوسفور مستولية على شواطئه وكأن قرنه الذهبي لم يكن يوماً ما الحارس اليقظ الذي تحطمت تحت أقدامه مجرد نية الدخول إلى « دار عثمان » !!

ولم تعد الصخور الذهبية المطلة على المياه الحزينة تُرَجِّع الصدى ليوم عبرت فيه عليها من قبل جيوش التوحيد فاتحة « القسطنطينية » مكبِرة : لبيك أبا أيوب !!

واحتلت الجيوش الفرنسية والإنجليزية « إسلامبول » !!

وعاث جنود فرنسا من زنوج « السنجال » في شوارع الآستانة فساد المرتزقة والأقزام !!

وإيطاليا هى الأخرى احتلّت جيوشها مدينة « بيرا » وخطوط السكك الحديد !!

وزيادة في الإذلال قرّر المؤتمرون في « باريس » بقيادة الرئيس الأمريكي « ويلسون » ورئيس الوزارة البريطاني « لويد جورج » ورئيس وزراء فرنسا « كليمنصو » أن يرسلوا قوات غزو « يونانية » ذهبت في حراسة جيوش الصليبية العالمية إلى ديار الأعزاء !!

حتى « اليونان » الذليل !! كان له من الفريسة نصيب ، فاحتل « الجريك » - أتباع الأمس - مدينة « أزمير » !!

وتجوّل أبناء « ماخوس » في شوارع أسيادهم والنبيذ يزيد من عربدتهم بالنصر « الهدية» المصنوع !! وطفح ورى أكبادهم في انتشاء المنحط ووقاحة الصبي المغرور !!

وخلا الطريق من الأتراك ليزدحم بجموع من الأروام واليهود تصيح في هوس متعصب حقود : « زيتو فنزيلوس !! » أي يعيش فنزيلوس !! - رئيس وزراء اليونان !!

وتولى ضباط الاحتلال الحلفاء الإشراف على الشرطة والحرس الوطني والميناء !!

وصُفيِّت ثغور الإسلام وقلاعه من عتادها وسُرِّح جيش المسلمين وتفرقت « كتائب الجهاد » في كل أنحاء البلاد ، مطارَدة من عدوها ، مطعونة في ظهرها من بني دينها ، مسلوبة الدروع مجردة من السلاح !!

ومع ذلك صمدت الجماهير التركية المسلمة ورفضت التسليم بنتيجة الهزيمة التي صنعتها حكومة الماسون وأصرت على مواصلة الجهاد .

وتحطم حكم الجواسيس ماسوني « سالونيك » وفروا هاربين من البلاد ... هرب « الثالوث » الذي حكم تسع سنوات « طلعت » ... « أنور » ... « جمال » .

أما « جمال » فقد اختفى وراء الحدود يبحث عن ملجأ وملاذ !!

أما « أنور » وزير الحربية فقد فر إلى « روسيا » ليبحث له عن دور جديد . وهلك هناك بعد أن خدعه البلاشفة الذين استجدى مساعدتهم ضد « مصطفى كمال » .

وأما الصَدر الأعظم !! رئيس الوزارة « طلعت » ، فقد تسلَّل غَداة سقوط العاصمة إلى « ألمانيا » في ستار اللَّيل . وعندما فتح فمه الكريه ، مدعياً أنه قد أدرك أبعاد المؤامرة الماسونية اليهودية - التي ظل وفياً لدوره القذر فيها - عالجته على الفور رصاصة « صهيونية ماسونية » ، أسكتت إدراكه إلى الأبد فلفظ أنفاسه العفنة في « ألمانيا » وشُوِّن جثمانه الوبيء في حفرة مجهولة هناك ... كمصير كل المطايا والعملاء والأصفار !!

كدأب الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم .. ولا حتى بقى لهم عند مخدوميهم رأس مال الردّة والعمالة .. بل ولا حتى حياة الكلاب !! تخلّصوا منهم .. وصاروا إلى العدم ولا شيء سواه .

وكدأب الذين أنكرت أفواههم المعوجة طعم مياه النبع الأصيل فهرعوا إلى سراب الشيطان ، كبهائم سائمة ، يلتمسون عنده شراباً يُطفئون به نار الحقد التي اشتعلت في جوفهم الوبيء . فلم يجدوا إلا « صحراء التيه » ... وتركهم شيطانهم يهلكون عطشى بسلعتهم الفاسدة عارية في علانية النهار !!

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ، فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ، مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ، إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (1) . صدق الله ربنا العظيم .

* * *

## • الانقلاب الماسوني البلشفي في روسيا :

وفي روسيا قامت « الأفعى » بحركة متوازية لكي تخترق موسكو وكييف وأودسا ، فأنجزت انقلابها الماسوني الشيوعي فيما عُرِف « بالثورة البلشفية » في أكتوبر عام ١٩١٧ ... وذهبت صيحة المسكين نيلوس : « ألا من له أذنان للسمع فليسمع » !! يوم قالها من قبل سبعة عشر عاماً محذراً أمته من خطر « أفعى صهيون » .

ملفق النظرية !! الشيوعية هو اليهودي المتنصر « كارل ماركس » حفيد الحاخام « مردخاي ماركس » ، ليكون كتابه « رأس المال » بديلاً عن « إنجيل المسيح » ولتكون « المادية الجدلية » و « المادية التاريخية » عوضاً عن « موعظة

---

(1) إبراهيم : ٢٢

الجبل » ، وأن تحل « الحتمية الماركسية » محل الخلاص عن طريق « يسوع » ، وأن يرسم « الصراع الطبقي حركة المجتمع عوضاً عن مقولة « وعلى الأرض السلام » ويصبح « الحقد الثوري » بديلاً عن « ملكوت السماء » !!

باختصار تحل « الماركسية » محل « إله الكنيسة » ... الكنيسة التي تضطهد اليهود !!

وقد روَّجت « المحافل الماسونية » البضاعة الشيوعية في كل أوروبا منذ صدور « المانيفستو » - البيان الشيوعي الأول - مستغلة رد الفعل لطغيان نظام الإقطاع الأوروبي الفاسد وتراكم الأوضاع المشينة التي نجمت عن الثورة الصناعية بين طبقات العمال ، ومستفيدة من انحراف الكنيسة وانحيازها إلى أنظمة الحكم التي تزعم أن القياصرة والأباطرة هم ظل الله على الأرض .

كانت الشيوعية عند اليهود هى « الخلاص » من « المحرقة الدائمة » التي تلقي بهم في أوارها « كلاب الصيد المسيحية السفَّاكة » .

وقد نشرت مجلة « أفريكان هيبرو » في عددها الصادر يوم ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ - وهى مجلة يهودية مشهورة : « إن الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود ، وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالَم ، وأن ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالَم ، ونتيجة لتدبير اليهود ، ولسوف تعم الشيوعية العالَم بسواعدهم » .

وينقل التونسي عن كتاب « المؤامرة اليهودية » قوله : « إن المحفل الأمريكاني الماسوني الذي يُدبِّر الماسونية الكونية - وكل أعضائه من أعاظم زعماء اليهود وحدهم - عقد مؤتمراً قرَّر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية بإنفاق مليار دولار وتضحية مليون يهودي لإثارة الثورة في روسيا ، وهؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم : إسحاق موتيمر ، وشستر ، وليڤي ، وورن ، وشيف ، وكان المال مرصوداً للدعاية وإثارة الصحافة العالَمية

على القيصرية وذلك على إثر المذابح الدائرة ضد اليهود حوالي نهاية القرن التاسع عشر » .

وفي كتابه المعجب « الصهيونية في الستينيات » – الدار القومية للطباعة والنشر – يقول مؤلفه محمود نعناعة ، تحت عنوان « البلشفية واليهود » :

« من المحقّق تاريخياً أن رجال المال والاقتصاد اليهود في أوروبا وأمريكا تزعموا حركة القضاء على الحكم القيصري في روسيا فدفعوا ملايين الدولارات وحرّضوا الشباب اليهودي على الاشتراك في الثورة ضد القيصر » .

نشرت مؤسسة الحملة الصليبية للقوميين المسيحيين في الولايات المتحدة – وهى حركة يمينية تكافح الشيوعية واليهودية في الولايات المتحدة – نشرت كتيباً يحتوي على شواهد ، بلا تعليق ، معزَزة بمصادرها وتواريخها لإثبات أن « البلشفية » لم تكن إلا حركة دولية سيطر عليها « اليهود » وأداروا دفتها .. من هذه الشواهد نقتطف الآتي :

١ – كل من اتصل بالبلشفيك ، سواء أكان صديقاً أم لم يكن ، يوافق على أنهم في الغالب من اليهود .

٢ – الحركة البلشفية خارج روسيا يُديرها اليهود بصفة رئيسية .

٣ – الدولة السوڤييتية هى أكثر دول العالم يهوداً . ( هذا الشاهد قيل في ٢٣ / ١١ ١٩٣٥ ) .

٤ – إن من المهم أن نلاحظ أن حكومة الاتحاد السوڤييتي ، من أصغر مقاطعة حتى الحكومة المركزية ، تتشكل من أفراد من اليهود . إن « لينين » هو الروسي الحقيقي الوحيد في الحكومة واليهود المحيطون به دهماء وبون أراذل .

( ر . ستيفنز ممثل ستي بانك – نيويورك – في روسيا ٢٨ / ١٠ / ١٩١٨ – الأرشيف القومي – وزارة الخارجية – الولايات المتحدة – صفحة ٣ رقم ٨٦١.. / ٣٣٥٧ ) .

٥ – الروح الشيوعية هى روح اليهودية .

٦ – اليهودية هى القوة الدافعة للشيوعية .

٧ – الحكومة البلشفية في روسيا هى حجر الزاوية في البرهان على صحة المؤامرة اليهودية للسيطرة على العالم .

٨ – الاضطهاد الديني في روسيا أوصى به البلشفيك اليهود .

( ذي تشيرش تايمز – لندن ٢٢ / ٨ / ١٩٢٤ ) .

٩ – تكاد الحركة البلشفية تكون مقصورة على قيادة يهودية .

١٠ – مع أحر التحيات إلى الجيش الأحمر . إن اليهود في كل مكان يقيمون الصلوات من أجل انتقال الجيش الأحمر من نصر إلى نصر . ومن قوة إلى قوة على أن تتم الهزيمة للعدو المتوحش – يقصد ألمانيا النازية . ( ذي نيو جودي – منظمة صهيونية لندنية – فبراير ( شباط ) ١٩٤٣ صفحة ٦٧ ) .

ومن تعليقات المجلة الناطقة باسم المؤسسة التي أوردت هذه الشواهد قولها : « إن اسم يسوع قد اختفى تماماً من الأدب والنشاطات الروسية بمجرد أن تسلّم مقاليد الأمور بعد الثورة الشيوعية ٣٨٤ قومسييراً من بينهم أكثر من ثلثمائة من اليهود الذين يكرهون اسم يسوع المسيح . ومن هؤلاء اليهود جاء ٢٨٤ فرداً من الولايات المتحدة . وذلك حسب الوثائق الرسمية للمخابرات الأمريكية » .

وتُضيف المجلة : « إن تلامذة تروتسكي من اليهود الذين ألغوا اسم المسيح في روسيا لم يوفقوا في إشعال ثورة دموية في الولايات المتحدة برغم محاولاتهم الكثيرة .

« إنهم مؤقتاً على الأقل – تخلوا عن الرصاصة والقنبلة ، وتحوّلوا إلى الدعاية وتكتيك حرب الجراثيم . فإنهم بدلاً من إطلاق الرصاص على المبشرين وتذبيحهم .. دسُّوا على مركز دكتاتوري السلطة شخصية طيعة لأغراضهم هو

« إيرل وارن » قاضي القضاة في المحكمة العليا للولايات المتحدة ، الذي يعمل وزملاؤه على إصدار المراسيم التي ترمى إلى إبطال شرعية الصلوات المسيحية ، واسم يسوع في المعاهد والمدارس العامة » أ هـ .

ويعرف كل دارس للحكاية الشيوعية أن معظم أعضاء المجلس البلشفي الذي حكم روسيا عام ١٩١٧ ، وفيما بعد أيضاً ، كانوا يهوداً صرحاء ، والبقية من أمهات يهوديات ، أو أزواج ليهوديات . وكان أكثر من أربعة أخماس أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي عند تأسيسه عام ١٩٢٤ ، من اليهود . وكذلك معظم قيادات الأحزاب الشيوعية التي حكمت أوروبا الشرقية منذ الأربعينات .

ويذكر مؤلف كتاب ( Jewish Conspiracy & The Muslim World ) ( ولم يُذكر اسمه ) – جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت – في مقدمته ص ١٤ :

« إن مجرد حيازة كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » في روسيا البلشفية عقوبتها الإعدام ، ولا زالت تلك العقوبة سارية سواء في الاتحاد السوفييتي أو في الدول الدائرة في فلكه . أما فى جنوب إفريقيا الخاضعة للنفوذ اليهودي فإن القانون يُحرِّم حيازة هذه البروتوكولات ولكن بعقوبة أقل عما هى في روسيا » .

ويتساءل مؤلف الكتاب السابق ذكره : « لماذا تخاف روسيا الشيوعية واليهودية العالمية من هذا الكتاب !! ؟ أي « البروتوكولات » .

ولعل الإجابة واضحة ، وهى تهتك الستر عن سر العلاقة بين الشيوعية والماسونية اليهودية ، فيما فضحته البروتوكولات ، بعد اكتشافها .

يقول البروتوكول الثاني : « ... ولاحظوا هنا أن نجاح « دارون » و « ماركس » و « نيتشه » قد رتبناه من قبل » .

ويقول البروتوكول التاسع : « .. وإننا نُسَخِّر في خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب : من رجال يرغبون في إعادة إنشاء الملكيات ، واشتراكيين ، وشيوعيين ، وحالمين بكل أنواع الطوبيات ، ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرِج .. » .

وهكذا التهمت « الأفعى الماسونية الصهيونية » روسيا الأرثوذكسية وكل ما يدور في فلكها ، ووضعتها تحت السرِج !![1] .

* * *

(١) كان من الأليق أن أجعل عنوان هذا الفصل : « تحت البردعة اليهودية » حيث يختلف دور وطبيعة وطريقة استخدام الحيوان تحت البردعة عن ذلك الموضوع تحت السرِج .. ولم يغب هذا التصور عن خاطري ، لكننى استخدمت تعبير « تحت السرِج » لأنه مصطلح ماسوني !!

# الفصل التاسع

## تأمين اللّولب

### • ماسونية أتاتورك !!

انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ بهزيمة ألمانيا وحليفتها حكومة « الاتحاد والترقي » - الماسونية - التي استولت على الحكم في دار الخلافة الإسلامية زهاء أحد عشر عاماً وأرغمت الجيوش العثمانية الباسلة للدخول في حرب أوروبية لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، ومن ثمّ القتال في جبهات مترامية الأطراف : في الحجاز ومصر وسوريا وفلسطين والعراق والأناضول وشبه جزيرة البلقان ، وفي البحار : الأسود والأبيض المتوسط وإيجة ومرمرة .

وبعد انتهاء المزبلة الماسونية - حكومة الاتحاد والترقي - وتبعثر محتوياتها وفرار قادتها الدونمة : أنور وطلعت وجمال ، واختفاء اليهودي جاڤيد ، وبقية الأعضاء في أماكن مجهولة تحت غطاء من « محفل سالونيك » تألفت حكومة برئاسة توفيق باشا صديق الإنجليز فوقّعت هدنة في ٢٩ أكتوبر ١٩١٨ على ظهر بارجة إنجليزية في ساحل مدروس .

وكان من شروط الهدنة تسريح معظم الجيش وجمع سلاحه . وجُمعت فعلاً أسلحة أربعة جيوش من المخازن والمستودعات وسُلّمت للإنجليز الذين سلّموها بدورهم لليونان لدور قادم بعد شهور سيكتب الشعب التركي المسلم بدمه الزكي أسطورة نصره الباهر .. لكن الدم العزيز سيُعَمَّد به مهندسو الأمم - الإنجليز - « صنماً » أعِدَ لذلك الدور المشبوه !!

لكن الجيش الذي يقوده « كاظم قره بكير » - المعسكر في ديار بكر في أقصى شرق الأناضول بفرقه الست - قد بقي بقوته وكامل عُدته .

وهَبَّ الأتراك عن بَكرة أبيهم للجهاد الذي استُنفرَ له الرجال وقد تنادوا أن حمى خليفة المسلمين قد استُبيح .

تألفت في العاصمة نفسها - الآستانة - برغم احتلالها من كل قوى عالَم العدو - عشرات الجمعيات السرية ، هدفها الاستيلاء على الذخائر والأسلحة وإسالها إلى المجاهدين في الداخل ، حيث شُكِّلت هناك في عشرات المواضع جمعيات مهمتها تدبير المقاومة السرية .

وتحرك الدعاة في طول البلاد التركية وعرضها وفي ديار الإسلام في قارتي آسيا وإفريقيا ، يحثون الناس على الجهاد ويستطلعون الأنباء ويبثونها ، دعماً لجذوة نار القتال المشتعلة في صدور أبناء آخر الدول الجامعة لوحدة المسلمين .

تتحدث من تُسمى « مدام جوليس » - كشاهد عيان - عن دور كتائب الدعوة والمعلومات . فتقول في صورة قلمية رائعة :

« كان ينساب بين هذا الجمهور العظيم في الآستانة ، أفراد يتنسمون الأخبار ، ويستطلعون الحقائق من فدائي العثمانيين ، ولا يلبثون بعد أن يحصلوا على ما يريدون من تفاصيل الأنباء أن يغيبوا عن الأبصار ، لابسين ثوب الخفاء ، إلى بلدان الأناضول ، ناقلين ما رأوه من شعور ، ومن أسى ومصائب متعددة ، جاعلين من موادها عوامل محركة ، موقظين الهمم ، مُضرمين جذوة النار في النفوس الهادئة التي لا تلبث بعد أن يصل إليها هذا الكلام أن تنقلب إلى سعير متأجج .

فلا تكاد تمر بهؤلاء الروّاد إلا بضع ساعات حتى يصلوا إلى الأناضول ، وفي بضعة أيام يصلون إلى قونية ، ومنها ينتقلون إلى أنقرة فسيواس . ثم يأخذون في الرحيل إلى جهات سحيقة ليست محدودة في برنامج أسفارهم ، وما يلبث أهل هذه الأصقاع - بعد سماعهم ما ينُقل إليهم من فاجع الأنباء - أن يستحيلوا إلى نمور متوثبة ، وسباع غاضبة .

وبعد عدة أسابيع يكون هؤلاء الفدائيون جوابو الآفاق قد اخترقوا السهول

والوهاد والجبال ، وانسابوا إلى بلاد الإسلام في قارتي آسيا وإفريقيا التي كانت تربطهم فيها الآلام والكوارث برابطة الاتحاد المقدس .

وكان بين جيوش هؤلاء الداعين إلى الاتحاد والناشرين أنباء الفظائع والأهوال أناس يتزيون بأزياء الفاقة والبؤس ، وهم من خير من أنجبت الأمة العثمانية ، بل العالم الإسلامى ، تفكيراً وعلماً وقوة إرادة وشدة مراس » .

ماذا يفعل الحلفاء .... والإنجليز بالذات ، أمام هذه الثورة الإسلامية الكبرى ؟

ألم يئن الأوان لأن تُصفّى المسألة الشرقية برمتها ؟

ألم يحن الوقت بعد لأن تتكسر سيوف الإسلام أو على الأقل أن توضع فى غمدها ؟

لقد بدأت « المسألة الشرقية » – وفق المصطلح الأوروبى – منذ ظهرت صولة الترك فى أوروبا فأخذت الدول الأوروبية جميعها على عاتقها معاداة الدولة العثمانية والتنادى على إحراج المسلمين من القارة . لكن هذه الدول ظلّت عاجزة حيال هذا الهدف . وحبط عملها وخاب أملها . فقد رفعت الدولة المسلمة رايتها الهلالية الجليلة فى الأجواء الأوروبية ، وألجمت الخيول العثمانية – المظفرة ببسالة فرسانها – كل قوى عالم العدو . وججّمت دورها وحمت أمتها الإسلامية من طوفان التعصب النصرانى اللّعين . وحسب كل الغزاة حساب الاقتراب من دار عثمان . وظل الغرب الصليبى ما يقرب من ثلاثة قرون فى موقف الدفاع .

وتداول المؤتمرون – أو المتآمرون – فى مؤتمر الصلح فى باريس وعلى رأسهم الرئيس الأمريكى « ويلسون » ورئيس الوزارة البريطانى « لويد جورج » ورئيس وزراء فرنسا « كليمنصو » كيف يُوقفون هذه الكارثة . وكيف يُخمدون النار الإسلامية المشتعلة فى الأناضول .

وهداهم تفكيرهم الغبى – أول الأمر – أو ربما كتجربة استطلاع رأى – إلى

لعبة زادت الموقف اشتعالاً . ذلك أنهم قرّروا إرسال قوات غزو يونانية لتحتل أزمير !! وحدث احتلال اليونان لمنطقة أزمير بعد الهدنة بسبعة شهور ( ١٥ مايو ١٩١٩ ) . ويقال إن ذلك التدبير قد تم بمؤامرة بين العميل الماسونى الصهيونى لويد جورج الذى أصدرت حكومته وعد بلفور وبين فينزيلوس رئيس الوزراة اليونانية . وكان هذا المعتوه - فينزيلوس - بحقد القرون - يرى فى نفسه ممثلاً للتراثين البيزنطى والأرثوذكسى . ومن ثَمَّ فهو يحلم ( أى والله ) !! بإمبراطورية إغريقية تكون عاصمتها الآستانة - القسطنطينية سابقاً - ومعها غرب الأناضول والروملى !!

ويذكر المدعو « محمد عزة دروَزة » فى كتابه « تركيا الحديثة » { مكتبة الكشاف بيروت ١٩٤٦ } أن احتلال اليونان لأزمير كان من أشد ما بعث فى نفوس الأتراك ألماً وحسرة . وتكوَّنت عصابات من الأرمن والروم واليهود . فصبُّوا كؤوس أحقادهم على الأتراك وتفنَّنوا فى الأذى والتصرفات المهينة . وارتكبت هذه العصابات ما يستفز الجماد من البغى والتجنى والشذوذ والعنف ، ومن سلب ونهب وتعذيب وانتهاك أعراض وإزهاق أرواح وتمثيل واعتقالات فى مناطق تراقيا والروملى وساحل البحر الأسود وولايات أزمير وبورصة ، بتوجيه وتنظيم هيئة مركزية متصلة بالبطريركية اليونانية وبجيوش الاحتلال اليونانى ، ومتضامنة مع البطريركية الأرمنية ، ومستندة إلى تعضيد رجال وضباط الاحتلال الإنجليزى ومدعومة من قِبَلِ الحكومة الأرمنية الشيوعية التى قامت فى تخوم بلاد الدولة الشرقية من القفقَاس . ( ص ١١ - ١٢ ) .

**ورداً من الجماهير التركية المسلمة على هذا الاستفزاز تكوَّنت فرق مسلمة فدائية كمنت فى الجبال المواجهة لأزمير وقد أقسمت أن تظل فى مواقعها تقاوم قوات الغزو اليونانية وتحاصرها حتى تقضى عليها . وسقطت الحكومة فى إستانبول .**

**إذن لا بد من الدوران حول الهدف . لا بد من احتواء الثورة الإسلامية المسلحة**

التى لن تُصَفِى المسألة الشرقية بسبب أوارها المشتعل فى كل مكان فحسب ، بل قد تُجدِّد شباب الخلافة الإسلامية من جديد ... وربما ... وربما !! وحُسِبت الحسابات . المطلوب إيجاد « عميل » فى صورة « بطل قومى » ذى « توجهات ماسونية » عالية الدرجة ، حاقد على الإسلام ودولته ، وبىء النشأة ، تُحركه نقائض العِرق والسلوك . وبحث الإنجليز فى دفاتر سفارتهم فى إستانبول ، وراجعوا أسماء تشكيلهم « الماسونى » فى « مناستر » . ووجدوا « الكارت » !!

وكان المرشح ضابط يدعى « مصطفى كمال » .

وتقول بطاقته بالبنط العريض تحت أنظار المختصين الإنجليز :

« إنه قد وُلِدَ لأب - إن كان صحيحاً نسبته إلى ذلك الأب - انحدر فى صباه من جبال ألبانيا قرب حدود الصرب المشهورة بعدائها الشديد لدولة الخلافة العثمانية . ولأم جاء والدها الفلاح البسيط من جنوب ألبانيا وأتت والدتها من مقدونيا [(١)] وأن الدماء اليهودية تجرى فى الأسرة الكمالية [(٢)] ، وُلِدَ فى سالونيك مستودع اليهود الدونمة الذين درأوا عقائدهم باعتناق الإسلام . لَم يكد يلتحق بمدرسة فاطمة مولى الملحقة بأحد المساجد - وهى من أشهر مدارس الدين - حتى أخرجه أبوه وسلّمه إلى مدرس متقدم فى السن كان يدير مدرسة ابتدائية . تعلّم وفق المناهج الغربية لأن أباه كان يقاوم شيوخ الدين ويؤيد الأفكار التى كانت تتسرب من الغرب ، وفى السابعة عشر من عمره التحق بالمدرسة العسكرية فى « موناستر » لأنه على حد قوله : « أُريد أن أُصبح ضابطاً أُزيِّن جسمى بالملابس العسكرية البديعة » . وفى موناستر « المحفل الماسونى » الموالى للإنجليز والذى فى حضانته تكوَّن تشكيل فرع للاتحاد والترقى الخاضع لسيطرة الإنجليز . وكان الناقمون فى البلقان وحول « موناستر » بصفة خاصة

---

(١) هـ . س . أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال - دار الهلال ١٩٥٢

(٢) أرنولد توينبى ، العظماء المعاصرون .

يؤججون الثورة والفتنة فى دولة الخلافة . وككل مقدونى أو ألبانى إنه يكره الدولة العثمانية . وكان أثناء دراسته فى موناستر يتردد على « سالونيك » رغم كرهه لبيت أمه التى تزوّجت من تاجر روسى بعد وفاة أبيه . وكان يقضى وقته فى صحبة بعض الرهبان المقدونيين . إنه وإن كان قد انضم إلى تنظيم الاتحاد والترقى فى سالونيك والذى كان فرعاً من منظمة « النهيلست » الدولية التى تضم أشتاتاً من الناس يتحدثون عن اضطهاد روسيا لليهود ويتغنون بفضائل النمسا وإتاحتها لهم فرصاً لجمع المال ... ذلك التشكيل الذى كان يسيطر عليه الألمان وانبثقت عنه الحكومة المهزومة المنحلة - فإنه كان مكروهاً من هذا التنظيم وظل فى القاع ، وحرص زعماء التشكيل السالونيكى على تركه خارج نطاق الدائرة السرية التى تدير أعمال المنظمة . ومن ثَمَّ فإن ولاءه لمحفل سالونيك غير مضمون [1] . كان يسخر من جميع المبادىء والمُثل العليا الخُلقُية ويُمزِّقها شر ممزق ، فقد كانت فى نظره ليست أكثر من غطاء يخفى رياء الناس وحماقة الحمقى . مجرد من المشاعر الرقيقة ، لا يخلص لإنسان أو لمَثل أعلى أو لنظام مرسوم . ما فيه من الحيوان أكثر من الإنسان . ذئب كاسر مجرد من العاطفة أو الخُلق أو المبادىء السامية أو السلوك القويم ... أو أى شىء غير شهواته الحيوانية . منبوذ من النساء الناعمات اللاتى يتجاهلنه فازداد حقداً وانطواءً على نفسه . يقضى جل وقته مع النساء الماجنات اللّواتى لا يحتجن إلى فطنة أو لباقة . يشرب ويلهو كل ليلة حتى مطلع الفجر ، يُقامر ويلعب النرد ساعات طويلة مع أى إنسان يجلس إليه ... مارس جميع الرذائل وجرَّب كل الموبقات وانغمس فيها حتى أذنيه ، ثم دفع الثمن مرضاً جنسياً وصحة منهارة . كافر بجميع شئون دنياه الأخرى . لم يكد يبلغ الرابعة عشرة حتى تفتَّحت ميوله الجنسية الطائشة . انغمس فى الملاهى والحانات والمقاهى والأندية اللّيلية ؛ يشرب ويُقامر كل ليلة . لا يعنيه أن يتأنق فى اختيار النساء فحسبه نظرة أو ضحكة

(١) أى أن ولاءه لمحفل مناستر هو الأكيد .

من امرأة ليلتهب دمه وينطلق وراءها فلا يرجع إلا وقد نال منها ما أراد ، وكلهن عنده نساء ، لا فرق بين هذه وتلك . عندما كان ملحقاً حربياً في صوفيا تعلّم الرقص الكلاسيكي على مدرس خاص ومارسه حيثما وجد إلى ممارسته سبيلاً . وغشى الصالونات والحفلات وحاول أن يكون نجماً من نجوم المجتمع ، فغازل نساء صوفيا . وكان همّه الأول كلّما تعرّف إلى امرأة أن يستطلع مدى استجابتها لرغبته الجنسية ، فإن لم يجد لديها استعداداً لذلك كفّ عن الالتفات إليها وسعى إلى نيل غايته من أخرى .

أناني طاغي ، مصمّم على اغتصاب السُلطة بأي ثمن . لا يثق بأحد ومن المتعذر أن يُصادق أحداً . غادر . الوعود دائماً في نظره وسيلة إلى غاية وسلم إلى هدف . فشل في القتال في جميع الجبهات . يحقد على العرب بسبب فشله في القتال في جبهة سوريا . ولا يستطيع أن يُفرِّق بين عصابات العملاء من عرب لورانس وحسين بن علي – الملّقب بالشريف – وبين الجماهير العربية المسلمة التي توالي دولة الخلافة . تسلّم قيادة جميع قوات تركيا الجنوبية في حانة بمدينة أضنة من القائد الألماني « فون ساندرز » وتركها وسافر إلى الآستانة موعوداً بدور لكن لم يُسند إليه أى منصب . إنه الآن في العاصمة وفي ضاحية شيشلي ، ولوع بالأحاديث الخليعة والإفراط في الشراب والمغامرات الماجنة والليّالي الحمراء في رفقة النساء .... إنه بلا عمل » [1] .

وهذا هو المطلوب .... إذن آن الأوان !!

عُيِّن مصطفى كمال مفتشاً عاماً للجيش التاسع !! في نهاية إبريل ١٩١٩ في ذات الوقت الذي قبض فيه الإنجليز على كبار قادة الجيش ورجال منظمات المقاومة المسلحة في العاصمة وزجُّوا بهم في سجن بكير أغا واعتقلوا عدداً آخر اعتبروهم خطرين ونقلوهم إلى مالطة .

ورتّب مصطفى كمال مع « الداماد فريد » رئيس الوزراء الجديد أمر ذهابه

(١) مستخلص بلفظه من : الذئب الأغبر – مصطفى كمال ، أرمسترونج .

إلى الأناضول ، بصفته مفتشاً عاماً للجيش التاسع . ويذكر « دروَزة » أن رئيس الوزراء فريد كان عضواً في جمعية « محبي الإنكليز » التي كان رئيسها الراهب الإنجليزي « فرو » [١] وقد أفهم - - فريد - الإنجليز أن السبب في الاضطرابات الناشئة داخل البلاد لا ترجع إلى أية عاطفة شعبية !! بقدر ما ترجع إلى تصرفات جمعيات الاتحاد والترقي الملعونة .. ولئن كان مصطفى كمال عضواً فيها إلا أنه في الواقع من ألد خصومها .. ثم هو إلى ذلك « جنتلمان » يمكن الثقة به ، ومن ثمَّ فهو خير من يصلح لأن يضطلع بالمهمة الكبيرة ، وأفلح رئيس الوزراء في إقناع الإنجليز بوجهة نظره فأصبحت وظيفته مفتشاً عاماً للمنطقة الشمالية وحاكماً للولايات الشرقية .

ويذكر « دروَزة » أن من صلاحيات هذه الوظيفة « أن يكون تحت أمره فيلقان يتبعهما أربع فرق ، وأن يصدر أوامر وتعليمات للفرق الأُخرى المجاورة لمنطقته ولو لم تدخل في دائرة تفتيشه ، ولولاة الولايات الموجودة في هذه الدائرة والولايات المجاورة لها ، حيث كاد يكون له صلاحية الاتصال الرسمي بجميع قوات وولاة الأناضول » [٢] .

ولم يكن الإنجليز في حاجة إلى وجهة نظر فريد .. إن كتاب مصطفى كمال كان عندهم منشوراً .

وكان السلطان قد وافق أول الأمر على إيفاده للأناضول لتهدئة الخواطر حتى لا يجدها الإنجليز فرصة فيحتلون باقي البلاد . وكان حجم الهزيمة وجميع قوات العدو - بريطانيا ، فرنسا ، إيطاليا ، اليونان .. إلخ - الذين يحتلون العاصمة وأزمير قد شلّت تفكير السلطان الذي يحول بينه وبين الأناضول عساكر الغزو وأساطيله فلا يدري شيئاً عن روعة استعداد كتائب الجهاد وجماهير الشعب كله التي حملت السلاح والتهبت كل مشاعرها للقتال وعسكرت في كل هضاب ووديان ومدن آسيا الصغرى .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة - مطبعة الكشاف ١٩٤٦ ، ص ١٤

(٢) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٥

ثم عاد السلطان وارتاب في أمر تعيين مصطفى كمال لهذه المهمة وأصدر قراراً بإيقاف سفره !!

لكن مصطفى كمال نفذ من بين جيوش الاحتلال الإنجليزية .. لقد سرَّبه الإنجليز .. والعذر غاية في السخرية والاستخفاف بالعقول : السبب كما يقول المتيمون به حد العشق - في نشراتهم الهزيلة - « فاضطرب الأمر بين اختصاص سلطان الجيش والأسطول بتنفيذ الأوامر ، وظلت معلقة حائرة بين جهات الاختصاص المتضاربة بضع ساعات ، تمكن خلالها مصطفى كمال من الوصول إلى غايته »[1] . ( هكذا !! ) .

ووصل إلى سامسون في ١٩ مايو ١٩١٩ يحمل صفة رسمية وصلاحيات وظيفية واسعة ويحوِّلها « خطوة .. خطوة » - على الطريقة إياها - إلى غرض في نفس يعقوب !!

ولم يكن أولاد يعقوب « إسرائيل » والمستلحقون من « الاشكيناز » تحت قيادة « المحفل الكوني الماسوني » و« محفل مناستر السري » ، و« منظمة الصهيونية العالمية » ، في حراسة وتأمين ثأر القوى « الصليبية العالمية » .. ثأر ستة قرون - ليريدوا إلا سلخ الأتراك - تركيا الرسمية على الأقل - من دينهم وتراثهم ودورهم ، وخلعهم من أمتهم الإسلامية ، وإعلان الطلاق !!

ويوم جاء الدعيّ الدجال إلى الأناضول الثائرة زعم أنه مبعوث السلطان الخليفة الذي أرسله لينقذهم من الإنجليز . ولم تكن الجماهير المسلمة وهي تغلي بالثأر ، تُدرك أبعاد ما حدث في إستانبول ..... بينها وبين العاصمة - التي تقع في الجانب الأوروبي من الدولة - قوات الحلفاء التي تحتل فخر المدائن ، وقوات اليونان تحتل أزمير ، ومضايق وبحار تملؤها أساطيل المحتلين .

قال « مسيلمة » المسخ الزنيم ، لكي يربط كتائب الجهاد به :

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١١١

« لقد قرر العدو أن يُدمِّر تركيا وطننا ، ويُمزقها شر ممزق ، ويُقيم ولاية يونانية حول سامسون ، وقد امتلأت جميع قرى الإقليم بوكلاء بطريرك اليونان .. وبات السلطان خليفتكم مسلوب الحول والقوة أسيراً في أيدي الإنجليز .. لذلك أرسلني إليكم كي أنقذكم ، لكنكم يجب أن تنقذوا أنفسكم بأنفسكم » [1] !!

وفي وسط أوار الثورة المشتعلة في الأناضول ، ولأنه - كما زعم - مبعوث الخليفة السلطان قال للجماهير المحتشدة :

« عليكم أن تقرروا أمركم . عليكم أن تختاروا لكم زعيماً . وهناك شرط واحد جوهري للنجاح : أن يكون لكم رجل واحد في المقدمة ، رجل واحد يقود هذه الحركة ، ورجل واحد فقط .. فإذا اخترتموني فسوف يتعين عليكم أن تشاطروني مصيري » [2] .

ولأنهم يريدون النجاح ، وتنظيم حركتهم ، وهو قد جاءهم ممثلاً للسلطان الخليفة للإنقاذ ، وفي صورة رسمية وبخطاب مختوم من وزير الحربية ، مفتشاً عاماً للجيش وحاكماً للولايات الشرقية ، فقد وافقوا على اختياره زعيماً وقائداً . واشترطوا عليه - زيادة في التأكيد - ألا يفعل شيئاً من شأنه أن يسبب أذى للسلطان الخليفة في شخصه . فقبل الشرط !!

وعن تحايله مستغلاً اسم الخلافة لركوب الموجة يعترف هو ذاته ، بعد الطلاق الرسمي وإعلان « لا دينية الدولة » وذلك في خطابه أمام مؤتمر « حزب الشعب » والذي عُرف « بالنطق » وقد ألقاه في أيام ١٥ - ٢١ نوفمبر ١٩٢٧ ، يقول وهو يصف ما شاهده في الأناضول عن ارتباط الناس بالخلافة :

« الارتباط التام بمقام السلطان الخليفة انسياقاً وراء التقاليد الدينية والوطنية التي مرّت عليها الأجيال ، ووجوب حفظ هذا المقام وصيانته ، وكون هذا الأمر لا بد منه في خلاص الأمة والوطن ، ولم يكن أحد قادراً على فهم معنى الخلاص

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١١٥
(٢) المرجع السابق ص ١١٧

وإمكانه من غير خليفة . وكان من يشذ عن هذا المفهوم يُتهم باللادينية واللاوطنية والخيانة » [١] .

وجاءت الأوامر من حكومة الآستانة المركزية إلى « كاظم قرة بكير » بإلقاء القبض على مصطفى كمال ، واستخدم مصطفى كمال حماسه في محاولة إقناع كاظم قائلاً : « إن الأوامر الصادرة من العاصمة ليست في الواقع صادرة من السلطان ، بل من الإنجليز وإذن فهى غير شرعية . والسلطة الشرعية الوحيدة هى الممثَلة في مؤتمر المندوبين الذى سيُعقد في سيواس » . وبهذا النقاش استدرج مصطفى كمال « كاظم قرة بكير » إلى متاهة من الأبحاث الفلسفية السياسية ثم ناشده كزميل . وكان كاظم بفطرته بطيئاً في الوصول إلى قرار . وعقد مؤتمر سيواس في ٤ سبتمبر ١٩١٩ وصدر عن المؤتمر ميثاق يحدد الحد الأدنى الذي يقبل به الأتراك الصلح مع الحلفاء ومما جاء فيه : يجب أن يُترك تقرير مصير البلاد ذات الأكثرية العربية بحرية لأهلها ، أما البلاد التي تسكنها أكثرية عثمانية متحدة في الدين والجنس والأصل فهي كُلٌ لا يتجزأ .

وسقطت وزارة فريد في ٢ نوڤمبر ١٩٢٠ وجرت انتخابات عامة في البلاد لانتخاب برلمان جديد . وفاز المجاهدون الثوار بأغلبية كبيرة ، وانتُخب مصطفى كمال نائباً عن أرضروم . وكان من رأيه أن يكون مقر البرلمان في أَنقرة . لكن النواب رأوا الانتقال إلى العاصمة الآستانة ، بعد انتخابهم نواباً شرعيين عن البلاد ، ليكونوا هناك في ظل الحاكم الشرعي للبلاد . ووصلوا فعلاً إلى العاصمة ، واجتمع الشمل في جو من الغبطة ، وأرسلوا برقية إلى السلطان يُعربون فيها عن ولائهم له . وكان ذلك في مستهل يناير ١٩٢٠ .

وفشل مصطفى كمال في بلوغ غايته ، وانتقل مركز النشاط من أنقرة إلى الآستانة . وانتقلت الزعامة من مصطفى كمال إلى رؤوف . وسادت رغبة حارة في تجنب الشجار بين تركي وتركي . والظهور بمظهر الشعب المتحد في جبهة واحدة تحت زعامة الحاكم الشرعي ... خليفة المسلمين .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٤

وفي طول البلاد وعرضها بات الأتراك يرفضون تنفيذ أوامر جيش الاحتلال . واستُدعيت القوات إلى الخدمة من جديد ودُرِّبت تدريباً أفضل .. وخولفت شروط الهدنة أكثر من مرة . وأغارت جماعة من الأتراك على مستودع للذخيرة في غاليبولي وحملوا معهم عند انصرافهم حارسه الفرنسي وما كان يحتويه المخزن من سلاح .. ومع ذلك لم يتيسر القبض على هؤلاء ومعاقبتهم !

وبات أن الأمر سيفلت من يد مصطفى كمال المرسَل إلى الأناضول لاحتواء الثورة التي لم يستطع الآن السيطرة عليها ... ويفلت من الإنجليز في المقام الأول .

وتحرك الإنجليز لتدعيم « بطلهم » و« تلميع » دوره . وعلى طريقة « لعبة الأمم » وصناعة الدُّمي الأبطال - والتماثيل الإنجليزية ليست كالأمريكية سريعة العطب !! - اتخذ مهندسو اللُّعبة عدة إجراءات لإبراز الزعيم :

١ - أعلنوا احتلال العاصمة - الآستانة - رسمياً في ١٦ مارس ١٩٢٠ رغم الهدنة .

٢ - ألقوا القبض على معظم النواب وخاصة البارزين منهم ، ومنهم منافسو مصطفى كمال ، وعلى كثير من كبار القادة وتولّوا ترحيلهم إلى معسكر اعتقال في مالطة .

٣ - سرَّبوا من الآستانة أخلص رجال مصطفى كمال ومنهم « عصمت » - ساعده الأيمن وخليفته فيما بعد - و « فوزي شاقماق » من الحربية - والكاتبة الماسونية « خالدة أديب » وزوجها الماسوني الصحفي « عدنان » ، لينضموا إليه في أنقرة في قلب الأناضول .

٤ - أغلقوا دار البرلمان الشرعي المؤيد للخلافة ومقامها ، وجله من قادة الثورة واحتلوا بناية المجلس في ١١ إبريل ١٩٢٠ .

٥ - زوَّدوا اليونان بالسلاح للتوسع في منطقة احتلال أزمير غربي الأناضول ،

فراحوا يحرقون ويقتلون ويكتسحون المنطقة بلداً بلداً . والفرنسيون أيضاً قاموا بعدة عمليات حربية (١) .

ولم يبق من الزعماء البارزين أو القادة الوطنيين أحد خارج السجن أو النفي . وشاعت في أقاليم تركيا أنباء احتلال الإنجليز للعاصمة وحركة الاعتقالات التي أقدموا عليها . وجاء مصطفى كمال ليقول لكتائب الجهاد المسلحة شرقي ووسط الأناضول ، والتي كانت في حالة غليان ، واستعداد وقسم على نيل إحدى الحسنيين ، وعلى حد تعبيرهم « إما غاز وإما شهيد » .. جاءهم ليقول لهم : لا بد من القتال ، وهذا شيء هم له حاضرون ، وينبههم إلى النيات السيئة للحلفاء وبالذات الإنجليز ( هكذا !! ) ، ولا بد من التنظيم ، ولا بد من انتخاب برلمان بديل وحكومة غير حكومة إستانبول التي احتلها الإنجليز . وتطلّع الناس إليه . وهو قد أخفى مهام دوره المُهْلِك إلى حين .. ووافقوه على ما أراد .

أصدر دعوة لانتخاب مندوبين من مراكز الأناضول ليُشكِّل مجلس أمة يضطلع بالعمل بصورة رسمية يكون مقره أنقرة . وعُقِد المجلس بالفعل تحت اسم « المجلس الوطني الكبير » أو « الجمعية الوطنية الكبرى » عقب صلاة الجمعة في ٢٣ إبريل ١٩٢٠ .

« ودشن افتتاحه بمراسم طنانة ، وصدرت الأوامر بإقامة الاحتفالات الدينية والرسمية في جميع أنحاء البلاد لهذه المناسبة ، ولم يُغفل الأمر بالدعاء للسلطان الخليفة والدين والدولة أيضاً وبقراءة قصة المولد الشريف » (٢) .

---

(١) راجع :

George Haddad, Revolutions and the Military Rule in the Middle East, New York, 1965, p. 101 - 103.

وكذا أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، دار الهلال - ص ٢٦ - ١٢٧

(٢) محمد عزة دوزة ، تركيا الحديثة ، ص ٣٠ .

بل إن قرار دعوة « الجمعية الوطنية الكبرى » أو « المجلس الوطني الكبير » الذي وقّعه مصطفى كمال كان ذا صبغة إسلامية غلاّبة في بنوده الأربعة التي حفلت بالشعائر الدينية . يقول القرار بالحرف الواحد [1] :

١ - في الثالث والعشرين من شهر آيار الجاري وبعد صلاة الجمعة تعقد « الجمعية الوطنية الكبرى » بعون الله أول اجتماع لها في أنقرة .

٢ - بما أن افتتاح « الجمعية الوطنية الكبرى » يصادف يوم الجمعة فعلى جميع النواب والشخصيات الوطنية أن تحضر إلى المسجد الكبير في أنقرة حيث ستُتلى آيات القرآن الكريم وتُقام الصلاة في هذا اليوم المقدس ، وبعد الصلاة يقوم النواب إلى مبنى الجمعية الوطنية الكبرى حيث يُرفع العَلَم فوق ساريته وتُذبح الخراف وفقاً لتقاليد الأضحى الإسلامية .

٣ - تأكيداً لعظمة هذا اليوم المقدس ( الذي ألغى العطلة فيه بعد ما انتصر) يتوجب على جميع حكام الأقضية والألوية أن يدعوا الناس للصلاة في المساجد حيث تُتلى السيرة النبوية وتُتلى آيات الذكر الحكيم .

٤- على جميع أئمة المساجد أن يضمنوا خطبة الجمعة دعوة المواطنين إلى حمل السلاح من أجل تحرير الوطن من الأعداء الغاصبين وقواتهم المحتلة والتقيد بأوامر « الجمعية الوطنية الكبرى » عندما تدعوهم لتلبية نداء الواجب . وبعد انتهاء الصلاة تُتلى سيرة المولد النبوى .

أنقرة فى ١ نيسان ١٩٢٠ . مصطفى كمال

وتمكن من حمل المجلس على إقرار قانون بتشكيل حكومة يختار المجلس أعضاءها من بين أعضائه ، وعلى أن تحمل اسمه ، بحيث يظل المجلس صاحب

(١) محمد جلال كشك ، حوار في أنقرة ، ص ٥٤ - ٥٥

السلطة المطلقة ، وهكذا قامت في ٢٧ إبريل ١٩٢٠ حكومة المجلس الوطني الكبير وباشرت أعمالها . وصار هو رئيس المجلس ورئيس الحكومة [١] .

وفي باريس حول مائدة الصلح جلس ساسة الحلفاء - ويلسون ولويد جورج وكليمنصو - يحيط بهم مساعدوهم يرسمون مستقبل الدنيا واستداروا في قلق : « إن شيئاً غير عادي يحدث في تركيا .. لقد هُزمت تركيا لكنها لم تستسلم بعد .... إن الأتراك يوشكون أن يطردوا الجيوش المتحالفة من بلادهم ، وإذن يجب تدارك الكارثة التي قد تُفسد كل شيء وتُثير الثورات في جهات أخرى وتؤثر في خطط الحلفاء لتنظيم العالم » [٢] .

وتحرك مهندسو اللّعبة على محورين في وقت واحد :

بناء على تخطيط ناصحيهم ( الإنجليز بالطبع ) أعد الساسة الكبار معاهدة صلح خاصة بتركيا أطلقوا عليها معاهدة « سيفر » ، ثم نشروا نصوصها في ١ أغسطس ١٩٢٠ على أنها ستوقع مع حكومة الآستانة . وكان لنشر نصوص هذه المعاهدة رد فعل قوي - كما توقع الساسة الكبار في باريس - بين الأتراك [٣] فقد كانت تلك النصوص التي اشترك في إذاعتها أكثر من خمسمائة صحفي بمثابة حكم بالإعدام على الأتراك [٤] ومن بين موادها التسعة عشر الرئيسية : سلخ ولاية أدرنة في الروملي عن الدولة . جعل منطقة أزمير تابعة بالاسم للدولة وإبقاء حامية يونانية وبوليس يوناني فيها ، وخول أهلها حق طلب الإنضمام إلى اليونان بعد خمس سنين . قيام حكومة أرمينية مستقلة في الولايات الشرقية . قيام حكومة كردية شرق الأناضول . منح مزايا كبيرة لرعايا الدول الأجنبية والأقليات الدينية في إقامة المدارس والمعابد والتوظف في الدولة . منع الدولة من إقامة أي استحكامات . لجنة إنجليزية فرنسية إيطالية للإشراف على مالية الدولة

(١) دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٣١

(٢) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٣٨

(٣) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٣٥

(٤) المرجع السابق .

ومندوب الدولة في هذه اللجنة رأيه استشاري فقط . إلغاء التجنيد الإجباري . بطلان إلغاء الامتيازات الأجنبية ... إلخ [١] .

وأعطته هذه المعاهدة سلاحاً قوياً للحملة على حكومة الآستانة المحتلة من جميع جيوش الحلفاء .

وعلى الجانب الآخر حشد فنزيلوس الحالم بالإمبراطورية الإغريقية جيشاً جرّاراً وابتاع من الإنجليز والفرنسيين مستودعاتهم الحربية ، وزوّد جنوده بالسلاح والذخيرة والسيارات المصفحة وخير وسائل المواصلات والإسعافات الطبية ، ووضع هذا الجيش تحت تصرف الحلفاء كى يستخدموه وفق هواهم فى قسر الأتراك على قبول معاهدة الصلح المعروضة . وقبل أقطاب العالم الثلاثة مرحبين . ورجوه أن يعجل بإطلاق جيشه من عقاله كى ينقذهم من خصومهم الأتراك [٢] . وانطلق الجيش اليونانى كالعادة : حرق وقتل وتمثيل بالجثث فى القرى الآمنة التى اجتاحوها !! وتصدّت الكتائب المجاهدة للقتال ، ومن شتى الجهات أقبل الرجال والنساء من جميع الطبقات ليسجلوا أسماءهم فى سجلات المتطوعين . وآمن كل تركى بوجوب المقاومة لأن الأتراك الذين عاشوا خمسمائة عام شعباً يسود الدنيا لن يصبحوا بين غمضة عين وانتباهاتها عبيداً . ولمن ؟ لليونان التى كانت بالأمس القريب إحدى ولايات الدولة العثمانية !

وجاء وفد من الآستانة موفداً من السلطان الخليفة يعرض على مصطفى كمال توحيد الجهود بين العاصمة وأنقرة لمقاتلة اليونانيين ، العدو المشترك . وكانت « الجمعية الوطنية » تميل إلى الوحدة ، لكن « الصنم » الذى كان يرمى ويعد لأن يكون ديكتاتوراً له دور قادم رفض . وازداد تقدم اليونانيين . وطالب بالتنظيم . وأن تكوّن كل الكتائب والفرق والعصابات المسلحة جيشاً نظامياً تحت رئاسته وحده ! وأمام اليونان - عبيد الأمس - كان هَمُّ الأتراك القتال ، والقتال

(١) دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٣٨ - ٣٩

(٢) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٣٩

وحده . وأجابوه الى ما أراد . ثم إنه حتى الآن لم يعلن شيئاً عن نواياه نحو الخلافة ولم ينكشف دوره ولم تتبين الخيوط التى كانت تمسك بالدُّمية من وراء الحدود .

وطالت الحرب التركية اليونانية بتدبير دولى على رأسه الإنجليز لتكون « مسمار جحا » الذى دقّه كبار اللاعبين ليصعد بها نجم الزعيم ولتصبح المكوك الذى تُنسج من حوله خيوط بطولته ... ولتكون الغطاء الذى يعطيه الوقت المتسع لترتيب البيت من الداخل وفق تخطيط الخارج .

ففى إحدى المعارك التى انتصر فيها الأتراك بقيادة صفيه « عصمت » عند « إين أونو » فى ٣١ مارس ١٩٢٢ أعلنت كل من إنجلترا وفرنسا فجأة رغبتها فى إنهاء الحرب التركية !! ورفضت اليونان !! فأرسلت فرنسا مندوبين سريين إلى أنقره عقدوا مع « الزعيم » معاهدة سرية مكنته فرنسا بموجبها من الحصول على ثمانين ألف رجل من الجبهة السورية ومعدات حربية تكفى أربعين ألف مقاتل !! كذلك باعت له أمريكا وإيطاليا أسلحة من نقود كانت تأتيه من موسكو !! أما إنجلترا فأعلنت الوقوف على الحياد ( هكذا ) !

وروّجت « الماسونية العالمية » لهذه المعركة وأصبح اسم « عصمت » : « عصمت إينونو » نسبة إلى موقع المعركة . وتوالت برقيات التهنئة على الزعيم من روسيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا تهنىء بالنصر !!

والتقط مصورو الصحف الأوروبية صور « البطل !! » مصطفى كمال وقائد المعركة عصمت ، أثناء القتال ووُزِّعت على كل صحف العالم .

وفى ١٠ يولية ١٩٢٠ عاود اليونانيون الهجوم للمرة الثالثة وانسحب الأتراك ، وقام اليونانيون فى ٢٣ أغسطس ١٩٢١ بزحف قوى قابله الأتراك بهجوم كاسح فى « سقاريا » فى ١٣ سبتمبر ١٩٢١ وانهزم اليونانيون ، ولم يصل الأمر إلى الجلاء حيث لم يتم إلا بعد سنة وبعض سنة من هذا التاريخ .

ومنحه الأتراك الطيبون بعد معركة « سقاريا » لقب « الغازى » أى « المجاهد فى سبيل الله » ... اللّقب الذى كان يُمنح للمجاهدين من الخلفاء العظام !!

وبعد نصر « سقاريا » طلب تجديد فترة قيادته العليا لمدة ثلاثة شهور مع منحه سلطات كاملة لأن الخطر لا زال قائماً !! فوافقت الجمعية الوطنية . وبعد هذه المدة استقال بعض الوزراء وتكوّن فى المجلس حزب معارض حول أمور متصلة بشخص الزعيم ونواياه ومطامحه وطغيانه ومصير السلطنة والخلافة ، فشنق خمسة وعشرين ضابطاً من كبار القادة .

وبعد معركة « سقاريا » أيضاً عقدت معه روسيا والجمهوريات التابعة لها معاهدة عُرفت بمعاهدة « القارص » فى ١٣ أكتوبر ١٩٢١ . وعقدت معه فرنسا اتفاق أنقرة فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢١ الذى نص على إنهاء الحرب بين فرنسا وتركيا وجلاء الفرنسيين عن كليكية !!

ودارت معارك كراً وفراً بين الأتراك واليونانيين لمدة عام آخر حتى تحرّرت الأناضول تماماً من الاحتلال اليونانى فى سبتمبر ١٩٢٢

لكن الجيش اليونانى تزوّد بإمدادات !! وعاد ليتجمع فى « تريس » وراء الآستانة . وتحركت فرقة من ألفين من المشاة الأتراك إليهم .

وفى كتابه « الذئب الأغبر – مصطفى كمال » الذى نشرته « دار الهلال » فى يوليه ١٩٥٢ – وكأنه مقدمة بين يدى ثوار مصر – يتحدث مؤلفه الكابتن هـ . س . أرمسترونج ، الذى وصفته الدار الناشرة بأنه « أقام فى تركيا عدة أعوام شهد فيها الانقلاب الكمالى . ووقف على أسرار ووثائق لم يقف عليها غيره من المؤرخين وكتّاب التراجم » – يتحدث عن الدور الإنجليزى ، فى رسم بالكلمات ، فيقول :

« وكان ذلك يتطلب أن يخترق الأتراك خطوط جيش الاحتلال الإنجليزى

بحيث لو أزمع الإنجليز مقاتلتهم حقاً لمنعوهم من اللّحاق باليونانيين ولهزموهم شر هزيمة !! على الأقل بفضل خبرة ضباطهم وأسطولهم العظيم وطائراتهم ... ولكن هل الإنجليز يعتزمون الاشتباك معهم حقاً ؟ فأرسل « مصطفى كمال » مشاته نحو المدافع الإنجليزية مزوّدين بأمر التقدم وبنادقهم معكوسة مع الحرص على إظهار الود والاحترام للبسلطات الإنجليزية . ثم مواصلة اختراق خطوطهم .. وكان الخطر عظيماً فإن طلقة واحدة خاطئة أو أمر أسيء فهمه كفيل ببدء المعركة ، لكن الطلقة الخاطئة لم تنطلق ، فقد تحيّرت القوات الإنجليزية ماذا تفعل !! ( مسكينة ! ) وكانت الأوامر التى لديها مائعة تقضى بمنع مرور الأتراك ، وفى الوقت نفسه بعدم إطلاق النار أو استخدام العنف ( يالطيف ! ) ، وهؤلاء هم الأتراك يتقدمون دون أن يتوقفوا أو يقاتلوا ! وأضحى الموقف حرجاً ( بالذمة ! ؟ ) ، واقترب الأتراك من الأسلاك الشائكة وبدأوا يخترقونها !!.. وفى هذه اللّحظة جاءتهم فجأة !! أوامر من قيادتهم بالتوقف .. لقد بدأت المفاوضات لعقد الهدنة » !! ( ص ١٧٥ ) .

( ملحوظة : جميع علامات التعجب ليست من عندنا .. من الخواجه أرمسترونج نفسه ) !

وأرسل مصطفى كمال صفيه وشريكه الوحيد فى السر « عصمت » ليقابل قائد جيوش الاحتلال البريطانى فى قرية « مودانيا » للاتفاق على التفصيلات !! وعُقد مؤتمر فى هذه القرية فى ١١ أكتوبر ١٩٢٢ حضره قوّاد الحلفاء الثلاثة وقد وافق الحلفاء على طرد اليونانيين من « تريس » وجلائهم من « تراكية » ، وجلاء الحلفاء نهائياً عن الآستانة وتركيا بأسرها ، ولم يتم جلاء الحلفاء عن العاصمة إلا فى ٦ أكتوبر ١٩٢٣ [١] ( ريثما تتم الخطوات الانقلابية المتفق عليها مع البطل !! ) .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٩ . وكذا : أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١٧٥

لا أعتقد أن الصورة قد باتت أمام القارىء الكريم مثقلة بالأحاجى أو مطلسمة بالألغاز ... بل ولا حتى « فزورة » تُحيِّر مَن يُقدم على حلها ولو لبضع لحظات !!

إذن آن الأوان لتسليم مفاتيح القلعة !!

لقد تثبت وضع « الزعيم » .. فلتبدأ الضربات نحو الهدف ، وخطوة خطوة !!

ففى ٢٨ أكتوبر ١٩٢٢ دعا الحلفاء حكومة أنقرة المؤقتة ( هكذا كان اسم الحكومة التى أنشأها مصطفى كمال فى الأناضول ) إلى مؤتمر يُعقد فى « لوزان » ووجهوا الدعوة أيضاً إلى حكومة توفيق الرسمية فى الآستانة ( منتهى العدالة !! ) الآستانة الأسيرة : مدينة وخليفة وحكومة ودار برلمان وكل وسائل المواصلات من قِبَل الحلفاء ، الكبار والصغار . حتى إن الفتوى المضادة التى صدرت من أنقرة عام ١٩٢٠ رداً على فتوى منسوبة إلى السلطان الخليفة كانت تقول بالنص : « نستنفر ونهيب بجميع المسلمين أن يُخَلِّصوا الخليفة من الأسر » !! [١] .

وقد كان توجيه الدعوة بهذه الكيفية منطوياً على خبث شديد ، كان يعنى « تفريق السلطنة عن الخلافة » .. « الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية » ، حسب المفاهيم الأوروبية « الكهنوتية والعلمانية » .

والتقط الخيط وقرر أن يضرب الضربة الأولى ، وأن يدعو الجمعية الوطنية لاجتماع « قد يستطيع فيه إقناع النواب بخلع السلطان وحيد الدين وبإلغاء السلطنة ، لكنه لا يجرؤ على مهاجمة الخلافة فذلك من شأنه أن يمس الشعور الدينى للشعب كله » . فلتُترك للخطوة الثانية .

وفى الليلة السابقة على عقد الاجتماع دعا إليه كبار القادة ومنهم رؤوف

---

(١) George Haddad : Revolations and the Military Rule in the Middle East, New York , 1965 , p . 103 .

رئيس وزرائه ليجس النبض دون تصريح بشيء . وقال له رؤوف : « يذكر البعض أنك تنوى إلغاء السلطنة والخلافة » فأجاب : « أحب أن أعرف آراءكم أولاً » ، فرد رؤوف : « نحن لا نتكلم عن وحيد الدين بالذات ، إنه يجب أن يُخلع وأن يخلفه آخر . ولكن لا شك أنني وكل تركى ندين بالولاء لمقام السلطنة والخلافة . ولا جدال فى أن الدولة تحتاج إلى فرد تعلو رأسه جميع الرؤوس ولا يستطيع أن يطمع أحد فى منصبه » ووافق المجتمعون على رأى رؤوف . وخلص مصطفى كمال من الحوار بأنه سيُدلى بتصريح عن هذا الموضوع فى جلسة الجمعية الوطنية فى الغد .

وفى اجتماع الجمعية الوطنية وفى وسط الضجيج الذى ساد المجلس بشأن دعوة الحلفاء لحكومة توفيق باشا فى الآستانة . وقف على المنصة واقترح أن يُفصل بين السلطنة والخلافة . فتُلغى السلطنة ويُخلع وحيد الدين . وعندئذ تنبَّه النواب إلى خطر القرار الذى يُراد منهم أن يُصدروه ، وأُحيل الموضوع إلى لجنة الشئون القانونية كى تبحثه . إذ أنها ستكون السابقة الأولى فى تاريخ الحكم الإسلامى التى يُفصل فيها بين الخلافة وسلطة الحكم . إنها تعنى أن تكون الخلافة منصب روحى أو مؤسسة كنسية تتعلق بملكوت السماء ، وأن تكون السلطة الزمنية لمؤسسة سياسية تتولى شئون الأرض ، وهذا أمر غريب على طبيعة الإسلام . واجتمعت اللَّجنة فى اليوم التالى ورفضت الاقتراح بالإجماع .

ووقف مصطفى كمال يُحيط به أنصاره وحرسه المسلحون وبعضهم قدير على ارتكاب أى حماقة . إنهم قد يُطلقون النار إذا طُلِب إليهم ذلك ، وصاح « البطل » وفى صوته رنة التهديد بينما وضع أنصاره أيديهم على مسدساتهم :

« أنا واثق من أن المجلس سيقبل الاقتراح بإجماع الآراء .... إن السلطنة يجب أن تُفصل عن الخلافة وتُلغى ، وسواء وافقتم أم لم توافقوا فسوف يحدث هذا ... كل ما فى الأمر أن بعض رؤوسكم سوف تسقط فى غضون ذلك »[1].

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، ص ١٨٣ - ١٨٤

وبدأت إجراءات أخذ الرأى بالتصويت العلنى ، فتبين له أن الاتجاه الغالب يميل الى رفضه . فاقترح تحت التهديد المسلح أن تؤخذ الأصوات برفع الأيدى . ولم ترتفع غير أيد قليلة . لكن رئيس الجلسة الذى لم تفارق عينيه مصطفى كمال أعلن النتيجة بقوله : « أقر المجلس الاقتراح بإجماع الآراء » . فقفز نفر من النواب فوق مقاعدهم محتجين صائحين : هذا غير صحيح ... نحن لم نوافق ، فصاح بهم آخرون : اجلس .... اسكت .... خنازير !! وساد الهرج والمرج وغادر مصطفى كمال قاعة المجلس يُحيط به أنصاره . وهكذا فى هذا الجو « الديمقراطى » فُصلت السلطنة عن الخلافة !! [1] .

وعُيِّن عبد المجيد - ابن أخ السلطان السابق - خليفة للمسلمين ... خليفة فقط مجرداً من كل سلطان أو نفوذ .

وسافرت هيئة المفاوضة التركية إلى « مؤتمر لوزان » فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٢. بعد أن أحدث مصطفى كمال حدثاً هو الأول من نوعه منذ التاريخ الإسلامى بعامة . وكان الوفد برئاسة « عصمت » الذى اختير لوزارة الخارجية وسافر بهذه الصفة [2] ومعه حاخام اليهود « حاييم ناحوم أفندى » وهو الذى فتح لليهود يومئذ باب الهجرة إلى تركيا ليكونوا بالقرب من فلسطين ، وهو الذى عيَّنه مصطفى كمال ليكون سفير تركيا فى أمريكا ولم يتم ذلك لأن « حاييم » فضَّل أن يكون حاخاماً لليهود فى مصر [3] .

أرسل مصطفى كمال عصمت وحاييم متجاهلاً كُلاًّ من الوزارة والجمعية الوطنية وزودهما بتعليماته الشخصية . وفى لوزان تفاوض وفد مصطفى كمال مع اللُّورد « كيرزون » وزير خارجية بريطانيا ، ممثل الحلفاء فى جميع شروط الصلح ، واللُّورد كيرزون هذا هو الذى صرخ ودوَّى هتافه فى مجلس الوزراء

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٨٦

(٢) نفس المرجع ص ١٨٩

(٣) محمد خليفة التونسى ، الخطر اليهودى - بروتوكلات حكماء صهيون ، ص ٧٨

البريطاني : « إنه إذا كانت هذه هي الصهيونية فإنه لا يوجد سبب على الإطلاق لماذا لا ينبغي علينا جميعاً أن نكون صهاينة » !!

قال عصمت أو قال حاييم - لا يهم - للُورد كيرزون ( ما يعلمه كيرزون بالطبع ) :

١ - إن الكفاح الأكبر ما زال ينتظر مصطفى كمال ، فلقد طالما أوضح لأصدقائه أنه يرى وجوب اقتلاع الدين من تركيا .

٢ - إن الخطوة القادمة هي إلغاء الخلافة الإسلامية - التي لم تعد خلافة ولا يحزنون - إنها مجردة عن السلطة ... لكن ربما ... وربما !!

٣ - إن سلسلة من الإجراءات الانقلابية ستتم تتغير بموجبها الهوية التركية من إسلامية شرقية إلى غربية لا دينية تحارب الإسلام .

٤ - سنسحق ونُخرج كل القوى الإسلامية من تركيا .

٥ - إن الغازي قد أوضح أنه لا يؤمن بعصبة من جميع الدول الإسلامية ، ولا حتى بعصبة من الشعوب التركية ، ولن يقود تركيا إلى حماقة من هذه الحماقات أو يُنَصِّب نفسه بطلاً للشرق معادياً للغرب وللإسلام ضد المسيحية[١] .

ولم يكن « كيرزون » يريد غير هذه الشروط . ووقَّع مع « عصمت » معاهدة لوزان بتاريخ ٢٤ يولية ١٩٢٣ التي حدَّدت حدود تركيا ، كما تضمَّنت نصوصاً تنازلية عن قبرص ومصر وليبيا وتونس والجزائر وبلاد الشام والعراق .

وسألت الصحفية « خالدة أديب » بطلها الذي كان يحب دائماً أن تكون إلى جواره : « إنك سوف تستريح بعد مؤتمر الصلح ياباشا » فأجابها مصطفى كمال في عنف وعيناه تومضان ببريق مخيف : « أستريح ؟ أية راحة ؟ إننا بعد أن خلصنا من اليونانيين سوف يقاتل بعضنا بعضاً ، أو سوف يأكل بعضنا بعضاً »![٢] .

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨١ - ١٨٢

وتكتلت الجمعية الوطنية لتشد من أزر رؤوف الذى استقال من رئاسة الوزراء ، وبدأ جهاز الغازى يغتال النواب المعارضين أثناء عودتهم إلى بيوتهم فى نفس اللّيلة التى قد يتهور فيها أحدهم ويعارض . وهُدِّد الباقين بالشنق .

وندّدت الجمعية الوطنية بقبول مصطفى كمال للهدنة مع الأعداء فى « مودانيا » وبمفاوضات عصمت السرية فى لوزان وقرروا التصويت على تنحيته ، وعمد مصطفى كمال الى استخدام سلاحى الوعد والوعيد لإحباط القرار ضد عصمت رجله الذى يُطيعه بلا مناقشة (١) .

ومن هنا بدأ يُنشىء حزباً سياسياً من لجان المقاومة التى كانت قد نشأت فى الأقاليم منذ عام ١٩١٩ أيام القتال ضد اليونان ، وقرر أن يُحيلها إلى آلة حزبية منظّمة تخضع لإشرافه ، ويمنح كل لجنة منها سلطة اختيار عمدة القرية وواعظها وناظر مدرستها ومدير شرطتها وبريدها وكناسى شوارعها ، ومن هنا ترتبط اللّجان به ارتباطاً شخصياً . وعلى الطريقة - إياها - فإنه كان دائم التحذير من معارك لم تنته ولن تنته ، فهو يقول لهم فى النهاية وعقب كل اجتماع حيث جمع فى يده أعِنة تلك المنظمات « احتفظوا بمنظماتكم ... إن العدو الخارجى قد ذهب لكن الحرب لم تنته بعد . فالبلاد مليئة بالخونة . قفوا فى صفى وأطيعونى ... أنتم الشعب وحزب الشعب الذى ينبغى أن تحكموا تركيا » (٢) .

وإذ ضمن التفاف هذا الجيش من القرويين حوله وفرغ من التنظيم ، بدأ هجومه بعرض مرسوم يقضى بإلغاء حصانة النواب من الاعتقال والمحاكمة ، ثم أتبع ذلك برقابة صارمة على الصحف ، وأمر البوليس بمنع أى اجتماع أو خطاب عام . وأدرك النواب خطورة الخطة السياسية التى يدبرها للانفراد بالحكم فقرروا إحباطها بأى ثمن ، وطلبوا منه التنحى عن رياسة الحزب الجديد بحجة أن رئيس الدولة ينبغى أن يظل فوق الأحزاب ، لكنه أجابهم بقوله :

---

(١) نفس المرجع ص ١٩٥

(٢) المرجع نفسه ص ١٨٨

« لست أوافقكم على حجتكم ، فأنتم تتكلمون عن زعامة أحد الأحزاب السياسية ، وأنا أقول إنه ليس فى الدولة غير حزب سياسى واحد ، ولا يمكن أن توجد أحزاب أُخرى تناوئنا ، ويهمنى من وجهة الكرامة والشرف أن أظل زعيماً لهذا الحزب الوحيد – حزب الشعب – ورئيساً للدولة فى وقت واحد » [١] .

وكان الجواب تحدياً للجمعية الوطنية . فبدأت الأعصاب تثور ، وبدأ كثيرون من زملاء مصطفى كمال الذين وقفوا إلى جانبه فى أحلك الأيام خلال السنوات الأربع الماضية يتكلمون ضده يزعامة رؤوف ! .. كان بينهم رحمى ، وعدنان ، وكاظم قره بكير ، ورفعت ، وعلى فؤاد ، ونور الدين .. ولم يبق فى صفه غير عصمت ، وفوزى ، وبعض أصدقائه الشخصيين وأصفيائه فى مجالس الشراب ! [٢] .

وانفَضّ النواب من حوله وراحوا ينتقدونه علانية ، وأعلنوا أنهم لن يقرُّوا أن تُحكم البلاد حكماً مطلقاً على يد ذلك المنتقم الفظ صاحب الآراء الشاذة والوسائل غير اللائقة ! إن أحداً لن يأمن على نفسه فى ظل رجل مثله .

وبادر إلى حل الجمعية الوطنية وأجرى انتخابات جديدة آملاً أن يحصل على الأغلبية فيها بفضل معاونة حزبه الجديد ... لكن المجلس الذى أسفر عنه الانتخاب جاء مناهضاً له شأن المجلس القديم ، يأبى الانصياع لأوامره ويُحدث ضجيجاً كلما خاطبه « الغازى » !! بلهجة ناظر المدرسة الذى يخاطب تلاميذه ! [٣] .

وجلت آخر جيوش الإحتلال الانجليزية عن العاصمة فى ١٦ أكتوبر ١٩٢٣ وبدا واضحاً أن الانتظار فى غير مصلحته .

وحانت فرصة « البطل » !! للبت فى أمر حكومة تركيا الجديدة قبل أن يزداد

---

(١) المرجع السابق .
(٢) نفس المرجع ص ١٩١
(٣) نفس المرجع ص ١٩٢

خصومه قوة . فليعلن تأسيس الجمهورية ويُدبِّر أمر انتخابه رئيساً لها وحاكماً شرعياً للبلاد ... لكن الجمعية الوطنية لن تنتخبه ما بقيت لها حريتها الكاملة . فليدبر إذن مؤامرة سياسية تُحقق له هدفه . ليخلق أزمة ويستغلها ! ..

وخلق الأزمة ، دعا وزراءه إلى مأدبة عشاء فى داره ، وبعد أن أفرط المدعوون فى الشراب اقترح عليهم أن يستقيلوا فى اليوم التالى من مناصبهم كى يحرجوا الجمعية الوطنية بعد أن كثرت شكواهم من محاسبة النواب لهم مباشرة ، وبعد ذلك يعودون إلى مناصبهم مرفوعى الرأس مرهوبى الجانب . ولم تتمكن الجمعية الوطنية فى اليوم التالى من تأليف حكومة جديدة . وبعد يومين دعا نفراً من أصدقائه المخلصين إلى مأدبة عشاء رسم فيها خطته ( على طريقة التنظيم الطليعى إياه ! ) قائلاً :

« لقد حان الوقت كى نضع حداً لهذه الفوضى ، غداً سوف نُعلن قيام الجمهورية ، فهى المخرج من كل هذه المصاعب ... فعليك أنت يافتحى أن تُعقِّد الأمور فى المجلس غداً بقدر ما يمكنك ، فتؤلِّب الأعضاء ضد بعضهم البعض .. وعندئذ تقترح أنت يا كمال الدين أن أستدعى أنا لتولى زمام الأمور إنقاذاً للجمعية من مأزقها » ! [1] .

وسارت الأمور وفق الخطة الموضوعة ، واستدعوه ، وتكلم وأنهى حديثه قائلاً :
« لذلك أقرر أن تصير تركيا جمهورية لها رئيس يُختار بطريق الانتخاب » .
وذُهِل النواب للقرار المفاجىء ، وتقدم بالمشروع الذى أعده بالاشتراك مع عصمت .
وأُعلنت الجمهورية وفاز مصطفى كمال بـ ١٥٨ صوتاً من ٢٨٦ وامتنع ٤٠٪ عن التصويت [2] ( ديمقراطية سليمة !! ) فى ليلة ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٣

(٢) Haddad; Revolution and Military Coups d'Etat in Turkey , p . 110 .

وكذا : أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٥

وبهذا الانتخاب صار مصطفى كمال الحاكم المطلق للبلاد ، ورئيساً لمجلس الوزراء ورئيساً للجمعية الوطنية ورئيساً لحزب الشعب ، وفوق ذلك كان القائد العسكرى العام الذى يسيطر على الجيش والشعب معاً (١) .

لكن ... ماذا بعد ؟

يقول « أرمسترونج » فى عرى صريح : « لكن كفاحه الأكبر كان ما زال ينتظره ! ... ولقد طالما أوضح لأصدقائه أنه يرى وجوب اقتلاع الدين من تركيا » (ص ١٩٥) .

يقول « جورج حداد » فى كتابه (Revolutions and Military Rule in the Middle East, New York, 1965) : « كان التحديث بالنسبة له يعنى أن يتم بتغريب وعلمنة المجتمع التركى وتحرير القطر من تأثير الإسلام والشرق ومن مظاهر الثقافة العربية ... إن الحكام العسكريين الذين حاولوا الإصلاح فى الأقطار الإسلامية الأخرى إما لم يكن لديهم الشجاعة أو لم يجدوا من المناسب أن يسيروا فى الاتجاهات المختلفة للثورة العلمانية التى افتتحها مصطفى كمال منذ نحو أربعين عاماً » ( ص ١٠٨ ) .

وذاع فى كل مكان من تركيا أن حكام أنقرة كفرة وملاعين بعد أن انفضحت ميول مصطفى كمال وانكشفت نياته المستورة نحو الإسلام والخلافة . ووُزِّعت النشرات والصور الكاريكاتورية التى تهاجم « الزعيم » هجوماً لاذعاً . وراح كبار القادة الباقين يهرعون إلى الآستانة والتفوا حول الخليفة ينشدون الأمان فى حِماه ، إذ لم يجل بخاطرهم أن « الغازى » يجرؤ يوماً على أن يمس الخليفة بسوء ! وكان الخليفة الجديد « عبد المجيد » قد حافظ على مقتضيات منصبه كواجب أسمى ، فأحيا تقاليد أسلافه العظام .... وبدلاً من أن يركب عربة كسلفه الأخير صار يمتطى صهوة جواد أبيض - مثل « محمد الفاتح » يعبر به « القرن الذهبى » إلى جامع « أيا صوفيا » ليُصلِّى الجمعة ، يتبعه حرسه من

(١) المرجع السابق .

الفرسان وتحف به الجماهير المهلّلة !.. وكان يستقبل فى قصره الزائرين والسفراء والمبعوثين ، بوقار الزعيم الدينى لمائة مليون مسلم .

وسرى رأى عام فى الجمعية الوطنية للدفاع عن الخلافة الاسلامية ، فانتهز فرصة تهور أحد النواب المعارضين فى إحدى جلسات الجمعية ، وكلّف شخصاً باغتياله فى اللّيلة نفسها ، أثناء عودته إلى بيته ! . وألقى أحدهم خطبة أيّد فيها الخليفة ، فهدده « الغازى » بالشنق إذا فتح فمه بمثلها مرة أخرى (١) !..

وأدرك مصطفى كمال الخطر ، أى تعاظم رد الفعل الإسلامى وأبعاد ما يحدث فى الآستانة ، وتأكد من أن أكثرية الشعب فى تركيا كلها تكرهه ... وفيما هو يتدبر أمره حائراً أمدته بريطانيا بسلاح جديد . فقد روّجت لرسالة أرسلها « أغا خان » ، الزعيم الإسماعيلى فى الهند ، يُطالب باسم مسلمى الهند باحترام مقام خليفة المسلمين . ومعروف صلة أغا خان بالإنجليز (٢) . وعلى الفور استغل مصطفى كمال الفرصة وألغى الخلافة الإسلامية فى ٣ مارس ١٩٢٤ . وأعلن فصل الدين عن الدولة وإلغاء المحاكم الشرعية ، وإلغاء وزارتى الشرعية والأوقاف . وطرد الخليفة وأفراد الدولة العثمانية ذكوراً وإناثاً وأصهارهم من البلاد . وتوالت الإجراءات الانقلابية : ألغى التعليم الدينى ، وأغلقت مدارسه القائمة ، ولُقن التلاميذ فى المدارس الانقلابية أن الثقافة والتقاليد الإسلامية هى من أسباب تأخر التركى وجموده ، وما أصابه من كوارث وتعرض له من دسائس ، كما هى من أسباب ضعف البنية القومية والثقافية واللّغوية التركية . ومُحيت كل مظاهر الإسلام وحلت التشريعات الغربية محل الشريعة الإسلامية (٣) .

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٧ (٢) المرجع السابق ص ١٧٩

(٣) دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ٧٣

وكذا : Haddad , the Turkish Revolution, p. 109 - 111 .

وثارت عواطف الجمهور الدينية ضد قلب الدولة والبلاد إلى دولة وبلاد لا دينية وهدم كيان الإسلام والمسلمين ، وقامت الثورة الكردية بقيادة الشيخ سعيد انتصاراً للدين وحماية له من الملاحدة . وحمل قائد الثورة ما أسماه « لواء النبى والقرآن الأخضر » . فنكّل بالثورة التى ظلت تقاوم لتسعة شهور ، وحكم على آلاف من الأكراد بالشنق أو النفى أو السجن ، وشنق ستة وأربعين من رؤساء القبائل فى ديار بكر كان آخرهم الشيخ سعيد زعيم الثورة [١] .

وبتاريخ ٤ مارس ١٩٢٥ أصدر قانون إقرار الأمن والسكون ، خُوِّلت الحكومة بموجبه منع أى منشورات من شأنها أن تؤدى الى الارتداد ( أى العودة إلى الإسلام ) والعصيان ، كما خُوِّلت فيه سَوق الناشرين إلى محاكم الاستقلال ، وأصدر بتاريخ ٢٥ فبراير ١٩٢٥ ذيلاً لقانون « الخيانة الوطنية » ، وصف فيه بالخيانة الوطنية منشئو الجمعيات السياسية التى يكون الدين أساساً أو وسيلة أو مظهراً لها ، وكذلك المشتركون فيها [٢] .

وصار أى إجراء أو نقد شفوى للحكومة يُعَد خيانة عظمى تُعاقِب عليها « محاكم الاستقلال » بالموت فوراً . وأُلغيت حصانة النواب ضد الاعتقال ودبر الكمائن لاصطياد خصومه . وأقام محكمة الاستقلال لمحاكمة زعماء المعارضة الذين ألقى القبض عليهم جميعاً ، بعد أن كلّف رجال الأمن العام بجمع الأدلة التى تثبت التهمة . وحكمت عليهم جميعاً بالشنق بغير مراعاة لقواعد المرافعات والإثبات المقررّة فى القانون . وصدّق على الحكم دون أن تتحرك عضلة واحدة من وجهه وهو يوقع بالموت على كثير من أصدقائه القدامى . وكان يتباهى بأنه قد حكم بالشنق على عدد من الأتراك يفوق العدد الذى حكم عليه أى تركى منذ عهد السلطان محمود الثانى ، واحتفل بإعدام أصدقائه بإقامة حفلة راقصة رسمية بقصره فى اللّيلة نفسها .

وبات « حزب الشعب » - الذى صار اسمه « حزب الشعب الجمهورى » -

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤ (٢) نفس المرجع ص٧٥

الآلة المهيمنة على الحكومة بحيث صار محتوماً على كل ذى منصب حكومى ، من أصغر موظف فى أصغر قرية إلى رئيس الوزارة ، أن يكون عضواً فيه ، وكان الوزراء موظفين دائمين أكثر منهم وزراء ، بسبب انعدام أحزاب المعارضة [1] .

وصارت انتخابات الجمعية الوطنية انتخابات « اسمية » إذ لم يكن يُسمح لأحد بمنافسة مرشحى الحكومة الذين ينتقيهم مصطفى كمال من أعضاء حزبه ولجانه ... وكان النائب يلتزم الطاعة المطلقة لرغبات « الغازى » عند التصويت على مشروعات القوانين .. واذا اجترأ شخص ، سواء أكان نائباً أو شرطياً فى إحدى القرى ، على أية مخالفة أو عصيان فسرعان ما يُفصل فوراً من الحزب ، فيفقد تبعاً لذلك عمله ويتعذر عليه أن يجد عملاً آخر ، ولو أدى الأمر إلى موته جوعاً ! ...وهكذا صار الحزب أشبه بجيش احتلال ، يُشرف على إدارة شئون البلاد !

وكان مصطفى كمال يستعين فى حكمه بثلاثة أشخاص ، يجتمعون به كل ليلة فى منزله فينهون إليه الأنباء ويتلقون أوامره : « عصمت » الذى كان يختص بشئون الحكومة والجمعية الوطنية ... و « فوزى » الذى اختص بشئون الجيش ... ثم « ظيا صفت » السكرتير العام لحزب الشعب ، وهو يهودى قدير حاضر البديهة كان يُسرد على مسامعه أنباء اليوم الهامة وشئون الحزب [2] .

وبعد أن فرَّق الكيان السياسى للدولة بأكمله صار عليه الآن أن يُغيِّر عقول الشعب بأسره : أفكارهم القديمة ، وعاداتهم وأزياءهم ، وأساليب حياتهم ، وأدق الدقائق التى تربطهم بنشأتهم الشرقية وماضيهم ... وكانت هذه المهمة أصعب بكثير من إعادة بناء الكيان السياسى للدولة ، أو على حد تعبيره « لقد قهرتُ العدو ، وقهرتُ الدولة ، فهل أستطيع أن أقهر الشعب » ؟ [3] .

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١

(٢) المرجع السابق ص ٢١٢     (٣) المرجع السابق ص ٢١٣

واعتقد الدمية أن تغيير عقل الشعب يتطلب تغيير غطاء الرأس !! فأصدر قانوناً يُلزم الشعب بأن يضع قبعة فوق رأسه ليكون متمديناً !! .. ولما عارض الشعب أرسل محاكم الاستقلال إلى الأقاليم لتحكم على مئات من المتمردين بالشنق والرمى بالرصاص والسجن (١) !

وأصدر مجموعة من التشريعات ألغى من خلالها كتابة اللُّغة التركية بالحروف العربية لكى يفصل بين الشعب التركى وبين كل تراثه فى شتَّى مجالات المعرفة التى كُتبت بالحروف العربية . وأمر بترجمة القرآن إلى اللُّغة التركية ، وجعل الآذان للصلاة باللُّغة التركية . واستبعد ما استطاع استبعاده من الكلمات العربية والفارسية من اللُّغة التركية . وجعل العُطلة الأُسبوعية الأحد ، واتخذ التقويم الغربى تقويماً رسمياً للدولة ، وأصدر قانوناً أسماه القانون المدنى ليصير به حياة المجتمع التركى الاجتماعية والعائلية والشخصية والاقتصادية على أُسس غريبة عن حياة الأتراك طيلة قرون طويلة (٢) .

ونظراً لما كانت تشغله « الآستانة » من مركز عظيم فى أذهان الشعب التركى والعالَم عامة والعالَم الشرقى والإسلامى خاصة ، فقد أصدر الزعيم ( الدمية ) قانوناً بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٢٣ بجعل أنقره عاصمة للدولة الجديدة (٣) .

وهنا لا بد من وقفة !!

كان فتح القسطنطينية - الاسم القديم للآستانة - هدفاً رئيسياً للسياسة الإسلامية منذ القرن الأول الهجرى ... إليها تتابعت حملات المسلمين ، وبجوار سورها دُفن « أبو أيوب الأنصارى » - صاحب رسول الله ﷺ ومضيفه فى دار الهجرة - شهيداً فى أولى محاولات الفتح .

---

(١) نفس المرجع ص ٢١٤ — (٢) دروزة : تركيا الحديثة ، ص ٨٠ - ٨٢

(٣) المرجع السابق ص ٨٦ - ٨٧

من القسطنطينية كانت تصدر قرارات الحرب لغزو ديار الإسلام والإغارة على الثغور .

وتحقق الهدف على يد السلطان الشاب « محمد الثانى » أو « محمد الفاتح » كما يسميه - بحق - تاريخ المسلمين . ففتحها فى ٢٩ مايو ١٤٥٣ ، والتزم الفاتح بالتسمية وسمّاها « إسلامبول » أى مدينة الإسلام .

ودخل السلطان الفاتح « مدينة أم الرب » ، « روما الثانية » ، « ملكة المدن المسيحية » ، « المدينة التى يحرسها الله » ، « فخر اليونان » - الألقاب التاريخية للقسطنطينية - قبل ظهر يوم الجمعة غداة يوم السابع عشر من رمضان عام ٨٥٧ للهجرة ( ٢٩ من مايو ١٤٥٣ م ) وأمّن المغلوبين وأعلن حرية الفكر والاعتقاد ، وأقيمت صلاة الشكر الجامعة ، بعد صلاة ظهر يوم الجمعة المقدس ، حيث ارتفع الآذان الإسلامى الجليل يتوّج سماء الروملى .

وأزال الفاتح العظيم من الوجود إمبراطورية الروم الشرقية التى دامت أحد عشر قرناً من الزمان ، منها ثمانية قرون العدو الرئيسى للمسلمين .

وارتفع هناك عَلم الشرق الإسلامى المنتصر ، بهلاله البديع ...وصارت العاصمة المقدسة للدولة الرومانية والحضارة الهيلينية والأرثوذكسية العالَمية ، حاضرة للدولة العثمانية ، ومنارة لإشعاع الإسلام ... وعوضاً عن « القيصر الكاهن » الإمبراطور حل الخليفة المسلم « أمير المؤمنين » .

وأصبحت الآستانة بمآذنها السامقة موئلاً للثقافة الإسلامية ، وداراً لطباعة المصحف الشريف ، ومقراً لشيوخ الإسلام .

وعلى مسجد السلطان الفاتح تقرأ حديث رسول الله ﷺ ، الذى يبشر بالفتح ، ويُبارك قائد النصر ، ويُثنى على الفاتحين : « لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش » .

لقد كان فتح القسطنطينية قمة التصاعد فى قصة البطولة العثمانية ...

كان ذروة الصراع بين الإسلام والصليبية العالمية ، ولا زال تاريخهم فى الغرب ، ينضح بالأسى الدفين على فقدها ، ويطفح بالحقد على الفاتحين .

فلقد بُنيت « القسطنطينية » على أنقاض مدينة « بيزنطة » الإغريقية ، لتكون مدينة مسيحية الصبغة ، ودشّنها « قسطنطين الأول » فى ١١ مايو ٣٣٠ م ، وسُميت باسمه ، لتكون عاصمة الدولة الرومانية الكبرى ... وكانت مدينة « البسفور » بقرنها الذهبى أكثر أماناً ومَنعة من مدينة « التيبر » بتلالها السبعة .

فالمدينة إذن ، باسمها المنسوب إلى قسطنطين ، وبألقابها التاريخية ، كانت تعنى فى الوجدان الغربى رمزاً للحضارة الهيلينية وتراث الرومانية ، وواسطة العقد للشعوب النصرانية ، وحصناً للمسيحية العالمية على مدى ألف ومائة عام .

ومن ثَمَّ كانت روعة الفتح ورعب السقوط .. فلئن كان الفتح عند المسلمين هدفاً وبشارة ، فإن سقوطها عند الغرب كان يعنى الخراب والمأساة .

وَيعبِّر « فاذلييف » عن ذلك بقوله : « وفى سنة ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية - روما الثانية - ودخلها السلطان محمد الثانى ( المنذر بقدوم الدجال وشبيه سنحاريب ) » (١) .

وفى لوعة الثكالى يبين « استيفان نيل » دور الإمبراطورية المبادَة فى التاريخ الأوروبى فيقول : « منذ تأسيس القسطنطينية ، بواسطة قسطنطين كمدينة مسيحية ، وحتى سقوطها النهائى بواسطة الأتراك عام ١٤٥٣ ، انقضى أحد عشر قرناً ، وإذا ما عدنا إلى الوراء فإن أحد عشر قرناً ستنقلنا إلى أبعد من الغزو النورماندى ... أبعد من أيام ألفريد الأكبر . فالتاريخ البيزنطى أطول

---

(١) نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد ، ص ٣٨٩

من كل مجرى التاريخ الإنجليزى حتى أيامنا الحاضرة ... وعلى مدى ثمانية قرون من بين الأحد عشر كانت الإمبراطورية البيزنطية حصناً لعالَم المسيحية ضد انتهاكات القوة الإسلامية » [1] !!

ويصف « نهرو » شعور العالَم النصرانى ، بعد سقوط المدينة المقدسة فى أيدى المسلمين ، أى فتحها بالإسلام وجنوده الأبرار المنتصرين فيقول : « إن سقوط القسطنطينية فى أيدى الأتراك العثمانيين كان حدثاً تاريخياً خطيراً هَزَّ أوروبا هزاً عنيفاً ، فسقوطها يعنى القضاء النهائى على الإمبراطورية الشرقية الإغريقية القديمة التى دامت ألف عام ، كما يعنى غزواً إسلامياً آخر لأوروبا . وقد أثار هذا الحادث مشاعر أوروبا ، لكنها وقفت حياله عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً » [2] .

ومن هنا ، ومن هنا وحده ، وجدت أوروبا الصليبية - كل أوروبا - مَن يكسر لها حاجز العجز ويُريحها من الحقد الدفين ... وكان ذلك هو « العميل الماسونى الصليبى أتاتورك » !!

وبكت الصلاة قرب « أياصوفيا » وأُسِرت الجُمع الجلائل مثخنات بالجراح !! فلقد أغلق أتاتورك مسجد أيا صوفيا الجامع الكبير فى الآستانة وحوَّله إلى متحف ، وحظر الصلاة فيه ، « احتراماً لمشاعر الغرب » على حد ما أعلنه فى عرى صريح .

ونمضى فى طريقنا بعد هذه الوقفة الضرورية مع الآستانة وأياصوفيا .

ورغم اللقب الذى اخترعه لنفسه « أتاتورك » - أى أبو الترك - فإن المعارضة واصلت نضالها ضده فشكلت الجمعيات العلنية والسرية ، لكنه

---

(١) Stephen Neill , A History of christian Missions, p . 82

(٢) جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة د . عبد العزيز عتيق ، ص ٦٠ .

واجهها بأسلوبه الذى اختطه لنفسه « قهر الشعب » بالشنق والرمى بالرصاص والسجن والموت جوعاً .

هبَّت ثورة فى منطقة تمتد من قونيا إلى أضاليا وأزمير ، وجاءت أنباء بقرب نشوب ثورة مماثلة فى أرضروم فأخمدها وشنق كثيرين فى مشهد عام فوق قنطرة « غلطه » عبر القرن الذهبى ، وشنق زعيم الثورة وكان فى الثمانين من عمره مع أتباعه جميعاً وأرسل إلى قرية واحدة قوات بطشت بالثوار وسجنت ألفاً من الأهالى وشنقت ثمانية وعشرين رجلاً من أبرز زعماء الثورة فى عنف دونه وحشية الوحوش (١) !!

حتى الجمعية الوطنية وبعد الاطمئنان على أن أعضاءها هم مرشحو حزب الشعب ، قَتل أحد أنصاره نائباً أثناء المناقشة برصاصة أطلقها على بطنه فى حرم المجلس . واستدرج رئيس حرسه نائباً آخر وتودد إليه ثم دعاه إلى العَشاء فى دار الحرس وهناك خنقه وألقى بجثته فى العراء (٢) .

وغيره كثير كثير « فلقد أيقظت السلطة المطلقة فى أعماقه نزواته الوحشية فانطلق ذئب أنقرة الأغبر ينشب مخالبه فى أعدائه ، ويضع بصمته الدموية على رقاب ضحاياه ، بالسجن والتعذيب والمشنقة ... بالدم والإرهاب » (٣) .

يقول دكتور « محمد محمود عبد القادر - أستاذ كرسى الكيمياء الحيوية كلية الطب ، قصر العينى - فى بحث له عن « صحة الحكام » :

« وتؤكد الحقائق التاريخية أن الديكتاتورية كانت مقترنة دائماً بالأمراض التى تُؤثر على مستويات المخ العليا لزعمائها - والأمثلة فى هذا المجال كثيرة ، وترجع بنا الذاكرة إلى الزعيم التركى مصطفى كمال أتاتورك ( أتاتورك بمعنى أبو الأتراك ) حينما نُشرت الوثيقة التاريخية الطبية الخاصة به قبل وفاته . فقد

---

(١) أرمسترونج ، الذئب الأغبر ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١١

(٣) نفس المرجع ص ٢١٢

أُصيب مصطفى كمال أتاتورك فى شبابه بمرض السيلان الذى لم يكن له علاج أكيد فى ذلك الوقت ، ثم أُصيب بمرض عضال فى الكلية سنة ١٩١٧ لم تُعرف كُنهته ، وكان يتعرض لآلام مبرحة مزمنة لا تُطاق ، كانت السبب فى إدمانه على شرب الخمر مما أدى إلى إصابته بتليف الكبد والتهاب فى أعصابه الطرفية وتعرضه لحالات من الكآبة والانطواء - وتدهور فى المستويات العُليا للمخ - لذلك كان هذا الديكتاتور مثلاً فريداً فى القسوة والتنكيل والأنانية المدمرة »[1] .

وعن أحلام السمن والعسل التى سوف ينغمس فيها المواطنون بوعد من الأبطال نقرأ النتيجة : « كان الفقر يعم كل مكان ، والأيام الذهبية التى وُعِدَ الشعب بها بعد طرد الأعداء قد تمخضت عن أيام أسوأ من أيام السلطان عبد الحميد ذاته ! . فقد عَزَّ الطعام ، وتفاقم الغلاء ، وشحَّت النقود ، بل شحَّت البضائع الضرورية واختفت من الأسواق ، وثقلت الضرائب ، وازداد جشع جُباتها ، وجُندَ الشباب جميعاً فى الجيش برغم انتهاء الحرب ، فانهارت البيوت والمزارع علىَ أصحابها ، وماتت الماشية لقلة العلف ، وأتلف الجدب الحاصلات الزراعية ... وصارت الحياة عبئاً لا يُطاق بعد أن بلغت الفاقة والعوز حداً لم يُسمع بمثله من قبل » ! ( أرمسترونج : ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ) .

ومع كل ما جرى ، وجد « أرمسترونج » من صفاقة الوجه ، ما جعله يقول بلا حياء أو خجل : « إنه لم يفقد ذرَّة من إيمانه بالشعب ، وبقدرته على أن يقوده الى مستقبل عظيم ، وقد عبَّر عن رأيه بتصريح أدلى به فى ربيع سنة ١٩٣٢ ، قال فيه : « فليترك الشعب السياسة جانباً فى الوقت الحاضر ، وليضع همه فى الزراعة والتجارة ! .. إننى ينبغى أن أحكم هذه البلاد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً أخرى ! وبعدها أستطيع أن أُطلق للناس حرية الرأى » ! ( ص ٢٢٥ ) .

---

(١) جريدة الوفد - ٢٩ أغسطس ١٩٨٥

وواصل الدمية إصلاحاته الثورية !! مفرزاً صديد كرهه للُغة العربية ، فأمر بأن تُتلى الصلوات فى الجوامع بالتركية وحدها ، وألغى كل شعار إسلامى لتحل محله صورة الذئب الأغبر زاعماً أن ذلك كان رمز الأتراك القدماء أيام الوثنية .

ويرى « جورج حدّاد » أن كثيراً من الإصلاحات !! الكمالية ، والأيديولوچية القومية لها ، قد تخطت حدود ما كان يخطط له « الأتراك الشبان » الذين سبقوه . بل إن أفكار « جوك آلب » عن القومية والتغريب قد حُوِّرَت ، لأن « جوك آلب » نفسه لم يكن يتوقع العلمانية الكاملة وإلغاء الخلافة وتبنى الثقافة والحضارة الغربية [١] .

أما « جوك آلب » هذا الذى ذكره حدّاد فهو أكبر دعاة الفكرة « الطورانية » ، أى القومية التركية . وعن هذا المُنَظِّر للفكر الطورانى الذى اتخذه مصطفى كمال منهاجاً لتركيا ، وإن فاقه كفراً وضلالاً ، يتحدث الأستاذ « عباس محمود العقاد » فيقول :

« وفى سالونيك هذه كان يقيم « جوك آلب » فيلسوف الحركة ومبشرها الأكبر فى القرن العشرين . و « جوك آلب » هذا رجل غير موثوق من نسبه التركى ، ولم يكن من المولودين فى البلاد التركية ، وإنما كان ينتمى إلى جهة فى جانب ديار بكر بالعراق ، وكان يقول إن اللُّغة والثقافة والشعور هى عناصر « القومية » وليست علاقة النسب والميلاد ، وكان أكثر من هذا وذاك تلميذاً للعالِم الاجتماعى الإسرائيلى « دركيم » . و « دركيم » هذا كما يعرفه المتعقبون لمساعى الصهيونيين فى ميدان الثقافة هو رسول « الماركسية » فى ميدان العلم الاجتماعى .

« ... ولكننا نعلم أن « سالونيك » مدينة يغلب عليها الصهيونيون وأتباع « شبتاى زيفى » الذين دخلوا فى دين الإسلام وبقوا على عزلتهم الدينية باسم

---

(١) Revolutions and the Military Rule in the Middle East , p . 109 .

« الدونمة » ليعملوا فى البيئة التركية غير متهمين ولا محذورين . فمن المستحيل أن يكون هذا شأن المدينة وبيئتها الثقافية ، ثم يظهر فيها فيلسوف يتتلمذ على العالِم الاجتماعى « الإسرائيلى » دون غيره ، ثم يقال إن « الصهيونية » لم تعمل شيئاً فى هذا الاتجاه ، يقبله الماضون فيه كما أسلفنا عن قصد وتدبير »(١) .

إن هؤلاء « الدونمة » الذين كانت أسماؤهم فى الأوكار : عزرا وحاييم وهارون ودبورا وأستير وساراى ، أما فى السوق والوظيفة فمحمود ومحمد وحسين ومصطفى وعائشة وخديجة وزينب ، يقرأون التلمود والعهد القديم ويُرتلون بالعبرية ويأكلون الفطير ويُعَيِّدون فى أوكارهم وخلواتهم عيدى الفور والحانوكا كاليهود .... هؤلاء الدونمة تقدموا عام ١٩١٨ بعد احتلال الآستانة إلى قادة الحلفاء معلنين أنهم ليسوا أتراكاً ولا مسلمين (٢) .

تَولى هؤلاء الدونمة والماسون توجيه الفكر والتربية والتعليم والثقافة فى تركيا الكمالية . وما أن حل عام ١٩٢٧ حتى رأينا أحد مفتشى المعارف - على رضا بك - يسأل تلميذاً :

- ما اسمك ؟ .

- محمد .

- من هو محمد ؟ .

- محمد أنا .

- هل تعرف شخصية كبيرة بهذا الاسم ؟

- كلا .

---

(١) عباس محمد العقاد ، بين الكتب والناس : « الحركة الطورانية » ، مطبعة مصر ١٩٥٢ ص ٤٣ - ٤٤

(٢) خالد محمد على الحاج ، الكشاف ، مطابع الدوحة الحديثة بقطر ، ص ٣٧٤ - ٣٧٥

- ما هى قوميتك ؟

- التركية .

- ما هو دينك ؟

- الدين التركى .

- من هو اللّه ؟

- أتاتورك ... !!!!

قدَّم المفتش ما سمع للوزارة فكان الجواب عزله [١] .

ثم خطا أتاتورك خطوة أخرى وفرض على الشعب أن يُخلِّص نفسه من الأسماء العربية وبالذات الأسماء ذات الدلالة الإسلامية .

ومنذ عام ١٩٢٢ والى أن هلك عام ١٩٣٨ « ظل حاكماً بدائياً متوحشاً يكمن كالوحش المفترس لاصطياد خصومه ... وقد كَفَّ عن الاختلاط بالشعب ... وصار متحفظاً منعزلاً تتعذر مقابلته ... لا يخرج بغير حراسة قوية .. ولا يقترب من داره إنسان إلا بتصريح خاص ... ووضع حول مسكنه أنواراً كاشفة باهرة الضوء ... ولم يعد يقابله غير وزراء حكومته ونفر من أنصاره الكبار وأصفياء السوء ... ولو أنه وُجِدَ فى عصر جنكيزخان لبزه فى جبروته الذى لا تضعفه عاطفة أو خُلُق أو وفاء ، ولقاد مثله القبائل المتوحشة فغزا بهم الأقطار واجتاح الأمصار ودمَّر المدن ... ثم أنفق فترات الراحة بين الحملات المتعاقبة فى المجون الصارخ والخمر والنساء » .

هذا ما يقوله عنه « أرمسترونج » المتيَّم به حد العشق (ص ٣.٢ ، ٢٢٥) .

ولقد كان الإسلام وسيظل - وآسف للقياس - أكبر وأقوى من الشبح والدمية والصنم والعميل .

---

(١) المصدر السابق : ص ٣٧٧ - ٣٧٨

ذلك أن صحوة إسلامية كبرى تجتاح تركيا منذ أواخر الأربعينات ، هذا غير الثورات التى حدثت ضده ومحاولات اغتياله المتكررة ..

ولقد أطلتُ فى موضوعه ، ولوّثت قلمى - على كُرْه منى - بسيرته الوبيئة . لكن - وليعذرنى القارىء - فلقد كان النموذج الذى صُبَّ على قده ، وفى قالبه الخسيس ، كل عُتُل جاء بعده زنيم وعميل .

وكانت تجربته كما يقول « جورج حدّاد » - أحد المروّجين « لثورته !! » وأسطورته : « ذات تأثيرات بعيدة المدى على المنطقة كلها ، وأوحت إلى القادة ( قادة المنطقة ) فى كل مكان أن يسيروا على نفس خُطى الرمز كمال أتاتورك » [1] !!

إن خبايا الدور الذى لعبه أتاتورك وفاءً لأسلافه الدونمة بالتنسيق مع الماسونية الدولية والصليبية العالمية لا يمكن أن تستره باقات الورد التى تلقى على « إينيت قبر » [2] !!

* * *

(١) Revolutions and the Military Rule in the Middle East, p. 101 .

(٢) أى القبر الكبير .

## المعادلة الصعبة ... لمن تُسلِّم مفاتيح القلعة ؟ !

### ● زعماء وأحزاب ووزراء وأفكار فى حضانة الماسون :

انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة الدولة العثمانية ، وركِّب الصنم « النموذج » أو « أتاتورك » على قاعدته فى أنقره ، وتسلَّم « مسيلمة الجديد » السلطة فى حضانة « الماسونية العالمية » ، وانتصر « هرقل » المعاصر - ممثَّلاً فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا واليونان - فى دار الخلافة الإسلامية بمسيلمة المسخ الزنيم .

وتنفست القوى الصليبية المدعومة بالدائرة اليهودية الصعداء عشية توقيع معاهدة « لوزان » والتزم الدمية فى أنقرة بشروط « كيرزون » الأربعة ، وخُنقت القوى الإسلامية داخل تركيا .

وأصبح ما تبقى من العالم الإسلامى غداة نهاية الحرب العالمية الأولى تحت السيطرة الأوروبية عارية من كل ستار !!

الشام - سوريا ولبنان - لفرنسا ، والعراق وشرق الأردن لإنجلترا ، وفلسطين تحت الانتداب البريطانى ! وموعود بها وطناً قومياً لليهود !!

وكانت الدول الغربية قد انتزعت الأقاليم العربية : مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وعدن والخليج من الدولة العثمانية فى نهاية القرن التاسع عشر .

وحكم المستعمرون بلادنا من خلال الحاميات العسكرية ودور الحماية بأدوات محلية تنفذ أوامر جيش الاحتلال !!

لكن الغرب يوم جاء واحتل ديارنا ، واجهته « معادلة صعبة » شديدة التعقيد .

فهو قد جاء ليخضع ويحكم أساساً ويفرض بهذا المجىء ذاته ، ومن ثَمَّ فهو مرفوض ، مقاوَم فى كل مكان .

ويعمل جاهداً على إطالة أمد بقائه بأساليب شتّى .

ويعلم - بناء على مناهج بحثه - أنه مضطر لمنح الاستقلال الشكلى على المدى البعيد أو القصير !!

ويعلم أن الإسلام هو عقيدة الجموع الغفيرة ومنهاجها الفكرى وميراثها الحضارى وقانونها الشرعى والأخلاقى والاجتماعى ، وأن الدين : « هو أشد ملامح الشرق الإسلامى أهمية ، لأن المنطقة إسلامية بأسرها ، وأن الإسلام لم يتقدم بنظرية دينية وحسب ، بل بقانون شرعى وأخلاقى وبمنهج اجتماعى وثقافى كذلك ... دين لم يُعيِّن حدوداً للمسجد والحكومة بل وحَّدَ التعاليم الدينية والأخلاقية والشرعية فى نظام شامل فى المجتمع الإسلامى . وهذا المجتمع - الأمة - كان أخوة دينية ومؤسسة سياسية ونظاماً اجتماعياً فى الوقت نفسه .

وقد نظَّم القانون الدينى - الشريعة - كل مظاهر الحياة الاجتماعية . أما القرآن وهو الكتاب المقدس فقد حوى الحياة بقضها وقضيضها وليس حسب شريحة واحدة هى التدين أو الروحانية .

وعلاوة على دعاواه - أى الاسلام - المتسعة وسيطرته على الجموع فإن تراثه يبقى وحده بحيث يتوجب علينا أن نُوليه الاعتبار من نواحى كثيرة » [1] .

ويعلم الغرب كذلك أن فكرة « الأمة الإسلامية » عقيدة دينية وحس جموع غالبة وشهادة تاريخ فى حضور يقظ مقيم .

« ودار الإسلام » أو « الوطن الإسلامى » هى كل أرض يقطنها المسلمون وترفرف عليها راية الإسلام .

« وأن مبدأ الأمة الإسلامية الشاملة لكل المسلمين لا يزال باقياً مستقراً بين الشعب ، أى الشعب العربى فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية . وأنه ما دام الانتماء الحقيقى إلى الوطن لا يزال حتى اليوم - فى الوضع الحالى هو

(١) مورو بيرجر ، العالم العربى اليوم ، ترجمة محيى الدين محمد ، بيروت ، ص ٢٦

ذلك الانتماء الذى يُضفيه الإسلام ، فليس هناك ما يدعو إلى الدهشة إذا استمر الشعب - أى الشعب العربى الإسلامى - محتفظاً بالخصائص الأساسية لفكرة « الأمة الإسلامية » الشاملة ومُبدياً - على الأخص - تلاحماً عميقاً مع بقية المسلمين فى البلاد الأخرى - أى غير العربية .

وهذا « الشعب » الذى لا يزال فى حقيقته جزءاً من الأمة الاسلامية الشاملة والذى ينتمى إليها المسلمون الآخرون - أى غير العرب - ليس لديه ما يدعوه إلى أن ينفصل عن هذه الأسرة أو يفترق عن بقية المنتمين الى هذه الأمة ، والخلافات فى الرأى بين الشعوب الإسلامية - وبينها العربية - ليست إلا خلافات عارضة مؤقتة وثانوية » [١] .

أما رهان ما قبل الحرب وما بعدها - أى « الفكرة العربية » - فالمستعمر يعلم قبل غيره أنها ليست أكثر من جاسوسة حمقاء قبيحة أفرزتها خطيئة القرن الماضى ، من تلقيح ورى الأكباد وغل الصدور وبغضاء القلوب لشتَّى الغزاة والجواسيس والزواقيل ، ودارت بها مذعورة تداريها فى خبء اللَّيل فى أوكار كل عالَم العدو ... فى « سراديب الأديرة » و « بؤر التنصير » و « ملفات السفارات » و « محافل الماسون » و « وجيتو التلمود » .... أى أنها أوروبية الصياغة ، علِمانية الهدف ، ملحدة النهج ، نصرانية المنبت - فقد كان ميلادها الوبىء فى فتنة الموارنة فى جبل لبنان عام ١٨٦٠ - صليبية الروَّاد والأساتذة ، ماسونية الغرس ، يهودية التوجيه !! .

وكانت حضانتها فى « الكلية اليسوعية » و « جماعة سان لازار » و « إخوان الصداقة » و « الجزويت » و « كلية القديس يوسف » و « كلية يسوع » و « سان چوزيف » فى بيروت ودمشق وصيدا وزحلة . وروَّج الماسون وطبعوا منشورات العروبية المضادة للفكرة الإسلامية .

---

(١) فلورى ومانتران ، نقلا عن د . محمود كامل ، الإسلام والعروبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ص ١٧٨

وأما منشئو جمعيات هذه النبتة الخبيثة مثل « جمعية العهد » ، « العربية الفتاة » ، « الجمعية الإصلاحية » ، « الجمعية القحطانية » .... إلخ ، فما كانوا – وعلى حد تعبير أحد الماسون أنفسهم – « ليستطيعوا أن يواجهوا الرأى العام العربى بإعلان خروجهم على دولة الخلافة الإسلامية ... فقد كانوا يعلمون حق العلم أن العالَم العربى لم يكن ليرضى أن يخرج مسلم على دولة الخلافة ، وأن الذين يحاولون ذلك لا بد أن يبوءوا بالخسران ، وقد يدمغهم الناس بميسم الزيغ والكفران » [1] .

وكان إفراز هذه العروبية العميلة فى غايته النهائية « التمرد المؤامرة » فيما سُمّى « بالثورة العربية الكبرى » !! – طابوراً خامساً استخدمه الإنجليز من وراء خطوط المجاهدين الأتراك ، وهم يدافعون عن الحجاز والشام وفلسطين – وقبضوا – حسب ما نشرته وثائق الخارجية البريطانية – أجرهم دراهم معدودات .

ويعلم المستعمر ، كذلك ، أن الجماهير العربية رافضة لهذا الطابور الخامس وتعاف أن يكون البديل عن الدولة العثمانية أعلام بريطانيا وفرنسا وإيطاليا ، وأن يحل « ملك النصارى » فى مكان « خليفة المسلمين » !!

ذلك أن العرب لم يعتبروا الدولة العثمانية دولة أجنبية بحال من الأحوال ، وقد تجلى ذلك فى قبولهم دولة الخلافة قبول طواعية واندماجهم فيها اندماج مواطنة فاعلة من منطلق الأُخوة الإسلامية ومن صلب الإيمان وضروراته ، فهى دولة موحّدة لا محتلة ، أصيلة لا دخيلة ، تُدافع عن بيضة الإسلام تحت زعامة « خليفة المسلمين » .

---

(١) محمد رفعت ، التوجه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، دار المعارف – ص ٩٨

أما هذه الشرذمة العميلة التى علّق الإنجليز فى أذنيها زنمة ليشهدوا لها بأنها « شريفة » ، وحفروا فى جبهتها وشماً ليخدعوا الناس بأنها « ثائرة » ، فإن الإنجليز - قبل غيرهم - يعلمون تماماً أن هذا الزيف - الشرف والثورة - المصنوع بالوشم أو الرسم ، لم يستطع أن يدارى دناءة خلقة الأصل والوصم !!

يذكر أمين شاكر وسعيد العريان ومحمد عطا فى كتابهم « تركيا والسياسة العربية » { اخترنا لك } أن « ما أطلق عليه الثورة العربية لم تكن تُعبِّر عن الشعور العام للعرب . كانت مصر بعواطفها وصلواتها وبكل ما تملك من إمكانيات مادية محدودة فى ذلك الوقت - تحت الاحتلال والحماية الإنجليزية - مع تركيا المسلمة شعوراً بالرابطة الدينية ، بل إن عرب الشام والعراق والجزيرة كانوا يميلون بقلوبهم إلى تركيا ويتطوعون للحرب معها تغليباً لأخوّة الإسلام ، فبقوة العشائر العراقية المتطوعة انتصر العثمانيون على الإنجليز فى معركة « كوت العمارة » التى أسر فيها القائد البريطانى العام « الجنرال لوتشند » وأركان حربه وأسر نحو ثلاثين ألف جندى بريطانى ، وبالكتائب العربية استطاع الأتراك إفساد الهجوم البريطانى على الدردنيل والانتصار فى معركة « أنافورطة » ، وبالجنود الفلسطينيين والسوريين قاتَل الجيش العثمانى الإنجليز على ضفاف قناة السويس . ولما ارتد الجيش العثمانى منهزماً أمام جيوش الحلفاء فى الشام كان العرب يضعون الطعام فى أوعيته على أبواب بيوتهم ليتيحوا لإخوانهم المنهزمين وجبة ترد عليهم العافية وهم ينظرون إليهم من خصاص النوافذ آسفين محزونين » ( ص . ٩ - ٩١ ) .

ويعلم الإنجليز أن كثيرين من العرب مصريين وشوام ومغاربة وعراقيين ومن شبه الجزيرة العربية قد تطوّعوا للدفاع عن الأناضول التركى عشيّة انتهاء الحرب ووقوع تركيا فريسة للاحتلال ... أليست بلاد الإسلام واحدة ، والدفاع عن دار الاسلام فرض عين على الرغم من أنوف العملاء !!

حتى رجال الجيش الرسميون فى البلاد الخاضعة للسيطرة البريطانية قاتَلوا إلى جانب إخوانهم فى الدين ، ولم يضعوا فى حسابهم أن ينفذ فيهم حكم الإعدام رمياً بالرصاص ساعة القبض عليهم واتهامهم بالخيانة . لقد انضم رجال خفر السواحل المصريين إلى قوات الجيش الرابع التركى مع غيرهم من المتطوعين من باقى الأسلحة ، وإلى قوات السنوسيين فى هجومهم على الجيش البريطانى من الغرب ، حدث ذلك وهناك « سردار » إنجليزى للجيش المصرى - أى قائد عام - والضباط الإنجليز يسيطرون على جميع القوات المسلحة و « قصر الدوبارة » يحكم مصر ، والأحكام العرفية معلنة وكل شىء على أرض مصر ... مواصلات وأموال وغلال وغيرها مُسخَّر للحرب ... سخَّره البريطانيون المحتلون ضد تركيا .

إن ارتباط الجماهير العربية بدولة الخلافة العثمانية والتفافها حول رايتها الإسلامية لا ينكره حتى تلاميذ الغزو الفكرى القائلين بأسطورة « الاستعمار التركى » !! وأنصار « الثورة العربية الكبرى » !! و « العروبية » العِلمانية الملحدة المضادة لحقيقة الأمة الإسلامية الواحدة ... ألقى الله على ألسنتهم - على التوائها - معجزة كلمة الحق ، صريحة ، دون وعى - بالطبع - وهم ينقلون ما ردده سادتهم الذين يدرسونهم على « المنهج العلمى » !! أحياناً ، فلنطل على هذه « الثورة العربية الكبرى » !! من خلال شهادة أهلها وعشاقها ... السدنة والكهنة والصبية ... نطل عليها وهم يطرحونها فى عرى صريح ، دون وازع من ضمير عائلى يعيب كشف العورات !! وبلا حمية قبلية « قومية !! » تغار على عِرضها المفضوح !!

فى كتابه « محاضرات فى نشوء الفكرة القومية » يقول كاهن العروبية « ساطع الحصرى » : « كان العرب المسلمون ينظرون إلى « التاريخ

الإسلامى » نظرة إسلامية خالصة ... فتاريخهم ليس تاريخ القوم العرب ، وإنما تنحصر المفاخر والأمجاد فيما دوّنه تاريخ الإسلام ، وعلى ذلك اعتبروا العثمانيين امتداداً طبيعياً « للخلافة الإسلامية » التى تسلسلت من « الراشدين » إلى « الأمويين » و « العباسيين » « فالعثمانيين » ، ولهذا السبب ما كان يرسم فى أذهان هؤلاء صورة تاريخ يستحق التسمية باسم تاريخ الأمة العربية كما أن التاريخ العثمانى ما كان يظهر لهم إلا بمظهر تتمة للتاريخ الإسلامى العام » .

( ص ١٧٩ )

ويتحدث « البعثى القومى » العلمانى « عبد الله الريماوى » فى كتابه المسمى « المنطق الثورى للحركة العربية الحديثة » { دار المعرفة ١٩٦١ ص ٢١٥ } – فيقول بالنص : « ... كان للخليفة العثمانى ولاء فى بعض أجزاء الوطن العربى ، وعلى الأخص فى مصر وأقطار المغرب العربى التى كانت تتطلع نحو الخلافة العثمانية لمساعدتها فى نضالها ضد الإنكليز والفرنسيين » .

ويعترف « الدكتور جلال يحيى » فى كتابه « الثورة العربية » { دار المعرفة } بالموقف الطبيعى للعالمَ الإسلامى تجاه دولة الخلافة وإزاء ما سُمِّى بـ « الثورة العربية » ، فيقول :

« كانت آراء الجامعة الإسلامية تلقى قبولاً وتأييداً قلبياً من كل المسلمين .. كانت أكبر دليل على تقارب التفكير والشعور والوجدان بين شعوبها رغم اختلاف لغاتهم » ( ص ١٢٥ – ١٢٦ ) .

« وكان « السنوسى » على صلات وثيقة مع تركيا ، وكان السنوسى على صلات أخرى مع سلطان « دارفور » فى غرب السودان . ولم يكن فى استطاعة السنوسى إلا أن ينضم للأتراك الذين ساعدوا بلاده فى حربها ضد المحتل الأجنبى » ( ص ١٢٨ ) .

« صدر بيان من « هيئة العلماء » يقضى بضرورة الجهاد والالتفاف حول الخلافة والدفاع عن البلاد الإسلامية ، وصلت هذه المطبوعات إلى مصر والسودان والهند وإيران وأفغانستان ، وشارك فى كتابتها كثير من المسلمين بل ومن العرب والمصريين أنفسهم مثل محمد فريد ( عجيب !! كأن العرب والمصريين ليسوا مسلمين !! ) وتلا ذلك حركة من الرجال الوطنيين الذين آمنوا بضرورة اتحاد العالم الإسلامى لمواجهة الخطر الأجنبى فانتشروا فى كل الأقاليم الإسلامية » ( ص ١٣٣ - ١٣٤ ) .

« كان معظم الهنود المسلمين يدينون بالطاعة والولاء للخلافة الإسلامية ، وأصبح المسلمون الهنود من المعادين لفكرة الثورة العربية واعتبروها ثورة على سلطة الإسلام وخطراً يهدد وحدته ... كان كل من السلطان « دينار » سلطان « دارفور » فى غرب السودان و « السنوسى » من أنصار الفكرة الإسلامية » .

( ص ١٧٥ )

وأدانت محكمة عالية - باعتراف أساتذة العروبية - قادتهم بحق ، بالخيانة العظمى . حيث فضحتهم صور المخابرات بين السفارة الفرنسية فى الآستانة ، وبلاغات وزراة الخارجية الفرنسية ، والتقارير المقدمة إليها - والتى جرت فى السفارة أو القنصلية - عن صور المحادثات والتعليمات والخطط التى يجب أن يُنفذها « قادة الثورة العربية » عند مقابلة المواطنين العرب !! . وكانت تلك الوثائق الفاضحة هى التى استند اليها « ديوان الحرب العرفى » يوم أدان العملاء .

وقد سبق ذلك - ومن قبل دخول تركيا الحرب بحوالى تسعة شهور - اتصالات بين « الحسين بن على » وولديه « عبد الله » و « فيصل » ، وبين الحكومة البريطانية والمندوب السامى البريطانى فى مصر - فيما يعلمه حتى

تلاميذ المدارس - لتنظيم « التمرد المؤامرة » ... وبخصوص إبعاد المناطق التى كانت فرنسا تضع عينها عليها من الدولة العربية التى وُعِدَ بها المتآمرون !!

لقد كان موقف كل المسلمين عرباً وغير عرب ، سُنَّة وشيعة ، مع دولة الخلافة الإسلامية .

ولقد أبلى « الشيعة » البلاء الحسن ، وكانت ثورتهم الإسلامية فى مواجهة جيش الاحتلال الإنجليزى الذى جاء ليحل محل الأشقاء الأتراك المسلمين « السُنَّة » أكبر دليل على وحدة « الهوية الإسلامية » . ونُحى الجدال حول مَن أحق بالخلافة ، « أبو بكر » أم « علىّ » .... ؟ عن « الفاضل » و « المفضول » ... عن الإمامة إن كانت من صلب العقيدة تورث فى « إثنى عشر إماماً » من « بيت النبوة » ، أم عن طريق « الاختيار » فى اجتماع « أهل العقد والحل » .... نُحيِّت جانباً ليحل محلها القاسم المشترك الأعظم فى مواجهة من يكرهون « علياً » و « أبا بكر » معاً .... من أتوا لحرب المسلمين كمسلمين فى ديار الإسلام الواحدة .

ويصف « أمين الريحانى » . فى كتابه « ملوك العرب » ثورة إخوتنا الشيعة فى العراق ضد الإنجليز الذين جاءوا ليحلوا محل الدولة العثمانية ، فيقول :

« جاءت الكلمة من العلماء ، وفى مقدمتهم كبير المجتهدين فى « النجف» ، فقامت العشائر ترددها وتعمل بها ، فأرسلت روح التمرد فى البلاد سمومها ، فالتهمت الأخضر واليابس فى المضارب وفى المدن ، وعمد الوكلاء السياسيون لبريطانيا إلى البرق والمسرَّة يطلبون النجدات من البصرة ومن العاصمة ، إنه لأعجب ما حدث فى العراق بعد الاحتلال الإنكليزى ، ها هو ذا بلد لا صحافة فيه تُذكر ، ولا طرق مواصلات حديثة صالحة ، ولا زعامة ظاهرة ولا قيادة ، تعمه الثورة فتربط أطرافه بعضها ببعض فى أقل من شهر ، ثم تستمر أشهراً

وهى تزداد قوةً وهولاً ، حتى إن العاصمة بغداد كادت تسقط فى حوزة الثائرين.... قد أنفقت الحكومة البريطانية ملايين من « اللّيرات » وجاءت بألوف من الجنود لإخمادها ، وكانت خسارة العراق كذلك كثيرة فادحة . هى ثورة شبيهة بزلزال هائل ، لا بحادث اجتماعى شاذ ، يدبره مع ذلك العقل والحكمة ... وعلى الرغم من الطائرات قد حاصر الثائرون كثيرين من الضباط والوكلاء السياسيين وهم فى مراكزهم يدافعون عنها إلى أن تجيئهم النجدة أو يُقتلوا ... استمرت الثورة سبعة أشهر ، والعرب فيها فائزون على الرغم من المعاقل المشيدة ، و « المفاتيل » المهدومة » (١) .

والأصيل هنا ، أن موقف كل الجماهير العربية على امتداد رقعة الأرض التى تقطنها قد حدث رغم أن « حكومة الآستانة » التى دخلت الحرب كانت من « اليهود والدونمة والماسون » ، ورغم سياسة « التتريك » التى اتبعتها ... لكن الجماهير العربية المسلمة كانت تُفرِّق بين مقاومة الاعوجاج داخل دولتها الواحدة وبين العمالة للغازى الأصيل .... كانت تدرك أن هناك مواقف فى حياة الأمم ينبغى أن يتجمع فيها الكل حول الراية الواحدة التي تربط العقد الجامع ... وكان إسلامهم يفرض عليهم أن يقاتلوا تحت راية الخلافة الإسلامية .

. . . . . . . . . . .

ويعى المستعمر تماماً صرخة « آبائه الروحيين » فى « مؤتمر التبشير الدولى » المنعقد فى القاهرة فى يونية ١٩١٠ :

« إن مشكلة الإسلام مسألة لا يمكن أن نتغافلها ببساطة ...

أولا : لأن الإسلام على أبوابنا ، فمن أقصى الساحل الشمالى الإفريقى

---

(١) أمين الريحانى ، ملوك العرب - الثورة فى العراق ، نقلا عن : فصول مختارة من كتب التاريخ ، ص ٢٧١ - ٢٧٦

يواجه أوروبا ، إنه فعلاً يلمسها . ويمكن القول إنه يمسكها عملياً من طرفى البحر المتوسط عند أعمدة هرقل وعند القسطنطينية .

وثانياً : لأنه مشكلة أساسية مركزية ، فكروا فى تلك الكتلة المركزية الهائلة لعالم الإسلام الصلب من شمال إفريقيا إلى غرب ووسط آسيا .. إنه « كإسفين » ثابت يحجب « الغرب المسيحى » عن « الشرق الوثنى » .. وأريدكم أن تدركوا أيها الآباء والإخوة أنه حتى لو حُلت مشاكلنا مع « يابانيينا وكوريينا وصينيينا ومنشوريينا وهنودنا » !! ولو واجهنا الأزمات الحالية فى سعادة وتغلبنا عليها وأضفنا « شرقاً أقصى » مسيحياً إلى « الكنيسة » فإن ذلك الوتد ( الخازوق ) - أى الاسلام - الغريب عنا والمعادى لنا غير المنسجم أو المتعاطف - سيقطع العالم النصرانى ، الشرقى والغربى ، كليّة ، إلى نصفين ، فاصلاً الاثنين ، عازلهما عن بعضهما ، مُظهراً للرب وللإنسان ليس « فتقاً » فحسب ، بل « صدعاً » من القمة إلى القاع فى « ثوب » الكنيسة العظيم .. بل فى ثوب الإنسانية ككل ، التى لولا الإسلام لانتصر المسيح عليها ... فحقاً - لذلك - يجب ألا نؤجل مشكلة الإسلام .... إنها مشكلة اليوم كما رأينا ... فليكن اليوم - على هذا - هو يوم « الحل والخلاص » [١] !!

. . . . . . . . . .

(١) W.H.T. Gairdner , The world Missionary Conference Missions and Government, Edinburgh, 1910 . P. 253.

reaping most of the harvest sown by the Ethiopianism of to-day.

This rapid preliminary survey assures us, then, that even from the view-point of a modern movement, the Mohammedan problem is practically co-extensive with the whole world of Islam. And may I not, in this great Conference, make yet one more preliminary remark This problem of Islam is one which we simply cannot overlook—not even in the face of the indescribably urgent situations facing us in the Far East. And this, first, because Islam is at our doors, from the far-flung North African coast it fronts Europe, actually touching it, so to speak, at either end of the Mediterranean,—at the Pillars of Hercules and at Constantinople. And secondly, because it is a central problem also. Think of that enormous central block of solid Mohammedanism from Northern Africa into Western and Central Asia! Like an immovable wedge, it keeps the Christian West from the pagan or heathen East; and I would have you recollect, Fathers and Brethren, that even were our Japanese, our Korean and Manchurian, our Chinese, our Indian problems solved, their present crises happily met and surmounted, and a Christian Far East added to the Catholic Church; that great central unsympathetic, alien, and hostile wedge would cut Eastern and Western Christendom absolutely in half, keeping the twain apart, insulating them from each other, and exhibiting to God and man not merely a seam, but a rent, from top to bottom, in the seamless robe of the great Catholic Church,—of a humanity wholly, but for Islam, won for Christ. Truly, then, we cannot postpone the problem of Islam. It is a problem of to-day, as we have seen. Let the same "to-day," then, be the day of solution and salvation.

My task and privilege then this evening is to seek to unfold to you, representatives of the Church militant in all the earth, the situation as it is to-day, in view of the modern or modernist movements within Islam; our object being unitedly to take measures, to the utmost extent of the resources at our disposal, by which the situation thus realised may be met. And this last sentence reminds us that "the resources at our disposal" is a phrase capable of two interpretations, and that

جزء من خطاب المبشر « و . هـ . ت . جايردنر » فى مؤتمر التبشير الدولى المنعقد بالقاهرة – يونية ١٩١. .... خاص بمشكلة الإسلام كخطر يُهدد الغرب الاستعمارى ويحجب الشرق الوثنى عن الغرب الصليبى المهتدى بـ « يسوع المسيح » ..

كيف يحل المستعمر هذه المعادلة الصعبة ! ؟ كيف يتعامل مع المشكلة – الإسلام – بكل أبعادها ! ؟

فليس أمامه إلا التعامل مع الإسلام ، وأن يوليه كل اهتمام كما حذّره آباؤه الروحيون ، وكما نصحه مستشرقوه ، وكما ترى سلطته ممثلة فى قادة الجيوش والمندوبين الساميين !!

ليس أمامه إلا التعامل مع الإسلام :

لأن آخر مبتكراته – عروبيته بنشأتها الوبيئة ، وإفرازها « التمرد المؤامرة » فى عورته المفضوحة – قد أدت دورها ولم يعد لها الآن مكان فى المنطقة العربية الموزعة بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا .

وحتى لو صلحت هذه العروبية عقائدياً وقبلتها الجماهير العربية ( ويبقى هذا فرضاً جدلياً ) فكيف يمكن فرضها – أيديولوچياً وسياسياً – كعامل توحيد على منطقة بأسرها ، قد فرض عليها المستعمرون المتنوعون التجزئة والتقسيم ! ؟ وكل من أخذ « قطعة » منهم له مصالح ومناطق نفوذ وجيوش محتلة وإمبراطوريات !!

ثم إن هذه العروبية – من يدرى ؟ – قد تغتسل من « حَدَثها الأكبر » وتتخلص من أدرانها – بدخول عناصر جديدة فى إطارها – وقد تؤدى إلى وضع لا تُحمد عقباه !!

والوضع الذى لا تُحمد عقباه ليس الا الإسلام ذاته !!

فكيف يكون التعامل ؟

أهو بضرب الإسلام ذاته ومحوه ! ؟

لن يستطيع !!

جيوشه المهزومة فى الحروب الصليبية الرسمية وغير الرسمية أكدت له استحالة الهدف وخطأ التصور !!

إذن فليجرب : « الحد من دعاواه المتسعة وسيطرته على الجموع » !!

والحد من دعاوى الإسلام المتسعة وسيطرته على الجموع ، لن يكون إلا « بتنحيته » عن مواقع القيادة السياسية والفكرية والإعلامية والصحافية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية !!

ولن يتأتى ذلك إلا بإحلال « معطيات الماسونية » الأساسية وأهمها « فصل الدين عن الدولة » وعن الفاعلية فى المجتمع بعامة ، ثم تروح الماسونية تملأ الفراغ !! ( هذا افتراض ماسونى استعمارى كذّبه الواقع وتطورات الأحداث ) بحكايات عن الخيرية والإخاء والمساواة والتعاون الدولى والسلام ... إلى آخر هذه المعزوفة المضلّلة . لأنه ليس غير « الماسونية » إلا « النصرانية » ... دين المستعمر !! وهى لا تصلح أن تكون البديل ...

« الماسونية » هى التى تستطيع أن تقوم بدور « عِلمانية » الفكر والسلوك والتوجهات ، فى الحكم والسياسة والتربية والتعليم والثقافة والاجتماع وما يَراد له أن يُبَث ويُذاع ويُنشر للناس .

و « الماسونية » ، قبل ذلك وبعده ، هى التى تسيطر فكراً وحركة وغاية على المستعمر ذاته ، منذ وضعت أوروبا « تحت السرِج » ، وهى حتى إن أبقت له على نصرانيته من ناحية الشكل - فحسب - فقد تركتها له قشرة هشة ، لا تخفى تحتها إلا حقد صليبية القرون .

و « الماسونية » - فوق ذلك - تريد تأمين وصول « رأس الأفعى » إلى « صهيون » ، فلها فى ركوب الاستعمار نفسه وتوجيهه مصلحة رئيسية ، على التحقيق .

وابتداءً يجب ترتيب الأوضاع فى داخل « المستعمرة » أو « المحمية » أو « المستقلة المتعاهدة » !!

فلِمَنْ تُسلَّم « مفاتيح القلعة » ؟

لمن تكون سدة القيادة السياسية عندما يحين ميعاد التسليم بالاستقلال الشكلى ؟

ليس أمامه من خيار ؟! يُسلِّمها لزعامات « علمانية » أى « لا دينية » قد دربها أصلاً على القيام بدورها المرتقب فى مواجهة المقاومة العنيدة من جانب الشعوب المسلمة للاستعمار والتبعية والتغريب ... يُسلِّمها لتلاميذه الذين « ربَّاهم » على عينه منذ كانوا « ولداناً » !!

فلا بأس إذن - والاستعمار واثق باحتمال الاستقلال - أن تُسلِّم بريطانيا أو فرنسا بشىء يُسمى الاستقلال تلقيه بحساب ويلقفه منها « صنائع » أو « مجاهدون » أو « ثوار » لا يستطيعون أن يمدوا البصر أبعد من « الموصل » أو « سيناء » أو « قرطاج » !!

فما دام الغازى الغربى قد ضمن ولاء « المتغربين » الفكرى ، وأنهم ليسوا ضد أوروبا عقلاً وضميراً ومشاعر ، فما حاجته أن يكون « حاكماً عاماً » أو « مندوباً سامياً » يرفع علم « ڤيكتوريا » أو « چورج » أو « إدوارد » أو « الجمهورية الثالثة » أو « الرابعة » أو « الخامسة » على « المحمية » أو « المستعمرة » !! ؟ يكفيه أن يكون « سفيراً » صديقاً !! فى « دولة متحالفة » أو « مستقلة » على ذوقه !

إنه لمطمئن أن « الصبية » عندما يحين تسليم « المفاتيح » سيرفعون على « القلعة » - وكما فعلوا بها بالضبط فيما بعد - « راية علمانية » ... تشطر الهويَّة نصفين ، « ناسوتى » ويتبع « العميل » ، و « لاهوتى » وله « ملكوت السماء » !!

و« الماسونية » هى التى تستطيع أن تُدرِّب « وسطاء الهزيمة » ، « بدائل الغزو » ، بعد هذا التحديد المريب ، لكى يُعمِّقوا « الهوَّة » بين شطرى « الهويَّة » ويضعوا « قواعد » للسلوك لكل من القسمين فى « فصام » نكد زنيم !!

ولئن كان « كبرياء » المستعمر قد جعله فى بعض الأحيان « يتمسك » بالمشروعية ، فقد ترك « لمخلفاته » من نتانات عهود العهر - المتسربلين برداء الماسونية - أن تقوم بالدور الذى نَزَّه المستعمر نفسه أن يهبط إلى دركه الأثيم !!

فمَنْ غير الماسون أو تلاميذهم أو الراضعين من أفكارهم يستطيع أن يكيل الضربات الوحشية لطلائع البعث الإسلامى ، ويخطف الناس ويدفنهم أحياءً مضرجين بدماء التعذيب الرهيب ، حظراً لما قد يُشتَم منه حركة إسلامية ، لمجرد شبهة أو وشاية أو تقرير ! ؟

وصُنعَ الزعماء والقادة ، ونشأت الأحزاب فى « المنفى » أو سكرتارية القسم الشرقى لدور الحماية والمندوبيات السامية أو فى « المحافل الماسونية » : « كوكب الشرق » ، « الشرق الأعظم » ، « المحفل الأكبر » ، « الشرق الكبير » ، « محفل الإصلاح » ، « محفل الزهرة » ، « محفل الاعتدال والسلامة » ، « الهلال الخصيب » .. أو فى رحاب « الكلية الإنجيلية السورية » أو من تحت قلنسوة مبشر الجامعة الإنجليزى « كريستوفر سكيف » أو المبشر الفرنسى « لويس ماسنيون » على قرع أجراس « كنيسة سان سوبليس » !!

ولا بأس من أن يكون هناك قتال على كرسى الحكم « العميل » أو « المحمى » أو « الصديق » ... الحكم المحدد الغاية الملقن الطريق ... وأن يكون هناك صراع على تمثيل الأدوار المرحلية وتنفيذ النصيب « الوطنى » !! المتروك للأدوات المحلية من الخطة المرسومة من وراء الحدود .

و« الماسونية » هى التى تقود « الأنظمة » للدوران فى الحلقة المفرغة ضمن الدائرة الجهنمية فى إطار طاحونة المعارك الكلامية أو الحروب الدموية المتصارعة على تعريف الهوِّية الوطنية أو القومية أو الأممية فى محاولة لا نهائية لاكتشاف ( من نحن ؟ ) وكأننا قد وُلِدنا من جديد !!

و« الماسونية » هى التى تفرز من صديد الأفعى « الأيديولوچيات » المقترحة

« وطنية فرعونية » ، « قومية سورية » ، « قومية آشورية » ، « قومية فينيقية » ، « قومية عربية » ، « مغرب كبير » ، « وحدة ثُنائية » ، « وحدة ثُلاثية » ، « أممية بروليتارية » ، « ديمقراطية ليبرالية » ، « ديمقراطية فابية » ، « اشتراكية علمية » ... وهى - الماسونية - التى تدلهم - تحت غطاء من الكشوف الحضارية - للبحث فى الأطلال والنبش فى الخرائب والرموث الغابرة لاستلهام ماض وطنى أو قومى كموطن فخر يُخصّص لكل إقليم أو منطقة من قطع التجزئة ، ومعه عَلَمٌ ونشيد ... المهم استبعاد منهاج الإسلام !!

ومن الضرورة البالغة أن يجتهد « المفكرون » !! فى تحديد خاصية « ثقافة الشعب » سواء تاهت فى البحر المتوسط أو انسربت إلى البحر الأسود أو استندت إلى ذى قار أو حتى ماتت فى صهيون ... المهم ألا يكون هناك فكر تحت راية القرآن !!

وليأذن لى القارىء الكريم أن أصطحبه فى سياحة قصيرة ، نتجوّل فيها معاً، فى أقاليم المنطقة العربية التى أسرها الاستعمار من دولة الخلافة ، سواء قبل الحرب العالمية الأولى أو بعدها ، لنرى معاً بعض الحالات التى نشأت فى حضانة « الماسونية » ، من زعماء وأحزاب ووزراء ومفكرين !!

. . . . . . . .

يهتك المفكر الكبير « مالك بن نبى » فى كتابه « الطالب » السِتر عن مخاض « الحزب الوطنى الجزائرى » الذى أسّسه « مصالى الحاج » ، وميلاده المشبوه فى « المحفل الماسونى الفرنسى » ، فيقول :

« لقد اتفق الرأى على أن تكون أول مظاهرات الحزب الوطنى فى صورة مهرجان يُقام فى إحدى قاعات العمارة الكبرى التى تشغلها منظمة الماسونية الفرنسية « الشرق الكبير » ( Le Grand Orient ) كُتِبَ للحزب الوطنى أن يكون مهده فى هذا المقر ... والآن بعد أربعين سنة - وقد علّمتنى الحياة ما علّمتنى - يجب أن أقول إن أمراً كهذا يتركنى محتاراً » !!

● ومن الجزائر إلى تونس ، ومن كاميرا الفيلسوف المسلم « مالك بن نبى » أيضاً ، ننقل هذه الصورة التى تُوضِّح كيفية إعداد « بورقيبة » - عضو المحفل الماسونى الفرنسى « الشرق الكبير » منذ كان طالباً يدرس فى باريس - كزعيم ، ولحزبه كمؤسسة تتولى توجيه البلاد على أسس من اللادينية والتغريب :
« فحدث على إثر عودة الطلبة التونسيين ارتفاع فى درجة الإضراب السياسى بتونس كانت نتيجة أن الشيخ « الثعالبى » احتفظ بقيادة « حزب الدستور » من « محيى الدين القليبى » - رحمه الله - وانضم لهما الدكتور « بن ميلاد » وتولى « بورقيبة » مع « صالح بن يوسف » أمر جناح من الحركة الوطنية سيتم تشكيله تحت اسم « الدستور الجديد » .

ماذا كانت الجهات العليا بباريس تفكر ؟

إنها كانت دون شك لا تريد خيراً للجميع . ولكننا إذا تبصرنا نحن في الأمر بإمعان نرى أن الاستعمار لو خُيِّر في تلك اللحظة لفضَّل الجناح الجديد كما ستؤكد ذلك الأيام له ولنا بعد ثلاثين سنة . يجب علينا أن نتصور الاستعمار كما هو أي كعقلية علمية مطبقة في المجال السياسي بحيث لا يمكنه طبقاً لتفكيره الديكارتي أن يلغي من حسابه مبدئياً احتمال الاستقلال .

إن الاستعمار لواثق تجاه هذا الاحتمال ولمواجهته في الوقت اللازم مما بيده من وسائل الضغط والقمع ويدل على خبرته في استعمال تلك الوسائل أيام « كاب بون » المشئومة والمشهورة .

ولكن إذا احتُمِل بعد كل ضغط وكل قمع أن يتحقق الاستقلال تُرى لمن تُسلَّم على الأفضل مفاتيح « القلعة » ؟

أمن الأليق بالنسبة لمصالحه العُليا أن يُسلِّمها إلى « بورقيبة » ، أم إلى « الشيخ الثعالبي » ؟

هذا هو كل السؤال .

٣٤ .

فمن الواضح لمن يطرحه أن الثعالبي سيرفع على القلعة « راية الإسلام » أو ما يشابهها ، بينما الآخر سيجعل منها ما فعل بها بالضبط : « قلعة علمانية » .
إذن لم يبق أي تردد في الأمر لدى الجهات الباريسية تجاه احتمال الاستقلال :

يجب أن « تُسلَّم المفاتيح » إلى « الحزب العلماني » .. إذن آن الأوان » .
( الطالب ص ١٨٨ - ١٨٩ )

وآن الأوان فعلاً بعد ربع قرن من الدُربة والإعداد .... ما أصبر مهندسو اللُّعبة !!

ولستُ في حاجة إلى تعليق أو توضيح أو إضافة ........ فقصة تونس مع « المجاهد الأكبر !! » مرثية لعامة من لا تُخطيء عيونهم تقدير الأبعاد .

* * *

● ومن تونس إلى الجزائر مرة أُخرى ...

قد يُصنع « الصنم » أو يُبني « الزعيم » في أحداث تبدو أول الأمر طبيعية ، لظروف الحَدث ، وطبيعة الفعل ورد الفعل ، وهويّة الجماهير بانتمائها العقائدي ، وتوقع تفاعلها التلقائي مع الحَدث والظرف ...

ثم ، ودون معاناة في التحليل والربط ، يُهتك الستر ويُكشف السر عن دور « البطل » المصنوع .... بل وعن الحَدث نفسه ، الذي يتبين أنه افتُعل من أجله ليركب موجته ، ويُدشّن في خِضَم الفتنة أو الثورة « صنماً » قد استوى على قاعدته !!

و« اللقطة » من عام ١٩٣٤ ومن كاميرا « مالك بن نبي » ، وعن الماسوني « فرحات عباس » : « حتى فار التنور ، يوم حدَّثَتْ يهودي نفسه أن يبول في صحن ذلك المسجد الصغير بحى الجزّارين حيث يُصلّي صغار التجار في ذلك الحي فانطلقت الصرخة :

- إن اليهود يتعدون على حُرمة مساجدنا ، فكان الصَول والجَول والهَول .

وانفجر الوضع وشرع في تهدئته دون جدوى بعض الأحبار من طرف اليهود وبعض المشايخ من بينهم الشيخ « بن باديس » من طرف المسلمين .

تقرر أن يُعقد اجتماع آخر بملعب المدينة ليحضره الشعب ومن أجل تحديد صورة تعايش بين المسلمين واليهود ، فحضرت في الغد الحشود وإذا بخبر - سيُعزى فيما بعد للعنصر الأوروبي - يُدَس بين الصفوف : إن رئيس اتحادية النواب قد قُتِل .

فانطلقت صرخة : مَن قتله ؟

- اليهود !!

لم يشعر أحد أن هذه الصرخات كانت الكلمات الأولى لأسطورة سيكتبها الاستعمار على حساب الشعب الجزائري بدمائه الذكية أحياناً : اليهود قتلوا الزعيم !!

إنما تعني هذه الكلماتِ في منطق الصراع الفكرى ومكره : اعبدوا الزعيم ! قدّسوا الصنم !

فانقطع الاجتماع ، ولم يبق أحد يصغي لأحد ، ومال الجمهور نحو المدينة ، وتدفق سيله على حي اليهود وعلى المخازن الكبرى التى يمتلكونها فى الأحياء الأخرى وهى مغلقة ذلك الأحد .

وحدث الأمر المُذهل قبل أن يستطيع الجيش التدخل ، وقبل أن يرتد لليهودى بصره انتهى الأمر فى خمس عشرة دقيقة .

رُفعت ستائر الحديد من أبواب المخازن الكبرى ، وفُرِشت الشوارع بما فيها من غال وثمين في دقائق وجيزة .

وتخلل هذا مواقف أسطورية . مثلاً عندما يرى رئيس الشرطة الفرنسي هؤلاء الجماعة من باعة البيض والبقول قد كسروا خزانة أكبر مخزن يهودي كأنها من الكرتون ويأخذون ما فيها من أموال طائلة ويحرقونها أمامه .

وربما كانت السلطات الاستعمارية مغتاظة أكبر اغتياظها من أن أحداً من هؤلاء الفقراء المسلمين لم يدنس يديه بالسرقة ذلك اليوم .

كان يوم الخامس من أوت ( آب ) ١٩٣٤

وبقيت المدينة تموج في الغد والأيام التالية من الأسبوع بأحداث كان لأحدها أسوأ أثر في الحياة السياسية الجزائرية المقبلة . حدث أثناء الأسبوع أن الزعيم رئيس اتحادية النواب ناول رئيس الشرطة ضربة رأس ... مثل ذلك العملاق الذي كان بجنب السيدة حرم مصالي حاج يوم تدشين حركة « نجم الشمال الإفريقي » بباريس .

وكانت الضربة التي صعد بها نجم الزعيم في السماء وانتشر صيته في الآفاق ، وقلّما تلد الأحداث الكبرى « فأراً » ، لكنها ولدت فأراً في تلك الظروف وبدأ يعبث على الفور . إذ عندما وصل من السيد الأمين الحسيني مبلغاً لمناصرة منكوبي قسطنطينة من المسلمين ، لم ير الفأر بُدّاً من إرجاع ذلك المبلغ كي لا يظهر للسلطات الاستعمارية تواطؤ ما يُشتَم منه رائحة الحركة الإسلامية .

وهكذا بدأ الوطن يخرج رويداً رويداً من جادته إلى مسارب الديماجوجية »[١] .

وهكذا يستوي الصنم « فرحات عباس » على قاعدة ، وتتأكد في حادثة « التبول » زعامته !!

وكانت كل مؤهلات « سبكه » إشاعة مدبرة عن مقتله ، وضربة رأس - مرتبة - ناولها لرئيس الشرطة . وأما النار المقدسة التي سُوِيَ عليها قبل صبه في قالب الزعامة فكانت ثورة الجماهير المسلمة دفاعاً عن مقدساتها في مواجهة الفتنة اليهودية !!

وبعد ذلك ، وعلى الفور ، تعلن « وطنية الفئران » عن دورها وتتحرك في إطار « الخط » المرسوم لمسارها !! :

---

(٦) مالك بن نبي « الطالب - مذكرات شاهد القرن » ص ١٦٦ - ١٦٧

الابتعاد عما يُشتَّم منه « حركة إسلامية » أو حتى مجرد تضامن إسلامي في أبسط صوره ، وإن كانت مساعدة مالية للمنكوبين تقدم مثلها - وربما أكثر - الجمعيات الخيرية العلمانية ، بل والصليب الأحمر نفسه !!

لكن « الفأر » يرفضها ، ليس لأنها نجدة إسعافية ، تعارَف الناس - كل الناس - عليها ، لكن لأنها من يد مسلمة !!

والأهم ، أن تعلن « الزعامة الفأرية » عن هويّتها ، ليصبح الصنم صائداً ماكراً ، تقع في شراكه الفريسة التي يُراد إعدادها « صفاً ثانياً » من قصيري النظر وأقزام التبعية ، وممن ملأت خوائهم الداخلي « القابلية للاستعمار » .

يقول مالك بن نبي : « وكتب فرحات عباس مقالاً في جريدة « اتحادية النواب » : « أنا فرنسا » !!

هكذا في عرى صريح !!

أي « أنا فرنسا » الفكر والذوق والوجدان والتوجيهات .

« أنا فرنسا » الانتماء !!

وبديهي ألا يتكلم هذا الزعيم ، رئيس اتحادية النواب ، إلى الشعب الجزائري ، بلغته ولغة آبائه ، أي العربية .

« إلا يوم دقّت ساعة المزاحمة الانتخابية والمزايدة الديماجوجية ، بعد الحرب العالمية الثانية » كما يقول مالك بن نبي .

ومن « اتحادية النواب » التي أنشأها عام ١٩٣٠ تطوّر فرحات عباس فكوّن حزباً سياسياً أسماه « الاتحاد الشعبي الجزائري » عام ١٩٣٨ . وكانت كل طموحاته زيادة عدد نواب « إقليم الجزائر الفرنسي » في الجمعية الوطنية الفرنسية !!



القارىء والمقروء !! .. فرحات عباس ، وبيده كتاب عن بورقيبة .. النهج ، والطريق ، والمحافل الماسونية أيضاً !!

وإضافة إلى « الاتحاد الشعبي الجزائري » كوّن جماعة أطلق عليها « أصدقاء وثيقة مطالب الشعب الجزائري » في ١٠ فبراير ١٩٤٣

وفي ٨ مايو ١٩٤٥ حدثت المظاهرات الدامية في الجزائر ، وأمطر الطرّاد « ديجواى - تروان » مدينتي « خظاته » و « أبلا » بقنابله الثقيلة . وقامت قوات الجيش بالحملات التأديبية ، وشنق الوطنيون المسلمون ، وأعطى المستوطنون الفرنسين أنفسهم حق محاكمة الوطنيين وإعدامهم ، وبلغ عدد القتلى أربعين ألف قتيل ، وقُبِضَ على نحو ٤٦٥٠ ، وحكمت المحاكم العسكرية على ١٣٠٠ شخص منهم ٦٩ أعدموا و ٦٤ حُكِمَ عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة و٣٢٩ بالأشغال الشاقة المؤقتة .

وقُبِضَ على فرحات عباس واتُهم بالتحريض على المظاهرات الدامية !! وألغيت جماعة أصدقاء الوثيقة !! ثم يفرج عن فرحات عباس في أقل من أربعة شهور ( هكذا !! ) .

مداعبة خفيفة !!

وكأن الدماء المسلمة التي سالت ، والأرواح الطيبة التي أُزهقت ، والآلاف الذين اعتُقلوا أو سُجنوا كانت مجرد « ديكور » وخلفية ( Background ) لتأكيد زعامة ( الفأر ) !!

ويخرج فرحات عباس سليماً معافي !! وينشيء حزباً جديداً هو « الاتحاد الديمقراطي لوثيقة المطالب الجزائرية » وكل أهدافه الحصول على بضعة مقاعد في الجمعية الجزائرية الخاضعة لإشراف وزير الداخلية الفرنسي !!

وتشتعل الثورة الجزائرية في نوفمبر ١٩٥٤ ...

والعجيب بعد ذلك أن يتولى فرحات عباس رئاسة الحكومة الجزائرية عام ١٩٥٨ على جثث المليون شهيد !!

ليقود أو يشارك في قيادة ، أو يتحدث باسم المجاهدين المسلمين ، الذين ما

حركهم إلى الثورة إلا الحركة الإسلامية بقيادة « عبد الحميد بن باديس » ومن بعده « البشير الإبراهيمي » .

ولم يعرف الثوار الجزائريون أنفسهم إلا أنهم « مسلمون » ، ولم تعرفهم فرنسا أو تُعرِّفهم للعالَم الصليبي - ودماؤهم الزكية على جبال الأوراس ترسم شارة الإسلام - إلا أنهم « المسلمون » .

لقد كانت الحركة الإسلامية - وليست الأحزاب العِلمانية العميلة - هى التي استخلصت « الذات » الجزائرية من « مغارة » المِعدة الفرنسية التي أوشكت على هضم كل مقوِّمات الوجود الجزائري على مدى مائة واثنين وثلاثين عاماً .

كانت « جبهة العلماء » منذ نشأتها عام ١٩٣١ ، بكل منجزاتها الثقافية والتربيوية والنضالية ، هى التي علَّمت الجزائرين أن الجزائر الإسلامية العربية « ذاتاً » أخرى غير فرنسا المسيحية اللاتينية الأوروبية .

وكان الفضل لها - وحدها - في البعث الإسلامي العربي للجزائر .

ونقول لهواة العروبية العِلمانية : إنه لولا الحركة الإسلامية بقيادة جبهة العلماء ما بقيت للجزائر عروبة أو أرومة .

تلك الحركة التي يحاول المغفلون طمسها يصفها « كوليت » و « فرانسيس چانسون » الفرنسيان ، بأنها « أصابت نجاحاً أزعج الإدارة الفرنسية التي لم تتعود سوى معاملة دين إسلامي طيِّع » [١] !!

وفارق بين أن يقول « عبد الحميد بن باديس » للشعب الجزائرى : « إن الأمة الجزائرية ستظل حية ما بقيت على دينها ولغتها وماضيها » [٢] .

وأن يقول « فرحات عباس » : « أنا فرنسا » !!

فارق بين تحقيق الذات ، وبين التبعية والاستخذاء .

---

(١) كوليت وفرانسيس چانسون ، الجزائر الثائرة ، ترجمة محمد علوى الشريف وزميليه - دار الهلال - ص ٥٤

(٢) المرجع السابق.

فارق بين الحياة في وجود أمة محدَّدة المعالم والخصائص ، وبين الاندثار والذوبان في ذات الدخيل .

وتوقع معاهدة « إيفيان » عام ١٩٦٢ ، وتقوم الحكومة المؤقتة برئاسة « بن يوسف بن خدِّة » .

ويحدث الصراع المحتوم !! بين « بن خدِّة » وزمرته من جانب ، وبين « بن بيللا » و « هواري بومدين » من الجانب الآخر

ويتهم بن خدِّة « بومدين » بأنه يعمل على إقامة جمهورية ديكتاتورية تحت زعامة بن بيلَّلا .

وتقوم جمهورية بن بيللا وكان أول عمل له حل « جبهة العلماء » . ثم ينقلب عليه وزير دفاعه بومدين عام ١٩٦٥ ...

ويتولى « هواري بومدين » السلطة .

والغريب - أن يكون آخر ما قرأه بومدين وهو على فراش الموت رسائل اليهودي التلمودي « هنرى كورييل » مؤسس « الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني » ( حدتو ) في مصر !!

أقول إن أمراً كهذا يتركني في حيرة !!

ويتولى « شاذلي بن جديد » الحكم عام ١٩٨٢ ، وكان آخر حديث له ساعة كتابة هذه السطور - هو تصريحه لمندوب إذاعة صوت أمريكا يوم ١٢ إبريل ١٩٨٥ :

« إن الأصولية الإسلامية ليست مطروحة الآن في الجزائر » !!

وهكذا سُرقت ثورة المليون شهيد !!

ولعلي لا أتجاوز إن قلت : إنني قد لا أجد فارقاً كبيراً بين مقولة « شاذلي بن جديد » هذه - والتي يقصد بها منهج الإسلام بالطبع - وبين مقولة سكرتير الحاكم الفرنسي للجزائر « بوجو » . وقد وقف على منبر « مسجد القصبة »

الذي حوّله الغزاة الفرنسيون إلى « كاتدرائية الجزائر » يوم ١٨ ديسمبر ١٨٣٢ - وقف ليقول : « إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إلَه غير المسيح . ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد ، أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً » [١] !

وقد يكون هناك فرق ... لكنه الفرق بين « خبث الماسونية » ، و« وسذاجة الصليبية » .

وقبل أن نترك المغرب إلى مشرقه ، أود أن أنبّه القاريء الكريم إلى ما نشرته صحيفة الأخبار المصرية في صيف ١٩٨٥ تحقيقاً بالصور عن انتساب « رؤساء الدول الإفريقية » الناطقة بالفرنسية إلى « المحفل الماسوني » الفرنسي « المشرق الأعظم » مع « رؤساء فرنسيين » سابقين ومنهم الرئيس الحالي « ميتران » .... وهذا يعني أن الماسونية كانت طريق هؤلاء القادة الكبار !! إلى سُدة الحكم !!

* * *

● ومن المغرب إلى مصر ..

ففي مواجهة « الحزب الوطني » الذي أسّسه مصطفى كامل ، وكانت له بعض التوجهات الإسلامية وميول إلى « دولة الخلافة العثمانية » . تحرك « لطفى السيد » على جسر التبعية الذي يربط بين « قصر الدوبارة » وبؤرة التغريب مروراً بمحفل « كوكب الشرق » الذي كان يشغل فيه درجة متقدمة من السلك المخبوء ، فألّف مع شركة من التوابع حزباً أطلقوا عليه « حزب الأمّة » ... مبارك وصحيفته « الجريدة » من « اللورد كرومر » ، ومعمّد في معمودية دار الاحتلال !!

---

(١) المرجع السابق ص ٤١

ونادى الحزب بما أسماه « القومية المصرية !! » ، في مواجهة حقيقة الوجود الإسلامي في مصر التي لم يكن لها - ومنذ أن تشرفت بالفتح الإسلامي - إلا هوِّية واحدة ... « الانتماء إلى الأمة الإسلامية » .

وينقل « فتحي رضوان » في مقال له بمجلة « الثقافة » العدد الرابع - يناير ١٩٧٤ - تحت عنوان « مفكرون بلا أفكار » عن الدكتور « يونان لبيب رزق » من بحث له في « المجلة التاريخية المصرية » قوله :

« في مقابل هذه السياسة العنيفة مع من سمّاهم البريطانيون « المتطرفين » أخذت تشجع من كانوا في رأيها معتدلين ، وقد تمثل هؤلاء المعتدلون في نظر سلطات الاحتلال في بريطانيا في « حزب الأمة » ، وعندما تأسست شركة من أعيان المصريين في نفس العام ، وكانوا نواة « حزب الأمة » في العام التالي - بمبلغ ٢٠ ألف جنيه لإحياء « الجريدة » لتنطق باسمهم لم يستطع القائم بأعمال المعتمد البريطانى في القاهرة أن يُخفي سروره الذي عبَّر عنه في مذكرة طويلة كتبها لوزير الخارجية في لندن ( ٢١ من مايو ١٩٠٦ من كرومر إلى جراى ) فانظر إلى حزب يفرح به الاحتلال ، ويشجع على تأليفه ، ويُرسل بالتهاني بعد هذا التأليف مندوب الاحتلال بمصر إلى وزير خارجية بلاده في لندن ، وقل لي بالله ، أيمكن أن يكون هذا الحزب داعياً إلى التطوير والتحرير والتنوير ، والصلة بينه وبين الاحتلال - عدو التطوير والتحرير - وثيقة إلى هذا الحد ، أشبه شيء بصلة الأب بابنه غير الشرعي ، وقد قال « لورد لويد » في كتابه « مصر من عهد كرومر » عن هذا الحزب ، حزب التنوير ، و« مصر المصرية » :

« وبفضل مجهود اللورد كرومر ، تأسس في أكتوبر سنة ١٩٠٧ حزب جديد ، وهو حزب الأمة وصحيفة الجريدة » .

ويفضح « لطفي السيد » نفسه وحزبه وجريدته فيقول :

« إن الجريدة لم تُنشأ لأن تقاوم السلطة الشرعية ( الخديو ) أو السلطة الفعلية ( الاحتلال ) ولا أن تعادي واحدة منهما ، ولا أن تنتصر لإحداهما على الأخرى » !!

ويعلق فتحي رضوان على تلك النشأة الوبيئة لحزب الأُمة فيقول : « وقل لي بربك ، كيف يبقى في صدر إنسان أقل القليل من حسن الظن بحزب يعلن أكبر كتَّابه أنه لا يعادي الاحتلال . إذن من يُعادى ؟ وكيف يكون التحرير في أمة ضُربت بنقمة الاستعمار ، ويزعم أنصار لطفي السيد أنه داعى دعاة الديمقراطية » ..

وقبض لطفي السيد ثمن رقه ، وتسلم مفاتيح السلطة في الجامعة الوليدة وصيروه « أستاذ الجيل » ووكل إليه مع أضرابه من خلال هذا اللقب المفضوح مهمة تخريب الفكر وتغريب « الجيل » الجديد

وقامت ثورة ١٩١٩ وسُجِن « الزعماء » !! وجاء الاستقلال عام ١٩٢٢ ، وصدر دستور ١٩٢٣ ، ونشأت الأحزاب « أغلبية » و « أقلية » . وأُجهضت الثورة تماماً وفُرِّغت من محتواها الأصيل .

وتصارعت الأحزاب ورقصت على الحبل المشدود إليها من السفارة البريطانية إلى رئاسة الوزارة مروراً بالقصر الملكي ، بدرجات مختلفة أحياناً ، لكنها في جميع الأحوال متفقة على « التوجه العِلماني للقومية المصرية » !! مجتمعة على محاربة الحركة الإسلامية بنسب متفاوتة ... بين القتل والتصفية الجسدية والمنع من الترشيح للانتخاب .

ولعل الأحياء من الجيل السابق على جيلنا يذكرون أن معظم المنسبين النشطين إلى حزب « الأحرار الدستوريين » - بدءاً من « عدلي يكن » وإلى أصغر عضو في قرى ونجوع وكفور الوجه البحري والصعيد - كانوا منتسبين إلى « المحافل الماسونية » ، وكان يحلو لهم - وهم بين عامة الناس يستعرضون في ولع الأطفال مراتبهم أو درجاتهم في السلك المخبوء - أن يلوكوا بعض الطلاسم ويلووا ألسنتهم بالرموز !!

لقد اخترقت « الأفعى الماسونية » الأحزاب والتجمعات والهيئات السياسية والاجتماعية ، وأوقعت معظم رجالات الحكم في محافلها . ونشأت معظم أحزاب الأقلية في مصر في حضانتها الدنسة .

ولعل أبرز مثال على ذلك هو نشأة « الحزب السعدي » الذي كان مولده ابتداءً ، وحضانته ونموه حتى شيخوخته - على توالي عمر الضياع والرِّدة والعِمالة - في « المحفل الماسوني المصري » المسمى « الشرق الأكبر » .

ذلك أن مجموعة على رأسها « محمود فهمي النقراشي » و « أحمد ماهر » و « إبراهيم عبد الهادي » قد انشقت عن « حزب الوفد » وكوَّنت حزباً هو « الحزب السعدي » استغلالاً لاسم سعد - الذي كانت له رنَّة بين الجماهير - ويبدو أن التوجه العِلماني المستقل لحزبها القديم ( وإن كانت الأفكار العامة ولو بطريق غير مباشر هى ما زرعه الماسون ) لم يكن كافياً ، فأرادت الارتباط بالدائرة الجهنمية التي تضمن لها استمرارية الحكم في حماية « ماسونية اليهود » !!

وكان رؤساء هذا الحزب هم في ذات الوقت رؤساء لمحفل « الشرق الأكبر » تحت ألقاب « الأستاذ الأعظم كلى الاحترام ». وفي أيام رئاسة « أحمد ماهر » لذلك المحفل كان « محمد رفعت » سكرتيراً لهذا الوكر « الشرق الأكبر » ، ثم تولى الرئاسة فيما بعد منذ أوائل الخمسينات . وهو الذي عينته « حكومة الثورة » وزيراً للمعارف . لقد كان طريقهم إلى الحكم هو تعميدهم رؤساء محافل ومنحهم ألقاب « أستاذ أعظم كلى الاحترام » وتدشين حزبهم في ذلك الوكر الوبيء ... لم يكن الجهاد الوطني - الذي قيل إنهم اشتركوا فيه - ولكنها « الماسونية » التي كانت جسر الوصول إلى منصب رئيس الوزارة أو الوزير !!

وإضافة إلى الأحزاب المُعلَنة - ما يُطلق عليها لفظ اللِّيبرالية - نشأت أحزاب وتنظيمات « شيوعية » تحت الأرض زرعتها أول الأمر القُوَى « اليهودية »

وشاركها فيما بعد الروس والإنجليز والأمريكان ، كل له حزبه الذي يتلقى الدعم المالي والأدبي من وراء الحدود . وكانت الغواية التي أوقع فيها اليهود بعض العمال والشباب هى غواية الجنس والمال . كان اليهودي « هنري كوربيل » هو مؤسس « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني » ( حدتو ) - أكبر الحركات الشيوعية في مصر - وكان من أعضائها مجموعة ممن سُمُّوا « بالضباط الأحرار » ، منهم جمال عبدالناصر وخالد محيي الدين ويوسف صديق وأحمد حمروش وكمال رفعت وغيرهم . ومع « حدتو » كانت هناك أحزاب أخرى مثل « الحزب الشيوعي المصري » و « حزب الفلاح » و « حزب الشرارة » إلى آخر هذه المسميات . واستطاعت هذه التنظيمات السرية أن توقع في شراكها بعض من سُمُّوا بالمثقفين تحت دعاوي العلمية والتقدمية مع بعض النقود لتحلية البضاعة !!

وعن زواج الإمبريالية الأمريكية والشيوعية المحلية في البلاد العربية يقول الكاتب الأمريكي اليهودي ألفريد ليننتال في كتابه (What price Israel) :

« بصفة رسمية تعتبر الأحزاب الشيوعية غير شرعية في الدول العربية ، لكنها تعمل تحت الأرض ، وعلى جبهات كثيرة تعمل بصفة علنية . لقد تسللت بعمق داخل الحركات الوطنية وفعلت حكومة الولايات المتحدة كل شيء لتشجيع الزواج الملائم بين الشيوعيين والوطنيين المتطرفين » ( ص ١٥٣ ) .

ومن سلسلة مقالاته المعجبة « استراتيجية إسلامية منقذة بدلاً من الفوضى والتشرذم والعار » خصص الكاتب الكبير الأستاذ « رائد عطار » المقالة الثامنة والستين عن « الحركة الشيوعية » في مصر تحت عنوان : « موريس » = « عبد الناصر الشيوعي » ! .. لمحة من القصة الكاملة لولادة الحركة من رحم اليهود في مصر !! الشيوعية » - ( النور العدد ٢١ الصادر في ١٥ يناير ١٩٨٦ ) عن دراسة للشيوعي الدكتور « رفعت السعيد » تحت عنوان « تاريخ المنظمات اليسارية المصرية في الفترة من ١٩٤٠ إلى ١٩٥٠ » يقول رائد عطار :

« ويصف باحث اسمه « عجواني » صاحب دراسة « الشيوعية في جنوب آسيا العربية » هذه الأيام بقوله : كانت مصر تموج بحالة من عدم الاستقرار السياسي تكاد تصل بها إلى حافة الهيستريا .. واقتحم الشيوعيون هذا الميدان ووطدوا مواقعهم في النقابات . بل سعوا بمحاولات التجديد في مجال الفن والأدب والثقافة ، إلى إثارة حالة التمرد الشامل على المجتمع .

وهذا يرينا كيف أن تدهور الأوضاع في غيبة الحل الإسلامي ، يطرح السخط ، ويُفجِّر الحاجة إلى الإصلاح ، فيطرحه العلمانيون والماسونيون ، والملحدون وصبيانهم ، من منطلقاتهم التي ترفض الحل الإسلامي أيضاً . وكما يجري اليوم جرى بالأمس استخدم الشيوعيون ومَن لا يؤمنون بالحل الإسلامي الفن القصصي كدبابة متقدمة . وهكذا بدأ استعمال الصحافة لخدمة الهدف الأيديولوجي المستورَد .

وكانت « جماعة التطور » ترى أن الفن معمل بارود .. وأنه يجب جذب المتعلمين والفلاحين والعمال للاتجاه إلى الشيوعية باستغلال تراكم عدد الخريجين في سوق البطالة .

وسنجد د . « محمد مندور » رئيس تحرير جريدة « الوفد المصري » قد اتُهم بحق بأنه كان الواسطة لبدء العلاقة مع موسكو « الكومنترن » وتحرير الميثاق مع « الدولية الثالثة » والتي يُفسِّرها البعض بأنها غطاء للحركة « الصهيونية » و « الماسونية » و « الشيوعية » بلحاف الاشتراكية الفضفاض .

ورد في المذكرات الكاملة « لصلاح نصر » مدير المخابرات المصرية إبَّان الحقبة الناصرية ، والذي أبرز في العناوين أن « جمال عبد الناصر » كان عضواً في « حدتو » أخطر المظمات الشيوعية التي أنشأها المليونير اليهودي « هنري كوربيل » وكان اسم جمال عبد الناصر الحركي الشيوعي في « حدتو » هو « موريس » ..

إن نشاط الحزب الاشتراكي الإيطالي يومئذ كان واسعاً في مصر بدرجة لا

يقل عن نشاطه في إيطاليا . وسنجد اليسار « الشيوعي الأرمني » يصدر نشرته الشيوعية .. وكذلك اليونانيون ، وأيضاً المهاجرون الروس من « البلشفيك » . وكانت نشرتهم باللُّغة الروسية اسمها « ماريا » .

وفي أحضان هؤلاء - كما كشفت كتب التاريخ - وأهم مذكرات هذه الحقبة ترعرع بعض من صعدوا بعد ذلك إلى حكم مصر . ممن كانوا تلامذة الأنشطة السياسية المستوردة بيد اليهود .

وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية شعر هؤلاء الأجانب واليهود بالخطر الزاحف عليهم إذا وصلت قوات هتلر أو موسوليني . وهكذا خرج اليهود بأنفسهم جهاراً نهاراً لقيادة الإعلام والسياسة المصرية الشيوعية ، وقد كان عدد اليهود عام ١٩٣٧ نحو ٦٢٫٥٩٢ يهودياً جندوا أنفسهم لقيادة العمل السياسي والإعلامي والثقافي في مواجهة زحف الفاشست والنازيين ، وكانت الكتب والمجلات الشيوعية ممنوعة ، ولكنهم احتموا بالامتيازات الأجنبية واستوردوها ، وأمدوا بها زعامات الغد الإعلاميين والسياسيين ، الذين تربوا في أحضانهم .. والذين تعلم الدولة ويعلم كل مسئول تاريخهم !

وأسست جماعة « مكافحة العداء للسامية » ( L.I.S.C.A. ) التي امتد نشاطها إلى مدارس الليسية .

وهكذا أنشأ اليهود في مصر التنظيمات الشيوعية الأساسية والتي رعاها « الحزب الشيوعي الفرنسي » . وبدأ تأسيس مدرسة « للاسبرانتو » ( اللُّغة العالمية ) كنقطة جذب للشباب .. ولم يكن يدري أحد أيامها أن كل هذه الأنشطة تربطها خيوط تحركها أصابع اليهود الذين أنشأوا أيضاً اتحاد أنصار السلام وتبنوا تحويل مصر من الإسلامية إلى العلمانية !

وكان المليونير اليهودى الشيوعى (!) « هنرى كورييل » قد أفلح فى تغطية نشاطه بافتتاح « مكتبة الميدان » حيث وظف فيها السيدة « هنريت » زوجة الضابط الإنجليزي الشيوعي « سام باردل » . وبدأت السلطات البريطانية

تتعاون مع الشيوعيين واليهود ضد التيار الذي يتعاون مع هتلر وموسوليني بطبيعة الحال .. ومن هنا ترون أن الاستعمار البريطاني ، واليهود الصهاينة ، والشيوعيين الماركسيين كانوا حزباً واحداً .

وهنا نشأت الحاجة بسبب عزلة الشيوعيين الأجانب إلى أن تتراجع الأسماء الأجنبية إلى الوراء قليلاً .. وأن يتسمى صغارهم بأسماء إسلامية ، كي يصعد إلى القمة ، أو يتقدم إلى الأمام كواجهة لها حتى تم إعداد الكوادر المصرية التي رتبها .. لتصير هي الواجهة .

وهذا الذي أوجزناه هو الذي يفسر لنا العلاقة بين الصهيونية والشيوعية ، وهذه الكوادر المصرية .. وما يجري اليوم .

ويرصد « د . رفعت السعيد » هنا ظاهرة هامة ، نراها من وجهة نظرنا تفسر لنا الوضع الراهن في مصر ! إنه يرصد كيف نشب في الأربعينيات تياران شيوعيان متضادان : تيار يرى أن العمل السري هو في حد ذاته كارثة تقود إلى السجن ويُغري السلطة بالهجوم . وينادي هذا التيار بعمل علني وقانوني بحت بما يتطلبه ذلك من تأجيل بعض الأهداف ، أو تغيير في الألوان ، والمنطلقات ، والشعارات . وتيار تمسكت به أغلبية الكوادر الشيوعية وهو الإيمان بالعمل السري .. ويرى « د . رفعت السعيد » أن انفصال العمل السري عن العمل العلني كان بداية حتمية لتضاؤل العملين معاً وضعف محصولهما ، وانتهائهما إلى العجز وما يشبه الشَلل .. ثم يفرد سطراً كي يراه ويفهمه من لم يفهم قائلاً : « وهذا هو الدرس » .

ومن عند هذه النقطة بالذات نتساءل : هل خطة إتمام الاستيلاء باسم الناصرية، أو الشيوعية ، أو الاشتراكية ، على المؤسسات القومية ، والمعارضة ، والتي تدل على انعدام الرؤية تماماً ، ودحر القُوَى التي استسلمت استسلاماً كاملاً لهذه الكوادر ، ينبيء بأن الأيام حُبلى ؟ نحن نقول : نعم ! » أ . هـ .

وإضافة إلى مولد وحضانة وتدشين معظم الأحزاب اللّيبرالية والزعماء والقادة

السياسيين في الأوكار الماسونية ، وخروج التنظيمات الشيوعية من رحم اليهودية ، وزواج الشيوعية اليهودية مع الإمبريالية الأمريكية ، ودعم الإنجليز والفرنسيين والروس لهذه الأحزاب ... اتحدت الماسونية الدولية مع الحركة التنصيرية في زرع معطيات فكرية تهدف إلى طمس معالم الخصائص الذاتية للأمة وسلخها من دينها : الرسالة والثقافة والتاريخ .. الدور والانتماء والتوجيهات . وذلك من خلال تجنيد أفراد صنعوا منهم قادة فكر أو رسل تنوير!!

فلم يكد يجف الحبر المشئوم بإلغاء « الخلافة الإسلامية » وخلو ديار الإسلام من الرمز والعَلَم - الذي دام لثلاثة عشر قرناً من الزمان - حتى كتب القاضي الشرعي « على عبد الرازق » أو استُكتب منشوره المسمى « الإسلام وأصول الحكم » عام ١٩٢٤ من منطلقات ماسونية ، ليرد به على الجماهير المسلمة التي أدمت قلوبها عملية إلغاء الخلافة وبدعة فصل الدين عن الدولة ، زعم فيه أن ليس للإسلام نظام حكم ، وأن الإسلام دين لا دولة ، وأن الجهاد ليس له سند من الدين لأن غزوات النبي كانت لظروف خاصة وفق مقتضيات مرحلة تاريخية ولَّت . وقد ظن هذا المعتوه أن الأمة سترى في ضلالته علماً مفيداً يُريحها من عناء الجهاد لإقامة دولة وخلافة الإسلام . وثارت الأمة فكراً وحركة على المشروع التبشيري الماسوني الذي قدمه على عبد الرازق وصُودرَ الكتاب .

واستعار « طه حسين » - أستاذ الأدب العربي في الجامعة الوليدة - فرض المبشر الإنجليزي « ديفيد صمويل مارجليوث » وألَّف منشوره المسمَّى « في الشعر الجاهلي » عام ١٩٢٦ ، بعد سنة واحدة من مقالة مارجليوث التي كتبها في مجلة « الجمعية الآسيوية الملكية » في لندن تحت عنوان « أصول الشعر العربي » عام ١٩٢٥ - مجرد نسخة عربية !! . وحاضر به طلاب كلية الآداب ، وجعل حقائق الدين في موضع الشك ، ونصوص القرآن الكريم في موضع التكذيب ، وقال قالة في القرآن وفي الإسلام وتاريخ الإسلام لم يقلها أحد من قبله . وثارت الأمة إلى أعلا المستويات كُتَّاباً ونُوَّاباً ووزارة .. وسقط الكتاب .

واستمراراً للهجمة التغريبية العلمانية الوثنية الماسونية التي غرستها القُوَى الصليبية والتلمودية والتنصيرية والإلحادية وعسكر الاحتلال ، في الذهنية الفارغة والمشاعر الخاوية لتلاميذ الغزو الفكري ، الذين سُمُّوا بقادة التنوير أو قاهري الظلام ، بشرنا « طه حسين » بأن تقدمنا لن يتم إلا بذوباننا في عفاريت وأساطير اليونان ، وأن مصر ليست إلا قطعة من الأرض وضعتها « آلهة الأوليمب » على « قرن الثور » ، وطالبنا بأن نُطَلِّق الهدى شرفنا به الإسلام لنعيش في ضلال الرموز الهابطة سواء أكانت « أوديب » أو « بروميثيوس » أو « أجاكس بن تلامون » ، وإننا - بعد أن حرَّرنا الإسلام من ربقة الأوثان : وجوداً وعقيدة ولساناً وتاريخاً ومستقبلاً - لسنا إلا جزءاً من « ثقافة البحر المتوسط » .

والتقطت القوى الصليبية والإمبريالية والماسونية - الفاشل في دراسته - المدعو « سلامة موسى » من على مقاهي الإسكندرية وأرسلوه إلى أوروبا ليعد عميلاً من أخطر أعداء العروبة والإسلام ، وجاءوا به وألقوه في الصحافة ويسَّروا له الكلمة المكتوبة وروَّجوا لاسمه المشبوه . وفي وقاحة تقيأها في كتابه التبشيري « اليوم والغد » قال هذا الهالك : « ينبغي أن لا يُغرس في أذهان المصري أنه شرقي ، فإنه لا يلبث أن ينشأ على احترام الشرق وكراهة الغرب ، وينمو في كبرياء شرقي ، ويحس بكراهة لا يطيق أن يجرحها أحد الغربيين بكلمة » .

وجاء الماسوني « جورجي زيدان » صاحب كتاب « تاريخ الماسونية العام » - ورغم الكتمان الذي تواصى به الماسون - فإنه صرح علناً بحرب الماسونية للأديان - جاء من بلاد الشام ليُنشيء في مصر « دارالهلال » بكتبها ومجلاتها الأسبوعية والشهرية والدورية التي أسهمت ولا زالت بنصيب كبير في الحركة العلمانية الماسونية ، وليكتب هو نفسه سلسلة « روايات تاريخ الإسلام » التي لا يَخرج قارئها إلا بصورة مظلمة دموية عن تاريخنا الوضيء ، الذي صوَّره هذا « الحَبر الماسوني » على أنه تاريخ فتن ومؤامرات وحكايات جواسيس وقصور وغانيات .

وأصدر اليهود في أوائل الأربعينات مجلة سميت « الكاتب المصري » ، استكتبوا فيها من سُمُّوا قادة التنوير ، ويتحدث الكاتب الكبير « محمود شاكر » عن هذه المجلة فيقول :

« وفي خلال هذه الفترة ، نُكبت مصر بمجلة صدرت بأموال يهودية خُدِع فيها كثير من الناس ، كان مرادها أن تستولى على مصدر الثقافة في بلاد العرب ، وتكون أداة توجيه لأغراض بعينها قبل غزو فلسطين العربية في سنة ١٩٤٨ ، وهذه المجلة هى التي يسميها « لويس عوض » بعد موتها بسنين ١٩٥٤ ، « المجلة الزهراء ، الكاتب المصري » وذلك بعد أن انكشف أمرها للناس » [١] .

هذا - إضافة إلى من لقنوهم أمر الدعوة إلى العامية وتطليق اللُّغة الفصحى وكتابة اللُّغة العربية بحروف لاتينية - عرض موجز لنقاط رئيسية ، وليس استقصاء لكل بؤرة التخريب الماسوني الصليبي العلماني ، فهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة شاملة تُعَرِّى هذا الفكر العميل وترده إلى مصادره ، أي كهنته وأحباره الذين وظَّفوا الوكلاء وحركوا الأدوات .

ومع أن أمتنا بحسِّها اليقظ قد ألقت ذلك الفكر في حينه في مزبلة التاريخ ، إلا أن الجيل التالي أو الجيل بعد التالي لجيل « الروَّاد !! » - وهو يعارك آخر معاركه في عصر الصحوة الإسلامية - يحاول في إلحاح ولجاجة أن يُحيى تلك الجيف المنتنة التي يعتبر فكرها دون المستوى المطلوب لجيل التلاميذ ، فهو في نظرهم « حالة تمرد » فحسب لم يصل إلى « مرحلة الثورة » التي تنقَّض على الأمة « فتقتلع دينها وهويِّتها من الجذور » [٢] .

* * *

---

(١) محمود شاكر ، أباطيل وأسمار « هذه هى القضية » ص ١٤٢ .

(٢) راجع الحوار التى أجرته مجلة ، روز اليوسف ، مع المدعو د . مراد وهبة ، الذي قدَّمه مجري الحوار المدعو محمد عثمان بقوله : يفجر المفكر العربي مراد وهبة مجموعة من القنابل الفكرية الجديدة - العدد ٢٥٥١ - ٢ مايو ١٩٧٧

● وننتقل إلى سوريا ..

وعن الدور الماسوني في سوريا يتحدث أحد كبار محللي شئون الشرق الأوسط « جورج أنطونيوس George Antonius » في كتابه (The Arab Wakening) فيقول : « إن الماسونية على النمط الأوروبي قد وجدت طريقها إلى سوريا ، وأن شاغلي الدرجات الرفيعة في هذه الجمعية السرية استطاعوا أن يثيروا اهتمام المحفل الماسوني الذي تأسس هناك بالأنشطة السورية » ( ص ٧٩ ) .

وعندما بدأت الإرساليات التبشيرية ( التنصيرية ) - أمريكية وفرنسية - تغزو سوريا ، في أواخر عصر الخلافة العثمانية ، لزرع ما يسمى بـ « القومية العربية » - كنبتة خبيثة مضادة للرابطة الإسلامية التي كانت تجمع الترك والعرب في دولة واحدة في أخوة الإسلام وتحت راية الإسلام ...كان « الماسون » هم الذين يتصلون ويربطون ويُنسِّقون مؤامرات الجمعيات السرية والتي أفرزها الغزو التنصيري والتي انتحلت اسم العروبة ستاراً وخداعاً .. وكان « الماسون » أيضاً ، هم الذين يُروِّجون لمنشورات تلك الفئات العميلة .

يقول أحد تلاميذ الفكر الماسوني : « يرجع أول مجهود للحركة القومية العربية إلى سنة ١٨٧٥ عندما اجتمع خمسة شبان من خرِّيجي الكلية اليسوعية البروتستانتية وكوَّنوا جمعية سرية ، كانوا جميعاً من المسيحيين ، لكنهم قدَّروا أهمية العمل على ضم المسلمين والدروز ، وكوَّنوا جمعية بيروت العربية . وكانت أفكار الماسونيين قد بدأت في الوصول إلى سوريا واتخذوا بيروت مركزاً لنشاطهم ، ولكنهم أنشأوا فروعاً لهم في دمشق وطرابلس وصيدا . وكانت أهدافهم ثورية لا غبار عليها . وبدأت أفواج هذه الحركة تتصل بالجمعية السرية ( جمعية بيروت العربية ) وكانت وسيلتهم ( أي الماسون ) منشورات سرية »(١) .

وهكذا التقت الطليعة اليهودية الحركية المسمَّاة بالماسونية مع رؤوس الغزوة

---

(١) تاريخ القومية العربية - الثورة العربية ، دار المعرفة ، د . جلال يحيى ص ٦٤

الصليبية الثانية – في صورة المبشرين – لتحريك الإنتاج ، أي إفرازات الغزو النصراني والتلقين اليهودي !!

واستمر التنسيق بين الحركة الماسونية والمؤسسات التبشيرية في سوريا منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى أيامنا هذه حتى أصبح كل أو معظم الذين تولّوا الحكم وأنشأوا الأحزاب والتنظيمات في سوريا ولبنان من منتسبي « المحافل الماسونية » وخرّيجي « الكلية الإنجيلية السورية » التي تُسمى الآن باسم « الجامعة الأمريكية » .

ومن بين الأسماء التي كانت تشغل درجات متقدمة في السيرك الماسوني ورُفعت إلى مراتب « الأستاذ الأعظم البنّاء » ، « فارس الشرق » ، « الأستاذ السري » ، « فارس العقد الملوكي » ، « صاحب مقام أمية » ، وتولّت الحكم في سوريا ، قبل انقلابات العسكر ، « بشارة الخوري » رئيس الجمهورية اللّبنانية الأسبق ، « سامي الصلح » رئيس وزراء لبنان الأسبق ، « فارس الخوري » رئيس وزراء سوريا ، « صبري العسلي » رئيس وزراء سوريا و« سعيد الغزّي » الذي كان يشغل مرتبة « رئيس كلى الحكمة لمقام أمية للدرجة ١٨ للمحفل الماسوني » بدمشق في عام ١٩٣٨ ، ثم صار رئيساً لوزراء سوريا عام ١٩٥٧

ومن بين منشئي الأحزاب وموجهي الأفكار من ماسونيي سوريا ولبنان : « ميشيل عفلق » مؤسس « حزب البعث العربي » ، « وأكرم الحوراني » مؤسس « الحزب العربي الاشتراكي » الذي انضم بحزبه إلى ميشيل عفلق ليصبح الحزبان حزباً واحداً هو « حزب البعث العربي الاشتراكي » صاحب التوجهات العروبية الملحدة ، التي استعار لها – تطويراً وتطعيماً – « المادية الجدلية » و « المادية التاريخية » ( الماركسية ) ليعطي الحزب وجهاً تقدمياً !! وهو الحزب الذي تسلّل منتسبوه العسكريون ، بطريقة منظّمة ، إلى داخل الجيشين السورى والعراقي ، وهم الذين جاءت بهم دبابات النصف الثانى من الليل فى حراسة العم سام ، فحكموا سوريا والعراق ، منذ مطلع الستينات .

ويعتمد « حزب البعث » في خلاياه – في معظم الأحوال على فئات طائفية معينة ، مثل الطائفة « النصيرية العلوية » وبعض الطوائف « المسيحية » ،

محلاة بأسماء « إسلامية سُنِّية » لترويج البضاعة القومية التي تتخطى الطائفية !! أما في العراق فيعتمد على منطقة « تكريت » حتى إن الإخوة العراقيين يسمونه بحق « حزب البعث التكريتي » .

ومن منشئي الأحزاب التي دُشِّنت في الأوكار الماسونية « أنطون سعادة » مؤسِّس « الحزب القومي السوري » في الثلاثينيات . ومن مبادىء هذا الحزب – وفق ما جاء على لسان مؤسسه : « سوريا للسوريين . والسوريون أمة تامة . القضية السورية قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى . القضية السورية هى الأمة السورية والوطن السوري . الأمة السورية هى وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع إلى ما قبل الزمن التاريخي الجلى . الوطن السوري هو البيئة التي نشأت فيها الأمة السورية وهى ذات حدود جغرافية تميزها عما سواها . الأمة السورية هيئة اجتماعية واحدة . تستمد النهضة السورية القومية روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها السياسي والقومي . فصل الدين عن الدولة . إن أعظم عقبة في سبيل تحقيق وحدتنا القومية وفلاحنا القومي هى تعلق المؤسسات الدينية بالسلطة الزمنية . كان الدين يصلح حين كان الإنسان لا يزال في طور بربرينه أو قريباً منها ، أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح » [1] .

ومن مشاهير مروِّجي السموم الماسونية في سوريا ولبنان المدعو « عبد الحليم إلياس الخوري » الذي يقول في سفاهة : « لم يبق أحد يؤمن بالله وخلود النفس إلا البلهاء والحمقى » . أما الماسوني « جان أبو نعوم » فيقول : « إن الماسونية دين له خطوطه الواضحة وإن تركت الماسونية لأبنائها أديانهم مؤقتاً » .. دين لا يعطى إلا لمن مر بمراحل متعددة ، إذ نرى منهاج الماسونية من الدرجة (١٤) يقول كما تقول « الباطنية » تماماً : الإيمان يجعلنا نقبل كافة العقائد . ولكن ما أن يبلغ الطالب درجة (١٨) حتى يتوارى القرآن – إذ هو لا يُوضع

---

(١) نقلا عن فتحي يكن ، حركات ومذاهب فى ميزان الإسلام ص ٧٢ - ٧٣

على المذبح إلا في البلاد الإسلامية وفي الدرجات الأولى فقط - ويصعد الكتاب المقدس سدة الرياسة الكبرى ، ويتربع على كرسي سليمان ، وتصبح الماسونية ديناً يُغنى عن سواه ، إذ البحث في سواه تعصب - كما جاء في تعليق صاحب كتاب « الماسونية في العراء » الدكتور « محمد علي الزغبي »[1] .

* * *

● أما العراق ، فقد تولّى الحكم فيه - بعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية ومنذ عام ١٩٢٠ وحتى انقلاب ١٩٥٨ - معظم الجواسيس الذين تآمروا مع الاستعمار البريطاني ضد الجيوش العثمانية ، ومن المنتسبين للجمعيات العروبية العلمانية السرية التي باركها ودعّمها الماسون . وأسّس الماسوني « نورى السعيد » - العميل البريطاني الشهير - الذي حارب في صفوف القوات الإنجليزية الغازية للعراق - مدرسة سياسية تناوبت الحكم تحت زعامته بتأييد السفارة البريطانية ، وبمباركة ملوك العراق ، الذين كانوا رعاة « للمحافل الماسونية » في بلد الرشيد ، إلى أن انتهى دورهم ليتسلم « مفاتيح القلعة » في بغداد « البعثيين » و« القوميين العرب » ، تارة مشتركين ، وفي معظم الأحوال يتولى البعث الدور الوحيد .

وكم كانت سعادتي عندما أهداني محام صديق وثيقة أعتبرها تاريخية ، هى المجلة « الماسونية » المسمّاه « التاج المصري - لسان حال الشرق الأكبر المصرى » ( العدد ٥٦٢ - السنة الثانية عشر - الجمعة ٢٥ مارس سنة ١٩٣٨ ) . والتي كما تقول صفحتها الأولى كان « يقوم بتحريرها نُخبة من كبار الماسون » . وقد حصل عليها المحامي الصديق من « أرشيف » إحدى المحاكم ، وقد جاء على صفحة الغلاف أسفل اسم المجلة مباشرة عبارة تقول : « قررت المحاكم الأهلية اعتماد مجلة التاج المصري لنشر الإعلانات القضائية »

ومما جاء فيها وأعتبره « وثيقة » و « تاريخية » :

١ - خطبة « حضرة صاحب السعادة الأستاذ الأعظم الدكتور أحمد ماهر »

(١) نقلا عن محمد على الحاج ، الكشاف الفريد ، ص ٣٦٢

في اجتماع انتخابي عقده الماسون لتأييد « الدكتور عبد العزيز أحمد بك » مرشح « الهيئة السعدية » بدائرة المطرية . وهذا يدفع بالبطلان مقولة الماسون بأن الماسونية لا تتدخل في عقائد الناس وانتماءاتهم السياسية ، وليس لها دور في السياسية ، بل هى جمعية خيرية ، شعارها الخدمة والحب والسلام !!

( ص ٢ ) .

٢ - اقتراح أحد الماسون « بجلسة تثبيت الموظفين العظام للشرق الأكبر المصري » برفع صورة مصطفى النحاس من « نادي الشرق الأكبر » لأنه غير ماسوني . وهذا يدل دلالة قاطعة على هدف الماسونية المعلَن والصريح : احتواء وتجنيد كل القوى السياسية ومحاربة من يظنوه شارداً عن الدائرة الجهنمية .

( ص ١٥ ) .

٣ - رسالتان دعائيتان ، الأولى من « قدس الأب الجليل الخورى عيسى أسعد كلي الحكمة لمقام قدس بحمص » ، والثانية من « أمين سر محفل الإصلاح وخطيب محفل الزهرة بدمشق محمد عدنان الخطيب » ، موجهتان إلى « الأخ الكلي الاحترام أمين السر الأعظم للشرق الأكبر المصري الأفخم » محمد بك رفعت - الذي صار وزيراً للمعارف في مصر في أول عهد الثورة كما سبق أن ذكرت . والرسائل المتبادلة - هذه - توضح « وحدة التنظيم للأوكار الماسونية » والمتابعة المشتركة لمداولاتها ( ص ١٦ - ١٧ ) .

٤ - نشاط « مقام أُمية الماسونى للدرجة ١٨ بالدار الماسونية بدمشق برئاسة الأخ الكلي الحكمة سعيد بك الغُزِّي » - الذي صار رئيساً لوزراء سوريا بعد عشرين عاماً من هذا التاريخ . وهذا يدل - على التحقيق - على أن مرتبته « الماسونية » الرفيعة كانت الرافع له إلى منصب رئيس الوزراء ، وأن حضانته وتدشينه وإعداده ، قد تم في المحفل الماسوني ، وليس في قصر الحكم ، حتى وإن طالت المدة إلى عشرين عاماً ... ما أصبر الماسون على التخطيط !!

( ص ١٧ ) .

٥ - تحركات « السكرتير الأعظم للشرق الأكبر المصرى » ، فى الإسكندرية والمنصورة محمد بك رفعت ... بقدر النشاط يكون التصعيد إلى مناصب الحكم ... النشاط الماسونى بالطبع ( ص ١٧ ) .

ونورد صورة زنكوغرافية للصفحات سالفة الذكر ، وللصفحة الأولى من المجلة ضمن وثائق الكتاب .

* * *

● ويورد « محمد على الحاج » بعض النقاط عن « الأخطار الماسونية » كدعامة إسرائيلية نقل بعضها عن « كتاب الماسونية فى العراء » فيقول :

- أمّنت لمحافلها حصانة دولية ، وغطّت أهدافها بإصطلاحات هندسية ، ودجّنت أبناءها مستترة بغيوم تخفى الأطماع اليهودية ، واستثنت نفسها من الترخيص والهزّات التى تعترى جميع الأحزاب والجمعيات ، بل عطفت نفسها بمعاهدة « لوزان » على الأديان السماوية .

- لعبت دوراً خطيراً فى السياسة العالمية ، وعملت جاهدة فى الخفاء للاستيلاء على مقدّرات الشعوب وتقنعت بالإنسانية والمثالية ، وسخّرت الناس بحكمة « الأفعى » لخدمة « شعب الله المختار » .

- ومن أنكى أدوارها ما انصب على « العقيدة » و « الدين » و « الأخلاق » . حيث هدمت عقائد الأمم الدينية والقومية ، كما سيطرت على العروش والكراسى ومجالس الأمم الشعبية والبرلمانية ، وقتلت روح التعاون بين الشعوب وحكوماتها وجيوشها ، كما دعت الذين يخدمون دولتهم بإخلاص سذجاً معتوهين بلهاء .

- شلّت يد الملايين ووجّهتهم توجيهاً ملتوياً ، فصافحوا يدها المضرّجة بدمهم وظاهروها على إقامة « هيكل سليمان » على أنقاض « الأقصى » .

- صالت على تراث الإنسانية الأخلاقى صولة اللئيم الحاقد ، ولقحته بما جعل ثماره اليانعة أشواكاً .

- أخذت أسماء متعددة مثل « الروتارى » - « الليونز » - « جمعية الأسود » « البناى برث » - « شهود يهوه » « البهائية » ، مما يلتقى

بالدرجات والرموز والتأويل القائمة على التكلف والحروف والأعداد ، ويلتقى بنقطة « إشادة الهيكل » .

– إن « الماسونية » وسيلة « استغلال يهودى » ذبحت « الصهيونية » بخنجرها الشعوب بيد بعضها ، وظفرت بأسلاب الغالب والمغلوب ، وعاشت مع الذئب وبكت مع الراعى .

– إنها « حكومة عالمية سرية » تحرص على تسليم زمام العالم لأبنائها ، وهى سرطان فتك بالأمم ، وحشرة امتصت دم الشعوب ، ووسيلة هدمت فى موظفى الدولة ضمائرهم ، وحرمتنا لذة العدل ، وسيف استُل منذ عشرين قرناً ولن يعود إلى غمده إلا اذا أصاب مقتلاً ، تنفيذاً « للعهد القديم » المصمِّم على إبادة الإنسانية ، وفى المقدمة أمة العرب والمسلمين ، وكذلك فهى معول لهدم تراث العالم ليدوم دين واحد هو « اليهودية » أو « الماسونية » ، إذ هما اسمان لمسمى واحد .

وهى تخطيط عجيب و « خدمة لإسرائيل » بعيدة المدى ، وسعى دائب لرفع رايتها كى ترفرف ما بين طوروس وبحر الهند على مملكة معدومة الجيران .

و « الماسونية » مطرقة دقّت أعناق الذين خانوا وأخلُّوا ، فأنزلتهم واديها وأصعدتهم سلمها واستغلت مراكزهم ، وعلّمتهم الدهاء اليتيم ، وقطفت ثماره لتقطع آخر عِرق نابضٍ بجسم الذين يرون الحفاظ على « القدس » جزءاً من دينهم ، ولتُصم آخر أُذن تسمع نداء « فلسطين » [1] .

على تلك الساحة العربية الإسلامية المستبَاحة ، سياسة وحُكماً وفكراً – كما عرضنا – تحرَّك « الأسود السالخ » [2] حركة واسعة ، وفحيح دبيبه مسموع محسوس منظور ، حتى وصلت « الرأس » إلى صهيون !!

* * *

(١) الكشاف ، ص ٣٥٩ – ٣٦٣
(٢) الأسود السالخ ، هو أقتل ما يكون من الحيات والثعابين .

العدد ٥٦٢ السنة الثانية عشر

إدارة الجريدة
بسكة المغربي رقم ٣
عمارة مانوزاردي
تليفون رقم ٤٣٠٢٣

# التاج المصري

لسان حال الشرق الأكبر المصري

رئيس التحرير
فتح الله أحمد المتولي
المحامي
لجنة التحرير
يقوم بتحريرها نخبة من
كبار الماسون

عقول الرجال تحت أسنة أقلامهم ؟ (الصاحب بن عباد)

القاهرة في يوم الجمعة ٢٥ مارس سنة ١٩٣٨ ٢٣ محرم سنة ١٣٥٦

العدد ( ٥٦٢ ) من مجلة « التاج المصرية » الماسونية ، لسان حال الشرق الأكبر المصري . الصادر في الجمعة ٢٥ مارس سنة ١٩٣٨ .

# خطبة وطنية رائعة

## لحضرة صاحب السعادة الاستاذ الاعظم

التزمت هذه الجريدة خطة الحياد منذ بدء الموقف السياسي المحلي الحاضر بغزارة عدم الانحياز لفريق دون الاخر . ولكن نظرا لالحاح الكثيرين من الاخوان ورغبتهم في نشر كلمات صاحب السعادة والاحترام الدكتور احمد ماهر الاستاذ الاعظم . رأينا ان ننشر على هذه الصفحات خطبة سعادته القيمة التي ألقاها في الاحتفال الانتخابي يوم الجمعة الماضي لتأييد الدكتور عبد العزيز احمد بك مرشح الهيئة السعدية بدائرة المطرية وهذا نصها :—

أخواني :

اشكركم شكرا جزيلا على تفضلكم بعقد هذا الاجتماع لتأييد ترشيح حضرة صاحب العزة المهندس القدير عبد العزيز بك احمد للنيابة عنكم في هذه الدائرة

( تصفيق )

وقبل ان اتكلم اريد ان الاحظ ملحوظتين عن الكلام الذي سمعته الان اولاهما شكر من تفضلوا فاسبغوا علينا من ادبهم ما شاءوا ولا سيما حضرتا الشاعرين المجيدين وان كنا نعرف ان الشعر دائما سبيل الى المبالغة ولكن لا تخافوا منا زهوا ولا غرورا

اما الملحوظة الثانية فانها تتصل بما تحدث به حضرة الدكتور فخري حين تكلم عن مساوىء الوفد في العهد الحاضر وانا به يقصد مساوىء الحكم الماضي لان الوفد عبارة عن مبادىء وطنية

الصفحة الثانية من مجلة « التاج المصري » الماسونية .... ويليها الصفحات أرقام ١٥ ، ١٦ ، ١٧.. وفيها تظهر أسماء لبعض أعلام الفكر والسياسة العرب ، من أمثال الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء المصري الأسبق ، ومحمد رفعت بك وزير المعارف الأسبق ، والدكتور عدنان الخطيب ...... وغيرهم .

# الماســـونية

## الماسونية تتسامى بمبادئها

### على الحزبيـــة

لعل حضرات القراء لم ينسوا بعد ماحدث بجلسة تثبيت الموظفين العظام للشرق الاكبر المصرى من اقتراح احد الحضور رفع صورة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا من نادى الشرق الأكبر لانه غير ماسونى وما كان من اسراع الاخ الكلى الاحترام محمد بك رفعت السكرتير الاعظم بالاعتراض على هذا الاقتراح ذاهبا الى ان رفعته من العظماء الذين تتجمل بصورهم الدور وانه لايجمل بالماسونين ان يزهدوا اليوم فى هذه الصورة بعد ان كانت موضع تقديرهم بالأمس لمجرد خلاف فى الرأى بين رفعته وبين صاحب المعالى والاحترام الكلى الاستاذ الاعظم ثم تعقيب الاستاذ الاعظم الدكتور احمد ماهر الذى كان يرأس الجلسة على هذا الاعتراض بالتأييد والتحبيذ منوها بمبادىء الماسونية التى تتسامى على الحزبية وتحض على التجمل بالخلق الكريم ومؤكدا انه مازال يجل صاحب المقام الرفيع رغم ماحدث بينهما من خلاف فى سبيل مصلحة الوطن . فى هذا من جانب معاليه اية من الآيات الكثيرة الدالة على مايتحلى به من سمو الخلق وماتنطوى عليه نفسه من صدق الاخلاص الوطنى والترفع عن انزال الخلافات السياسيه منزلة الخصومة الشخصيه هذا الداء الوبيل الذى جر البلاد الى ماتعانيه الآن من الانقسام الوخيم العاقبه .

وقد وقعت كلمة معاليه فى هذا الصدد موقع الاجلال والتقدير فى نفوس ابناء الاقطار العربية الشقيقه فتوالت على السكرتير الاعظم رسائلهم المستفيضة بعبارات الثناء والتحبيذ . وقد راينا ان نقتصر فى هذا العدد على نشر رسالتين من هذه الرسائل الكثيرة على ان نعود فى الوقت المناسب لنشر غيرها مع كلمة فى الموضوع لم يحن بعد اوان الافصاح عنها

اما الرسالتان فهاهما :

## خطاب

### من قدس الاب الجليل

الخورى عيسى اسعد

كلى الحكمه لمقام قدس بحمص

سيدى واخى احترام محبه

متى بلغ الاعجاب غايته ، لايستطيع المرء مهما كان قادراً على كتمان خلجات العاطفه . ان يقفل نافذة الحنان من اللسان عن ان يبوح لذلك معذرتى سيدى الاخ اذا عجزت عن كتمان اعجابى بما قرأته فى التاج الاخير عن فضيلة اخ ، الهم ابواه حسنا، حينما سمياه رفعت كانما وحى داخلى النطق لسانهما باسم ينطبق خير انطباق على مسماه مع ندرة ذلك وهل من فضيلة افضل واتم من ان يقف المرء فى اشد دوافع العاطفه وقمة النزاهة والتجرد العميق ، فيأبى على العاطفة ان تتغلب على العقل ويتمكن بقوة حجته وناصع بيانه ان يبقى رسم النحاس فى موضعه ، لان الخلاف فى الراى لايسوغ العداء الشخصى ، ولو ترفع كل ابناء الشرق عن الدوافع العاطفية ، وتركوا المحال الصغيرة ، ماكثرت دواع التفرقه ولا تصدعت وحدته .

فمن صميم القلب اهنىء الاخ السامى الرفعه راجيا ان يظل العلم الخفاق فوق صروح الانسانية الحرة والكوكب السارى المرشد خطوات ابنائها الى الهدى الحقيق .

وتكرم ايها الاخ بقبول كلمات استحدث من اوصاف معى قلب حساس خالص الوداد ؟

صفير اخويكم

عيسى اسعد

---

## خطاب محفل الاصلاح بدمشق

الى حضرة الاخ الكلى الاحترام امين السر الاعظام للشرق الاكبر المصرى الاعظم .

كثيرا مانرى كبار رجالات البلاد عندما يختلفون فى الآراء او المبادىء يسقطون الى احط المهاوى السياسية فتغلب على اخلاقهم الصفات الفردية الممقوتة وتتجاذبهم الاهواء الحزبيه والمنازعات الشخصية ممايتنافى والمصلحة العامه التى يجب ان ترفع عن كل مايشينهـا حتى كان هذا دليلا على عدم النضوج السياسى فى بلادنا التى افسد — المفسدون — فيها كل شىء حتى الاخلاق — مع الاسف .

الا أن حادثة اقتراح رفع صورة صاحب المقام الرفيع النحاس باشا من ندوة الشرق الاكبر المصرى دلت بأوضح المعانى على مايتحلى به صاحب السعادة استاذنا الاعظم وامين سره الاكبر ومن ورائهما ابناء الشرق الاكبر ومن ثمة جميع الاحرار الماسونيين من اخلاق سياسية نبيلة وتقيد بالمثل العليا من المبادىء الاخلاقية والتعاليم الفلسفية الساميه

إنى — وانا احد الذين قدروا فيكم هذه المبادىء العاليه وشادوا بذكرها حيث امكنهم اتقدم من اخوتكم باسمى تحياتى وتحيات جميع الاخوان مع اعجابهم الشديد عما فطرتم عليه من حصافة العقل ورجاحة المنطق راجيا تقديم اطيب العواطف واجلها الى حضرة الاخ صاحب السعادة والاحترام الكلى الاستاذ الاعظم الدكتور احمد ماهر باشا ومبدع الكون الاعظم يحفظكم لأخيكم ؟

امين سر محفل الاصلاح
وخطيب محفل الزهرة
محمد عدنان الخطيب

---

## مقام اميه

### للدرجة ١٨

اجتمع مقام اميه فى مساء يوم الثلاثاء ٢٣ الجارى بالدار الماسونية بدمشق برئاسة الأخ الكلى الحكمه سعيد بك الغزى وكان من بين اعماله قبول بعض المرشحين والنظر فى شؤون المقام .

## السكرتير الاعظم

### فى الاسكندرية

سكر حضرة صاحب العزة والاحترام الكلى الاستاذ محمد بك رفعت السكرتير الاعظم فى صباح يوم السبت الى الاسكندرية حيث قضى يومين اشرف فيهما على الاجراءات القائمة فى الدار الماسونية الجديدة التى اتخذها الشرق الاكبر المصرى مقرا لاجتماعات محافله ثم عاد الى مصر شاكراً ما لاحظه من غيرة الاخوان وعنايتهم بما يرفع شأن الماسونية

---

## فى المنصورة

وفى صباح يوم الثلاثاء ٢٢ الجارى غادر حضرته القاهرة الى المنصورة لحضور اجتماع هام استدعاه من اجله اخوان المنصورة وبعد أن إشترك معهم فى اصدار قرارات موفقه لمصلحة مشغل البنات الخيرى والعيادة الطبية المجانيه عاد الى القاهرة مودعا من اخوان المنصورة بالحفاوة والاكرام ؟

## وصول رأس الأفعى إلى صهيون

**عندما بدأت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كانت الصهيونية تأمل مفترضة أن ألمانيا « المنتصرة » سوف تعطيها فلسطين .**

وقوّى ذلك الفرض اطمئنان الماسونية العالمية أن عملاءها الذين يحكمون الدولة العثمانية هم الآن حلفاء ألمانيا ، وقد دخلوا الحرب إلى جانبها ، وأن حكومة الاتحاد والترقى الماسونية اليهودية ، التى تحكم عاصمة الإسلام ، قد شنقت من حذّر فى « المبعوثان » - البرلمان - من ازدياد عدد اليهود فى فلسطين ، وقدّم الوثائق الصادرة من قيادة الصهيونية عن كيفية الاستيلاء على الديار المقدسة فى ظلال حكومة إستانبول .

لكن المفاوضات بين الصهيونية وحكومة ألمانيا فشلت ، ولم يجد « هرتزل » أذناً صاغية لدى الإمبراطور الألمانى « غليوم » .

وفى عام ١٩١٦ - إبّان لهيب الحرب - بدأت الصهيونية العالمية تتجه إلى مكان آخر . وراحت تبحث عن حليف قوى بديل ، تركبه وصولاً برأس الأفعى إلى أورشليم ، ووجدت ضالتها فى لندن . وتولّى « وايزمان » هذا الدور نيابة عن اليهودية العالمية ، وتوصّل مع الحكومة البريطانية إلى اتفاق سرى وعدت بموجبه اليهودية العالمية أن تحشد كل يهود العالم لدعم الحلفاء اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، والالتزام بجر الولايات المتحدة - الخاضعة للنفوذ الماسونى اليهودى - الى الحرب لصالح الحلفاء .

وأعلن الأنجلو ساكسون الإنجليز فى « داوننج ستريت رقم ١٠ » وفى وزارات الخارجية والحربية والبحرية والمستعمرات شغفهم حد العشق بضرورة تحقيق « نبوءة » العهد القديم بعودة شعب التوراة إلى « ميراث أرض الموعد » - « ميراث إسرائيل » إلى الحد الذى جعل « اللورد كيرزون » يهتف قبل أسبوع واحد من تصريح بلفور : « إذا كانت هذه هى الصهيونية ، فإنه لا

يوجد سبب على الإطلاق لماذا لا ينبغى علينا جميعاً أن نكون صهاينة » !!
حتى إن « لينتتال » يقول : « ان الصهيونية بمفردها ما كانت لتستولى على فلسطين .. إن فلسطين تم الاستيلاء عليها بواسطة المجهودات المتآلفة من المسيحيين الأنجلوساكسون ( مثل بلفور ، لويد جورج ، ونستون تشرشل ) الذين كان يدفعهم تكريس وإخلاص الأنجلوساكسون للعهد القديم » [1] !!

ويروى لويد جورج - رئيس الوزراء البريطانى - والمدافع القوى عن وايزمان فى تقرير له : « أن قادة الصهيونية أعطونا وعداً محدداً أنه إذا ما منحنا الحلفاء تسهيلات لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فإنهم سيبذلون أقصى ما فى وسعهم لحشد عواطف ومساندة اليهود فى كل أنحاء العالم إلى جانب قضية الحلفاء ، وقد كانوا عند كلمتهم وأعلن لويد جورج أنه مدين بالفضل لـ « وايزمان » لما أسداه تجاربه العبقرية فى تطوير مادة « الأسيتون » الضرورية لصناعة المتفجرات التى أسهمت فى الحرب » !!

وصدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ عن « حكومة صاحب الجلالة التى تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين والعمل بكل ما فى وسعها لتحقيق هذا الهدف » .

وفى ديسمبر ١٩١٧ دخل الجنرال « اللّنبى » القدس معلناً « انتهاء الحروب الصليبية » فى صحبة مرتزقة الطابور الخامس المسمّى « الثورة العربية » .

وكان الأمير فيصل بن الحسين - ممثلاً عن مملكة الحجاز - قد وقّع اتفاقاً مع « وايزمان » - ممثلاً عن المنظمة الصهيونية - اعترف فيه الشريف !! بأن العرب ( هكذا ) يقبلون وعد « بلفور » ويسمحون بتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

وانتهت الحرب العالمية عام ١٩١٨ بانتصار الحلفاء وهزيمة ألمانيا وتركيا والنمسا . وأدرك الألمان أبعاد المؤامرة اليهودية .

---

(١) What price Israel, p. 174 .

ويذكر تشرشل { مذكرات ونستون تشرشل - اخترنا لك - ص ٤١ - ٤٢ } أن الشعب الألمانى - وفق ما سجلته أحاديث الناس - كان يعتقد أن ألمانيا قد طُعِنت فى ظهرها وقد أنشب اليهود أظافرهم فيها ليرغموها على أن تستسلم للأحداث ... وليس سواهم من مستغلين دساسين مفسدين ، يناصرهم البلاشفة الملعونون ، وأن اليهود قد أطاحوا بألمانيا وألقوا بها إلى الهاوية . وكان أحد الأعمدة الصخرية لسياسة هتلر أن السوفييت يهدفون إلى انتصار اليهودية العالمية .

وفرضت « الماسونية العالمية » الاعتراف بيهودية فلسطين على مؤتمر « سان ريمو » سنة ١٩٢٠ .

ونشأت « عُصبة الأمم » تحت دعاوى حفظ السلام العالمى ويقصدون به التوازن بين القُوَى الأوروبية المنتصرة .. واليهود بالطبع .

ويعترف الزعيم الصهيونى « ناحوم سوكولوف » أمام مؤتمر « كارلسباد » الصهيونى المنعقد فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٢ بالدور اليهودى الماسونى من وراء إنشاء هذه « العُصبة » فيقول : « إن عُصبة الأمم هى فكرة يهودية . لقد خلقناها بعد كفاح دام خمسة وعشرين عاماً » .

وصدر قرار عُصبة الأمم فى عام ١٩٢٢ بتعيين بريطانيا « حارساً ووصياً » على فلسطين تحت ما سُمِّى « الانتداب » .

ويذكر « لينتال » أنه رغم أن الولايات المتحدة لم تكن عضواً فى العُصبة ، وعليه فهى ليست طرفاً فى ذلك الإجراء ( الانتداب ) إلا أنه قد صدر قرار رسمى مشترك من الكونجرس ( مجلس النواب والشيوخ ) يُصدِّق فى نفس العام على فكرة « وطن قومى لليهود » .

وفى كتابه القيم « التبشير والاستعمار » - الذى ربط فيه بين الاستعمار والتبشير المسيحى فى العالم - ينقل « أمين الريحانى » عن « بربارة توخمان » رئيسة إحدى الإرساليات التبشيرية الوالهة بإنشاء إسرائيل :

« قالت « بربارة توخمان » : إن الانتداب لا وعد بلفور هو الذى أفسح فى القانون العام مجالاً لإعادة إسرائيل إلى فلسطين . إن وعد بلفور كان إعلاناً لسياسة فقط وكان بإمكان كل وزارة بريطانية تالية أن تتجاهله أو أن تدع الزمن يمر عليه أو أن ترفضه ، ولكن الانتداب - أى ادخال وعد بلفور فى صك الانتداب - كان التعهد الدولى الذى وقّعته دول الحلفاء الكبرى ، التى كانت تعمل باسم عُصبة الأمم ، ثم أكدته فرفعته بذلك بعد أن وضعته فى صلب صك الانتداب إلى مستوى المعاهدات » .

حتى عام ١٩١٩ لم يكن اليهود يُشكّلون اكثر من عُشر سكان فلسطين ، وكان معظم المسئولين الإنجليز والأمريكان يعتقدون أن الأقلية اليهودية فى فلسطين ستنمو بمضى الوقت ، وأن الدولة اليهودية - على ذلك - ستكون المحصّلة النهائية لتصريح بلفور .

ولقد تحدّث تشرشل فى مجلس العموم البريطانى عن وعد بلفور قائلاً :

« إنه من التضليل الافتراض أن ذلك كان مجرد حماس صليبى ، ولكنه كان إجراءً اتُخذ أثناء حاجة الحرب بهدف تعزيز نصر الحلفاء ، والذى من أجله توقعنا وتلقينا مساعدة قيمة » !! .

ولا يستطيع تشرشل أن ينكر تلك الرغبة الجامحة لدى مسيحيى الغرب الصليبى لمساعدة ودعم عودة « الشعب اليهودى » .. « شعب التوراة » إلى صهيون ، إضافة إلى أن الضمير المسيحى !! ( الذى لا يصحو أبداً مع المسلمين ) كان - ولا يزال - يعتقد أنه بخلق إسرائيل فإنه سيُكَفِّر عن جميع الخطايا البشعة التى ارتكبتها أوروبا المسيحية ضد اليهود على مدى التاريخ المسيحى كله .

ومهما كانت الدوافع فإن حكومة لويد جورج هى التى أعطت إشارة التقدم للأمام ، للاستعمار اليهودى لفلسطين .

فمنذ وعد بلفور أُقيم جسر يهودى على رماد حرب ودمار دول ، مخترقاً عالَماً

إسلامياً قد سُلّمت مفاتيح القلعة فيه - قلعة الحكم وقلعة الفكر - إلى الماسون أو تلاميذهم وصنائعهم ، مدعوماً من الاستعمار الأوروبى والأمريكى - الليبرالى والشيوعى . وخلا طريق رأس الأفعى إلى « صهيون » !!

ومنذ البداية استخدم القاضى الأمريكى الماسونى « براندیز » قاضى المحكمة العليا الأمريكية - فى إصرار - عبارة « الجنس اليهودى » والتى استُبدلت فى تصريح بلفور بعبارة « الشعب اليهودى » .

وكان الرئيس الأمريكى « روزفلت » يرى أنه لا مكان لهؤلاء اليهود المساكين ( بالذمة !! ) يذهبون إليه غير فلسطين .

عينت بريطانيا « هربرت صموئيل » اليهودى أول مندوب سام بريطانى فى فلسطين . وحدثت الاضطرابات فى عام ١٩٢١ ، ولكنها قُمعَت بالقوة ، وبدأت بريطانيا تغيير معالم فلسطين العربية المسلمة ، وأخذ سيل الهجرة اليهودية يتدفق إلى فلسطين . وتولّت تنظيم ذلك الوكالة اليهودية التى تأسست عام ١٩٢٠ ، وتعاونت معها بريطانيا إلى أقصى حد ، وكانت تعمل فى فلسطين وكأنها دولة داخل دولة . فأنشأت المستعمرات اليهودية ، وأقامت بها مخازن للسلاح والذخيرة ، وتدفقت الأموال اليهودية على هذه المستعمرات .

وتسلّم اليهود وظائف رئيسية فى الدوائر الحكومية ، ثم مُنحت الوكالة اليهودية نحو نصف مليون دونم من أراضى البلاد ( نحو ١٢٥ ألف فدان ) ، ووُضِع تشريع طُردَ بمقتضاه سكان ٢٢ قرية عربية من قرى مرج ابن عامر ، وهذه تقطنها نحو ٣ آلاف أسرة عربية ، كما أخرج ٣٠ ألف عربى من أراضى الحولة وغيرها . ولم يأت عام ١٩٣٠ حتى كان عرب فلسطين قد فقدوا ثُلث أراضيهم .

وتدفقت الهجرة اليهودية وتدفق معها السلاح من كل مكان . زوّدتهم بريطانيا بأسلحة ومعدات لما أسمته « الدفاع عن أنفسهم » ، وزوّدهم الاتحاد السوڤييتى بالعتاد الحربى إما مباشرة أو عن طريق تشيكوسلوڤاكيا .

وفى عام ١٩٢٩ نشبت ثورة فى البلاد بسبب استفزازات اليهود للمسلمين

حول حائط المبكى وهو الحائط الغربى لساحة المسجد الأقصى الذى يزعم اليهود أنه آخر جزء من آثار هيكل سليمان القديم .

وفى ٢٥ يناير ١٩٣٥ عُقد مؤتمر علماء فلسطين برئاسة المفتي « محمد أمين الحسينى » - رحمه الله - واتخذ عدة قرارات منها دعوة الشعب الفلسطينيى إلى الجهاد المقدس ، وتألَّفت جماعات المجاهدين المسلمين (١) .

وأعلنت جماعة « الشيخ عز الدين القسَّام » الثورة فى ٢ نوفمبر ١٩٣٥ ، وقد تحوَّلت إلى حركة جهاد مسلح ضد البريطانيين واليهود ، إلا أن القوات البريطانية المزوَّدة بالدبابات والطائرات ، أخذت تقصف مواقع « القسَّام » ورفاقه ، فدارت بين الطرفين رحى معركة عنيفة استمرت من الفجر حتى الساعة العاشرة من صباح ٢. نوفمبر ١٩٣٥ خمد خلالها « القسَّام » ورفاقه المجاهدون . وانتهت المعركة باستشهاد « القسَّام » مع أربعة من رفاقه وقُبِضَ على الباقين ، وألقوا فى غياهب السجون (٢) .

وفى ربيع ١٩٣٦ ، بعد ثورة « القسَّام » ببضعة شهور ، ظهرت حركة ثورية أخرى بقيادة أحد أعوان « القسَّام » فى الجهاد وهو « الشيخ فرحان السعدى » الذى قام بتدريب الشبان على استعمال السلاح . وبدأ فى ١٥ إبريل ١٩٣٦ بالهجوم على قافلة سيارات يهودية فى طريق « نابلس - طولكرم » وتحرسها قوة بريطانية مسلحة . واستمر فى جهاده رغم كبر سنه إذ كان يناهز الثمانين من العمر حتى قُبِضَ عليه وأُعدم شنقاً وهو صائم فى رمضان (٣) .

وتلا ذلك انتشار الاضطرابات وقيام اليهود بأعمال الغدر ، وقام أهل يافا فى صبيحة يوم ١٩ إبريل ١٩٣٦ وهاجموا اليهود فى تل أبيب وقتلوا عدداً كبيراً منهم رغم محاصرة القوات البريطانية لهم والتنكيل بالكثير منهم . وتلا ذلك إضراب عام نظمَّته هيئة قامت فى نابلس عُرِفت باسم « اللَّجنة القومية »

---

(١) الدولة الإسلامية ، د . محمد سعيد الشعفى وزملاؤه - ص ٢١٥ - ٢١٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٦٤ (٣) نفس المرجع ص ٢٦٥

وأعلنت قيام الإضراب إلى أن تقف الهجرة اليهودية . وتألفت لجان فى جميع المدن والقرى للإشراف على سير الإضراب ، وقد تطوّر هذا الإضراب إلى ثورة دامية عنيفة بقيادة « فوزى القاوقجى » الذى نظّم المعارك ، ومن أهم معارك هذه الثورة الكبرى معركة « نور شمس » فى ٢٣ يونية ١٩٣٦ . ومعركة « عين جارود » فى مرج ابن عامر ، وحاولت بريطانيا بكل ما أوتيت من قوة وبطش أن تقمع الحركة بالتدمير والإبادة والنسف . حتى أبادت مدناً بكاملها ، كما أحرقت المزارع والقُرى وفرضت الأتاوات واستباحت الأموال والأعراض ومزّقت المصاحف [١] .

وفى أوروبا ؛ فإن حركة دقيقة التنظيم - تدعمها المساهمات المالية الكثيرة من المصادر الصهيونية - أقامت النفق السرى للهجرة إلى فلسطين ... جىء باليهود إلى موانئ ، البحر المتوسط ووُضعوا فى السفن ، وشُحنوا فى ظروف بالغة السرية ، وكانت نسبة كبيرة منهم من دول أوروبا الشرقية حيث كان « الكرملين » منذ الأربعينات قد بدأ لعبته « الشرق أوسطية » لزرع القلاقل فى العالم العربى . وقد برز دور كل من فرنسا والاتحاد السوفييتى ومنظومته الاشتراكية فى تكثيف ودعم الهجرة اليهودية .

وفى الولايات المتحدة ؛ فإن رأياً عاماً مسموعاً عضّد ودعّم الهجرة الغير شرعية إلى فلسطين . وكانت منظمات - مثل « العُصبة الأمريكية من أجل فلسطين الحرة » ، « اللّجنة العبرية للتحرير القومى » ، « لجنة العمل السياسى من أجل فلسطين » ، « اللّجنة اليهودية الأمريكية » ، « اللّجنة المسيحية الأمريكية من أجل فلسطين » .... إلخ - تجمع المبالغ الطائلة لدعم منظمات الإرهاب الصهيونية ، وكانت إعلاناتها المتنافسة تدافع عن الإرهاب وتضغط من أجل الحصول على الإعفاء الضريبى فى مساهماتها للمنظمات الإرهابية اليهودية التى أثارت الرعب فى فلسطين ، وقامت بالنسف والاغتيال والخطف مثل

---

(١) نفس المرجع ص ٢٦٦

« أرچون تسفاى ليومى » و « شتيرن » و « البالماخ » ... إضافة إلى عصابة « الهاجاناة » التى كانت تعتبر الجيش الرسمى « للوكالة اليهودية » .

وعُقِدَ فى نيويورك مؤتمر فى مايو عام ١٩٤٢ آخر برنامج الإرهابى اليهودى « دافيد بن جوريون » بدلاً من وايزمان ، وسُمِّى هذا البرنامج : برنامج « بلتمور Piltmore » ويقضى بإنشاء دولة يهودية فى فلسطين وفتح باب الهجرة وتكوين جيش يهودى .

وشكَّل « مجلس الطوارىء الأمريكى الصهيونى » لجنة سُمِّيت « اللَّجنة الأمريكية الفلسطينية » ، وكانت تضم مئات من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب والوزراء والمحافظين والشخصيات ذات النفوذ من كل مناحى الحياة ... وفى ديسمبر ١٩٤٢ طالب ٦٣ من أعضاء مجلس الشيوخ و ١٨١ من نواب الكونجرس فى بلاغ مشترك بضرورة « استعادة الوطن القومى لليهود » .

وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٥ كتب الرئيس « ترومان » خطاباً لرئيس الوزراء البريطانى « كليمنت أتلى » مقترحاً أن « تصدير مائة ألف مهاجر يهودى سيساعد على رفع مستوى وضع الهجرة اليهودية فى فلسطين » .

وزاد عدد اليهود من ١١ ٪ عام ١٩٢٢ إلى ٣٢ ٪ عام ١٩٤٥ . واستمر الاتحاد السوڤييتى والدول التابعة له يشجعون الهجرة اليهودية . ولقد سمح الاتحاد السوڤييتى بتمركز ٣٠٠٠ ألف مهاجر يهودى إلى فلسطين فى موانىء البحر الأسود الروسية فى أكتوبر ١٩٤٧

وتطوَّرت الأمور عام ١٩٤٧ إلى أقصى حدود التفاقم بإصرار المنظمة اليهودية على أغلبية يهودية فى فلسطين ، وكان البريطانيون يقاومون كل الجهود لإجبارهم على اتخاذ سياسة جديدة ، وكان العرب يقاتلون اليهود والإنجليز فى وقت واحد .

وصدر قرار الأمم المتحدة « بتقسيم فلسطين » فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ على أساس دولة عربية ودولة يهودية بينهما اتحاد اقتصادى ومدينة « القدس »

تحت الوصاية الدولية ، وقد وضع هذا القرار أكثر من ٦٠ ٪ من أجود أراضى فلسطين ، ونصف مليون من مواطنيها تحت حكم الثلث اليهودى . وعند صدور قرار التقسيم كان يوجد فى فلسطين مليون ومائتى ألف من العرب فى مقابل ٦٢٥ ألف من اليهود . وصدر القرار بأغلبية ٢٥ صوتاً مقابل ١٣ وامتناع ١٧ عن التصويت ، وصوّتت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى معاً إلى جانب قرار التقسيم ، واختتم هذا القرار عمل ١٨ لجنة وبعثة على مدى ٢٥ سنة ، ومداولات فى الأمم المتحدة لمدة سبعة شهور . وكان قرار تقسيم فلسطين هو القضية الرئيسية الأولى والوحيدة التى عملت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى خلالها معاً فى تنسيق وثيق وتوافق تام منذ نشأة الأمم المتحدة . إن التفاهم الأمريكى الروسى بشأن فلسطين كان أعظم حادثة تاريخية هامة فى تاريخ الأمم المتحدة [١] .

وقبل أسبوع واحد من تصويت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار التقسيم ، زار وايزمان الرئيس ترومان ليدعم الموقف الصهيونى وليتأكد من أن خليج العقبة - بوابة المحيط الهندى - لن يُسلخ من الدولة اليهودية .

يقول وايزمان إنه قوّى اتصالاته مع « أصدقائنا » فى واشنطن ودعّم طلبه بالاعتراف بالدولة اليهودية فور إعلانها . وفى يوم ١٣ مايو ١٩٤٨ كتب خطاباً شخصياً إلى الرئيس « ترومان » يطلب فيه من الولايات المتحدة الاعتراف الفورى بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة .

وفى ١٤ مايو أبرق « فرانك جولدمان Frank Goldman » رئيس « المنظمة الماسونية » المسماه « بناى برث B'nai B'rith » - التى كانت تضم معظم أركان الحكم فى البيت الأبيض - للرئيس ينصحه أن يأخذ المبادرة بالاعتراف بالدولة اليهودية الجديدة . وفى الساعة الحادية عشرة والنصف من ذلك الصباح استدعى الرئيس ترومان « إلياهو إبستين

(١) Alfred M Liliental, What price Israel, p. 71 .

**Elahu Epstein » – أول سفير إسرائيلى فى الولايات المتحدة – وكان عندئذ ممثلاً للوكالة اليهودية فى واشنطن ، وأخبره بأن الولايات المتحدة ستعترف بإعلان استقلال إسرائيل على أن يكون واضحاً بأن طلباً بشأن هذا الاعتراف يجب أن يُقدَّم أولاً (١) !!**

وفى الساعة السادسة ودقيقة أُعلن عن قيام إسرائيل . وفى الساعة السادسة وإحدى عشر دقيقة منحت أمريكا الاعتراف . وكانت المعلومات أمام الرئيس ترومان خطاب مؤرخ فى ١٤ مايو ١٩٤٨ معنون فى أعلاه « الوكالة اليهودية لفلسطين » يقول : « إن هذه الدولة ستُقام عند منتصف اللّيل » ، وكان موقعاً من « إلياهو إبستين » ممثل الحكومة الانتقالية والتى لم يكن لها وجود حينئذ . كانت السلطة الوحيدة القانونية فى فلسطين عند كتابة وتلقى ذلك الخطاب – الانتداب البريطانى . ولم يكد – فحسب – يجف حبر توقيع الرئيس حتى أعلنت الحكومة الانتقالية . وبعد أربع وعشرين ساعة تقريباً من تصرف الرئيس ، المتسرع الغير لائق ، تلقت وزارة الخارجية الأمريكية برقية من الحكومة الانتقالية الإسرائيلية تطلب الاعتراف بها . وبعد دقيقة واحدة من منتصف اللّيل فى ١٥ مايو ارتفع عَلَم إسرائيل على الوكالة اليهودية فى « واشنطون » . وأنهى المندوب السامى البريطانى « ألن كننجهام » ستة وعشرين عاماً من الانتداب ... وغادر « حيفا » (٢) .

ورقص الناس فى شوارع تل أبيب وواشنطن ونيويورك . وبكى الأمريكيون من الفرح . وغنُّوا الأناشيد القومية اليهودية . وأدُّوا الرقصات الفلسطينية .. كانوا يصيحون فى هوس محموم بالعبرية « مازلتوف Mazeltov » أى « حظ سعيد » . ولوَّحوا بالأعلام الإسرائيلية (٣) .

وعلى الجانب الآخر ، فى جميع العالَم العربى تداعى الناس للقتال ، وهرع

---

(١) What price Israel, p. 81 - 87 .

(٢) المرجع السابق . (٣) نفس المرجع .

المتطوعون إلى الديار المقدسة ، وخرجت كتائب الجهاد الإسلامية من مصر فرحة محتسبة مستبشرة ، وهى تُردد نشيد « الحق الذى يحشد أجناده ويعتِد للموقف الفاصل » وراحت تقاتل العصابات الصهيونية فى فلسطين ، وشاركها أفراد من ضباط وجنود القوات المسلحة المصرية ، استقالوا من مناصبهم قبل أن تدخل الجيوش المصرية بحوالى شهرين ، وقد خلعوا رتبهم ونياشينهم وذهبوا كمتطوعين فحسب ، مفضلين إحدى الحسنيين .

ثم أعلنت سبع دول عربية الحرب رسمياً : مصر وسوريا والعراق والسعودية والأردن واليمن ولبنان ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين فى ظروف بالغة التعقيد .

فى مصر كانت « حكومة النقراشى الماسونية » التى زوّدت جيشها بأسلحة فاسدة ، كان أحد سماسرتها ملك مصر نفسه « فاروق » . وهذه الحكومة التى دُشّن حزبها فى المحفل الماسونى « الشرق الكبير » كانت قد قصّرت فى الاستعدادات الحربية طوال الفترة التى انقضت ما بين صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة وبين قرار إرسال القوات المسلحة للتدخل ، وأنها لم تشتر دبابات رغم أنه كانت توجد عروض معقولة تتحملها ميزانية مصر حسب ما جاء فى لوم المعارضة لحكومة « النقراشى » فى الجلسة السرية التى عقدها البرلمان بمجلسيه فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ وناقش خلالها نتائج الحرب » [(١)] .

وكان قائد الفيلق الأردنى هو الجنرال الإنجليزى « جلوب باشا » الشهير بـ « أبو حنيك » تحت القيادة العليا للملك عبد الله الذى أزيحت الأستار عن اتصالاته باليهود قبل وأثناء الحرب .

وكان الجيش العراقى مُقيّداً بالعبارة الشهيرة « ماكو أوامر » .

ولم يسلم الجيش السورى هو الآخر من عقبات مدبّرة على طريق القتال ،

---

(١) د . صلاح العقاد - جريدة الوفد : ٢ يناير ١٩٨٦

وباقى الجيوش لم تكن حالتها واستعداداتها أو طرق مواصلاتها تسمح بأى نوع جَدِّى من القتال .

ومع كل ذلك قاتلت الجيوش العربية التى تمكنت من القتال ، وألحقت هزائم متكررة باليهود ، ومعها قوات الفدائيين ، قتالاً شريفاً باسلاً ، رغم كثافة المعدات وتقدم السلاح الذى كان مع عدوهم . وقصفت المدفعية العربية « تل أبيب » ووصلت كتائب الجهاد المتطوعة إلى حوالى ستة كيلو مترات من عاصمة الكيان الصهيونى . واقترب النصر أو كاد ، وطلبت إسرائيل الهدنة بعد أسبوعين من بدء القتال ، وقد أصيبت بالهلع والذُعر ، ووافقت الحكومات العربية ، وفى مقدمتها « حكومة السعديين الماسونية » التى كانت تحكم مصر - كبرى الدول العربية ، وجيشها وفدائيوها يُشكلّون أكثر من ثُلثى المشاركين فى القتال » !!

وتدفقت على إسرائيل الأسلحة والمعدات الحربية المختلفة بكميات هائلة وخصوصاً الطائرات والدبابات والمدفعية الثقيلة ، ورافق الأسلحة متطوعين من جيوش العالم الأوروبى - شيوعى وليبرالى - قد خلعوا نسبتهم العلنية إلى جيوشهم الرسمية ، وجاءوا كمتطوعين !!

واستُؤنف القتال . ثم عُقدت هدنة أُخرى انتهكتها إسرائيل فى أكتوبر سنة ١٩٤٨ فاضطرت بعض الجيوش العربية الى الانسحاب من مواقع كثيرة كانت قد سيطرت عليها ، وتقدمت العصابات الصهيونية لتغتصب أراض جديدة غير تلك الواردة فى قرار التقسيم ، وفى خلال الهدنة حدثت مذبحة « دير ياسين » حيث دهم اليهود تلك القرية واغتالوا جميع من فيها أطفالاً ونساءً وشيوخاً ، وكانوا عزلاً من السلاح !!

وانتهت الحرب بالهزيمة والنكبة ، وتم توقيع اتفاقية أو هدنة « رودس » فى فبراير عام ١٩٤٩ . وَخُلِعَ نحو مليون عربى من ديارهم وشُرِدوا .

ولم يتبق من فلسطين عندئذ على ساحل البحر المتوسط بمدنه التاريخية :

« عكا » و « حيفا » و « يافا » و « قيصرية » و « أسدود » و « المجدل » إلا مدينة غزة وشريط ضيق حولها ، وهو ما عُرِفَ « بقطاع غزة » ، وقد وُضِعَ تحت الإدارة المصرية المؤقتة ، وأما فى الداخل فلم يتبق إلا القدس الشرقية وقطعة من الأرض شرقى فلسطين ، من جنين إلى الخليل ، وهو ما عُرِفَ باسم « الضفة الغربية » ويسميه اليهود « يهودا والسامرة » ، وقد ضمها عبد الله إلى « إمارة شرق الأردن » ليكوِّن منهما « المملكة الأردنية الهاشمية » ، وليترقى هو من « أمير » إلى « ملك » . وهكذا قامت إسرائيل الأولى ، إسرائيل عام ١٩٤٨ ، على امتداد ساحل البحر المتوسط من شمال « غزة » إلى ما بعد « نهارية » مع حدود لبنان ، وعلى السهل الساحلى والسهل الداخلى ووسط فلسطين وصحراء النقب ... منطقة تمتد من شمال « سهل الحولة » عند لبنان حتى « خليج العقبة » !!

وقبل أن نترك هذا الموضوع إلى موضوع آخر فى هذا البحث ، لا بد لى من ثلاث وقفات : الأولى عن « دور الشيوعيين » فى هذه الحرب ، والثانية عن « حكاية » أوردها « حسن التهامى » - أحد الضباط الذين شاركوا فى هذه الحرب ، والثالثة عن « تعليل » محمد حسنين هيكل « للهزيمة » التى نتجت عن الحرب .

● أما الشيوعيون فكعملاء لليهودية - فكراً وتنظيماً - فقد قاموا بدور « الطابور الخامس » فى محاولة فاشلة لتثبيط الروح المعنوية . فألقوا بمنشوراتهم الخسيسة التى تقول : « أيها العمال والفلاحون العرب واليهود : اتحدوا ضد البرجوازية العربية واليهودية ، ولا تشتركوا فى الحرب الرجعية ، بل اعملوا على قيام المجتمع الاشتراكى ، وصولاً بالثورة الشيوعية إلى الأممية البروليتارية » !!

قيىء عملاء نتن لا يحتاج الى تعليق .

● يروى « حسن التهامى » - الذى يصفه هيكل بأنه « عضو الخلية الأولى

التى شكلها جمال عبد الناصر فى تنظيم الضباط الأحرار » - حكاية ذات دلالة معينة ، تلقى بألف علامة استفهام . وأشهد أننى لم أجد مدخلاً واحداً لخيط من الضوء ، يُبدِّد بعض تلال الشك أو يقترب من كشف « شفرة » الألغاز ، لمغزى هذه الحكاية !

فقد نشر « حسن التهامى » مقالاً فى صحفية « الأهرام » بعنوان « زيارة القدس » ، عقب « الزيارة التاريخية !! » التى رافق فيها أنور السادات فيما سُمِّى « مبادرة نوفمبر ١٩٧٧ » ، ذكر فيه أنه أثناء حصاره مع جمال عبد الناصر فى « الفالوجة » فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فوجىء بجمال عبد الناصر يعطيه تفاحة وبرتقالة ، فلما سأله مستغرباً عن مصدرها ، أجابه بأن « إيجال يادين » قائد القوات الإسرائيلية التى كانت تحاصر الموقع أرسل له صندوقاً من التفاح وصندوقاً من البرتقال !!

وظل ذلك لغزاً عند التهامى حتى جاءت زيارة القدس عام ١٩٧٧ . فأراد التحقق من الواقعة . وفى مأدبة العشاء التى أقيمت فى فندق « الملك داوود » على شرف السادات ومرافقيه ، وحضرها الوفدان المصرى والإسرائيلى ، وبين طبقى الطعام الأول والثانى ، سأل التهامى « إيجال يادين » - نائب رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت - عن واقعة إرسال التفاح والبرتقال لجمال عبد الناصر ، فأجابه « يادين » بأن ذلك حدث فعلاً وأن جمال عبد الناصر كان صديقاً له ، وكان يعلم أنه يحب الفاكهة والحلوى فأرسل له هدية عبارة عن صندوق من التفاح وصندوق من البرتقال وصندوق من الشيكولاتة !!

تُرى هل كان « إيجال يادين » قائد معركة « الفالوجا » ومحاصرها ومنسِّق العمليات العسكرية بين « الهاجاناة » جيش « الوكالة اليهودية » وبين إرهابى منظمة « أرجون » أثناء الاستيلاء على « يافا » ، والذى خطَّط مع « بيجن » و « جيدى » مجزرة يافا البشعة ، لتنفيذ خطة سُمِّيت « الفرار الوبائى » و « الهرب الأكبر » للأطفال والنساء والشيوخ ومن تبقى من غير حاملى السلاح

بعد المجزرة ... أكان « يادين » ذلك مشغولاً حتى برفاهية عدوه وهو يحاصره ، والاثنان يحاربان حرب بقاء أو موت !؟

خبء ذلك عند أصحابه !!

● كتب هيكل - فيلسوف ومُنَظِّر النظام الناصرى المهزوم - مقالاً فى « الأهرام » ، فى بداية النصف الثانى من عقد الستينات - عقد الهزيمة اللعين - وقبل نكبة ١٩٦٧ بعام أو بعض عام ، التى أسماها « القائد الخالد » !! نكسة !! ووصفها الدكتور رشوان فهمى بأنها « وكسة » . يقول هيكل فى سخف من القول ما فحواه أن سبب هزيمة سنة ١٩٤٨ أن مصر والبلاد العربية لم تكن فى حالة اشتراكية !! وأن الرجال الذين تركوا أوطانهم وراحوا يحاربون فى فلسطين لم يكن لديهم شيء يملكونه أو يحرصون عليه أو يدافعون عنه من أجل هذه الأوطان !! ثم يخلص إلى القول - فى تندر وسخرية - ومن ثَمَّ لم يكن لديهم إلا « وعد بالجنة بعد الموت » !!

وهكذا حوَّل هيكل الوطن ، بكل عوامل الانتماء إليه ، من تاريخ مشترك وثقافة جامعة وأهل وأرض آباء وأجداد ومقام أبناء وأحفاد - حتى من وجهة نظر علمانية بحتة - إلى مجرد سوق صنعته « البرجوازية » أو خرافة « ميتافيزيقية » بثُّها الإقطاعيون وأصحاب رؤوس الأموال فى أدمغة الكادحين فصدَّقوها وراحوا يدافعون عن أوطان الملاَّك ، أى أن دفاع « الأجراء !! » المضطهَدين عن أوطانهم هو دفاع مرتزقة ، دُفِعوا بالقوة إلى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ( إلا حكاية الجنة بعد الموت ) ، قد فرغت معداتهم من عوامل الانتماء ، ومن ثَمَّ كانت الهزيمة !!

وقبَّح اللهُ الكذب وأهله .

ومع الافتراض الهيكلى - الكاذب بالطبع - بأن كل أرض مصر كان يملكها الإقطاع على النسق الأوروبى القديم ، وأن كل الذين ذهبوا أو أغلبيتهم الكثيفة كانوا من المساكين الشحَّاذين الذين لا يملكون بيتاً أو قيراطاً من الأرض ، ولا يجدون مأوى فى شقة أو غرفة ، عاطلين ومحرومين من العمل الحر فى حقل

أو مصنع أو شركة أو حتى فى دواوين الحكومة ... مع هذا الافتراض ، فإن الرد العملى على هذه المقولة الداعرة قد انقضّ على النظام وفلسفته وصاحبه ومُنَظِّره ، صباح الخامس من يونية ١٩٦٧ ، وفى عز الاشتراكية ، وبعد الثورة الثانية التى صفّى بها الزعيم بقايا الإقطاع حيث هدد بأنه مستعد « أن ألبس البدلة الكاكى وأعمل ثورة جديدة » !! ولم يعد هناك إقطاع - يُعيق النصر - حيث امتلأت بهم سجون « لجنة تصفية الإقطاع » برئاسة « المشير » المنتحر !! وأصبح الشعب كله اشتراكى ، وقطاع عام ـ كمان !!

بل لم تعد هناك « رجعية إسلامية » !! تتحدث عن حكاية الجنة بعد الموت ، ولا « تتاجر بالأديان » ، بعد أن حُجبت عن المجتمع « التقدمي » ، ووُضعت في السجون والمعتقلات ، وقصفت المشنقة الرسمية الرؤوس ، وغيبت « أكياس النايلون » غير الرسمية - المطمورة في صحراء العباسية بمن في داخلها - مَنْ مُزقوا في التعذيب ، ولم يُعلن حتى اليوم عن « فرارهم » !! من مستودعهم في « مكان أمين » !!

وأيضاً - أصبح الفكر والثقافة والتوجيه الإعلامي والتربية والتعليم والتنظيم المعلن والتنظيم الطليعي السري ، اشتراكي حتى النخاع .. وغنّت « أم كلثوم » للقائد المُلهَم « لم تعطنا الدنيا سواه .. ولا نريد لها سواه .. وسلمت يداه » !!

وإذا كان العامل الديني أو الروحي أو المعنوي غير مفهوم عند مُنَظِّر النظام السابق وتلاميذه . فإنني أُحيله - ليس إلى « التراث الإسلامي » ، لأنه رجعي ، أو حتى إلى « التاريخ الفرعوني » - بل إلى واحد من أبرز قادة العدو الذي حاربنا عام ١٩٤٨ ، ووقعنا معه الصلح عام ١٩٧٨ ، إلى « مناحيم بيجن » .

يتحدث « بيجن » عن مغزي « الأحجار القديمة » في « حائط المبكي » ، الذي زعموا أنه كان جداراً في « مملكة داوود » !! بمناسبة صدور حكم عام ١٩٢٩ ينص على حق المسلمين في امتلاك حائط المبكي ، ومحاولة الإنجليز منع اليهود من إطلاق « الشوفار » عند الحائط .. فيقول :

« ربما كان النزاع حول حائط المبكي والمدينة القديمة انعكاساً للكفاح من أجل امتلاك أرض إسرائيل ، ولعله من قبيل الإنصاف للسلطات البريطانية أن يُقال إنها كانت تدرك تماماً القيمة السياسية للرموز التقليدية ، فقد كان باللُّغة الإنجليزية - لا اللُّغة العبرية - أن كتب « دزرائيلي » أن الناس إما أن يُساسوا بالقوة أو بالتقاليد ، ولهذا وجهت السياسة البريطانية محاورها إلى قلب التقليد اليهودي ، كما استخدمت العرب والمسلمين في أنحاء أخرى . وكالمعتاد ، شُكِّلت لجنة تحقيق أصدرت « حكمها » - هذه المرة - في صورة أمر مجلس شورى لسنة ١٩٢٩ ، كُتب في سفاهة بالغة ، ونص على أن « للمسلمين الحق المطلق في امتلاك حائط المبكي علاوة على الحق في ملكية الساحة المجاورة والمنطقة التي تطل على الحائط » ، كما نص على أنه « محظور » على اليهود أن يُطلقوا « الشوفار » عند حائط المبكي .

« فرض البريطانيون المشهود لهم بمراعاة القانون هذا الحظر بحكم الدين . وإذا كان القانون الذي أصدروه قد حكم بأن حجارة الحائط الغربي من الهيكل العبري تخص مسجد المسلمين القائم على أنقاض ذلك الهيكل ، فلا راد لحكم هذا القانون بطبيعة الحال . تقليد مقدس ! شاهد حي على الماضي المجيد ! ميثاق حقوق منقوش على الحجر القديم ! لكل هذه الأسباب يجب أن تؤخذ حجارة الحائط من اليهود قطعاً . ومما ساعد على تحقيق هذا الغرض أن كان من بين اليهود أنفسهم حلفاء غير منتظرين للعدو كانوا يجادلون في زعم « تقدمي » كاذب بأن بضع بقرات أصيلات خير من كل هذه الحجارة .

« لكن الحجارة القديمة نفسها تدحض هراء أولئك التقدميين العاطفيين الذين يحاولون أن يُدخلوا في روع الأجانب أنهم متحررون من التحزب العتيق . إن هذه الحجارة ليست صامتة . إنها لا تجأر بالقول ، ولكنها تهمس . إنها تتحدث في رقة عن السبب القديم الذي كان قائماً هنا يوماً ، تتحدث عن الملوك الذين ركعوا هنا في صلواتهم ، تتحدث عن الأنبياء والرسل الذين هبطت عليهم رسالاتهم ، تتحدث عن الأبطال الذين سقطوا هنا شهداء ، وتتحدث كيف أن

الشعلة العظيمة ، التي كانت مطفأة تارة ومضيئة تارة أخرى ، إنما أشعلت هنا ، كان هذا المنزل ، وهذا الإقليم ، برسله وملوكه ومحاربيه ، ملكاً خالصاً لنا قبل أن يكون البريطانيون أمة . إن شهادة هذه الحجارة ترسل ضوءها عبر الأجيال .

« منذ السنوات الباكرة من سنى استعباد شعبنا كان حائط المبكي مستودع حنين هذا الشعب ، ولا ندع المتهكمين الساخرين يثرثرون ويهذون عن « التصوف » و« المتصوفين » . إن صوت التاريخ ما هو بالشيء الخفى الذي لا يدركه العقل . إن هو إلا عامل قدير في الحقيقة والواقع - ذلك هو الصوت الذي أرادت الحكومة البريطانية أن تُسكته فأصدرت القانون الذي يمنع اليهود من إطلاق « الشوفار » عند حائط المبكى . ولما تجاهل اليهود ذلك الحظر - كما فعل أتباع « يابوتنسكي » ثلاث عشرة سنة متعاقبة - كان هذا المشهد البشع المهين المستفز . رأيتُ ذلك المشهد بعيني رأسي يوم « عيد الفداء » سنة ١٩٤٣ عندما كنا نُصلّي أنا وزُمرة من الأصدقاء عند الحائط .

« كانت الشمس على وشك المغيب . ارتفع صوت جماعة المُصلّين اليهود النادمين عالياً ، كانت تلك صلاة الختام في المكان المقدس ، وكان الوقت وقت المحنة الكبرى في أوروبا ، وحينئذ اندفع رجال الشرطة البريطانيون المسلّحون بالبنادق والهراوات من كلا جانبي الساحة . وقفوا بين المُصلّين يهددونهم بوجودهم . لقد جاءوا « باسم الملك » ليحولوا دون عمل غير مشروع : إطلاق « الشوفار » في ختام سبت الأسباب . وعندما قاربت الصلاة نهايتها اندس رجال الشرطة أكثر فأكثر بين جموع المُصلّين ، بل إن بعضاً منهم أخذ طريقه إلى الحائط ، وعندما سُمِعَ صوت « الشوفار » رغم أنوفهم انفجر غضبهم . أطبقوا على المصلين - بينما كات الصلاة قائمة - وأخذوا يضربون على الرؤوس ، فكان صوت الهروات يُدوّي في الهواء . هنا وهناك تسمع صيحات المصابين . انبثقت أنشودة « هاتيكفاه » . أخذ البوليس يضرب حينئذ في جميع الاتجاهات . وعمّت الفوضى . ثم انسحبوا أخيراً .

« في تلك اللّيلة وقفنا بجانب حائط المبكي . منكسرة قلوبنا أكثر مما نزل بنا من إصابات . وكنا نقول لبعضنا البعض : « هذا هو الاستعباد بعينه » . إن ما لم يجرؤ ممثلو الروم أن يفعلوه بالأمس يفعله مندوبو بريطانيا اليوم . إن ما رفض أسلافنا أن يتحملوه من الطغاة الأقدمين . وإن دفعوا ثمن هذا الرفض من أرواحهم وحريتهم ، يتحمله اليوم جيل اليهود الذي يصف نفسه بأنه آخر عهود الظلم وأول عهود الخلاص . إن شعبنا الذي لا يحمي أماكنه المقدسة – بل ولا يحاول أن يحميها – ليس شعباً حراً مهما ثرثر عن الحرية . إن الشعب الذي يسمح لأقدس بقعة في أرضه ويسمح لأقدس مشاعره أن تُداس تحت الأقدام ، ليس إلا شعباً من الأرِّقاء ، أرقاء الروح . ولقد عقدنا العزم ونحن وقوف هناك ، وحينذاك ، على أن نُطهِّر شعبنا من هذا العار ، وعلى أننا إذا ما أوتينا القوة فإننا سوف لا نسمح لأتباع الطغاة أن ينتهكوا حرماتنا المقدسة ويزعجوا المُصلّين . ويُدنسوا عيدنا » [1] .

أما عن العوامل الدينية والتاريخية والروحية والتشريعية والتراثية فيقول « مناحيم بيجن » في ليلة السبت ١٥ مايو ١٩٤٨ – ليلة قيام إسرائيل وهو يخاطب « شعبه !! » من خلال محطة الإذاعة :

« بعد سنوات طويلة من حرب المقاومة ، سنوات عديدة من الاضطهاد والمعاناة الروحية والجسدية ، يقف المتمردون على الطغيان أمامكم الآن وآيات الشكر على ألسنتهم ، والصلوات الطيبات ملء قلوبهم . إن آيات الشكر هذه قديمة قِدَم الزمن ، فهى التي كان يرددها آباؤنا وأجدادنا تحية للأعياد المقدسة ، وبها كانوا يتذوقون الثمار لأول مرة في موسم الفاكهة . واليوم يوم عيد مقدس حقاً ، وها هى ذي ثمرة جديدة ماثلة أمام ناظرينا . إن التمرد العبري في السنوات ٤٤ – ١٩٤٨ قد كُلِّل بالنجاح ، وهو أول تمرد منذ ثورة الحشمونيين التي تُوِّجت بالنصر ، هُزِم حكم الطغيان في بلدنا ، لقد هُزِم وانهار وتفرّق وهبّت

(١) مناحيم بيجن ، التمرد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ص ١٤١ – ١٤٣

دولة إسرائيل في معركة دامية ، وبذا رُسِمَ طريق العودة الشاملة إلى صهيون .

« لقد وُضِعَ الأساس - مجرد أساس فقط - للاستقلال الحقيقي . انتهت مرحلة من مراحل المعركة من أجل الحرية ومن أجل عودة شعب إسرائيل قاطبة إلى أرض الوطن ، معركة استرجاع أرض إسرائيل المقدسة إلى أصحابها الذين وعدهم الله بها . وما تلك إلا مرحلة واحدة فقط .

» ...................................

« ألا إن كل واحد منا في حاجة إلى سلاح من نوع آخر بالإضافة إلى هذه الأسلحة المادية - سلاح روحي ، سلاح التحمل الذي لا تزعزعه الهجمات من الجو ، سلاح تكبد الخسائر الفادحة ، سلاح الصمود أمام الكوارث المحلية والهزائم الوقتية ، سلاح المقاومة الراسخة في مواجهات التهديدات والمداهنة .

« ...... والآن وفي هذا الوقت بالذات تحكمنا حكومة عبرية في جزء من وطننا ، وطالما كان هناك قانون عبري في هذا الجزء من وطننا - وذلك هو القانون الشرعي الوحيد في هذا الإقليم - فلا حاجة بنا ، بعد ، إلى مقاومة عبرية . سنكون جنوداً وبنّائين في دولة إسرائيل ، وسوف نحترم حكومتها لأنها حكومتنا .

« لقد قامت دولة إسرائيل ، ولكن يجب أن نذكر أن إقليمنا لم يتحرر بعد ، وستستمر المعركة ، وها أنتم ترون الآن أن كلمات محاربي « أرجون » لم تكن عبثاً . إن الأسلحة العبرية هى التي ستُقرِّر حدود الدولة العبرية . هكذا كان الحال في هذه المعركة ، وهكذا سيكون في المستقبل . إن الأرض التي وعدنا الله بها أرض موحَّدة ، وإن أية محاولات لتمزيق أوصالها ليست جريمة فحسب ، بل إنها كفر وضلال . إن من لا يعترف بحقنا الطبيعي في إقليمنا بأجمعه لا يعترف بحقنا في أي جزء منه ، وسوف لا نتنازل عن هذا الحق الطبيعي . وسوف نظل عاملين على توطيد تطلعاتنا إلى الاستقلال التام . يامواطني دولة إسرائيل ، ويا جنود إسرائيل ، إننا في وسط المعارك ، وإن أمامنا أياماً شاقة .

« لا يمكن أن نشتري السلام من أعدائنا بالمصالحة . إن هناك نوعاً واحداً من السلام يمكن أن يُشترى - إنه سلام المقبرة ، سلام « تريبلينكي » . ولتكونوا شجعاناً في هممكم ، مستعدين لمزيد من الابتلاء ، ولسوف نصمد وسوف يكون الله في عوننا ، يحفظ الشباب العبري الباسل ، ويُعين الأمهات العبريات على تقديم أولادهن - كما فعلت « حنا » - إلى مذبح الرب .

» ..................................

« سوف نمضي قُدماً في طريقنا إلى المعركة ، جند الله ، تلهمنا أرواح أبطالنا الأقدمين من غزاة « كنعان » إلى متمردي « يهوذا » وترفرف علينا أرواح هؤلاء الذين بعثوا أمتنا بعثاً جديداً بعد مواتها : زيف بنيامين هرتزل ، وماكس فوردو ، وچوزيف ترمبلدور ، وأبو البطولة العبرية الثائرة زيف يابوتنسكي ، ولسوف تكون في رفقتنا أرواح داڤيد رازيل أعظم قوّاد اليهود في أيامنا ، ودوف جرونر أحد الجنود العبريين الأبطال ، كما ستكون في صحبتنا إلى المعركة أرواح أبطال المشانق وغزاة الموت ، وسترافقنا كذلك أرواح الملايين من شهدائنا ومن أسلافنا الذين ذاقوا العذاب وحُرقوا في سبيل إيمانهم ، ومن آبائنا الذين قُتلوا وأمهاتنا اللاتي ذُبحن وأخوتنا الذين قُتلوا وأطفالنا الذين خُنقوا . سوف نحطم العدو في هذه المعركة ونُخلّص شعبنا الذي قاسى في أفران التعذيب متعطشاً إلى الحرية ، ومتحرقاً إلى العدل والإنصاف » [1] .

ما كان أغنانا عن إحالة أحد « بني قومنا !! » إلى شهادة « مناحيم بيجن » ، فننقل عنه كلاماً ، على النفس ثقيل .. ونحن أمة انبثقت أساساً من دين .

إن الهزيمة لم تكن بسبب رجال عانوا من « عدم الاشتراكية » !! بل بسبب عملاء الماسونية العالمية ، ووكلاء القوى المسماة بالعظمى ، الذين ابتُليت بلادنا بحكمهم ، ووُظفوا أصلاً لأداء ذلك الدور المرسوم ، بما في ذلك الذين جاءت بهم دبابات النصف الآخر من اللّيل في حراسة « العم سام » !!

* * *

---

(١) مناحيم بيجن ، التمرد ، ص ٤٨٤ - ٤٨٨

# الماسون على دبابات النصف الآخر من اللّيل
# فى حراسة العم سام !!

انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، وأصبح الغرب الأوروبي ضعيفاً من الوجهة الاقتصادية والعسكرية . وشاخت بريطانيا وفرنسا وصارتا أقل مقدرة على تدعيم الإمبراطوريات . وأمسكت الولايات المتحدة والاتحاد السوڤييتي بدفة العالم .

وفي ٢١ فبراير ١٩٤٧ قدّمت السفارة البريطانية في واشنطن مذكرتين إلى وزارة الخارجية الأمريكية تعلن فيهما نهاية الوصاية البريطانية في الشرق الأوسط ، في نفس اليوم الذي كان فيه وزير الخارجية الأمريكي « جورج مارشال » يُلقي أمام حشد من الشباب الأمريكي في « برنستون » خطبة يوضّح فيها « الدور الذي أصبح على الولايات المتحدة أن تلعبه في العالم بعد أن تغلغلت في كل أركانه جغرافياً ومالياً وعسكرياً وعلمياً . ودعا الأمريكيين حيال وضع كهذا لأن يرتفعوا إلى مسئولياتهم لضمان أمن وسلامة العالم » !!

وإذا كانت بريطانيا وأمريكا - مدعومتان من روسيا السوڤييتية - قد تبادلتا الأدوار الأولى في تمهيد الطريق أمام « الأفعى » ودعمها حتى وصل الرأس إلى « صهيون » ، وفق مراحل زمنية خططها « المحفل الكونى الماسونى » ، تختص كل واحدة من القوى الاستكبارية بالدور الأول فى هذه المرحلة أو تلك ، وتوافقت أشكال أنظمتنا الحاكمة - الغطاء المحلي - مع تلك المراحل .. فإن الدور الأول قد جاء الآن على الولايات المتحدة الأمريكية لحراسة « الأفعى » وتوسيع مجال حركتها وتأمين لولبها !!

وبدأت الولايات المتحدة تواجه حرباً أطلق عليها الأدميرال « ساورز » مدير المخابرات المركزية وقتئذ - اسم « الحرب التي لا كالحروب » .

وكان الارتفاع إلى مسئولية ضمان أمن وسلامة العالم ومواجهة الحرب التي ليست ككل الحروب هو التدخل الخفي في شئون الشرق الأوسط ، والعالم العربي في المقام الأول ، حيث كانت أمريكا تواجه في سنة ١٩٤٧ ما أسماه « مايلز كوبلاند » : « مشكلة النزاع العربي الإسرائيلي » !!

ووُضعت في واشنطون قواعد « لعبة الأمم » . وأشارت مذكرات الحكومة الأمريكية عام ١٩٤٧ بوضوح وتأكيد إلى أن أجهزة المخابرات والسلك الدبلوماسي كانت على وشك القيام بتغييرات في قيادة بعض دول الشرق الأوسط باللجوء إلى تغيير اللاعبين الذين يُشكِّلون حَجر عَثرة في طريق السياسة الأمريكية ، واستبدالهم بآخرين أكثر انسجاماً مع الظروف الراهنة !!

يقول « مايلز كوبلاند » :

« ولكن أين نبدأ ؟ لا يمكن أن نبدأ في تركيا أو اليونان ، فالبلدان حليفان لنا ويريدان ما نريده نحن . وقياداتهما تسهران على رعاية أهدافنا المشتركة ، كما أننا لا يمكننا أن نبدأ في إيران لأننا في انسجام وتفاهم مع قيادتها . وبالتالي فلم يبق أمامنا سوى العالم العربي الذي بدأت الأمور تتفاقم بيننا وبينه ، وأن استلام مقاليد الحكم من أشخاص ذوي ثقافة أوسع وإدراك أعمق سينقل هذه الأقطار العربية من صف المناوأة إلى صف الموالاة لنا » .

أما الهدف فهو « التوصل إلى أي تسوية حول مشكلة فلسطين » ..« وكان وضع القيادات العربية في عام ١٩٤٧ مبرراً كافياً للتدخل بشئون العالم العربي » .

لكن في أي الأقطار العربية تجري التجربة ؟!

ولم يستطع الأمريكان أن يبدأوا من العراق لأن الفريق المكلَّف بالتنفيذ لم يستطع مباشرة ذلك دون علم البريطانيين وموافقتهم ، كما أن حكومة المملكة العربية السعودية - رفضت كافة اقتراحاتهم لتغيير طريقة الحكم فيها . وأسقطوا من حساباتهم التدخل في شئون لبنان والأردن ومصر لاعتبارات شتَّى . وبحساب البواقي لم يبق أمامهم إلا سوريا .

واستُغِلت ظروف انتخابات ١٩٤٧ لمحاولة « إفساح المجال أمام مجموعة من الزعماء على شيء من الذكاء والحنكة والتعاون للوصول إلى سدة الحكم واستلام مقاليد الأمور » [١] .

وقام فريق من العملاء السريين بالمساعدة فى هذا المجال دون الظهور بمظهر المؤيدين للمرشحين الموالين لنا . وقامت الشركات الأمريكية الخاصة بالتعاون مع أفراد الجالية الأمريكية وبعض الإرساليات التبشيرية هناك . وتمكّن رئيس إرساليات طائفة الكنيسة الإصلاحية ( ميثودية ) ، أن ينتزع وعداً من أكبر اتحاد للمثقفين الأكراد بأنهم وزملاءهم لن يقوموا باستغلال أصوات الأميين الأكراد ويكتبوا لهم على أوراق الاقتراع أسماء مرشحي الاتحاد .

وتضمنت خطة التحركات النقاط التالية :

١ - حملة دعائية قامت بها إحدى شركات البترول الأمريكية .

٢ - ترتيبات أعدت مع بعض مكاتب سائقي السيارات العمومية لنقل الناخبين مجاناً إلى أماكن الاقتراع .

٣ - تزويد مراكز الاقتراع الرئيسية في المدن بآلات أوتوماتيكية لتسجيل الأصوات حتى تغدو الانتخابات السورية كمثيلاتها في أمريكا تماماً .

وجاءت نتيجة الانتخابات السورية مُخيِّبة للآمال . ولم يفز عملاء الأمريكان . « من جملة الأسباب غضب العرب لاعتقادهم أننا كنا نساند الصهيونية - وهذا صحيح مهما كان المبرر لذلك - ومن ثَمَّ إسرائيل بشكل مفضوح لا تحرج فيه ولا حياء » [٢] .

وأعلن عن قيام إسرائيل في ليلة ١٥ مايو ١٩٤٨ . ودخلت الدول العربية الحرب وخسرتها على ما سبق أن عرضنا في الفصل السابق .

---

(١) لعبة الأمم - مايلز كوبلاند - تعريب مروان خير - مكتبة الزيتونة ، بيروت ، ص ٦٥ - ٦٦

(٢) لعبة الأمم ، ص ٦٧ - ٦٩

وعجزت أمريكا وريثة الاستعمار الغربي أن تقنع الأنظمة العربية التقليدية لكي تقبل الغرس الزنيم وتُسلّم بالكيان الغريب ، لأن تلك الأنظمة ما كانت لتستطيع – وهى المتهالكة المهترئة – أن تقود جماهير الأمة إلى ذلك الهدف المشبوه . وفشلت التجربة الأمريكية لاحتواء سوريا من خلال التغيير « الديمقراطي » على طريقة الانتخابات .

« وفي تلك الأيام كان الاعتقاد السائد عند كبار موظفي وزارة الخارجية أن الفراغ الذي حدث نتيجة الانسحاب البريطاني من المنطقة ، بالإضافة إلى موقفنا المؤيد للصهيونية في فلسطين – والذي لا مفر منه – قد حصر أهدافنا هناك ضمن حدود بذل قصاري جهدنا لتقليل الخسارة وتخفيف حدة الفشل » (١) .

فراحت أمريكا تقوم بإجراء « المناقصات » لبناء زعماء جدد يمتصون غضبة الجماهير ونقمتها « ببذاءتهم العسكرية » وصرخاتهم التهريجية « ونباحهم الإذاعي الاستهلاكي » والمحسوب المدى ، يصرفون حمية الشعوب المحيطة بالكيان الصهيوني ، ويحوّلونها إلى « مسارب » معينة في معارك مصطنعة وقضايا كاذبة ، وحروب « قومية » !! « ثورية » !! « تقدمية » !! « اشتراكية » إلى آخر هذه المعزوفة ، على طريقة الصرف والري حتى ينمو الكيان اليهودي ويزدهر ، آمناً مطمئناً ... وحركة الجماهير « محبوسة محسوبة » في أيدي « الأخوة الصغار » !! « ثوارنا » .. مؤمّني اللّولب !!

وجاءت النُخبة العسكرية في بلاد الشرق الإسلامي على « دبابات النصف الآخر من اللّيل » بتخطيط وتنظيم وحراسة « العم سام » !!

وكانت « سوريا » – وللمرة الثانية – هى حقل التجربة ..

وكانت الخطة عبارة عن حركة يقوم بها الجيش السوري بدعم سري بقصد الإطاحة بالنظام القائم .. وكان انقلاب « حسني الزعيم » .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧١

يقول مايلز كوبلاند :

« كان انقلاب حسنى الزعيم يوم ٣٠ آذار ( مارس ) ١٩٤٩ من اعدادنا وتخطيطنا . فقد قام فريق العمل السياسي بإدارة الميجر « ميد » بإنشاء علاقات صداقة منتظمة مع حسني الزعيم ، الذي كان رئيساً لأركان الجيش السوري . ومن خلال هذه الصداقة أوحى الميجر « ميد » لحسني الزعيم بفكرة القيام بانقلاب عسكري اضطلعنا - نحن في السفارة - بمهمة وضع كامل خطته وإثبات كافة التفصيلات المعقدة . إلا أن تحركاتنا هذه لم تثر أكثر من شكوك عند الساسة السوريين ، فقد كانت كلها سرية ومتقنة الوضع والتخطيط . وأثارت هذه الشكوك - فيما بعد - فضول رجال الصحافة الغربيين وفئات من الطلبة فقاموا بإجراء مقابلات مع مَنْ كان لهم ضلع في العملية ، كما قاموا بفحص الوثائق التي لها صلة بالموضوع . وكانت نتيجة ذلك أن اعترفوا بصحة شكوك الساسة السوريين ودقتها . بيد أن الانقلاب حافظ على صيغة سورية محضة أمام أنظار العالَم الخارجي إلى أن بدأت الروائح تفوح منه وأخذت الألسن تتناقل « أن حسني الزعيم ليس أكثر من مجرد صبي من صبيان الأمريكان »[١] .

وظن الأمريكان أن الباب قد « فُتِحَ على مصراعيه » أمام السلم والتقدم نتيجة انقلاب « الزعيم » ... والسلم والتقدم الذي يعنيه الأمريكان هو القبول السوري بالكيان الإسرائيلي والصلح مع دولته التي أعلنت منذ أقل من عام . ولم يكن في استطاعة حسني الزعيم أن يفعل ذلك . وكان محور حركته ذاته ومنصبه الرفيع . بانت الحقيقة وهى أن حسني الزعيم أصبح لا يمثل أكثر من نفسه سواء في علاقاته مع مناصريه الأمريكيين ، أو في طبيعة معاملته للشعب السوري ... أما الجماهير السورية فكانت تطالب بالثأر .

« وفي اليوم الثاني للانقلاب ، أمضى الميجر « ميد » ساعات طويلة مع حسني الزعيم وهو يُحدِّد له أسماء أولئك الذين يجدر أن يكونوا في مناصب

(١) لعبة الأمم ص ٧٣

ديبلوماسية ، ومن يجدر به أن يكون سفيراً في قاعة سان چيمس ( البلاط البريطاني ) وما هى وجبات الطعام التي يجب أن تُقدَّم إلى الرئيس القوتلي في سجنه حتى لا تلتهب القرحة في معدته . وما أن أُذيع الاعتراف الأمريكي بنظام الحكم الجديد حتى بدا حسني الزعيم وكأنه رجل جديد لا يَمُتُّ إلى الماضي بصلة . فقد أبلغني الميجر « ميد » في أحد الأيام فجأة أن علينا أن نتمثل له قياماً كلما دخل القاعة ، وأنه من الضروري تبديل كلمة « أنت » بكلمة « أنتم » في سياق خطابنا له ( وكان يتكلم الفرنسية ) بل ويُستحسن استبدالها بكلمة « صاحب الفخامة » . وباستثناء هذه الأمور الثانوية فلقد بقيت علاقاتنا معه ودية لآخر أيامه . إلا أنه بدأ يتضح لنا أننا قد أغفلنا أمراً ضرورياً جداً عند رسم خططنا ، وأن الوقت قد حان لبدء البحث عن رجل آخر يحل محل حسني الزعيم الذي لا محالة قد اقترب من نهايته » [١] .

وجاء الرجل الآخر ... وجاءت معه وبعده سلسلة من الانقلابات السورية الشهيرة !!

« وفي صبيحة الرابع عشر من شهر آب ( أغسطس ) ١٩٤٩ قامت مجموعة من أصدقاء الضباط ، بقيادة « سامي الحناوي » اسماً و « أديب الشيشيكلي » فعلاً ، بمحاصرة بيته وقتله ثم دفنه في المقبرة الفرنسية . وقد أخبرني الشيشيكلي بعدها أنه كان لبقاً معنا ، إذ عامل حسني الزعيم على أساس أنه عميل فرنسي وليس عميلاً أمريكياً . وبعد أربعة شهور تماماً قام الشيشيكلي بدوره باعتقال سامي الحناوي وبدأ بإدارة البلاد من خلال واجهات مدنية متعددة حتى تشرين الثاني ( نوڤمبر ) ١٩٥١ عندما ظهر على أنه رجل سوريا القوى . وبقى الشيشيكلي في سدة الحكم حتى شباط ( فبراير ) ١٩٥٤ حيث غادر البلاد هرباً من وجه أحد الانقلابات العسكرية العديدة التي تعاقبت على سوريا منذ ذلك الوقت » [٢] .

* * *

---

(١) لعبة الأمم ، ص ٧٥ - ٧٧　　　(٢) المرجع السابق

● وهكذا فشل التخطيط والإخراج الأمريكي في سوريا وتحوّل الاتجاه إلى مصر . لأن مصر بإمكاناتها البشرية والطبيعية والجغرافية والحضارية - لها مكاناً يجعل أي تأثير فيها لا ينحصر داخلها ، بل يمتد وينعكس في جميع الأقطار العربية الأخرى .

وكان التسرب الأمريكي إلى مصر قد بدأ منذ أواخر الأربعينات . وكان « الملك فاروق » من أكبر أنصاره ، خصوصاً بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الذي هدده الإنجليز يومها بخلعه من العرش . فوجد في أمريكا درعاً بديلاً . وأخذ كثير من الصحفيين والساسة يُبشرون بأمريكا الجديدة . ومن بين هؤلاء مصطفى مرعي وحافظ رمضان وأحمد حسين وعباس عمار وأحمد حسن الباقوري . وقد أسس أحمد حسين ( الذي عُين أول سفير لحركة يوليو في أمريكا ) ومعه عباس عمار وغيرهم ، ما أطلق عليه « جمعية الفلاح المصري » . وكانت مدرسة « أخبار اليوم » من أشد المتحمسين لدور أمريكي في مصر حيث ستنتقل مصر من خلال « أمريكا الضاحكة » إلى مجتمع مماثل في الديمقراطية والحرية والتقدم .

وعلى هذا الأساس استعار « دين أتشيسون » - وزير الخارجية - « كيرميت روزفلت » في عام ١٩٥١ من المخابرات الأمريكية ليرأس لجنة من الاختصاصيين . كما استعار آخرين من وزارتي الخارجية والدفاع . وجلب آخرين كمستشارين من قطاعي الأعمال التجارية والجامعات . وكانت مهمة هذه اللّجنة دراسة العالم العربي وبصورة خاصة « النزاع العربي الإسرائيلي » .

وفي أوائل عام ١٩٥٢ أنهت اللّجنة تقريراً حول « لعبة الأمم » في الشرق الأوسط ، مؤداه أن أمريكا في حاجة إلى قائد عربي تتجمع بين يديه سلطات تفوق كل ما تيسر لأي زعيم عربي آخر من قبل ... سلطات تُمكّنه من اتخاذ قرار سواء رضي به الشعب أم لم يرض . والرجل الوحيد الذي يستطيع الحصول على مثل هذه السلطة هو الشخص الذي يتطلع إليها بشوق .

وكان لا بد لهذا الزعيم كي تُتاح له الفرصة لقيادة شعبه أن يجتمع هذا

الشعب على شيء يخشاه ويكرهه كخطر يهدد الجميع ، ولم يكن هناك خطر يمكن أن يجتمع الشعب عليه إلا إسرائيل ... وكان لا بد من استغلاله صورياً مع تجنب خطر إثارة الشعور إلى درجة تؤدي إلى خروج الموقف من يد « اللاعبين » .

واستُبعدت فكرة الثورة البيضاء التي يقودها - بتوجيه أمريكي - الملك فاروق شخصياً ويُصفِّي بها النظام البرلماني القديم ويحل محله نظام آخر جديد مستبعداً بذلك القوى الثورية التي زعمت المخابرات الأمريكية أنها على وشك القيام بثورة وعلى رأسها « الإخوان المسلمون » و « الشيوعيون » .

وفي مايو ١٩٥٢ وافق « كيرميت روزفلت » على رأى « جيفرسون كافري » السفير الأمريكي في القاهرة على أن الجيش المصري وحده هو الذي يستطيع مواجهة الموقف المتدهور في مصر وإقامة حكم تستطيع الدول الغربية أن تتعامل معه في حدود المنطق والمعقول .

وقد تم الاتفاق على أن العلاقات المقبلة بين الحكومة المصرية الجديدة التي ستتألف بعد الانقلاب والحكومة الأمريكية يجب أن تقوم على أساس شعارات للإعلان فقط . تقول بوجوب عودة الحكم الديمقراطي إلى مصر ، على أن يكون مفهوماً بصورة ضمنية وسرية أن الشروط اللازمة لذلك الحكم الديمقراطي لم تتوفر بعد ، وهى لن تتوفر لسنين طويلة قادمة .

وفي كل الأحاديث التي دارت بين الضباط الأحرار مع كيرميت روزفلت - عميل المخابرات الأمريكية - قبل شهرين من انقلاب عام ١٩٥٢ كان موضوع السخط على بريطانيا هو الموضوع الوحيد الذي دار حوله البحث .

وعاد كيرميت روزفلت إلى واشنطن قبل شهرين من الانقلاب . وقدَّم إلى وزير الخارجية الأمريكية « دين أتشيسون » تقريراً وردت فيه النقاط التالية :

١ - أن الثورة الشعبية التي كانت وزارة الخارجية الأمريكية تخشاها ، والتي كان يسعى إليها الشيوعيون !! والإخوان المسلمون لم تعد ذات موضوع .

٢ - لم يعد هناك أي احتمال يحول دون وقوع ما يرجوه المخطّطون في وزارة الخارجية وأن الجيش سيقوم بانقلابه القريب .

٣ - أن الضباط الذين يُرجّح أن يقودوا الانقلاب ستكون لهم مبرراتهم القوية . وسيزيد ذلك من حظهم في النجاح وسيجعل منهم مفاوضين مرنين عندما يحتلون مراكز السلطة .

٤ - على الحكومة الأمريكية أن توافق على إقصاء الملك فاروق ، وربما على نهاية الملكية في مصر .

٥ - على الحكومة الأمريكية أن تحجم بعد الانقلاب عن محاولة إقناع العسكرين بإجراء انتخابات أو إقامة حكومة دستورية .

٦ - أما الحاجة إلى عدو يجتمع على كراهيته الجميع ( وفقا لمبدأ برتراند رسل ) فلن يكون هذا العدو إسرائيل .. بل الطبقة الأولى في داخل مصر .. وكذلك الإنجليز .

وقام الانقلاب ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وإذا كانت السفارة الأمريكية في القاهرة لم تطلع على أخبار الانقلاب في حينها فلا يعود ذلك إلى تقصير من « جمال عبد الناسر » - بطل اللعبة - بل إن السفارة كانت مغلقة في اللّيل . غير أن « على صبري » - مدير مكتب عبد الناصر ورئيس وزرائه وأمين اتحاده الاشتراكي ونائبه على تسلسل وظائفه - قدّم إلى السفير كافري تقريراً شاملاً عما حدث قبل ليلة واحدة من الانقلاب . مع تأكيدات بأن الحكومة الجديدة ترغب في علاقات ودية مع الولايات المتحدة .. !!

هذا من ناحية الشكل الرسمي .. أي « السفارة » .. أما واشنطن ومخابراتها في القاهرة ، فكانت تعلم كل شيء من خلال الاجتماعات التآمرية التي سبقت الانقلاب [١] !!

---

(١) راجع : لعبة الأمم ، ص ٨٠ - ٩٥

وكذا : السياسة الأمريكية والثورة المصرية مستخلص من لعبة الشعوب ، ص ٥ - ١٩

وتلا ذلك تأكيدات علنية من « محمد نجيب » القائد الرسمي للانقلاب أرسلها إلى السفارة تقول : « إن قضية فلسطين لا تعنيه في شيء » !! ولكنه زار السفير كافري بعد ساعات طالباً سحب بيانه هذا واستبداله بشيء آخر . أقل ملاءمة للاستهلاك المحلي في الولايات المتحدة ، وأكثر انسجاماً مع الأسس التي كان مهندسو اللعبة يوافقون عبد الناصر على أنها ضرورية لكي ينال العهد الجديد رضا الرأى العام المصري [1] ... أي تسريب معلومات للشعب المصري وللأمة العربية تزعم بأن النظام إنما جاء لينتقم من هزيمة أو عار ١٩٤٨ !! وفي نفس الوقت التواطؤ مع الأمريكان لصرف النظر عن القضية الفلسطينية برمتها ..

وفي كتابه « كلمتي للتاريخ » يهتك « محمد نجيب » الستر عن رأيه في التعايش بين إسرائيل والدول العربية ، وعن اتصالات الانقلاب منذ البداية مع المرشح الأمريكي للرئاسة بخصوص هذا الموضوع ، وعن علاقة مجلس قيادة الثورة باليهود ، سواء أكانوا تجاراً أو حاخامات . يقول « نجيب » :

« عندما زار القاهرة أدلاى ستيفنسون الذي كان مرشحاً لرئاسة الجمهورية الأمريكية قال لي : إن إسرائيل والدول العربية يجب أن تعيش .

ووافقت « أدلاى ستيفنسون » على رأيه وأضفت قائلاً : إنني أعتقد أن إسرائيل يمكن أن تعيش كدولة رمزية مثل الفاتيكان لا تكون لها أطماع توسعية في أرض العرب .

وقد رحب « أدلاى ستيفنسوس » برأيي قائلا : إنه يمكن أن يكون نقطة بدء للبحث في استقرار الأحوال والأمن في منطقة الشرق الأوسط .

وكان يقيني أن مشكلة إسرائيل ليست صراعاً بين معتنقي الأديان السماوية ... والعرب لا يحملون لليهود عداوة خاصة .

---

(١) لعبة الأمم ، ص ٩٥

وعندما فتح « سلڤاتور شيكوريل » وهو « يهودي » محله الجديد الذي بناه بعد حريق القاهرة ، ذهب البكباشي « أحمد أنور » قائد البوليس الحربي مندوباً عن « مجلس القيادة » في حفل الافتتاح ، وحرصتُ على زيارة « معبد الطائفة اليهودية » يوم « عيد الغفران » حيث أمضيتُ وقتاً طيباً مع « الحاخام الأكبر حايم ناحوم » الذي كان عضواً في مجمع اللُّغة العربية .

كان يقيني أن إسرائيل ليست هى عدونا الأول في هذه الفترة ... » [١] .

وهكذا عثر الأمريكان على « لاعب جديد » على مسرح الأحداث تنطبق صفاته على كل ما كانت تجري بشأنه التجارب وما كانوا يسعون للحصول عليه . وأصبح واضحاً أن « ناصراً ما » كان ضرورياً لجميع مراحل « المسرحية » وأن « لعبة بدون ناصر هى كقصة هملت بدون بولونيوس » .

فمنذ البداية كان « وليم ليكلاند » ضابط الارتباط السياسي في السفارة الأمريكية يعرف أن محمد نجيب كان واجهة لعبد الناصر ، وكان محمد حسنين هيكل هو الذي قام - قبل الانقلاب - بتحقيق اللقاءات بين « ليكلاند » والضباط الأحرار ، وعلى رأسهم عبد الناصر !! وفي الأشهر التي أعقبت الانقلاب كان ليكلاند يستقبلهم في شقته المطلة على النيل ... وبينما كانت الجماهير المصرية والعالَم الخارجي يهتف لنجيب ، كانت السفارة الأمريكية تتعامل - من خلال « ليكلاند » - مع « عبد الناصر » كرجل قادر على اتخاذ القرارات .

وكان السفير الأمريكي « كاڤري » يقوم بين حين وآخر بزيارة محمدنجيب لأسباب روتينية ، وكان يُسلِّمه الرسائل التي كانت واشنطن لا تخشى ضياعها في الطريق !! أما العمل الحقيقي بين الحكومتين الأمريكية والمصرية فقد كان يُدار من خلال « ليكلاند » و « ناصر » ... وبالطبع كان ذلك تحت إشراف « كيرميت روزفلت » المشرف والمنسِّق العام ورئيس « لجنة تخطيط الشرق الأوسط » .. الذي لم تنقطع علاقته بجمال عبد الناصر !!

---

(١) محمد نجيب ، كلمتى للتاريخ ، دار الكتاب الجامعي ص ١٤٢ - ١٤٣

يقول « محمد نجيب » في مذكراته :

« المرة الأولى التي رأيت فيها السفير الأمريكي جيفرسون كافري كانت على مرسي اليخوت في قصر رأس التين عصر ٢٦ يوليو ١٩٥٢ عندما حضر لتوديع الملك تلبية لرغبته ، وتبادلنا التحية دون حديث ... ومضت الأيام دون لقاء حتى لبيت دعوة عشاء في منزل البكباشي عبد المنعم أمين ، وهو منزل أنيق يطل على النيل عند كوبري عباس بالجيزة ، وكان حاضراً معنا جيفرسون كافري وأربعة من رجال السفارة علمت فيما بعد أن اثنين منهم من رجال المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان معي جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادي وزكريا محيي الدين ومحمد رياض قائد الحرس ، وتكررت الدعوة مرة أخرى في نفس المنزل بعد أسبوع واحد .

وانقطعت بعد ذلك اجتماعاتي الخاصة مع الأمريكان وإن كانت قد استمرت هذه الاجتماعات سراً مع جمال عبد الناصر وعدد من أعضاء مجلس القيادة . ولما علمت ذلك عارضت هذا الاتجاه بشدة ، ووجهت لهم النصح في أن يبتعدوا عن هذه الاتصالات ، ولكن ذلك لم يمنع مداومة هذه الاتصالات السرية » .

« كنت نازلاً من مكتبي في مجلس قيادة الثورة الساعة ١١ مساءً ، ومررت على جمال عبد الناصر فوجدت عنده « كيرميت روزفلت » الذي حضر العشاء معنا عند عبد المنعم أمين ، فسألته عن سبب وجوده بعد أن توقفت عند باب الغرفة ، فقال لي : إنه كان يرغب في مقابلة سيادتكم .

وقد غضبت جداً من هذا التسلل الأمريكي وأجبت جمال عبد الناصر بجفاء : أنا أكره رجال المخابرات ولا أريد مقابلة هذا الرجل ، وإذا كان الأمريكيون يريدون الاتصال بي فليقابلني السفير الأمريكي . وتركت « كيرميت روزفلت » في مكتب « جمال » واصطحبته معي وقلت له : إن وجود رجال المخابرات الأمريكية في مبنى مجلس الثورة أمر خطير جداً ، وقلت له محذراً : إن

الأمريكيين يريدون تخريب الثورة والقضاء عليها واحتواءها لتسير في ركاب أمريكا ، وقلت له : يجب أن تقطع هذه الاتصالات . فوعدني بذلك . ولكني علمت فيما بعد أن هذه الصلات لم تنقطع بل استمرت وزادت » [١] .

ونشر « حسن التهامي » - الذي يصفه « مايلز كوبلاند » بأنه المساعد الوطني للرئيس جمال عبد الناصر - مقالتين في « الأهرام » متتابعتين ، يفصل بينهما يومان ( وكان مقرراً أن تكون سلسلة ثم قُطِعت فجأة ) تحدَّث فيهما عن انضمام عبد الناصر إلى التنظيم الشيوعي « حدتو » تحت اسم « موريس » ، وعن التسليح ، وعن زيارة « التهامي » للولايات المتحدة ومقابلته للمدعو « مايلز كوبلاند » أمام مبنى البنتاجون ..... وغير ذلك مما تضمنته المقالتان من معلومات جديدة .

وما يهمني هنا هى تلك « الصورة الفوتوغرافية » بالشكل الكامل لأصحابها ، من الرأس حتى القدم ، التي نُشرت في صدر الصفحة الثالثة من صحيفة « الأهرام » ، حيث كان مقال التهامي ... والصورة تجمع بين « كيرميت روزفلت » - عميل المخابرات الأمريكية - و « محمد نجيب » و « جمال عبد الناصر » و « زكريا محيي الدين » . وأسفل الصورة تعليق من « الأهرام » يقول : « صورة نادرة من ملف حسن التهامي تجمع بين كيرميت روزفلت ومحمد نجيب وجمال عبد الناصر وزكريا محيي الدين » وبجانبها صورة نصفية وتحتها توضيح من الأهرام يقول : « مايلز كوبلاند صاحب كتاب لعبة الأمم الشهير » .

ولست أعرف ماذا كان المقصود من السماح بنشر المقالتين والصورتين ثم التوقف عن النشر بعد ذلك فجأة !!

مرة أخرى خبء ذلك عند أصحابه !!

ونمضي مع اللّعبة وأبطالها .. أو عملائها ..

---

(١) محمد نجيب ، كلمتي للتاريخ ، ص ١٢٧ - ١٢٩

وبناء على أوامر من الرئيس الأمريكي « أيزنهاور » أرسل « كيرميت روزفلت » شخصية عسكرية من نوعية رجال الثورة لتقييمهم ودراسة أوضاعهم وهو « ستيڤن ميد » المغامر وخبير التجسس واستخدام عهد الظلام الذى أقيم فى سوريا . وكتب « ميد » تقريراً إلى روزفلت يقول : « إن هؤلاء الصبيان يرون أنفسهم كأفراد عصابة « روبين هود » المرحة وهم فرحين لأنهم أعلنوا أبطالاً للثورة ، ولكننى لم أجد واحداً منهم قادراً على أن يشرح لى ما تريده هذه الثورة وهم لا يكترثون بالسياسة ، ولعل هذا من حظنا وحظ عبد الناصر معاً » .

ومن نقطة الضعف هذه استطاع عبد الناصر أن يستغلهم جميعاً ويستخدمهم جميعاً ويصفيهم الواحد تلو الآخر . وكان عبد الناصر يرى أن توطيد مركزه يجب أن يوضع فى الاعتبار الأول . ولعل الفشل فى سياسة السودان وسماحه بتطور الأمور بحيث صنعت موقفاً أساء للعلاقات بين البلدين لمجرد أن هذا الموقف مكّنه من إيقاع المسئولية على صلاح سالم وبالتالى يصفيه أو يحرقه ، وكانت النتيجة أنه بدلاً من وحدة وادى النيل طالب السودانيون جميعاً - استناداً إلى موقف الإساءة - « الحزب الاتحادى » و « حزب الأمة » ... « الختمية » و « الأنصار » بالاستقلال بدلاً من الاتحاد !!

وكان لا بد من تأمين النظام من خطر الانقلاب عليه ، فاتخذ كيرميت روزفلت مع السفير الأمريكى « كاڤرى » الترتيبات اللازمة لاستدعاء الصهيونى الأمريكى « ايخلبرغر » وهو أخصائى فى العلوم السياسية وله تقارير رسمية مؤثرة على الأنظمة العسكرية ، وعمل « ايخلبرغر » تحت إمرة السفير مباشرة فى معزل عن جهاز السفارة . وسهّل له كاڤرى الاطلاع على المعلومات الواردة من وزارة الخارجية وملحقى السفارة الـ : ( C. I. A. ) « وكالة المخابرات المركزية » وعقد « ايخلبرغر » محادثات مطوّلة مع أعوان عبد الناصر ، من ضباط الحركة وصحفيين وساسة ، موالين للنظام ، ختمها باجتماعات مع عبد الناصر . وكانت النتيجة سلسلة من التقارير قُدّمت لجمال عبد الناصر بعد ترجمتها إلى العربية . وكان أهم هذه التقارير « تقرير عن مشاكل السلطة فى

الحكومة الثورية » وقد ترجم إلى العربية وأضيفت اليه تعليقات من أعضاء يعملون فى مكتب عبد الناصر ثم أعيدت ترجمته إلى الإنجليزية كى يضع عليه « ايخلبرغر » مطالعته الأخيرة ... وهكذا من الإنجليزية إلى العربية ومن العربية إلى الإنجليزية حتى أمكن الوصول الى الصيغة النهائية . وقد عُرِضت الصورة على العالم الخارجى على أساس أنها من صنع « زكريا محيى الدين » .

ومن بعض ما جاء فى هذا التقرير :

« إن قاعدة القمع والإرهاب التى يجب على حكومة الثورة أن تلجأ إليها ترتكز على :

١ – **الأنظمة والقوانين :** بحيث تصبح التشريعات أساساً للمحافظة على أمن الدولة ، ويجب أن تكون عامة حتى لا تضيق الحكومة نفسها وتسلب رجال السلطة حرية التصرف .. وأن تحقق التشريعات غايتها المرجوة بتجريم كافة الأنشطة المضادة ، كما يجب عليها أن تمنح قوى الأمن الداخلى الحق فى تحريم الاجتماعات العامة والتجمعات التى تبلغ حد الخطر فى الشوارع . كما أن كافة الأحكام الصادرة بحق المخالفين لأنظمة أمن الدولة يجب أن لا تكون بأى حال من الأحوال مخالفة لرغبة حكومة الثورة وانشراح صدرها .

٢ – **قوى الأمن الداخلى :** تعتبر الدرع الحامى لنظام الأمن فى الثورة . إضفاء الصيغة السياسية عليها لتكون يداً موالية لحكومة الثورة بصفة شبه عسكرية ، وأن تكون مهمة أجهزة المباحث تجميع كافة المعلومات الماسة بوضع الأمن فى الدولة عن طريق إنشاء شبكة واسعة للتحريات ، وإجراء التحقيقات السريعة فى قضايا الأمن ، بممارسة الطرق العادية للمراقبة والاستنطاق ، والتسلل الى المستويات الدنيا لكافة الجماعات المشكوك فى ولائها للثورة . وعليها تطوير جهاز فعّال ضد المظاهرات والاضطرابات .

٣ – **أجهزة المخابرات :** إن دماغ كافة أجهزة الأمن لنظام حكم ثورى هو ذاك الجهاز الذى هو على غاية من السرية ، والذى لا يعرف تفاصيل وجوده

سوى رئيس النظام الحاكم ، ويُطلق على ذلك الجهاز اسم « المخابرات » . وتقع على عاتق هذا الكيان المتغلغل فى كافة أرجاء أجهزة الحكومة ودوائرها ( وحتى خارج أجهزة الحكومة ) مسئولية تزويد رئيس الدولة بالمعلومات الهامة والضرورية للقيام بإجراءات فعّالة وفورية ضد الأخطار المضادة للثورة . كما يجب على هذا الكيان أن يُزوِّد رئيس الدولة وكبار رجالها بالمعلومات الكافية لتخطيط سياسة عامة . ومن مهام هذا الكيان أيضاً معرفة كامل النشاطات المعادية والضارة بأمنها ، سواء القائم منها فعلاً والمبتدىء حديثاً ، وسواء الواقع داخل نطاق الحكومة أو خارجها ، وسواء الشامل منها لوزراء الدولة أو لضباطها فى القوات المسلحة ، ولتحقيق هذه الأهداف ، وإنجاز تلك المهمات لا بد لهذا الكيان أن يتمتع بالحرية المطلقة فى الاطلاع على كافة انتاج أجهزة الأمن الداخلى وأجهزة المباحث والمخابرات الأخرى .

٤ - **الدعاية والإعلام :** وعلى حكومة الثورة أن تقوم بشن حملات دعائية مركزة تهدف إلى إعطاء تبرير مقنع لاستمرار استخدامها لوسائل القمع والإرهاب ، ويجب أن تستحوذ مسألة الدعاية المضادة - التى تقوم القوى المعارضة للثورة ببثها - على اهتمام خاص ، بسبب ما يمكن أن تُثيره من مشاكل ، مثل مطالبتها بحرية الصحافة والتعبير عن الرأى . فعلى حكومة الثورة أن تكون مستعدة لفرض المراقبة على الصحافة حال إحساسها بضرورة ذلك . إلا أنه يمكن ضبط الصحافة فى غالب الأحوال من خلال ممارسة بعض الضغط من قِبَل الحكومة ، بأشكال عديدة ، ودون اللجوء الى المراقبة الصريحة . فيكفى مثلاً تعيين مستشار لكل هيئة من هيئات تحرير المجلات والصحف ، وذلك بقصد إبداء الرأى بكل ما هو مُعَد للنشر كالقصص والأخبار ولإعطاء النصيحة والتوجيه بخصوص المواد الصحفية التى تعالج القضايا الهامة العامة . ويمكن إصدار بعض المراسيم - بُغية تدعيم سلطة أُولئك المستشارين .

٥ - **القوى العسكرية :** فى الوقت الذى لا يجوز التقليل من أهمية وجود قوة عسكرية ذات كفاءة عالية وولاء تام للنظام الحاكم ، فإنه لا يجوز

أيضاً اعتبار وجودها ذا أهمية مُسلَّم بها جدلاً . فمن أكثر الأمور أهمية ، توفر جهاز فعَّال جداً للمخابرات ضد التآمر والنشاط الهدَّام فى داخل القوات المسلحة . كما يجب دفع المرتبات بانتظام وسخاء حتى تكون أحسن المرتبات فى الدولة ، وحتى يصبح ذلك الجيش - باختصار - جيشاً موالياً تملأ الغبطة قلوب أفراده ، ويغمر السرور نفوس ضباطه .

٦ - **المنظمة الشعبية :** مهما تعددت الأسماء واختلفت فإن النوع الذى يعنينا أن يقوم زعماء الثورة - بالتعاون مع بقية موظفى الحكومة ومستخدميها - بإنشاء منظمة شعبية تشترك فيها جماهير غفيرة من المواطنين ، وتدعى هذه المنظمة أهدافاً وشعارات مثل تلك التى تنادى بتدعيم الثورة والمحافظة على مكتسباتها وزيادة منجزاتها . ولا يجوز الإفصاح عن الغاية الحقيقية لإنشاء مثل تلك المنظمة ، وكل ما يُشاع عن أهدافها هو أنها وُجِدَت لتوثيق الروابط الأخوية بين العناصر المؤيدة للثورة وأهدافها . ولكن هدف إنشائها حقيقة ، إيجاد جبهة للدعاية لصالح النظام الحاكم . إن سر نجاح هذه المنظمة هو بقاؤها بقرب السلطة الحاكمة ، واستمرار إشراف الثورة عليها ، إشرافاً غير رسمى ، كما أن مفتاح بقائها هو عدم سماح الثورة بظهور أى منافس لها . ويجب أن تكون المناصب فى المنظمة بمثابة المكان الذى توضع فيه الجماعات والأفراد الراغبون فى التأثير على النظام القائم موضع المراقبة والامتحان . إن هذه المنظمة الشعبية جزء من المرتكزات الشعبية لنظام الحكم الثورى ، وأنها ستبقى على المسرح بعد انتقال امتيازات الحكم الخاصة بحكومة الثورة إلى النظام الدستورى الجديد ، كما أن هذه المنظمة ستصبح الحزب السياسى الوحيد ، الذى سيضطلع بحمل تقاليد وأعراف الثورة للأجيال المقبلة التى لن تنظر إليها بعين الرضا ولن تتردد بمعاكستها .

٧ - **الدستور الجديد :** يجب أن يتألف الدستور الجديد المدوَّن من نصوص ومبادىء عريضة ، ومع ترك الترتيبات الجزئية للقوانين العادية لتوضيحها والتفصيل فيها ، وحيث إن الحزب الثورى سيكون القوة السائدة والمسيطرة فمن

الضرورى إذن ترك المجال واسعاً أمامه لكتابة الدستور وتعديله حسب مقتضيات زمانه وخبرة زعمائه . ويجب أن يُفسِح الدستور المجال أمام ظهور سلطة تنفيذية قوية تتمتع بشعبية واسعة نتيجة انتخابها من قِبَلِ الأغلبية ، كما يجب على الحزب الثورى أن يتأكد من سيطرته على السلطة التنفيذية كشرط أساسى لاستمرار تفوقه العددى وفاعليته التنظيمية إلى أقصى الحدود الممكنة . وبالوقت نفسه فعلى السلطة التنفيذية أن تكون فى مركز قوى تجاه السلطة التشريعية ، ويجب على النظام القائم ، بعد الموافقة على الدستور وتبنيه رسمياً ، أن يُضفى عليه صبغة من القدسية يصعب معها التغيير فيه والتبديل إن لم يكن هذا مستحيلاً . إن وجود فقرات مفصلة ونصوص مشروطة فى الدستور يترك سلاحاً فى يد الأقلية غالباً ما تتمكن به من هزم إرادة الأكثرية وخاصة فى بعض القضايا السياسية الحيوية . إن الإعداد لقيام سلطة تنفيذية قوية وقادرة – بحسب الدستور – له أهمية فائقة . إن أشد الأرزاء التى تصيب الحكومات التى تواجه سلطة تشريعية متفوقة عليها بسلطاتها وصلاحيتها ، هى عدم الاستقرار السياسى ، الذى ينتج عن تشرذم البرلمان إلى عدة أحزاب وتكتلات صغيرة . وعندما تتوفر سلطة تنفيذية قوية كتلك ، فإن الحزب الذى يملك أغلبية أصوات الناخبين يتمكن عندئذ من السيطرة على كل من السلطة التنفيذية والغالبية البرلمانية . وبهذه الطريقة ، دون سواها ، يتهيأ للبلاد جو من الاستقرار السياسى ، ملازم لطبيعة النظام السياسى وتركيبه » [1] .

وألغيت الأحزاب السياسية . ومُحيت المعارضة . وكُمِّمت أفواه أى نقد سياسى أو إدارى للحكومة . وأُقيمت المجازر البشعة لرجال الحركة الإسلامية ، وضاقت السجون بعشرات الألوف سواء بأحكام هزلية أو اعتقالات دائمة ، وصفيت المقاومة داخل القوات المسلحة من خلال قضايا الرأى ، التى كان أعضاء مجلس الثورة فيها هم الخصم والحكم . واختُطِف محمد نجيب ، أول

(١) مايلز كوبلاند : « الأنظمة الثورية ومشاكل السلطة » ، لعبة الأمم ، ص ١٧ - ٣٨

رئيس للجمهورية ، من القصر الجمهورى ، وحُبِس فى المرج ، ولم يخرج إلا بعد عشرين عاماً . ومارست أجهزة القمع دورها على أوسع نطاق !!

وفى مقاله المعجب تحت عنوان « اسمعوا ياشباب ... قضية الله » يقول الأستاذ « خالد محمد خالد » :

« اسمع يا شباب :

قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ باسم الحرية والديمقراطية والعدالة .. فماذا فعلت بهذه الثلاث ... ؟

سحقت الحرية ... وذبحت الديمقراطية ... وألحقت العدالة بأخوات كان .. !!

فباسم الثورة وفى غياب الديمقراطية ، سيطر حكم الفرد مما نجم عنه الكثير الكاثر والخاسر من المغامرات غير المحسوبة ، ومن الخسائر الفادحة فى الأنفس والأموال ..

وباسم الثورة ، وفى غياب الديمقراطية ، استُبيح الإنسان المصرى فى نفسه ، وفى شرفه ، وفى عِرضه ..

● فمثلاً – كان حمزة البسيونى قائد السجن الحربى يقول للمعتقلين : أنا لا أستلمكم بإيصال !! إشارة الى أنه لن يُسئل عن الذين يختفون منهم ، ويُدفنون أحياء فى صحراء مدينة نصر .. !!

● وفى السجن الحربى ، كان يُؤتى – يا شباب – بأمهات كأمهاتكم .. وبنات كأخواتكم ، ويعرين تماماً من ملابسهن ، ثم يُعرضن على آبائهن ، وأزواجهن ، وأبنائهن حتى يعترفوا بما يُطلب منهم أن يعترفوا به ... فإذا لم يفعلوا جيء بمن يفسق بهن أمام الزوج ، أو الأب ، أو الابن ، أو الأخ .. !!

● وفى السجن الحربى « الثورى » جيء بسيدة فاضلة وطرحها المجرمون أرضاً على ظهرها ، وكشفوا عن نصفها الأدنى ثيابها .. ثم أمروها أن تباعد بين ساقيها وفخذيها .. ثم راحوا يتسلون بإطفاء السجائر فى فرجها .. !!

● وفى سجون الثورة هذه ، استورد مجرموها كلاباً مدرَّبة على إتيان الرجال والشباب ... والمجرمون يتلهون بهذا المنظر السعيد ، ويصفِّقون طويلاً للكلب الذى يُنجز مهمته فى اتقان .. !!

● وفى سجون الثورة هذه ، أُخِذَ أستاذ جامعى – رحمه الله – للمثول أمام المحقق ..

كان يقف على يمين المحقق عسكرى شائه المنظر .. وإلى يساره عسكرى آخر يحمل سوطاً مجدولاً .. وبعد انتهاء التحقيق الذى أنكر فيه الأستاذ الجامعى كل أكاذيبه وضلالاته ... التفت المحقق المهزوم والمخذول الى الضحية وقال له : أترى هذا العسكرى ؟ إنه سيجامعك الآن مجامعة النساء .. فهل تحب أن يتأتيك وهو « محشش » أو وهو « سكران » ... ؟ !

وصُعِق الرجل من المفاجأة ، وراح يهمهم ويغمغم ، ولا يكاد يبين .. وهنا أشار المحقق لحامل السوط فأوجعه ضرباً وجَلداً .. وأعاد المحقق السؤال .. وقال الأستاذ وهو يلتقط نثارات أنفاسه : كما ترى ياسيدى .. !! وأجاب المحقق : لا .. لا بد أن تختار بنفسك وتقول بأعلى صوتك .. تريده « محششاً » أم « مخموراً » .. ؟!

وأنقذه من هول الإجابة شلل أصاب لسانه ... بيد أنه لم يُنقذه من العذاب ، ففقد وعيه وسقط على الأرض .. ثم لم يشعر بما أصابه إلا حين صحى من إغمائه ليجد نفسه مُلقى على أرض زنزانته ممزّق الجسد ، نازف الدماء .. !! ثم نجد من يقول : هذه حالات فردية .. ولقد كانوا سيضعونها فى خانة المئات أو الألوف لو كانوا هو وأهلهم فى عِداد القتلى والمعذَبين .. !!

● وفى عهد الثورة – يا شباب – شهدت البلاد هى والعباد مخابرات دمَّرت ثقة الإنسان بأخيه ، وبأمه وأبيه ، وعاثت فى الأرض والعِرض فساداً يزرى بكل فساد » (١) ..!!

---

(١) جريدة الوفد : ٩ / ١ / ١٩٨٦ ، ص ٨

وغير ذلك كثير مما عَفَّ لسان الكاتب الكبير عن ذكره ، ومما تحققت به مقولة « القائد الخالد !! » جمال عبد الناصر : « ارفع رأسك يا أخى ، فقد مضى عهد الطغيان » !!

وجُلِب بعض الشيوعيين المؤيدين ، الذين استُثنوا من الاعتقال ومعهم العلمانيون الليبراليون والماسون ، وأُلقى بهم فى الصحافة وخاصة صحيفة « الجمهورية » جريدة النظام ، ووُكِّل اليهم مهمة التشكيك فى الفكر الإسلامى وطعن ما سُمِّى « التراث » و « التنكيت » ... باللَّفظ والكاريكاتير على رجال الدين ..

وخلت الساحة إلا من البطل .. !! وبدأ الخط التصاعدى لتلميع هذا البطل بصورة زاهية ، ليؤدى الدور المرسوم على الساحة العربية .. وخطوة خطوة !! حسب تأمين ونمو وتطورات « المسألة الماسونية » و « دولتها الإسرائيلية » !!

وكانت أُولى هذه الخطوات التى سيصعد بها نجم الزعيم صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية .

تقدَّم عبد الناصر بطلب أسلحة من الولايات المتحدة .. ووافقت واشنطن بادىء الأمر .. ثم جُمِّد الطلب لأسباب قيل إنها إدارية .. ثم أُعلن عن رفض الأمريكان تزويده بالأسلحة التى وعدهم بأنها لن تستخدم ضد اسرائيل وإنما لأمن النظام ولتعزيز مركزه فى الداخل ... بما فى ذلك حتى المواد الاستعراضية كخوذ لَمَّاعة ومسدسات فى قِراب جميلة وما أشبه ذلك مما يُضفى على الجيش الهيبة والاحترام .

ماذا يفعل « الرجل » إذن ؟

لا بد أن يبحث عن مصدر آخر للسلاح لأن الغرب خذله .. وبادرت روسيا بالموافقة على تزويد مصر بالسلاح من خلال تشيكوسلوفاكيا ..

هكذا بدت الصورة الملمعة أمام الناس !!

لكن ما جرى فى « الأستوديو » ، ومن خلف « كواليس المسرح » وما وراء الجدران الصمّاء - التى لم يدم السر طويلاً معها - كان عكس ذلك تماماً !!

« تلقى كيرميت روزفلت رسالة شخصية من عبد الناصر قال فيها إنه على وشك توقيع إتفاقية مع السوڤييت ، وانه اذا كان يريد أن يُثنيه عن عقد هذه الاتفاقية فهو يرحب به فى القاهرة .. وهكذا اتجهت أنا وروزفلت إلى القاهرة فى صباح اليوم التالى »[١] .

« استقبلنا فى المطار واحد من أعوان عبد الناصر الذى رافقنا الى شقته فى الطابق الأعلى من مبنى مجلس قيادة الثورة . وكان ينتظر أن يرتج على روزفلت عندما يتقدم إليه بحججه الدامغة ، ولكن روزفلت كان هو الذى أدهش عبد الناصر ، لأنه عوضاً عن أن يُثنيه عن قبول صفقة السلاح السوڤييتية ، قال له :

« إن كانت الصفقة فعلاً بهذه الضخامة التى سمعنا بها ، فما عليك إلا القبول بها ، لأنها وإن أغضبت البعض فستجعل منك بطلاً عظيماً وتُكسبك تأييداً فريداً ، فلماذا يا ناصر لا تستغل هذه الموجة المفاجئة من التأييد الشعبى لتتخذ بعض القرارات التاريخية حقاً ؟ ! إننى على استعداد لأن أقبل مشاركة الإسرائيليين للقيام بجهود مشترك بُغية الوصول إلى سلم دائم فى المنطقة ، إن هم أرادوا ذلك فعلاً . ولم يتمالك ناصر نفسه عند سماع هذا الاقتراح ، فقد طار لُبه فرحاً وقفز مبتهجاً وقال : إنها لفكرة رائعة » [٢] .

« وتابعنا مناقشة هذه الفكرة حتى منتصف الليل : فناصر سيدرج إعلانه عن الأسلحة السوڤييتية فى بيان ضخم ، فيهتف له لا التقدميون فى مصر فحسب ، بل العناصر المحافظة أيضاً ، ثم يتبع ذلك بحملة حياد دولية يرضى بها جميع الأطراف ، بينما يستمر داخلياً فى إصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية - عن طريق المساعدات الأمريكية ...

---

(١) الساسية الأمريكية والثورة المصرية ص ٩٦ (٢) لعبة الأمم ص ١٧٨ - ١٧٩

« واتفقنا على أن أكتب مسوّدة الكلمة أو المقطع الذى سيتضمنه خطاب عبد الناصر ، على أن يقوم هو وروزفلت بإنشاء هذا المقطع وتوضيبه فى اللّيلة التالية .. وفى الصباح ، كانت جماعة من المساعدين تساهم معنا فى إعداد النص ... وكانت المسوّدة قصيرة .. وفى الساعة الثامنة من مساء اليوم التالى ، كنت مع كيم روزفلت فى شقة عبد الناصر فى المبنى الخاص بمقر قيادة مجلس الثورة ... وقد رضى ناصر عن المسوّدة ، وقال إنه قادر على أن يُضمِّنها خطابه بسهولة .. وكان التعديل الوحيد أنه لا يستطيع أن يذكر صراحة كلمة « الصلح مع إسرائيل » وسيذكر بدلاً منها « تخفيف التوتر بين العرب وإسرائيل » - وقد رضى روزفلت بذلك واعتبره خطوة كبيرة .

« وأخرج عبد الناصر زجاجة من « السكاتش ويسكى » الذى يحتفظ به عادة للزوّار المتازين . وبينما كان يفعل ذلك رنَّ جرس الهاتف ليقول الضابط فى الطابق الأدنى إن « السير همفرى تريفليون » السفير البريطانى يطالب بموعد مستعجل .. ولم يستمر اجتماع « ناصر - تريفليون » أكثر من خمس دقائق .. وجرت بعد ذلك مراجعة مسوَّدة الخطاب الذى سيُلقيه فى متخرجى الطيران .. وعندما دخل علينا عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين ليدعوانا لتناول طعام العَشاء عند السفير أحمد حسين ، وكانت ساعة من المرح ، تعرضتُ خلالها لمضايقات صديقى زكريا محيى الدين الذى لم يعرف إلا منذ ثوان أننى فى القاهرة ، وكنا نتبادل النكات حول ما كان يمكن أن تتحوّل إليه ملامح السفير البريطانى لو أن روزفلت أو أنا ، دخلتُ قاطعاً عليه خلوته مع عبد الناصر ، وبيدى كأس الويسكى ، لأقول له :

- عفواً جمال ! .. لقد انتهت الصودا ، فمن أين نحصل على المزيد منها » ؟ ! [1] .

هذا عن دور الأمريكان فى الصفقة !!

---

(١) السياسة الأمريكية والثورة المصرية ص ٩٧ - ٩٩

أما عن دور الإنجليز فيها ، فترويه « وثائق وزارة الخارجية البريطانية » – تحليل وتعليق « سير أنتونى ناتنج » ، وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانى الأسبق .

يُقدِّم أنتونى ناتنج للموضوع بقوله : « إن عبد الناصر كان يأمل فى إمكانية ترتيب صفقة بين مصر وإسرائيل ، ودخل من أجل هذا الهدف فى واقع الأمر فى اتصالات سرية مع رئيس وزراء إسرائيل « موشيه شاريت » ، وأن عبد الناصر تردد فى طلب المساعدة من المعسكر السوفييتى ففى أواخر الأربعينيات كانت روسيا تعارض باستمرار مصر والعرب فى القضية الفلسطينية ، والواقع أنها صوَّتت إلى جانب خطة الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين وخلق الدولة اليهودية ، كما أنها خاضت فى حقيقة الأمر سباقاً غير مُشَرِّف مع الأمريكيين لتكون أول دولة تعترف بإسرائيل ، وخلال فترات الهدنة من حرب عام ٤٨ / ١٩٤٩ زوَّد المعسكر السوفييتى إسرائيل بالأسلحة التى استخدمتها للانتصار فى الحرب ».

ويكشف أنتونى ناتنج السر عن الخطة البريطانية ذات المرتكزات الثلاث لتشجيع هذه الصفقة قائلاً :

« ١ – علينا ألا نحاول دخول منافسة مع الكتلة السوفييتية فى تسليح مصر . علينا أن نقبل بكل شرف وكرامة نستطيعها العقود التى توَّصلت إليها مصر مع تشيكوسلوفاكيا ، وإذا كان ممكناً فعلينا إغراء عبد الناصر من أجل تحديدها ..

٢ – ولما كانت إسرائيل تكمن فى قلب مشكلة الشرق الأوسط ، فإنه لا تزال هناك طريقة واحدة مشرفة للخروج من مصاعبنا هناك ألا وهى إيجاد تسوية بين إسرائيل وجيرانها العرب . ومهما كانت الفرص والإمكانات غير مشجعة فإن هذا يجب أن يظل هدفنا الرئيسى والملح ، لأننا إذا أخفقنا فى تحقيقه ، فإن شكلاً ما من أشكال التخلى عن إسرائيل سيصبح البديل الوحيد لضياع نفط الشرق الأوسط – وليس من المستحيل أن يشعر عبد الناصر بأنه أفضل قدرة

على التفكير فى تسوية بعد أن استعاد الآن مكانته فى العالم العربى مما يعنى أنه سيستطيع التفاوض من مركز قوة أعظم .

٣ - إن علينا بدلاً من أن نحاول منع سانتا كلوس ( البابا نويل ) (١) السوفييتى من تسليم السلع والهدايا لمصر - وهو ما كان السوفييت يُصوِّرون أنفسهم عليه - فإن علينا أن نسمح لهم بالفرصة لكى يظهروا على حقيقتهم وهى أن وراء ستار الكرم والسخاء يكمن دب شرس بأسنان حادة ومخالب قوية » .

« وجدت هذه التوصيات تأييداً من وزير الخارجية البريطانى « هارولد ماكميلان » الذى نصح على الفور « أنتونى إيدن » » بذلك » (٢) .

ثم يستدعى الصحفى اللبنانى « سعيد فريحة » ليكتب فى « الأنوار » - وهو يزف للعرب بشارة البطل - أنه رأى وزير الخارجية الأمريكى « جورج آلسن » « ملطوعاً » فى مكتب التشريفاتى « صلاح الشاهد » فى انتظار مقابلة جمال عبد الناصر .. وأن جمال عبد الناصر طرد السفير البريطانى عندما ناقشه فى صفقة الأسلحة !!

وبالطبع يُصَفِّق العرب !!

ثم يُعلن البطل عن سياسته تجاه إسرائيل وتصوره للقضية الفلسطينية فى عرى صريح ، وذلك فى حديث أدلى به إلى مجلة « نيوزويك » الأمريكية عام ١٩٥٥ . وجرى الحديث على النحو التالى :

« س : هل تعتقدون سيادتكم أن من الممكن أن تتحسن العلاقات بين العرب وإسرائيل ؟!

---

(١) الذى تضحك به الأمهات المسيحيات ليلة عيد الميلاد على أبنائهن فيزعمن أنه - أى بابا نويل الطيب - قد أحضر لهم هدايا العيد !!

(٢) وثائق وزارة الخارجية البريطانية - كيف تمت ترتيبات صفقة الأسلحة التشيكية لمصر - تحليل وتعليق سير أنتونى ناتنج - الأهرام ٢٩ / ١ / ١٩٨٦ ، ص ٥

جـ : أعتقد أن هذه العلاقات يمكن أن تتحسن إذا أبدت إسرائيل رغبة صادقة فى الوصول إلى سلام عادل ، إننا لا نفرض شروطاً للسلام ، وإنما نُصِّر على أن تُبرهن إسرائيل على حسن نياتها وإخلاصها بقبول قرارات الأمم المتحدة .

س : ما هى الشروط التى لا بد من توافرها لقيام سلام بين العرب وإسرائيل ؟!

جـ : الشرط الأول : أن تُثبت إسرائيل رغبتها الصادقة فى السلام ، وقد رأينا من سوء تفسير إسرائيل لاتفاق الهدنة وخرقها له ما يحملنا على أن نسألها : ماذا تعنيه بالسلام ؟

إن السلام العادل لا يمكن أن يتحقق إلا بقبول قرارات الأمم المتحدة الخاصة باللاجئين وتعويضهم ، وتدويل القدس .

س : هل لديكم أية مشروعات عدائية ضد إسرائيل ؟

ج : من المحقَّق أنه ليست لدينا نيَّات عدائية ضد إسرائيل أو ضد أية أُمة أخرى ، وأنا كجندى ، قد رأيت من المعارك ما يجعلنى أرغب فى السلام بإخلاص ، وكزعيم لبلادى ، أعرف مقدار ما يجب عمله لتحقيق الرخاء لمواطنىّ . إن الرخاء والسلام يسيران جنباً إلى جنب ، ولا محل للحرب فى مشروعاتنا الإنشائية » [(1)] .

وهكذا أعلن الزعيم أنه يرغب فى السلام ، أى الصلح ، وأن المشكلة الفلسطينية تنحصر فى « تدويل القدس » و« تعويض اللاجئين » و« اعتبار خطوط هدنة رودس نهاية المطاف » . ونسى الزعيم – وهو رجل عسكرى – أنه شتَّان بين اتفاقيات الصلح واتفاقيات الهدنة فيما يختص باستقرار الأمور لأنها خطوط مؤقتة وليست حدوداً للدول المعنية . وكان من الضرورى على حد تعبير الفريق « صلاح الدين الحديدى » أن يكون الحل الدائم « بجولة عسكرية ثانية

(١) تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر – مصلحة الاستعلامات ص ١٣٢ – ١٣٦

تتحدد بنتيجتها الأوضاع النهائية فى المنطقة بأسرها ، وعلى ذلك فعلى الدول العربية - ومصر على رأسها - أن تعمل حساباً لهذا اليوم المرتَقب إن أرادت أن تعيش ، ومن السذاجة وقصر النظر ، اعتبار اتفاقية رودس نهاية الصراع فى الشرق الأوسط » [١] .

وكان الرد العملى لإسرائيل الغارة الإسرائيلية على « خان يونس » فى إبريل عام ١٩٥٥ ، وعملية « الصابحة » فى سبتمبر من نفس العام ، و« الكونتلا » بعدها بأيام ... وهكذا تفجرت خطوط الهدنة .

لكن الأخطر هو اجتياح إسرائيل لمنطقة « العوجة » المصرية التى ضمتها إلى أراضيها عام ١٩٥٥ وكانت من المناطق المنزوعة السلاح حسب اتفاقية رودس . وتم تعتيم إعلامى كامل ولم يعلم أحد إلا من له صلة بالشئون العسكرية وبعض المراقبين أن إسرآئيل قد استولت على أراض مصرية جديدة ، وتسترت القيادة على هذا الاستقطاع ، بل وما هو أكثر من التستر . يقول الفريق « صلاح الدين الحديدى » :

« كانت إسرائيل دائماً هى البادئة فى القيام بهذه العمليات العسكرية المحدودة ، وتمكنت بهذا الأسلوب الإيجابى من القتال أن تتمتع بالمبادأة ، الأمر الذى جعل القيادة العامة للقوات المسلحة شديدة الحساسية ، تتصرف طبقاً لتصرفات العدو وليس طبقاً لما تُمليه عليها مطالب تأمين أراضيها ، وبلغ من أمر هذه الحساسية أن منعت إجراء أى استطلاع جوى أو أرضى داخل المناطق التى تسيطر عليها إسرائيل ، حتى لا تُثيرها وتدفعها إلى القيام بعمل انتقامى » [٢] .

حتى المعلومات عن العدو وما يجرى فى سيناء كانت تصل عن طريق البدو الرُحَّل .. وابتُدِع نظام خاص لإجازات الأفراد يُقلِّل من كفاءة الوحدات وقدراتها

(١) شاهد على حرب ٦٧ - مكتبة مدبولى - ص ٨١ - ٨٢
(٢) المرجع السابق .

على القتال .. ومُنحت امتيازات فى الرواتب وتحسينات فى مستوى الإسكان وصلت حد الكماليات .. وعاشت القوات المسلحة حبيسة لأوضاع سياسية وجدت نفسها مضطرة أن تجاريها وتتكيف معها .. لكنها ابتعدت عما يجب أن تكون عليه حال قوات تستعد لتلقى الصدمة الأولى فى صراع حتمى مرتقب .

وهكذا لا حرب ولا استعداد لقتال .. ولم يحن أوان الصلح ، لأن الصلح ليس من أدوار البطل .. لا بد أن تتم فى عهده سلسلة من الهزائم تجعل صلح الأمر الواقع مستقبلاً - بعد أن تكون نفسية الأمة قد مُلئت إحباطاً واستعدت له - هو الخيار الوحيد .

وفى أكتوبر ١٩٥٦ اجتاحت إسرائيل كل سيناء بعد أن أصدر البطل المُلهَم قرار الانسحاب الشهير الذى تم معظمه على الأقدام لمسافة متوسطها ٢٠٠ كم ، ووقف اليهود على الضفة الشرقية لقناة السويس . ثم جاءت القوات البريطانية والفرنسية لتحتل بور سعيد بدعوى حماية حرية الملاحة فى قناة السويس .. وهو ما عُرِف بالعدوان الثلاثى .

وأعلنت أمريكا وقوفها بجانب عبد الناصر ، وفشل التخطيط البريطانى الفرنسى « بعد أن اصطدم بصخرة الموقف الدولى حينئذ ، والذى كان ينحصر فى أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن قد أعطت الإشارة الخضراء لحليفاتها فاعتبروا متمردين » [١] .... وسحبت أمريكا هؤلاء المتمردين !!

وفى صفاقة وجه أعلن عبد الناصر أنه انتصر واخترع عيداً أسماه عيد النصر !!

ويُوضِّح الفريق صلاح الحديدى حقيقة ذلك النصر :

« وتلقفت أجهزة الدعاية المصرية هذه النتائج وكانت فرصتها الذهبية ، فتحوَّل الانسحاب من سيناء إلى مخطط استراتيجى مُعَد من قبل ، كما صور

(١) الفريق صلاح الدين الحديدى - شاهد على حرب ٦٧ - ص ٥٥

قتال بور سعيد الذى استمر لعدة ساعات قبل سقوط المدينة وعزلها ، بالأعمال التى تمت فى روسيا وأوروبا إبّان الحرب العالمية الثانية . وهكذا ضاعت الحقيقة واختفت معها الأسباب الحقيقية للهزيمة التى وقعت بالقوات المسلحة المصرية ، سواء بضرب القواعد الجوية وتدمير سلاح الطيران عن آخره تقريباً قبل أن يشترك فى القتال ، أو بالسرعة التى تم بها الانسحاب من سيناء ، ما صاحب هذا من هرج ومرج وفقد السيطرة على القوات ، أو بنجاح القوات الإنجليزية فى احتلال مطار الجميل ببور سعيد رغم توقع محاولة الاستيلاء عليه بل التأكد من ذلك مسبقاً » [1] .

وبالطبع لا يغفل الشاهد - وأنا معه وكل المصريين - دور البطولات الحقيقية التى قام بها أفراد من القوات المسلحة فى تلك الظروف العصيبة ... بطولات تُحسب لهم كضباط وجنود ، وليس لقيادتهم العليا المشبوهة .

واذا كانت بريطانيا وفرنسا قد خرجتا من « المولد بلا حمص » ، فإن إسرائيل قد خرجت من حملة ١٩٥٦ وجيوبها ممتلئة .

« ١ - نزلت قوة الطوارىء الدولية إلى مصر ، وقبلت الحكومة وجود هذه القوات على أراضيها بينما رفضت إسرائيل ذلك . وطالبت هذه القوات بعدم وجود أية قوات مصرية لمسافة عشرة كليو مترات من الحدود ، ووافقت السلطات المصرية على التنازل عن هذه المسافة - أى نقل الحدود للغرب لمسافة عشرة كيلو مترات . ولم يكن تأثير هذا الوضع قاصراً على الناحية العسكرية البحتة ، بل تعداه إلى الناحية النفسية والمعنوية للقوات ، فقد ظلت أرض العدو بعيدة عن الأنظار ، وظلت مسافة العشرة كيلو مترات فى أرضنا مجهولة نشعركأنها تابعة للعدو ونتجنب الوصول إليها كما لو كنا نتوقع فيها نيرانه ومقاومته لوصولنا ، وحُرمنا من مراقبة العدو ومعرفة عاداته وأحواله وتفاصيل أعماله اليومية الروتينية .

---

(١) المرجع السابق .

٢ - لا يعلم إلا الله حقيقة العلاقات التى تكون قد نشأت بين بعض أفراد قوات الطوارىء الدولية وبين الطرف الآخر - إسرائيل - فى الشرق ، وعلى رأسها الإغراء لتحقيق مصالح ومنافع ذاتية فى فترة وجيزة يقضيها خارج وطنه ، وفى خدمة قضية لا تعنيه كثيراً .

٣ - استولت القوات الإسرائيلية على منطقة شرم الشيخ المسيطِرة على الممر الملاحى الضيق بين الشاطىء المصرى وجزيرتى تيران وصنافرة ، وبذا أصبحت الملاحة فى هذا المضيق آمنة من أى تدخل مصرى . وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية من منطقة شرم الشيخ رابطت فيها قوة من قوات الطوارىء الدولية ، ولكن استمرت الملاحة وازدادت معدلاتها وظهرت « إيلات » كميناء بحرى تعتمد عليه إسرائيل اعتماداً كلياً فى ربطها بالبحر الأحمر وبدول شرق إفريقيا وآسيا . ولعل قيادتنا السياسية قد وافقت على مرور السفن الإسرائيلية فى هذا الخليج أو اضطرت أن تغض عنه الطرف . ومع ذلك فلم يكن هذا الكسب محل اهتمام الكتّاب فى مصر ، وكأنه عار ينبغى إخفاؤه فظل مجهولاً من الرأى العام المصرى .

ومن المسلّم به أن حرية الملاحة فى خليج العقبة تُعتبر من أساسيات وجود إسرائيل فى المنطقة العربية ، يعتمد عليها اقتصادها بل تتوقف عليها حياتها إلى حد بعيد ، ويكفى أن نذكر أن أكثر من ٩٠ ٪ من البترول الذى تحتاجه إسرائيل ، والذى يصلها من إيران ، يأتيها باستخدام البحر الأحمر والخليج العربى ، وإن امتنعت الملاحة عن إسرائيل فى خليج العقبة فستصبح حبيسة فى رقعتها ، محاطة بدول معادية لا يصلها بالخارج إلا البحر المتوسط الذى لا يصلها بإفريقيا والشرق الأقصى إلا بعد الدوران الواسع حول إفريقيا - من غربها - متحملة أبهظ التكاليف » [١] .

وبعد فضيحة الهزيمة ، واستقرار الأوضاع مع إسرائيل ، والتسليم المشبوه بما

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٧١ - ٧٨

وضعت يدها عليه من أراض جديدة ومنافذ بحرية ، كان لا بد من مغامرة جديدة يصرف بها الزعيم الجماهير عن التفكير فى موضوع إسرائيل بعد ست سنوات من وجود النظام ، الذى زعم أصلاً أنه جاء - أو على الأقل ضمن ما جاء من أجله - للانتقام مما حدث فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨

كان لا بـد مـن شىء يعطـى للناس « المعالجـة التبادليـة » ( Correlative Correction ) « والمَخرَج أو التنفيس العـاطفى » ( Emotional Outlet ) .

وكانت الظروف مواتية ...

« فقد شهد عام ١٩٥٦ توطداً زائداً فى العلاقات « السورية - الروسية » إلى الحد الذى بات معه رتق الصدع فى الجبهة الموّحدة تجاه السوڤييت ، أمراً غير بسيط ، وأصبح نورى السعيد فى العراق فى موقف صعب ومكشوفاً كلية ، وكان الملك حسين يتظاهر بالالتحاق بركب جمال عبد الناصر دون أن يشعر بالارتياح والاستقرار ، وكانت الأوضاع فى لبنان على وشك الانفجار .

وفطن عبد الناصر إلى قواعد لعبة الأمم فوجد فيها البلسم الشافى . ولجأ إلى التشاور مع أصدقائه الأمريكيين واستنفرهم للتعاون معه بُغية سد الثغرة التى ظهرت فى « جبهته ضد الشرق » [١] . « فى الوقت الذى كان يتشاور فيه مع السوڤييت على مشكلة سد الثغرة فى جبهته الغربية ، التى أصبحت كثيرة الثقوب كالمنخل . وأرسل رئيس المخابرات المركزية الأمريكية إلى جمال عبد الناصر يخبره أن الولايات المتحدة لا تُخطط لشىء بالنسبة لسورية وأنه من الأفضل بالنسبة إليه أن يهتم بالنشاط التخريبى السوڤييتى هناك . وأكد أصدقاء عبد الناصر الأمريكيين له أنه بسبب تجارب سابقة أحرقت الأصابع الأمريكية فى سورية ، فليست للأمريكيين أية نية للتدخل فى شئون ذلك البلد .

(١) لعبة الأمم ، ص ٢٥١

وهكذا فإن فكرة عقد صفقة مع عبد الناصر بشأن سورية كانت مغرية لكل من الأمريكان وعبد الناصر على حد سواء » [١] .

وكانت الصفقة هى الوحدة ... وحدة مصر وسورية تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة .

فعلى مستوى الجيش استطاع عبد الناصر إيصال « عبد الحميد السرَّاج » إلى وظيفة رئيس « المكتب الثانى » فى الجيش السورى - أى المخابرات - وقام السرَّاج بدوره بجمع مجموعة من حوله من الضباط أطلق عليهم « الوحدويين » أو « الناصريين » ، وزعهم على جميع أفرع القوات المسلحة السورية ..

وعلى المستوى الحكومى والنيابى حدث التقارب بين حكومتى « سعيد الغزى » و « صبرى العسلى » المتعاقبتين ، اللَّتين مهدتا للوحدة منذ أوائل عام ١٩٥٧ .. واتخذ البرلمان السورى قرار الموافقة ..

وأعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ برئاسة جمال عبد الناصر .

وكان « حزب البعث » - الذى أصبح أحد زعمائه « أكرم الحورانى » نائباً للرئيس - هو الذى أعطى ما سُمِّى « الزخم العقائدى » لدولة الوحدة .... !!

ومعطيات البعث هى العروبية العِلمانية - أى اللادينية - المضادة للإسلام .

ورحبت الجماهير العربية - بحق - بدولة الوحدة دون أن يغيب عن بالها التناقض بين « شمول » الإسلام كدين يجمع العرب وغير العرب ، وبين « محدودية » القومية كولاء عِلمانى .

فالعرب والمسلمون بعامة يؤمنون بأن دينهم دين ودولة فى آن واحد ، ومن ثَمَّ فالوحدة هدف تاريخى لهم ضد التجزئة ، التى فرضها الاستعمار الأوروبى ، ومن قبله أمراء الأجناد .

(١) السياسة الأمريكية والثورة المصرية ، ص ٨٦ - ٩٠.

فالعرب مسلمون ديناً وتراثاً وحضارة وتاريخاً وكيفاً وهويَّةً وانتماءً . وهم عرب أيضاً بحكم المولد واللسان ، لا بحكم الجنس أو العرق ، لأن الإسلام هو الذى عرَّب المنطقة العربية بأسرها ، والإسلام ليس أشد الحقائق وأبرزها نصوعاً فى تاريخ العرب ، بل إن حضارتهم جميعها قد برزت وتطوَّرت فى أحضانه ... ومن ثَمَّ فهم ليسوا فى حاجة إلى تلاميذ الماسون والمبشرين ليفلسفوا لهم وجودهم القومى العلمانى ... ليسوا فى حاجة إلى صبية اليهود والغرب من أمثال قسطنطين رزيق أو مشيل عفلق أو جورج حبش أو منيف الرزَّاز ... وغيرهم .

« فلم يميز العرب المسلمون بين ديانتهم وقوميتهم ، وظل هذا القران بين الدين والقومية قائماً حتى يومنا هذا ، وقد قرر عميد سابق للجامعة الأمريكية ببيروت ، أن الطلبة اعتادوا أن يكتبوا خانة الوطن عند تقدمهم بطلبات الالتحاق صفة « مسلم » أكثر مما اعتادوا أن يكتبوا سورى أو فلسطينى ، وهكذا »[1].

« والعربى العادى ما زال حساساً للغاية فيما يتصل بمشاعره بالنسبة للوحدة الدينية ، أكثر مما هو حساس بالنسبة للأخوة العربية بشكلها العلمانى ، والقومية العلمانية هى أيديولوچية العرب المتعلمين ممن تأثروا بالغرب تعليماً وقدوة . بَيْدَ أن الولاء للإسلام يُبقى الحس السائد للهويَّة والوحدة بالنسبة الغالبية العظمى من عامة الناس فى المدن والقرى »[2] .

وبناء على سياسة توزيع الأدوار فى « أمن الشرق الأوسط » ، وحماية الوجود الصهيونى ، تميزت الفترة من عام ( ١٩٥٦ إلى ١٩٦٢ ) باتفاق روسيا وأمريكا على سياسة متوازنة فى المنطقة ، بين النفوذ الأمريكى وتسريب الفكر الشيوعى . كانت أمريكا تهدف إلى تهيئة الأجواء ، فى العالم العربى ، من خلال جمال عبد الناصر ، لدخول الشيوعية فكراً وأيديولوچية أنظمة حكم ، لا

---

(١) مورو بيرجر ، العالم العربى اليوم - دار مجلة شعر - بيروت - ص ٢٢ .
(٢) مرور بيرجر ، العالم العربى اليوم ، ص ٢٧٧

أحلافاً مضادة للغرب ، تخرج عن لعبة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز !! وكان لإسرائيل مصلحة كبرى فى هذا المخطط الشيطانى الرهيب والبعيد الأعماق .

فالشيوعية أقدر من الغرب على محاربة الإسلام ، وابعاده حركة وفكراً وجهاداً ، عن أداء دوره تجاه إسرائيل ... والشيوعية العربية - تحت الولاية الروسية - هى التى اعتبرت العصابات الصهيونية المقاتلة فى فلسطين « جيش التحرير الوطنى الإسرائيلى » !!

« ولاعتبارات عالمية يجهلها رجال الأعمال وإن علموا بها فلا يستسيغونها ، فإن حكومتنا قد أمسكت فى السنين الأربع التى تلت عام ١٩٥٨ عن اتباع سياسة معادية لناصر كلياً » (١) .

وفى عام ١٩٥٦ دعا « الحزب الشيوعى الإيطالى » المنظمات الشيوعية فى مصر إلى الاتحاد ، وبعد مفاوضات طويلة ، حددت خلالها تلك المنظمات الأهداف المشتركة التى ستعمل لها ، وافقت على الاتحاد ، فى يناير ١٩٥٨ ، تحت اسم « الحزب الشيوعى المصرى » .

وفى بحثه المكثف « التاريخ السرى للشيوعية فى مصر » يتحدث « نبيه عبد ربه » عن بعض أسماء تلك المنظمات الشيوعية وتاريخ نشأتها وأسماء مؤسسيها فيقول :

« ... وبرغم أن العديد من المنظمات والواجهات الشيوعية قد وحدت فى مصر ، إلا أن الملاحَظ أن جميع مؤسسى هذه المنظمات هم من اليهود ، كما أنها توزعت فى اتجاهين رئيسيين للتخصص فى تنفيذ الأهداف ، فانقسمت إلى منظمات شيوعية روسية ، ومنظمات شيوعية صهيونية .

فقد أسس الخواجة ( جوزيف روزنتال ) « الحزب الشيوعى المصرى » عام (١٩٢٠) ، كما أسس اليهوديان الروسيان (فيجدور) و( ناداب ) عام ١٩٤٢

(١) مايلز كوبلاند ، لعبة الأمم ، ص ٢٧٩

« الحركة المصرية للتحرير الوطنى » وموّل هذه الحركة اليهودى الإيطالى الأصل ( هنرى كوريل ) صاحب بنك كوريل فى مصر والملقب بالرفيق ( يونس ) ، كما أسس اليهودى ( هيكل شفادتس ) منظمة « الأيسكرا » الشيوعية ، وفى عام ١٩٤٢ أيضاً أسس اليهودى ( مرسيل إسرائيل ) « منظمة تحرير الشعب » كما أسس اليهودى ( شوارتز ) « الحركة الديمقراطية الشعبية » ، وقد اتحدت هذه المنظمة مع منظمة « الأيسكرا » وكونتا « الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى » والتى عُرفت باسم « حدتو » . وقد بلغ عدد المنظمات الشيوعية فى مصر حتى عام ١٩٥٢ أربع عشرة منظمة » (١) .

ويقول « مورو بيرجر » وهو يتحدث عن تلك الفترة :

« وخلال عام ١٩٥٧ ، وبالأخص فى صيف ١٩٥٨ ، أعانت الكتلة السوڤييتية الأهداف القومية فى مشكلتى لبنان والعراق .

ثم ازدهرت العلاقات الثقافية والأيديولوچية ، أيضاً بين الكتلة السوفييتية والدول العربية المتقدمة ، وهى مصر وسوريا والعراق . فقد ذهب مئات الشباب العربى لدراسة العلوم والتكنولوچيا فى الاتحاد السوڤييتى وشرق أوروبا . ثم تدفق على مصر وسوريا والعراق عدد لا حصر له من البعثات الثقافية والراقصين والمغنين والممثلين . وأغرقت المكتبات وأكشاك الصحف فى مصر وسوريا والعراق بالأدب الروسى وبأعمال ماركس الكلاسيكية ، والدعاية الشيوعية ، بل إنها فازت بحصة الأسد فوق أرصفة الشوارع ولدى باعة الكتب والمجلات والصحف . ثم امتلأت صحف هذه البلاد بعبارات « الاشتراكية » و« الشيوعية » و « الواقعية الاشتراكية » - وجميع المترادفات الشيوعية الثقافية والأيديولوچية ، عندما حج مئات المثقفين إلى مكة الجديدة فى روسيا والصين وشرقى أوروبا » (٢) .

---

(١) الدعوة ، العدد الثالث عشر ، رجب ١٣٩٧ ( يونية ١٩٧٧ ) ص ٢٧
(٢) العالم العربى اليوم ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥

ومع أن إسرائيل قد حوصرت تماماً بين إقليمى الجمهورية العربية المتحدة ، الإقليم الشمالى ( السورى ) شمالاً ، والإقليم الجنوبى ( المصرى ) جنوباً ، وبين الجيشين الأول شـمالاً والثانى جنوباً . . . إلا أن العلاقات كانت « سمناً على عسل » مع زعيم العروبة وقوميته ، ولم يحدث ما يُعكِّر صفوها ، ولمدة ثلاث سنوات ونصف ، وهى فترة الوجود السياسى لهذه الجمهورية ، منذ النشأة وحتى الانفصال !! بل لم يفكر « القائد الخالد » !! حتى فى استرداد ما فرَّط فيه هو ، من أراض مصرية ، اقتطعتها إسرائيل منه ... آسف من مصر !!

وراح - كبديل - يصرف الجماهير عن قضيتها الأساسية ، يدخل فى قلب المعارك اللبنانية من غير نتيجة . واشتعلت بينه وبين عراق « عبد الكريم قاسم » معارك الدائرة الجهنمية ، التى لم تفض إلا إلى استنزاف الدماء والموارد وفرض اليأس وإشاعة الدمار وإشعال الحرائق وتكريس الثارات وكأنه أمر يُراد .

وكان « عبد الكريم قاسم » قد قام بانقلابه العسكرى ، مدعوماً من عناصر بعثية وشيوعية وقومية « مستقلة » وقومية « ناصرية » .. إلخ ، عندما أصبح دور « نورى السعيد » و « النظام الملكى » فى العراق دوراً عجوزاً مهترءاً ، مكشوف العورة ، لا يلائم مقتضيات خطوط « اللعبة الدولية » التى تُرسم من وراء الحدود . ثم انتهى دور عبد الكريم قاسم نفسه الذى بدأه فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ وخُتِمَ بمصرعه عام ١٩٦٣ ، ثم تتوالى الانقلابات حتى انقلاب البعث العراقى الأخير ، وانفراد « صدّام حسين التكريتى » بحكم العراق .

وكان الأمريكان يُفضّلون « ناصراً » على كل حكام المنطقة ، سواء أكانوا زعماء انقلابيين أو ملوكاً ورؤساء تقليديين ، لأن لـ « ناصر » دوراً محدداً ، فى مرحلة أو مراحل معينة !!

« كنا نفضله على قاسم العراق وعلى الملك سعود وحتى على الرئيس اللبنانى شهاب ( الذى كان ينظر إليه بعض ديبلوماسيينا على أنه « نجيب ولكن لا ناصراً معه » ) . وبغض النظر عن المصائب التى كانت تحل به كل ثلاثة أو

أربعة أعوام ، فإن ناصراً كان يزداد قوة وصموداً . فهو هناك ، ودائماً هناك ، والتفكير بغيره عبث ، والعبث حرام » [1] !!

وبعد منتصف ليلة ٢٩ سبتمبر ١٩٦١ خرج « حيدر الكزبرى » على رأس كتائب من القوات المسلحة السورية واستولى على إذاعة دمشق وأعلنت بيانات تقول بأن الشعب السورى قد تخلص من ديكتاتورية عبد الناصر السوداء . وأشهدت تلك البيانات العالم الحر على خلاص سورية من نظامه البغيض – وكان حيدر الكزبرى ذاك أحد مديرى مكتب « المشير عبد الحكيم عامر » نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة – والذى كان موجوداً فى سورية أيام ذلك الانقلاب ... وفى نفس الوقت كان الطيار « موفّق عصاصة » يقود سرباً من الطائرات ، حلّقت فوق دمشق وهدّدت بضرب بعض الأهداف بالقنابل ، إن أعاد عبد الناصر الاستيلاء على سورية بالقوة .. ووقّع بعض الساسة السوريين وثيقة الانفصال ، وكانوا من اتجاهات مختلفة ، ومنهم البعثى الشهير – أحد أعمدة الحكم السابق – حكم الوحدة – صلاح البيطار !!

وهكذا ضُرِب أمل شعبى فى مقتل ، ليس لأن الجماهير العربية السورية كانت تكره الوحدة ، ولكن لأن العروبيين العلمانيين الملاحدة ، وهم الذين فاوضوا أصلاً من أجل هذه الوحدة ، وأسندت إليهم الوظائف القيادية سواء فى الوزارة أو الاتحاد القومى – أى الحكم والتنظيم السياسى – فى سورية ، كانوا عملاء بالفكر والأجر .

أما أنهم عملاء بالفكر « ففى الجامعة الأمريكية فى بيروت وُلِدَت فكرة القومية العربية وترعرع دُعاتها » [2] و « أن أكثر من تسعين بالمئة من قادة حركة القومية العربية الأقحاح هم من خريجى الجامعة الأمريكية فى بيروت ،

(١) لعبة الأمم ، مايلز كوبلاند ، ص ٢٨٩ (٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٩

وكانت تُسمى سابقاً الكلية الإنجيلية السورية »[1] إلى غير ذلك مما سبق أن تعرضنا له .

وأما أنهم عملاء بالأجر فترويه وثائق « محاضر محادثات الوحدة » فى عرى صريح . فعندما جلس عبد الناصر فى المحادثات التمهيدية ما بين (١٤ مارس، ١٧ مارس ) ، بين وفود مصر وسورية والعراق فى الاجتماع الأول (١٤ مارس ١٩٦٣ ) ، وتعاتب الجميع عن الماضى ، اتهم « على صالح السعدى » نائب رئيس وزراء العراق ، « أمين عز الدين » - الملحق العمالى فى سفارة مصر فى بغداد ، بأنه قال : إن لكل رأس ثمن ، واتهم « طالب شبيب » - وزير الخارجية العراقى الحكومة المصرية بأنها تدفع أموالاً لشراء الأجراء ... عندما حدث هذا النقاش ، رد « عبد الناصر » بأنه دفع أيضاً لـ « حزب البعث» ولمؤسسه « ميشيل عفلق » - الأمين العام ... وجرى الحوار التالى :

« جمال عبد الناصر : احنا دفعنا لحزب البعث أموال .. أموال كثيرة .. ودُفِعَ لحزب البعث ٧٠ ألف جنيه فى فترة متقاربة : ٣٠ ألف جنيه ، فـ ٤٠ ألف جنيه .

عبد الكريم زهور : امتى .. امتى ؟؟

جمال عبد الناصر : فى سنة ....

طالب شبيب : فى تسعة وخمسين .. وفى ثمانية وخمسين .

جمال عبد الناصر : إلى نهاية ١٩٥٩ ... والمبلغ استلمه ميشيل عفلق .. اللى خد ٣٠ ألف جنيه و ٤٠ ألف جنيه فى فترة ستة أشهر »[2] .

إن وضعاً كانت تلك بذوره المتعفنة لا يمكن أن يدوم مهما أقيمت من حوله جميع الأسناد !!

لكن عبد الناصر أعزى الانفصال إلى « الرجعية العربية » و « الإقطاع »

---

(١) تعليق المترجم « مروان خير » ص ٢٦٩

(٢) محاضر محادثات الوحدة ، الأهرام ، ص ٢١ ، مارس - إبريل ١٩٦٣

و « الرأسمالية » بصفة عامة ، وإلى « الشركة الخماسية » التى تضررت من قوانين يوليو الاشتراكية ، والتى كان يديرها « مأمون الكزبرى » .

وعلى ذلك تم حل « الاتحاد القومى » وبدأ الإعداد « للجنة تحضيرية » تعد لمؤتمر وطنى يعرض عليه جمال عبد الناصر « الميثاق » كمنهاج للعمل فى مصر . وصدر « الميثاق » متبنياً الاشتراكية العلمية تُصاغ بها الحياة على أرض مصر . وأعلن عن قيام الاتحاد الاشتراكى العربى كتنظيم سياسى يضم ما سُمِىَ تحالف قُوى الشعب العامل .

وتميَّزت الفترة من ( ١٩٦١ - ١٩٦٧ ) بتراجع أمريكا خطوة إلى الخلف لتُفسح المجال لروسيا حتى يتم تنفيذ المخطط المتفق عليه لصالح إسرائيل .

وتطبيقاً لعقد العمل الماسونى هذا ، تحرك عبد الناصر على ثلاثة محاور فى وقت واحد ، لصرف الأمة - والشعب المصرى بصفة خاصة - عن القضية المركزية ، والخطر الرهيب على الحدود فى الشرق ، العائق المانع بين شرق البلاد العربية وغربها ، « الڤيروس الغريب » المزروع فى قلبها .

ففى الداخل كان كل هم النظام الناصرى المهزوم تعميق « الحقد الطبقى » بين الشعب وتأجيج « الصراع الحركى » تحت ستار ما سُمِىَ « تأصيل الفكر الاشتراكى » مع إشاعة جو من الإرهاب يمكن أن يُطلق عليه فى تلك الفترة بحق « عصر الرعب » .

أعلن الحزب الشيوعى المصرى حل نفسه بنفسه وانضمام أعضائه كأفراد إلى الاتحاد الاشتراكى العربى الذى كان من ضمن مهامه الرئيسية كتابة التقارير عن الأفراد والجماعات والمؤسسات ، وتحريات عن الرأى العام فيما سُمِىَ تحديات المرحلة ، ومنذ نهاية ١٩٦٤ ومع بداية ١٩٦٥ أنشىء « كادر سرى » داخل الاتحاد الاشتراكى سُمِىَ « التنظيم الطليعى » ، ضم قيادات النظام والكوادر النشطة للشيوعيين ، مع بعض الأفراد العاديين ممن يسهل صبهم فى القالب الجديد . وكانت وظيفة هذا « الجهاز السرى » كما حددها صانعوه : أن يكون

عصباً للاتحاد الاشتراكى يتولى توجيهه ، وأن يكون له مُنشّطاً ، يُحركه إلى كل مواقع العمل والفكر ، وأن يُسرع بإنجاز « التطبيق الاشتراكى » . وكانت جلساته سرية ، وأعضاؤه سريين منظمين فى صورة خلايا لا تعرف بعضها أبداً ، وتصدر عنه نشرة دورية سرية تُسمى « طليعة الاشتراكيين » . وله مهام أخرى منها ملاحقة ومتابعة من يُشَك فى ولائه للاشتراكية فى مواقع الإنتاج والخدمات والجامعات والمدارس وأجهزة الثقافة والإعلام . وتركزت كل السياسة داخلياً وخارجياً ، تربوياً وثقافياً وترفيهياً ، بما فى ذلك الأغانى - على صنم ، اسمه « الاشتراكية » التى لم تكن فى حقيقة الأمر إلا رأسمالية الدولة أو اشتراكية توزيع الفقر !!

وقد جاء فى قرار حل « الحزب الشيرعى المصرى » نفسه ، واندماجه فى الاتحاد الاشتراكى : « إن القاهرة تخدم الماركسية السوڤييتية فى رفعها شعار الاشتراكية العربية ، كما تكافح بإخلاص الرجعية الدينية » ، « وأن التحول الاشتراكى المصرى يجرى على أساس ماركسى صادق ، وأن أى شعارات غير شيوعية ترفعها القاهرة هى للاستهلاك المحلى » .

وعن التغلغل الشيوعى داخل الاتحاد الاشتراكى يتحدث « أحمد زين العابدين » اليسارى السودانى فى مجلة « النداء » السودانية فيقول : « إن الخواجة هنرى كوريل فى القاهرة هو المُعلِّم والمموِّل الأكبر لهذه الحركة ، وقد اتخذت هذه الحركة قراراً بالدعوة إلى تقسيم فلسطين قبل قرار الأمم المتحدة بعامين ، ثم جاءتها الأوامر من موسكو بالاتحاد مع حركة ماركسية أخرى يتزعمها يهودى آخر اسمه الخواجة « شوارتز » ، وقد استطاعت الحركة الناصرية أن تضم رجال هاتين الحركتين وتسلمهم زعامة فروع كبيرة فى الاتحاد الاشتراكى » .

أما الرجعية الإسلامية التى يقصدها الحزب الشيوعى المصرى ، وضربها عبد الناصر عام ١٩٦٥ ، فيما أسماه « فيه حزب رجعى فى البلد

ولازم نُصَفِّيه » ، فلم تكن هيئة بعينها أو جماعة إسلامية تاريخية بذاتها ، وإنما كان المراد بها تصفية الفكر الإسلامى فى مصر ، بدليل لا يقبل أدنى شك ، أن معظم الذين حوكموا وصدرت بحقهم أحكام ، كانوا من شباب الجامعات والمدارس الثانوية وبعض الفئات الأخرى ، وهؤلاء لم يسبق لهم الانضمام إلى الجماعة الإسلامية التى رُوِّج أنها كانت تُدبِّر لنسف الطرق والكبارى ومحطات الكهرباء واغتيال قادة الحكم . ويوم قامت الثورة المزعومة ، أى انقلاب عبد الناصر ، كانت أعمارهم بين ثلاث وسبع سنوات !! وكذلك كان حال المعتقلين فى السجن الحربى ممن رؤى عدم تقديمهم للمحاكمة . أما الذين اعتُقلوا من الجماعة الإسلامية التى نسب لها النظام تدبير الانقلاب المزعوم ، فقد اعتقلوا كتحفظ « أمنى » ! فحسب ، والذين أُدينوا منهم لم يتجاوز عددهم العشرات ، معظمهم فيما سُمِىَ تنظيم مالى ، أى جمع تبرعات . باستثناء قلة لا تجاوز أصابع اليدين ، بعضهمَ أعدم والبعض الأخر حُكم عليه ما بين عشر سنوات والمؤبد ... كانت الآلاف التى اعتُقلت فى عام ١٩٦٥ من جيل النظام وتربية النظام ، والآلاف الأخرى لم تستطع الأجهزة أن تنسب إليهم أى شبهة فى تحرك تنظيمى من قريب أو بعيد .

وطمأن الاتحاد السوفييتى إسرائيل على انصراف عبد الناصر عنها ، فى مرحلة الاحتواء السوفييتى ، فى خطاب ألقاه السفير الروسى فى « المؤتمر اليهودى العالمى » الذى عُقِد فى إسرائيل عام ١٩٦٦ وقد جاء فيه :

**« إنى أناشدكم هنا فى إسرائيل وفى المجتمع اليهودى العالمى أن تؤيدوا سياسة الاتحاد السوفييتى فى الشرق العربى لأنها سياسة فيها كل النفع والخير لإسرائيل واليهودية العالمية » !!**

**« وإن إسرائيل حكومة وشعباً تعلم أتم العلم بأن ازدياد النفوذ السوفييتى فى الوطن العربى وزيادة اعتماد العرب على الاتحاد السوفييتى عسكرياً ودبلوماسياً واقتصادياً هو فى المرحلة النهائية - وفى المرحلة الحاضرة أيضاً - يعزز سلامة إسرائيل تعزيزاً راسخاً » !!**

وإذا كان الناس يتندرون منذ قرون على أهل القسطنطينية ، فيما سُمِيَ « السفسطة » البيزنطية ، بشأن الجدل العقيم حول أشياء تافهة ، انشغل به مفكروهم ورجال دينهم ، وظلوا كذلك حتى ليلة سقوط مدينتهم ، فإن ما حدث فى مصر لا يستحق التندر فحسب ، بل إنه جدير بالدمغ والإدانة . ففى منتصف مايو ١٩٦٧ قبل أيام من الهزيمة النكراء ، التى سقط فيها ثُلث الأرض المصرية فى أيدى اليهود ، علاوة على قدس الأقداس وما بقى من فلسطين والجولان ، اجتمع « قادة الفكر الاشتراكى » فى مصر من كبار أعضاء « التنظيم الطليعى » والمُنَظِّرين العقائديين ، شيوعيين وناصريين ، ووزراء وصحفيين كبار وأساتذة ماركسيين ... اجتمعوا على مدى ثلاث جلسات برئاسة « كمال الدين رفعت » نائب رئيس الوزراء وأمين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى ، ليناقشوا تعريفات ويحددوا مفاهيم ، صدرت فى سبع وعشرين صفحة ، أترك للقارىء الكريم الحكم عليها ، وأنا أنقل بعض ما جاء فيها ، وكم كنت أتمنى أن يتسع المجال لنقل المحاضر كلها :

« فؤاد محيى الدين : أرى أن نقوم بعمل مسح اجتماعى لقوى الشعب الموجودة لنحدد موقفها من الثورة ومن تقدم الثورة .

كمال رفعت : أريد أن أضيف النقطة التالية وهى : هل الفرد هو الذى يختار الطبقة أم هى التى تُفرض عليه ؟ وفى كلا الحالتين يوجد وضع طبقى .

فؤاد محيى الدين : والحرفيين والحلاّقين والنجارين والذين يعملون فى حوانيت لا يدخلون ضمن العمال وهذه قضية تعريف الرأسمالية الوطنية .

محمد أنيس : وجدتُ أن من يمارس العلاقات الإقطاعية ليس قاصراً على كبار الملاك ، بل على صغار الملاك الزراعيين ، وخطر فى بالى وضع حد لهذا الموقف وهو طرح فكرة « الأرض لمن يزرعها » حتى لا تمارس علاقة إقطاعية .

فؤاد محيى الدين : مالك الثلاث أفدنة يشتغل وله موقف مضاد ، هل نعتبره طبقة ؟

عباس رضوان : يحدث أننا نرى حالات : فرد من طبقة معينة فى المجتمع تهيأت له الظروف الى أن ينفذ إلى طبقات أخرى .

أحمد بهاء الدين : نبدأ بأى طبقة - كالفلاحين أو العمال مثلاً - ونناقشها . ما هى حدودها وما هى شرائحها أو فروعها ونخرج بتحليلات موضوعية عن كل فئة .

كامل زهيرى : هناك ما يشبه التناقض الرئيسى بين الملكية وبين العمل .

كمال رفعت : الذى يعيش على الملكية فعلا ولا يعمل فهو شخص مستغل . ومن الواضح أن العنصر الأساسى والفعّال فى الاستغلال هو الملكية .

أحمد بهاء الدين : لقد تحدثنا فى الطبقات وتحدثنا فى الاستغلال ولم نعرف أيهما أهم ؟

عبد الرازق حسن : أعتقد أن الطبقة مرتبطة بالاستغلال .

كمال رفعت : فى تصورى أن جميع المناقشات ما هى إلا تمهيد لمعرفة ما هى القوى التى يمكن أن تسير فى الخط الاشتراكى .

أحمد بهاء الدين : إن اللجنة العُليا لتصفية الإقطاع تنظر صوراً من الاستغلال غير مرتبطة بالملكية .

عباس رضوان : أعتقد أن الطبقة الوسطى تكون مرتبطة بالاستغلال .

محمد أنيس : مثل هذه الطبقة أو هذه الفئة لا يمكن أن تكون موجودة فى المجتمع الاشتراكى .

عبد الرازق حسن : إذا قمت بعملية عزل يمكن أن نصل الى نتيجة ، وهى أن هناك تناقضاً أساسياً بين العمل والملكية .

فؤاد مرسى : المالك للأرض ولا يزرعها بنفسه ويؤجرها يعمل عملية متخلفة جداً وهي ما نسميها بعملية إقطاعية حتى ولو كانت هذه القطعة فداناً واحداً .

أحمد بهاء الدين : يوجد فرق بين تحديد الفئات وبين الصور التى تتعداها هذه الفئات فى ظروف ضعيفة مثل شخص أجير مضاد للثورة . هل لهذه الفئة معالِم واضحة ! ؟

كمال رفعت : لماذا تكون الشكوى دائبة فى المجتمعات الاشتراكية من طبقة المثقفين .

محمد أنيس : يُخيَّل إلىّ أن أقرب القطاعات إلى الرأسمالية هو قطاع المثقفين لأن التداخل بين القطاعين كبير .

كمال رفعت : لا تنسى التأثير الخارجى ، فالاستعمار الجديد له وسائله لأنه يُركِّز على هذه الفئة .

عبد الرازق حسن : لا سيما وأن هذه الفئة تشكل خطورة بعد أن انتصرت وأُزيل من طريقها طبقات كثيرة .

كمال رفعت : النتيجة التى نريد الوصول إليها بالنسبة لهذه الطبقة المتشابكة كيف يمكن تقييمها وكيف نُقَيِّم ثوريتها ؟

فؤاد مرسى : لقد توقف بحثنا عند موضوع الطبقة والطبقات ، وكانت هناك رغبة فى تشريح المجتمع المصرى إلى طبقات .

كمال رفعت : المشكلة فى الواقع هى الطبقة الوسطى ، فكيف تصبح هذه الطبقة قوة اشتراكية ؟

عباس رضوان : فيما يتعلق بإخراج طبقة من نطاق الفئات الثورية أو إدخالها فيه فإن الميثاق قد حدَّد هذه الفئات وافترض بقاء تناقضات مستمرة فيما بينها .

فؤاد مرسى : إن الرأسمالية الكبيرة مستبعَدة تماماً من تحليلى ، وكلامى ينصب على الرأسمالية الوطنية ، إنى أقول إن جمهرة من الناس ، الذين ليسوا

عمال [1] وليسوا رأسمالية كبيرة ، كانت متداخلة فى مصالحها مع الاستعمار والاحتكارات ... ما زالت بدون تحديد كبير .

كامل زهيرى : لا يمكن القول أن كل الطبقات تتساوى فى مواقعها الثورية .

أحمد بهاء الدين : المعيار الذى قيل هو فى الواقع معيار حقيقى ، فإذا قلنا ثورية بمعنى الكلمة ، فإننا لن نجد طبقة كاملة فى مصر ينطبق عليها ذلك بحكم ظروفها .

كمال رفعت : هل الطبقة العاملة تعتبر قوة ثورية ؟

فؤاد محيى الدين : سيادتك تقول إنه إذا وُضِعت خطة والتزمت بها طبقة فإنها تكون ثورية .

أحمد بهاءُ الدين : السيد الأمين لا يقصد الالتزام بالمعنى الأخلاقى .

كامل زهيرى : نعود للمعيار الأصلى للتمييز بين من يعتمدون على الملكية ومن يعتمدون على العمل ، فمن يعتمد على الملكية مُستغِل بطبيعته ومُعاد للتنمية .

كمال رفعت : إن ما أشار اليه الدكتور فؤاد مرسى هو تساؤل يقول : هل المفروض أن تكون الطبقة العاملة ثورية ؟

فؤاد محيي الدين : فى سنة ١٩٦٢ أعيدت صياغة النظرية الثورية للبلاد . وحدث تطور بعد ذلك من ١٩٦١ حتى سنة ١٩٦٧ فإن الرأسمالية التى قبلناها معنا فى التحالف لم تصبح كلها منتجة ، وهنا فإن القيادة الثورية سوف تواجه هذا الموقف بإجراء فى المستقبل .

فؤاد مرسى : فى مصر حالياً ، هل الرأسمالية المتوسطة ليست ثورية ؟

---

(١) صحة اللّفظ « عمالاً » كما تقضى بذلك لغة العرب !! لكننا نقلناه عن صاحبه كما ورد ، حتى لا نُتهم « بالتحريف الاشتراكى » ، فربما يكون للفظ بهذا « الضبط » دلالة « ثورية » !!

كامل زهيرى : إن تحديد مستقبل الرأسمالية الوطنية أمر واجب ، ولكن لا بد أن يكون بشروط واضحة .

فؤاد مرسى : إن إجراءات عام ١٩٦١ قد هزّت الملكية إلى الأبد .

أحمد بهاء الدين : إن خطورة الرأسمالية الصغيرة يكمن فى كثرة عددها »[١] .

إلى هذا الحد كان عهر الكلمات وتفاهة الفكر الذى سبق الهزيمة النكراء !!

وبالتوازى مع التخريب العقائدى وزرع الحقد والصراع فى المجتمع المصرى كان لا بد للنظام - وهو يؤدى دوره المرسوم - من البحث عن مغامرة خارجية يغطى بها على الفشل فى سورية ... كان لا بد من ضربة مضادة يواجه بها الوضع العربى فى أعقاب الانفصال . ولا يهم أين تكون الضربة المضادة ، أو مدى النجاح المحتمل ، وذلك كان هدفاً ثانوياً . أما الهدف الأساسى فهو استدراج القوات المسلحة واستنزاف طاقاتها فى حرب لا مبرر لها ، حتى فى الأحوال العادية ، بُغية إبعادها عن مهامها القتالية الرئيسية تجاه عدو على الحدود ، والصراع بيننا وبينه ليس ترفاً فكرياً ، لكنه صراع حياتى ، من حيث نكون أو لا نكون .

وكانت تلك ، هى « مغامرة اليمن » ، والزج بالقوات المسلحة كطرف فى الصراع الدائر هناك ، حيث امتدت الحرب الأهلية مشتعلة الأوار - بسبب ذلك التدخل - لمدة خمس سنوات ، بلا حصاد عاد على الأمة العربية ، إلا أن يكون الدمار الرهيب . ولستُ أدرى ما هو معامل الارتباط بين « رجعية » البدر و « تقدمية » السلال فى الصراع العربى الإسرائيلى ، أو حتى فى وحدة الأمة العربية ! ؟ وماذا فعل تقدميون أكثر من السلال والبيضانى والعمرى ، فى عدن أو

---

(١) الكاتب ، « حول القوى الثورية فى المجتمع » - العدد ٧٤ - مايو ١٩٦٧ ، ص ٧ - ٣٢

سورية أو العراق ، وعلى رأسهم « القائد الخالد » !! جمال عبد الناصر - الأكثر تقدمية من الجميع ، وعُروبية من الجميع - فى هذا الصراع .

كانت الظروف التى قاتَل فيها الجيش المصرى فى اليمن عام ١٩٦٢ وحتى عودته بعد نكبة ١٩٦٧ ظروفاً قاتلة لجيش حديث ، المفروض أنه مُعَد أساساً لقتال الجيش الإسرائيلى العصرى ، فى تسليحه وفى تفكيره وأسلوب قتاله .

ومن عجب أن يذكر « هيكل » فى « الأهرام » عام ١٩٦٧ ، أن حرب اليمن قد دربت فرقاً كاملة من القوات المسلحة على الحرب القادمة مع إسرائيل ... كان يكذب بالطبع ، ويعطى التبرير المخادع للشعب المصرى وللأمة العربية.

وجاءت الحرب مع إسرائيل ... وكانت مغامرة اليمن - كما هو مُخطط لها فى تصورى - من عوامل الهزيمة حتى لو أخذنا بظاهر الأسباب .

وعن وجود القوات المسلحة المصرية فى اليمن واستنزافها ، قبل وأثناء حرب ١٩٦٧ ، يتحدث « الفريق صلاح الدين الحديدى » فى كتابه المعجب « شاهد على حرب ٦٧ » فيقول :

« واذا تذكرنا أيضاً أن الوجود المصرى فى اليمن ، والذى بدأ منذ أواخر عام ١٩٦٢ لم يكن قد انتهى حتى عام ١٩٦٧ ، بل وازداد تدريجياً حجم القوات التى تُساند هذا الوجود على مدى السنوات ، حتى بات يؤثّر على الخطط الموضوعة للدفاع عن سيناء ، وليس هناك ارتباط بين الميدانين حتى يُؤثِّر أحدهما على الآخر ، وابتلعت جبال اليمن الشامخة وجشع القبائل ورجالها ، وتذبذب موقف المشايخ وترددهم ، أفضل التشكيلات والوحدات ، وعندما كانت القوات المصرية فى سيناء تقاتل وتكافح من أجل الحفاظ حتى على حياتها عام ١٩٦٧ ، كان هناك عشرات الألوف من زملائهم على بُعد . . .٣ كم فى اليمن ، لا يستطيعون أن يشاركوا فى المعركة بأكثر من الجلوس إلى أجهزة الراديو يستمعون ويُعلّقون » ( ص ٩٤ ) .

ولم يكتف النظام باستنزاف الجيش ، بشراً ومعدات ، فى حرب اليمن ، بل

حوّل الجيش المصرى من حارس للوطن ، إلى حام للنظام ، علاوة على إهماله فى التدريب وتزويده بالمعدات ، ومن أبرز الخطوات التى اتُخِذت فى هذا الشأن ما فصّله « الفريق صلاح الدين الحديدى » فى أمانة ودقة ، فى كتابه سالف الذكر، ولا بأس من أن نورد بعضها ، وبالذات تلك التى حدثت فى الشهور القليلة لهزيمة ١٩٦٧

إضافة إلى ما كان يُطلقَ عليه فى القوات المسلحة « المشاكل المزمنة » ، نظراً لتكرارها كل عام ، أصدرت القيادة العُليا للقوات المسلحة فى صيف ١٩٦٦ حركة تعيينات وتنقلات واسعة بين القادة والضباط شملت عدداً كبيراً منهم من أكبر الرتب إلى أصغرها تطبيقاً لمبدأ الولاء قبل الكفاءة (١) .

كان العمل فى مناطق سيناء وقطاع غزة يحتاج إلى كفاءة ويقظة واحتراف حقيقى للجندية عند تلقى الصدمة الأولى فى حالة صدام مسلح مع إسرائيل على الحدود ، وقد شمل مبدأ « الولاء قبل الكفاءة » هذه المناطق الهامة ، وعُيِّن فيها الأكثر ولاءً دون النظر إلى كفاءتهم الحقيقية وأصالة روح القتال فيهم (٢) .

ضرورة انتماء الضابط إلى إحدى الشلل كمظهر للولاء ، وكانت خيوط الولاء كلها تتجمع فى يد من بيدهم الأمر فى القوات المسلحة الذين يمنعون ويمنحون ، يحللون ويحرمون بل يفصلون من الخدمة أو حتى يعتقلون (٣) .

تعيين العقيد شمس الدين بدران وزيراً للحربية وهو من خريجى عام ١٩٤٨ . وكان يعمل مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة عبد الحكيم عامر ، وكان أحد العمد التى ترتكز عليها القرارات الهامة المتعلقة بكبار الشخصيات وتعيينهم فى وظائف الدولة الكبرى ، عسكرية ومدنية . ولم تكن ثقافته العسكرية أو خدمته الميدانية تؤهلانه لذلك ، فهو لم يحضر دورة دراسية واحدة بعد

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٢٣ - ٢٤
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤

الثورة منذ أن كان برتبة نقيب . وتدرج فى الترقى دون المؤهلات القانونية اللازمة حتى وصل إلى رتبة العقيد ، ولذا كان اهتمامه بعيداً عن النواحى الفنية ، وتخصص فى الإشراف على الشئون العامة للقوات المسلحة التى تُمكِّنه من إدخال أنفه فى كل شيء ، فتنقلات الأفراد وترقياتهم ، وإيفادهم إلى بعثات تعليمية فى الخارج ، والتأكد من ولائهم وعدم انحرافهم ، ورعايتهم والترفيه عنهم ، وأحوالهم الشخصية ، كل هذا يتبع الشئون العامة [1] .

لا شك أن تاريخ القضايا السياسية فى مصر بعد ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢ ، سيُظهر جلياً الدور الهام الذى لعبه شمس بدران فيها ، والجهود الشاقة المضنية - وربما غير الإنسانية أحياناً - التى قام بها فى التحقيقات الخاصة بالقضايا الهامة التى اتُّهِم فيها الإخوان المسلمون وغيرهم بقلب نظام الحكم ، والسلطات الواسعة التى كان يتصرف على أساسها فى القوات المسلحة وخارجها ، واشتراكه فى لجان تصفية الإقطاع التى كان يرأسها المشير ، وتعيين العديد من المحافظين ورؤساء المؤسسات والهيئات فى وظائفهم من المقرَّبين إليه ، ولا شك أن الرئيس الراحل كان يشمله بثقته وعطفه ويوافق بصفة عامة على أعماله وتصرفاته [2] .

وقد ساعد شمس بدران فى النجاح الذى حققه فى توطيد سلطته ونفوذه ، أنه كان أحد أفراد مجموعة تعمل مع المشير ، عُرِف عن معظم أفرادها الانتهازية أو الفساد ، ووجدت تلك المجموعة فى هذه الظروف فرصتها لتعيث فساداً ، مُشبعة شهواتها المادية والحسِّية على حساب سلطات المشير ، وأموال الدولة [3] وسمعة القوات المسلحة ، وتشعبت هذه المجموعة وانتشر نفوذها . وكان بعض

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٣٥ - ٣٧ (٢) المصدر السابق ، ص ٣٩

(٣) من هؤلاء المدعو « على شفيق » مدير مكتب المشير للشئون الرياضية . وقد هرب بأمواله إلى لندن ثم وُجِدَ مقتولا فى أحد الفنادق وتحت وسادته مليون جنيه إسترلينى ( فكة ) ..... مجرد ( فكة ) فقط !!

أفراد هذه المجموعة على درجة عالية من خفة الروح واتقان التهريج ، فقاموا بدور مهرج الملك على أحسن وجه !! [١] .

فتحليل شخصية « شمسي بدران » وتفنيد ما قام به من أعمال ومسئوليته عن نكسة يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ ، تحتاج إلى الكثير من الشرح والإيضاح [٢] .

وسادت الانفصالية كل فرع من فروع القوات المسلحة ، ففى الكثير من الاختراقات الجوية التى تمت فى مجالنا الجوى قبل ٥ يونيو ( حزيران ) ١٩٦٧ كان السبب الرئيسى فى عدم إمكان اعتراض الطائرات المخترقة يرجع إلى عدم يقظة أفراد الدفاع الجوى ، أرضيين أو جويين ، هذا بالإضافة إلى أن المعدات المتيسرة لم يكن الاهتمام بصيانتها والمحافظة عليها محل عناية كبيرة ، ولم يكن شكل التعاون بين القوات الجوية والتشكيلات البرية واضحاً تفصيلياً لجميع المستويات المنُاط بها هذا التعاون ، نظراً لإحجام القوات الجوية عن تنفيذ المشروعات المخططة لهذا التعاون [٣] .

وصل مستوى التدريب بالجنود فى معظم السنوات السابقة للنكسة حتى مستوى فرقة مشاة ومدرعة ، ولكن فى ( عام ٦٦ / ١٩٦٧ ) وافقت القيادة العامة للقوات المسلحة على أن يقتصر تدريب التشكيلات فى المنطقة العسكرية الشرقية – وهى المنطقة المناط بها الدفاع عن سيناء – على تدريب مستوى سرية مشاة أو مدرعة ، كيف نسمح للقوات التى ستتلقى الصدمة الأولى مع العدو أن تكون أقل من مستواها التدريبى عن باقى القوات المتمركزة فى العمق ؟ [٤] .

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٤٠ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٦
(٣) المصدر السابق ، ص ٦٢ – ٦٤
(٤) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

**ولا يعلم إلا الله هل كان القصور فى التدريب عام ( ٦٦ / ١٩٦٧ ) سبباً فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ أم أن الأمر كان أضخم من موضوع التدريب ! ؟**

ظهرت فئة جديدة فى القوات المسلحة ، عملت على توسيع قاعدتها وزيادة عددها ، ومع مرور الوقت نالت من النفوذ والسلطان والمزايا المادية ما جعلها مترابطة متكاتفة ، ذات مصالح واحدة . ولكن هذه الفئة لم يعمل معظمها على رفع مستوى أفرادها فى النواحى العلمية والعسكرية ، حتى يكون الولاء للوطن وللجيش ، بالإضافة إلى الثورة ورجالها ، وكأن الولاء والكفاءة نقيضان ، كان تأمين الوطن من وجهة نظر هذه الفئة ينحصر فى مراقبة باقى الضباط والتماس الوسائل البوليسية للوقوف على ميولهم أو تعليقاتهم على الأحداث ، ثم نقل هذه الاستنتاجات إلى قمة الموالين ، وهذا الأسلوب فى مراقبة الضباط ومتابعة أفكارهم ونقل الأخبار عنهم ، كان يسير جنباً إلى جنب مع الأسلوب الرسمى الذى تقوم به إدارة المخابرات الحربية وغيرها من أجهزة الأمن الأخرى فى الدولة . وهكذا وجد الضباط أنفسهم يعيشون فى جو غامض وغريب ، الحظوة فيه لمن انتمى إلى إحدى الشلل ، وتتبع هذه الشلل الوسائل البوليسية العتيقة فى تلمس الشعور والاتجاهات ، كما كانت القوات المسلحة برمتها تُعتبر الحامية للثورة ورجالها إذا ما أبدت أية جهة أخرى إتجاهاً مخالفاً فى يوم من الأيام [١] .

إن الأخطاء التى وقعت فيها القيادتان السياسية والعسكرية قبل وأثناء حرب يونيو ١٩٦٧ كانت قد وقعت قبل ذلك فى حرب ١٩٥٦ ، أى قبل أكثر من عشر سنوات ، ويصف الدكتور عبد العظيم رمضان هذه الأخطاء القديمة أنها كانت « بروفة » لأخطاء حرب ١٩٦٧ [٢] .

ومن ناحية التسليح وتدبير ما يلزم القوات المسلحة من معدات ، التى كنا

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٩١ - ٩٢

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠ .

نعتمد فى الحصول عليها بالكامل على الاتحاد السوفييتى والتى كان يُتفق عليها من حين إلى آخر كانت تصل فى مواعيد متباعدة ، وكان بعضها لا يصل إطلاقاً رغم الاتفاق على تاريخ الوصول .

لم تكن هناك خطة عامة للتسليح ، للوصول بالقوات المسلحة فى تاريخ محدد ، مهما طال أمده ، إلى موقف يسمح لها بإجراء هجوم عام ، ويهدف فى هذا السبيل الى الحصول على تفوق عددى ونوعى على التسليح الإسرائيلى ، وكانت خطة التسليح تسير بلا هدف محدد لتحقيق سياسة استراتيچية معينة !! [(١)] .

ورغم كل تلك الخطايا التى ارتكبها نظام عبد الناصر فى حق القوات المسلحة ، فقد صدرت الأوامر فجأة وبدون مقدمات يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ بوضعها على أعلى درجات الاستعداد ، وقيل فى التعليل ذلك أن المعلومات قد أكدت أن إسرائيل بصدد غزو الجمهورية العربية السورية ، وأنها تجرى حشد قواتها على الحدود السورية ، مع أن جهاز الحصول على المعلومات قد نفى وجود حشود عسكرية معادية تجاه سورية ، وأنه لا يرى ضرورة لإعلان حالة الطوارىء القصوى فى القوات المسلحة .

وكان « حزب البعث » هو الذى يحكم سورية ، فى ذلك الحين ، تحت القيادة الفعلية للمدعو « صلاح جديد » « الأمين العام القُطرى » لحزب البعث و « رئيس أركان الحرب » للجيش السورى فى نفس الوقت . وكان « النصيرى » البعثى « حافظ الأسد » وزيراً للدفاع وأميناً قُطرياً مساعداً للحزب ، وكان « ميشيل عفلق » القائد المؤسس وأمين عام القيادة القومية لحزب البعث غير مطرود من سورية ... كان هناك فى دمشق يبارك الجميع ويتبارك بموهبته الجميع « كعراب » للجميع !!

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٩٤ - ٩٥

وقد أعلن عبد الناصر - فيما بعد - أن معلوماته التى استند عليها قد جاءته من رفاقه السوريين ، عبر أنور السادات ، بعد عودته من زيارة لسورية ، وأن « السوڤييت » هم الذين اكتشفوا الحشود ، وأبلغوا بها السوريين ... حكاية سخيفة !! أحسن منها - حبكة وإتقاناً - حكاية الفأر الذى قُطع ذيله، فذهب الى النجار ليركب له الذيل ، والنجار يُريد مسماراً ، والمسمار عند الحداد ، والحداد يُريد بيضة ، والبيضة داخل الفرخة ، والفرخة تُريد قمحاً ، والقمح فى الجرن ... إلى آخره !! ومع ذلك فحكاية الفأر مقطوع الذيل نحكيها لأطفالنا الصغار ، تسلية لهم ونحن نُسلمهم لنوم هادىء عميق . وهناك فارق كبير بين حكاية الفأر ودورانه فى دائرة تركيب ذيله ، وبين معلومات عبد الناصر عن حشود « إسرائيلية » : عن أنور السادات ، عن الرفاق السوريين ، عن الرفاق السوفييت .... الفارق هو أن الذى قُطِعَ ذيله كان فأراً استطاع وصل المقطوع ، أما فى حكاية عبد الناصر فإن الوطن هو الذى قُطِعت أوصاله وذُبِح ، وحُرِق ومُزِّق خير أجناده ، لا لذنب ، أو ضعف في رجولتهم أو غيرتهم ، لكن لأن قائدهم الأعلى قذف بهم متآمراً ليخلص منهم ، ويجلب العار على وطنهم وأمتهم ، تحقيقاً لدور آدّاه حتى هلك ، وتنفيذاً لاستراتيجية « الماسونية العالمية » !!

تُرى ماذا حدث منذ ١٤ مايو ١٩٦٧ وحتى ٥ يونيو ، يوم الضربة الإسرائيلية ، ثم إعلان عبد الناصر الرسمى عن الهزيمة يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ ، بعد أربعة أيام من بدء المعركة ! ؟

وأرى لزاماً علىّ أن أصطحب مع القارىء الكريم لنتابع معاً شهادة رجل أمين هو « الفريق صلاح الدين الحديدى » ، مع شهادتين إحداهما « لشمس الدين بدران » نفسه ، أمام المحكمة العسكرية التى حاكمته فيما سُمِىَ « بقضية المشير » ، والثانية لأحد « أمناء الهيئة البرلمانية لمجلس الأمة » فيما نسبه إلى « إذاعة السر لمذكرات المشير » .

يقول « الفريق صلاح الدين الحديدى » :

١ - بدأت المرحلة التحضيرية لاشتباكات الأيام الستة بمجرد إعلان رفع درجات الاستعداد للقوات المسلحة يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ ، وانتهت بإطلاق الطلقة الأولى التى أطلقها الجانب الإسرائيلى صباح يوم ٥ يونيو ، ولا بد لى فى هذا المجال أن أشير إلى أن الجانب الذى يتمتع بالمبادأة . والذى قرر أن يتبع سياسة هجومية فى عملياته ، يمكنه أن يتحكم فى مدى الفترة التحضيرية ، فهو الذى يقرر اليوم المناسب له لبدء هجومه ( يوم ى ) ، ويرتبط تحديد هذا اليوم بالوقت الذى يحتاجه لإكمال استعداداته العسكرية وتكييف ظروفه السياسية . أما الجانب الذى اتخذ الدفاع أسلوباً لعملياته ، فإن فترته التحضيرية غير معلوم نهايتها بالتحديد ، وقد يصبح فى وضع لا يُحسد عليه إذا ما أنهى الجانب الآخر تحضيراته وبدأ فى تنفيذ خططه الهجومية ، بينما هو ما زال يعمل لاستكمال استعداداته [١] .

٢ - تمت التحركات إلى الجبهة فى عُجالة ، وقاست قوات المنطقة المركزية الأمرين فى تحركاتها ، نظراً لعدم خبرتها السابقة فى القيام بمثل هذه التحركات الطويلة ، ولقلة الطرق التى تخدم هذه التحركات . إذ لم تزد هذه الطرق عن طريقين صحراويين ، طريق القاهرة - السويس ، وطريق القاهرة - الإسماعيلية، فازدحم الطريقان ، وتعطلت مركبات كثيرة على طول الطريقين ، الأمر الذى أدّى إلى وقوع حوادث كثيرة ، وفشل المشرفون عليها فى تنظيمها وإتمامها بالانضباط اللازم [٢] .

٣ - إن مضاعفة حجم قوات الجيش فجأة ، وفى فترة قصيرة ، أدّت إلى ظهور إحدى المشاكل المزمنة فى القوات المصرية بشكل حاد ، أعنى بها مشكلة نقص الضباط ، والوقت خطير والظرف مُلِح . وعدم توفير الفنيين من سائقى الدبابات والعربات وعمال الأجهزة اللاسلكية وباقى الأجهزة الفنية ، ففقدت القوات

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٦٢ (٢) المصدر السابق ، ص ١٦٣

العاملة التى نالتها عملية الفتح التعبوى ، أصالتها وكيانها ، بل ومقدرتها القتالية . وبذا صار تحرك هذه الوحدات إلى الجبهة تحركاً أشبه بنقل مهاجرين من مدينة إلى أخرى تحت ضغط الفزع والاضطراب ، غايتهم الوصول إلى المحل الجديد وليفعل اللّهُ ما يشاء بعد الوصول (١) .

٤ - برغم مرور بضعة شهور على الحركة الواسعة التى تم فيها تعيين قادة جدد لتشكيلات ووحدات القوات المسلحة فى صيف ١٩٦٦ ، وبالرغم من الحقيقة الكبيرة والمعروفة جيداً أن الوحدة أو التشكيل يعمل كفريق واحد ، يجب أن يكون متفاهماً ومتجانساً ، وكانت المدة التى انقضت منذ صيف عام ١٩٦٦ حتى مايو ١٩٦٧ تكاد تكفى للوصول إلى هذا التفاهم والتجانس ، ومع ذلك فقد صدرت الأوامر بتغيير عدد كبير من هؤلاء القادة مرة أخرى لغير أسباب واضحة ، عُيِّن بدلهم قادة جدد ، بعضهم قليل الخبرة بطوبوغرافية سينا وبخططها الدفاعية ، والبعض الآخر انقطعت صلته بالتشكيلات التى كان يقودها من قبل ، والجميع لا تربطهم أية علاقة بقياداتهم الجديدة . ومن أمثلة ذلك القرار الذى عين ضابطاً كبيراً كان يعمل فى عاصمة ألمانيا الغربية قائداً لتشكيل فى سيناء بعد أن ساقته الظروف إلى زيارة مفاجئة للقاهرة ، لم يقض فيها إلا بضعة أيام كانت كافية لتقع عليه عيون المسئولين ، فيُوضع فى هذا الاختبار الصعب ، ومن سوء الطالع أن يُطالِب هذا الزائر تعيين صديق له ليعمل رئيساً لأركان تشكيله ، فأُجيب إلى طلبه فيصبح على رأس التشكيل قائد ورئيس أركان لا تربطهما به سابق معرفة ، وقرار آخر مشابه تضمن نقل قائد فرقة ليتولى قيادة فرقة أُخرى قبل الاشتباكات بأيام معدودة ، فلا هو استطاع أن يتفهم خصائص الذين سيشتركون معه فى المباراة المرتقبة ، ولا استطاعت فرقته القديمة أن تتعرف على طباع قائدها الجديد (٢) .

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٦٥ - ١٦٦ (٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧

٥ - وعلى مستوى قيادة الجبهة المصرية صدر قرار فجائى بعد إعلان حالة الاستعداد بأيام قليلة بإنشاء قيادة جديدة تعلو المنطقة العسكرية الشرقية التى كان مقرراً أن تتولى جميع المسئوليات شرق قناة السويس ، وأُطلق على هذه القيادة الجديدة : القيادة الأمامية للجبهة ، وعُيِّن قائد القوات البرية قائداً لها ، بل إن كثيراً من ضباطها كان بعيداً كل البعد عن سيناء جسماً وتفكيراً واهتماماً ، كما أن قائدها لم يسبق له الخدمة فى سيناء إلا لماماً ، وهكذا وجدت المنطقة الشرقية نفسها وبعد مجهود شاق بذلته فى الأيام الأولى التى تلت يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ أمام منافس خطير لم يكن فى الحسبان ، فكان رد الفعل الطبيعى أن تعمل قيادة المنطقة التى تحوَّلت إلى قيادة جيش ميداني - كما كان مخططاً من قبل - على مقاومة نفوذ القيادة الجديدة ، وإقامة العراقيل أمامها ، وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير ، وقد ساعدت القيادة العليا فى القاهرة على جعل الموقف غامضاً والمسئولية غير واضحة ، فبينما أصدرت أوامرها بتشكيل القيادة الجديدة ممثلة لقيادة المشير عبد الحكيم عامر فى الجبهة مؤقتاً ، داومت على الاتصال بقيادة المنطقة الشرقية ، مُصدرة إليها تعليماتها ، متجاهلة فى نفس الوقت ، وفى معظم الأحيان ، القيادة الجديدة [١] .

٦ - عندما زاد تدفق القوات عبر قناة السويس متجاوزة مطالب المعركة الدفاعية ، ورغبة فى امتصاص حماسة القادة والضباط والقوات التى حُشِدَت فجأة ، كلفت القيادة العامة قيادة الجبهة بوضع خطط لعمليات هجومية غير طموحة لا تستهدف أكثر من إظهار المقدرة على العمل ، ولكن لا تتورط فيه منتظرة ردود الفعل إزاء هذه العمليات الهجومية فى المجال الدولى مستبعدة الاستمرار فيها حتى النهاية . ولم يكن له لون مميز ، فلم تتحدد استراتيجية هجومية تضع كل القوات فى ظروف تخدم هذه الاستراتيجية وتحشد كل مواردها تطبيقا لمبدأ الحشد ، حتى تكون الضربة ذات قيمة ، فلم تجهز دفاعات النطاقين

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٦٨ - ١٦٩

الثانى والثالث تجهيزاً كاملاً بمثل النطاق الأول ، ولم يتم احتلالهما بل بقيت القوات فى مناطق حشد بالقرب من النطاق المخصص لها ، تحاول إخفاء وجودها ووقاية نفسها [(١)] .

٧ - ولما كان الأمر بالهجوم وعبور طائراتنا خط الحدود المصرية إلى داخل الأراضى الإسرائيلية متمركزاً فى أعلى السلطات السياسية ، فقد اكتفت هذه السلطات بعدم إصدار الأمر بالانطلاق ، إلى أن أمر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعقد مؤتمر عسكرى سياسى مساء يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ، ولقد كان لهذا الاجتماع التاريخى الموّسع أثر كبير على سير الأحداث التى وقعت فيما بعد ، ويعتبر - بحق - نقطة تحول كبرى ، وفى نفس الوقت درساً واضحاً عن علاقة السياسة بالشئون الحربية وارتباطهما ، وأثر الخط السياسى المتبع على سلامة الاستراتيچية العسكرية . وأشار الرئيس أنه لا يستبعد الاحتمال بشن حرب من الجانب الإسرائيلى ، بل يتوقعه ١٠٠ ٪ سيما بعد تشكيل وزارة حرب وتعيين الجنرال موشى ديان وزيراً للدفاع فى هذه الوزارة . ثم استطرد الرئيس عرضه للموقف بأن أعلن أن استراتيچيتنا قد تحوّلت إلى استراتيچية دفاعية بحتة تلزمنا بأن نكون فى حالة يقظة تامة من أعمال العدو ، وأن إسرائيل لو قررت القيام بعمليات هجومية فلن يتأخر قيامها بهذه العمليات عن يومين أو ثلاثة ، وأن إسرائيل ستبدأ بضربة جوية ضد قواتنا الجوية ودفاعنا الجوى حتى يتم شلها وإخراجها من المعركة ، وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى هذه الضربة ، وهنا ساد الوجوم غرفة الاجتماع واعترى العسكريين نوع من القلق والصمت قطعه قائد القوات الجوية ، موضحاً أن تحول استراتيچيتنا العسكرية من الهجوم إلى الدفاع سيؤثر تأثيراً كبيراً على موقف القوات الجوية ، وأن الفرق سيكون كبيراً بين الحالتين لأن الروح المعنوية لقواته ستتأثر كثيراً فى حالة الانتظار لتلقى ضربة إسرائيل - وكانت اجابة الرئيس الراحل : خضوع العسكريين الكامل

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٧٧

للقرارات السياسية للدولة . وكان القرار السياسى الذى اتُخِذ فى هذه الفترة أشد قسوة على العسكريين فى مصر حيث إنه حتم عليهم فقد المبادأة ، ثم تلقى الضربة المعادية (١) .

٨ - ذكر لى أحد شهود العيان أن نقط المراقبة التابعة له أبلغته ليلة ٤ يونيو ( حزيران ) أنها شاهدت نشاطاً وتحركات غير طبيعية ، وأنه قام بإرسال هذه المعلومات إلى كل من قيادة الجبهة ورئاسته المباشرة فى القاهرة ، ولكنه علم فيما بعد أن هذه الرسالة عُرِضت على قائد الجيش فى سيناء بعد ظهر ٥ يونيو ( حزيران ) ، أى بعد انتهاء الضربة الجوية وبعد توغل القوات الإسرائيلية فى الأراضى المصرية . فقيام العدو بعمل عدائى داخل حدودنا مهما كان صغيراً ومهما كانت أهدافه محدودة قبل تدمير قواتنا الجوية وقبل استخدام العدو لقواته الجوية ، كان من الممكن أن يُشعل الموقف كله حيث كان التوتر قد بلغ أقصاه ، وكان من الممكن أن تقوم القوات المصرية - البرية والجوية - بعملية ردع فورية تؤثر ولا شك على التخطيط الذى وضعته القيادة الإسرائيلية لتدمير قواتنا الجوية فى قواعدها (٢) .

٩ - إن هناك سؤالاً هاماً يحتاج إلى إجابة : هل علمت القيادة المصرية وقيادة الجبهة على الأقل بهذا الهجوم على الموقع المتقدم بمجرد وقوعه أم لم تعلم ؟ إن كانت قد علمت به فهل كانت تتصور أن هذا الاشتباك الذى أدّى إلى دخول قوات العدو داخل حدودنا مثله مثل عملية الاستيلاء على العوجة التى قام بها العدو عام ١٩٥٥ وانتهت دون رد فعل عسكرى على الإطلاق من جانبنا ؟ وحتى رد الفعل السياسى كان مجرد بيان خافت ألقاه مندوبنا فى هيئة الأمم المتحدة وقتئذ - أم كانت تتصور أن مثله مثل المشاجرات التى تقع فى شوارع القاهرة بين شخصين يُمسك أحدهما بتلابيب الآخر ، ثم يكتفى المتشاجران

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٧٩ - ١٨٢ (٢) المصدر السابق ، ص ١٨٩ - ١٩١

بما وجهه كل إلى خصمه من سب وإهانة ، وربما تمزيق الملابس ثم تكون نهاية المشاجرة ؟ (١) .

١٠ – عندما بدأت الطائرات الإسرائيلية المعادية قيامها من قواعدها ، متجهة إلى أهدافها المختلفة فى مصر ، الأمر الذى ظهر معظمه واضحاً على شاشات الرادارات فى الجبهة الأردنية ، أسرعت قيادة القوات الأردنية التى كان على رأسها الشهيد الفريق أول عبد المنعم رياض ومعه عدد من المعاونين المصريين بإبلاغ هذه المعلومات لاسلكياً إلى كل من القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، وفى نفس الوقت إلى قيادة قواتها الجوية ، وقد كان من الممكن أن تكون هذه البرقية نقطة تحول لصالحنا فى تاريخ المعركة ، ولكن الإهمال من ناحية وعدم أخذ الأمور بالجدية اللازمة من ناحية ، حالت دون الاستفادة من هذه المعلومات الثمينة ، إن الظروف الطيبة التى هيأها لنا القَدَر فى خطأ العدو بالهجوم المبكر على الموقع المتقدم فى « أُم بسيس » ، وكذا فى اهتمام القيادة الأردنية بالتعاون مع الجبهة المصرية على أحسن ما يكون التعاون بين جيشين لدولتين متحالفتين فى معركة واحدة ، قد ذهبت سُدى (٢) .

١١ – الفوضى التى كانت عليها عناصر من بعض وحدات عادت من الجبهة إلى القاهرة ، ولم يكن معروفاً على وجه التحديد أسباب عودتها المبكرة ، وقد أبلغتنى القيادة العامة أن الوحدات التى وصلت من الجبهة إلى القاهرة فى ذلك اليوم ( يوم ٧ يونيو ) قد وصلت بنوع الخطأ ، وأن علينا أن نُعيدها ثانية ، وفعلاً عاد معظمها مع غروب الشمس من معبر جنوب البحيرات ، ولفت نظرى الحالة السيئة والإنهاك البدنى والنفسى الذى كانت عليه هذه الوحدات بعد أن أمضت الأربع والعشرين الساعة الأخيرة فى تحركات مستمرة مُعَرَّضة للقصف الجوي . بدأت سيول من الوحدات بسياراتها ومعداتها تتدفق على العاصمة دون عمل

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٩٣ (٢) المصدر السابق ، ص ١٩٥

أي ترتيب لاستقبالها وتنظيم إيوائها ، واتجهت من تلقاء نفسها إلى معسكراتها القديمة [1] .

١٢ - تمت مشاورة بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر ووافق الرئيس الراحل على انسحاب القوات المصرية من سيناء كإعلان واقعي عن هزيمتها فيها . ذلك القرار الذى اقتطع من مساحة مصر أكثر من ثُلث أرض وادى النيل وكان قراراً سياسياً أكثر منه عسكرياً ، ومن الغريب أن يبقى هذا القرار سراً مكتوماً لفترة من الوقت لا يعلم به أحد فى القيادة العامة وقد علم به رئيس الأركان مصادفة . وأن القرار قد صدر شفوياً . مرت هذه الأحداث الضخمة بسرعة وبساطة وكأن ما حدث عام ١٩٥٦ من انسحاب القوات إلى غرب القناة أصبح تقليداً يجب أن تتبعه قواتنا فى كل جولة مع إسرائيل ، وقد أثبت هذا القرار - أنه كلفنا أضعاف ما كان يُحتمل أن يصيبنا من خسائر لو قاتلنا المعركة الدفاعية بثبات وترو أو حتى لو قمنا بعملية الانسحاب كوحدات وتشكيلات منظمة تأتمر بأوامر القادة والقيادات وتنفذ التعليمات بطريقة عسكرية صحيحة . وكانت النتيجة أن فقدنا الآلاف من أبناء القوات المسلحة ، وكلهم فى عمر الزهور قدّموا حياتهم دون مقابل ، رخيصة بلا هدف حققوه ، لفظ أكثرهم أنفاسه الأخيرة فى ظروف غير إنسانية ، قاسوا فيها آلام الجوع والعطش وضربة الشمس ، ونزف الجرحى منهم دماءهم الزكية فوق رمال الصحراء المحرقة . فليس من المعقول أن يكون قرار الانسحاب فى رأس المشير عبد الحكيم عامر أو قائد المنطقة الشرقية ، أو القيادة السياسية وما زالت بعض القوات والمعدات فى طريقها من القاهرة - أو من منطقة القناة - إلى سيناء الشرقية ، كما أنه ليس من المعقول وقد أعطتنا الطبيعة مضيقاً مثالياً للدفاع عن ممر متلا على المحور الجنوبى ومضيقين مناسبين عند الختمية ورمانة وعلى المحورين الأوسط والشمالى ومع ذلك يكون الانسحاب إلى غرب قناة السويس !! [2] .

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٢٠٢

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ - ٢٠٩

١٣ - ونظر شعب مصر مشدوهاً إلى الحال الذى وصلت إليه قواته المسلحة ، وتساءل عما أوقعنا فى هذه الهاوية السحيقة ، وتوزعت عواطفه بين الألم لما حاق به من هزيمة وضياع ، وبين الأمل فى تدارك الموقف ورد الاعتبار . وتذكر بمرارة ما كان يقرأ فى الصحف عن مدى القوة التى بلغتها قواتنا المسلحة ، وبدأ يشعر أنه وقع فريسة لخدعة كبرى ، وإلا فأين الصواريخ التى رآها بعينيه ؟ أين القاهر والظافر ؟ أين قواتنا الجوية التى كثيراً ما سمع عن طريق مختلف وسائل الإعلام أنها أكبر وأقدر قوة ضاربة فى الشرق الأوسط ؟ ماذا فعلت الأسلحة السوڤييتية فى الدفاع عن الوطن ؟ ولِمَ سهَّل لنا ، بل أغرانا الحلفاء السوڤييت على الدخول فى هذه المغامرة يوم أثارونا بمعلوماتهم عن حشود إسرائيلية تعتزم غزو الشقيقة سورية ؟ لماذا وقفت أمريكا منا هذا موقف لا سيما وقد أُذيع أن السيد زكريا محيى الدين سيتوجه بعد أيام قلائل إلى واشنطن ليقابل المسئولين فى الولايات المتحدة الأمريكية بحثاً عن مخرج يرتضيه كل الأطراف ؟ [١] .

١٤- ان تاريخ الجندية المصرية تاريخ مُشرِّف على مدى الزمن ، وقد ازدهرت مصر ما أنتصرت جيوشها وكانت دائماً تنتصر إذا ما وُجِدَت القيادة الرشيدة ، وقد قاتل الجندى المصرىَ دائماً فى سبيل أهداف شريفة وسامية . إن النصر الذى أحرزته إسرائيل لم يكن نتيجة بسالة قواتها المسلحة أو شجاعة أبنائها بقدر ما كان نتيجة تقاعس القيادة المصرية [٢] .

وصدق الرجل فيما قال !

* * *

أما عبد الصمد محمد عبد الصمد فى كتابه « العشاء الأخير للمشير » فيقول : « ربما أرادت الأقدار أن يصطحب جمال معه هيكل لما جاء إلى القاعدة المتقدمة فى سيناء واجتمعنا مع عدد كبير من الضباط الطيارين وكانوا فى قمة

---

(١) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢١٩

الحماس فقالوا له : احنا لازم نضرب فى الأول ولا يمكن أن ننتظر حتى تضربنا إسرائيل كما حدث في حرب السويس .. وقالوا إنهم لا يستطيعون الانتظار طويلاً وألحوا عليه فى الرجاء فى أن يعطيهم أمراً بالضرب أو وعداً قريباً ، ولكنه رفض فقال لهم : إنه يجب أن يخضعوا للقيادة السياسية وأنه بهذه الصفة وبصفته أيضاً القائد الأعلى للقوات المسلحة سيوقع أشد عقوبة إذا عادوا لمثل هذا الحديث أو حاولوا التدخل فى الخطة العامة السياسية والعسكرية ، وعليهم الطاعة بدون مناقشة وتنفيذ الأوامر » (١) .

ويقول أيضاً : « يقول عبد الحكيم : إنه لما رفض جمال الخطة الهجومية بالبدء بالضرب بالقوات الجوية ثم دخول القوات البرية إلى الأراضى الإسرائيلية حيث تدور المعركة فى أرضهم لأول مرة ولا يستطيع طيرانهم التدخل فى المعركة لاشتباك قواتنا بقواتهم ، وكان جنودنا فى غليان حماسهم ومشتاقين لأكلهم فى معركة ثأر .. وضعنا خطة دفاعية بإخلاء غزة وكان بها أحسن قواتنا والتمركز فى الوضع الذى يجعلنا متى بدأت إسرائيل الهجوم نبدأ على الفور فى الهجوم على النقب لتدور المعركة فى أرضهم كما أردنا من الخطة الهجومية والالتحام بهم فلا تفيدهم طائراتهم حتى لو نجحت الضربة الجوية الأولى منهم ... ولكن جمال رفض هذه الخطة أيضاً ورفض الانسحاب من غزة قائلاً : و « البريستيج » بتاعنا ؟ وأقول إيه للعرب » ؟ ! (٢) .

* * *

أما « شمس الدين بدران » فقد سأله حسين الشافعى رئيس المحكمة التى حاكمت شمس وزملاءه فيما عُرِف « بقضية الاستيلاء على القوات المسلحة » أو « قضية المشير » :

– ألم يُحذركم السيد الرئيس بأن إسرائيل كانت ستضرب خلال أيام ؟

---

(١) العشاء الأخير للمشير – مذكرات المشير – أسباب الهزيمة ، دار التعاون للطبع والنشر ، ص ١٤٦ – ١٤٧

(٢) المرجع السابق .

فرد شمس الدين بدران : نعم .. « علم الرئيس من مصدر أمريكى » أن إسرائيل ستضرب خلال ٢٤ أو ٤٨ ساعة !!

والغريب أن هذا الكلام نُشِر على الناس فى حينه وفى الصحف الثلاث . إذن كانت هناك صلات موصولة بين جمال عبد الناصر والأمريكان ، رغم إعلان النظام فى تلك الفترة ، ومنذ سنوات سبقت ، معاداته لأمريكا ، والتشهير بها ، رئيساً وحكومة فى خطابات جمال عبد الناصر وصحفه وإذاعته ... لكن الأهم هو كيف علم الرئيس بأن إسرائيل سوف تشن العدوان ثم لا يتقى ذلك بضربة وقائية ! ؟

هل لأن الرئيس البطل كان قد أعلن وفى كبرى الصحف العربية « الأهرام » ومن خلال صيفه « هيكل » بأن مصر قررت أن تتلقى الضربة الأولى ؟ حتى ظن الناس أن ذلك كان تكتيكاً عسكرياً للخداع ، تفتق عنه ذهن الرئيس الملهم !! إذ كيف يتصور المرء أن يبلغ العته والخيبة برئيس دولة وقائد جيوشها الأعلى ، أن يقدم دعوة مفتوحة لعدوه كى يدمر قواته !!

لقد كان الوضع السياسى والاستراتيچى للدول العربية التى اشتركت فى الحرب من أفضل الأوضاع المؤهلة للنصر :

قبل الحرب وقعت معاهدات دفاع مشترك بين كل من مصر وسوريا ، بين مصر والأردن ، بين مصر والعراق .

وأصبحت القوات المصرية والقوات الأردنية تحت قيادة واحدة هى القيادة المصرية ، وقد تولى « الفريق عبد المنعم رياض » من القيادة المصرية قيادة القوات الأردنية ومعه عدد من المعاونين المصريين .

وكانت هناك قيادة مشتركة للقوات المصرية والقوات السورية ، كما أن سوريا هى - كما قيل - كانت سبب دخول المعركة .

وكانت العلاقة بين « مصر - عبد الناصر » و « عراق - عبد الرحمن

عارف » على خير ما يُرام ، وكان عبد الرحمن عارف رئيس العراق رجل مصر هناك .

إذن فالجيوش المحيطة بإسرائيل ، شمالاً وجنوباً وشرقاً ، والدول صاحبة هذه الجيوش ، كانت على اتفاق تام ، سياسياً وعسكرياً قبل المعركة . كما أن العراق « بقائده الكبير عبد الرحمن عارف ذى القلب الكبير الذى أعطى بغير حدود » - كما وصفه عبد الناصر فى خطاب التنحى - كان عمقاً ومدداً للجيوش المقاتلة .

هذا عن الوضع السياسى ، أما عن الوضع الاستراتيجى العسكرى فيتحدث عنه قائد كبير متخصص فى هذا الشأن ، وهو يُقَلِّب الأمر فلا يرى أسباباً مقنعة عند بحث الناحية العسكرية « لتقاعس بعض المسئولين من ساسة الدول العربية عن الاستفادة من الوضع الاستراتيجى الذى وجدت هذه الدول نفسها فيه وهى محيطة بإسرائيل من جميع الجهات ، فليس لإسرائيل حدود مع أية دولة أخرى غير عربية - ويبلغ طول الحدود أكثر من ٩٥٠ كم ، خلاف حدودها على البحرين الأبيض والأحمر ، وتتميز مرتفعات الجولان بالتحكم الكامل فى الأراضى الإسرائيلية التى تواجهها تحكماً قَلَّ أن يكون له مثيل فى حدود دول العالَم ، كما تقترب الأرض اللبنانية قرباً شديداً من أغنى مناطق إسرائيل وأكثرها كثافة سكانية ، وأنشطها صناعة وأكبرها ثروة ، وفى نفس الوقت ، يشطر خط البصر للناظر إلى البحر المتوسط من الأرض الأردنية إسرائيل إلى قسمين عند خصرها الذى لا يزيد عن ٤٠ كم ، وتستطيع قوة تعمل من الأرض الأردنية مناسبة فى حجمها ، صادقة فى عزمها ، إذا ما وصلت إلى البحر ، أن تشطر إسرائيل إلى جزئين منفصلين ، شمالى وجنوبى ، يمكن التعامل مع كل جزء على حدة بقوات الدولة ، أو الدول التى تواجهها . بالإضافة إلى هذا نُذكِّر بتحكم شرم الشيخ فى المسافة التى تفصلها عن جزيرة تيران المصرية ، ومن الممكن التحكم فى الملاحة الإسرائيلية عبر هذا المضيق الذى يصل بين إيلات والبحر الأحمر .

هذا هو خلاصة الوضع الاستراتيجى العسكرى الذى كانت فيه إسرائيل قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وهو وضع من أسوأ الأوضاع التى يمكن أن تكون فيه دولة ، ومحاطة بشعوب كارهة لوجودها ، معادية لها ، من جميع الجهات » [١] .

تُرى ! ؟ أكان كل ما حدث بشأن المسألة « الإسرائيلية - الناصرية » ، منذ أن ابتُليت مصر بعبد الناصر - منذ عام ١٩٥٢ وحتى الهزيمة عام ١٩٦٧ - وكما عرضنا - أكانت كل تلك السلسلة المحكمة الحلقات ، مجموعة من الصدف العاقلة ، وُجدت إحداها فأدت إلى الأخرى ، والثانية أدت إلى الثالثة ... وهكذا دواليك !! ضمن دائرة صدفية ، دائبة الحركة ، مؤمّنة اللّولب ! ؟ .

أم أنها كانت المؤامرة ، المخططة المُنسّقة ، بقضها وقضيضها ... بقدّها ، طولاً وعرضاً ، حجماً وعمقاً ، عارية عورة مولدها ، وعار نتيجتها ، كما ولدتها أمها الماسونية ، من غير حتى أوراق التوت ، وخباؤها أوهى من بيت العنكبوت ! ؟ .

أكبر الظن أنها كانت كذلك !!

على أن هناك ثلاث نقاط ينبغى أن نُزيل عنها اللبس :

١ - علاقة جمال عبد الناصر بالأمريكان فى عقد الستينات ، عقد الهزيمة اللّعين .

٢ - حقيقة ما أُعلن عنه فى روسيا من أنه اكتُشف مؤامرة اشترك فيها الإخوان المسلمون .

٣ - غلقه للمحفل الماسونى وحظر نشاط الماسونية فى مصر .

● أما أن علاقته بأمريكا كانت سيئة فقد كانت دعوى كاذبة . وأما تطاوله على أمريكا فى خطاباته فقد كان تهريجاً متفقاً عليه لتبرير تأجيره لروسيا لأداء

(١) الفريق صلاح الدين الحديدى ، شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٣ - ١٤

الدور الاشتراكى فى مرحلة مخطط لها سلفاً . ودليلى على ذلك حجم التعامل مع أمريكا مقارناً بغيرها من الدول عام ١٩٦٥ ، عام « من لا يعجبه البحر المتوسط فليشرب من البحر الأحمر » !! ، التى وجهت فى خطاب علنى من جمال عبد الناصر إلى الرئيس الأمريكى ، ففى عام ١٩٦٥ نظم « بيتر مانسفيلد » قائمة بقروض مصر الأجنبية وتسهيلات الدفع الممنوحة لها . فَوُجِدت على النحو التالى :

● من الدول غير الشيوعية :

| | |
|---|---|
| الولايات المتحدة | ٦ر٥٣٥ مليون جنيه مصرى . |
| ألمانيا الغربية | .ر٩٣ مليون جنيه مصرى . |
| إيطاليا | ٩ر٩٢ مليون جنيه مصرى . |
| اليابان | .ر١٧ مليون جنيه مصرى . |
| فرنسا | .ر.١ مليون جنيه مصرى . |
| بريطانيا | ٤ر٥ مليون جنيه مصرى . |
| هولندا | .ر٥ مليون جنيه مصرى . |
| سويسرا | .ر٤ مليون جنيه مصرى . |
| السويد | ٣ر٣ مليون جنيه مصرى . |
| وغيرهم | ٣ر٦ مليون جنيه مصرى . |
| المجموع | ٥ر٧٧٢ مليون جنيه مصرى . |

● من الدول الشيوعية :

| | |
|---|---|
| الاتحاد السوڤييتى | ٥ر٣٣٢ مليون جنيه مصرى . |
| تشيكوسلوڤاكيا | .ر٦٢ مليون جنيه مصرى . |

| | | |
|---|---|---|
| ألمانيا الشرقية | ٤٥ر. | مليون جنيه مصرى |
| بولندا | ٢٤ر٤ | مليون جنيه مصرى . |
| المجر | ١٢ر. | مليون جنيه مصرى . |
| يوغسلافيا | ٧ر. | مليون جنيه مصرى . |
| المجموع | ٤٨٢ر٩ | مليون جنيه مصرى . |
| ● البنك الدولى | ١٩ر٧ | مليون جنيه مصرى . |
| ● هيئة التمويل العالمى | ٣٦ر. | مليون جنيه مصرى . |
| المجموع الكلى | ١٣١١ر١ | مليون جنيه مصرى . |

( ٣٠١٥ر٥٣ مليون دولار تقريباً )

هذا إلى جانب المساعدات الغذائية التى قدمتها له الولايات المتحدة إضافة إلى بيعها قمحاً لمصر يُسدَّد ثمنه بالجنية المصرى !!

أكانت أكبر دولة فى العالم - وهى تُقدِّم له أكبر القروض والمساعدات وتسهيلات الدفع - عاشقة لسواد عيون القائد الخالد ، خائفة من بطولته ، أم أنها كانت تريد استبقاءه دوراً ومؤامرة ! ؟

● أما حكاية مؤامرة الإخوان المزعومة فقد كانت ادعاءً كاذباً ، وقد أكد « صلاح نصر » - مدير المخابرات العامة المصرية السابق - كذب ذلك الادعاء ، حيث قال : « كان عبد الناصر مقتنعاً أنهم ارتكبوا جريمة محاولة القيام باغتيالات لقلب نظام الحكم وأن القبض عليهم كان للتحفظ حتى تنتهى التحقيقات ، وفى رأيى أنه اعتقل كثير من الإخوان فى عام ١٩٦٥ بلا مبرر ، وكان لى وجهة نظر أبديتُها فى ذلك حينما علمتُ بالأعداد الكبيرة التى اعتُقلت بواسطة المباحث الجنائية العسكرية والمباحث العامة ، وأنه ليس هناك داع لاعتقال هذا العدد الضخم من الإخوان ... ولذا بعد البدء فى الاعتقالات وإيداع كثير من الإخوان فى مبنى الشرطة العسكرية طلب منى عبد الناصر التحقيق فى

هذه القضية فرفضتُ وقدمتُ استقالتى على أساس أن هذا ليس من اختصاصى ، وبقيتُ فى منزلى حوالى أسبوعاً بعد تقديم استقالتى ، ثم طلبنى عبد الناصر لمقابلته فى منزله بمنشية البكرى وسوّى الموضوع بأن ترك هذه القضية فى يد المباحث الجنائية والمباحث العامة » (١) .

ويرد « صلاح نصر » على المدعو « حسنين كروم » الذى حاول أن ينفى عن عبد الناصر علمه بالتعذيب الوحشى للإخوان المسلمين ، فيقول : « .. أما ما جاء على لسانك بعد ذلك لتستنتج أن عمليات التعذيب ضد الإخوان المسلمين مورست دون استئذان عبد الناصر أو علمه ... إلى آخره ... فهذا اجتهاد منك واستنتاج ، ولكننى لا أحب أن أجتهد أو أستنتج فى مسائل تتعلق بمصائر الناس » (٢) .

● أما أن عبد الناصر قد أغلق « المحفل الماسونى » فى شارع عدلى عام ١٩٦٣ ، فهذا صحيح !! لكن ماذا كانت تريد الماسونية العالمية من عبد الناصر أكثر مما فعله - وهى التى أتت به أصلاً - كأقوى أدواتها فى المنطقة !؟ إن إغلاق المحفل الماسونى لم يكن إلا ستاراً تحققت من ورائه أخس مؤامرة فى التاريخ العربى والإسلامى . وليس عجباً أنه أثناء إعداد القرار الجمهورى بغلق المحفل الماسونى ، تسربت « النية » إلى منتسبى « المحفل » فتخلصوا من الوثائق والمستندات الحافلة بالأسماء الوبيئة !!

ولقد ذكرتُ هذه النقاط الثلاث لأن لها علاقة وشيجة بالمسألة الإسرائيلية . إذ أن عبد الناصر كان قبل كل هزيمة أمام إسرائيل يقوم بإجراءات وحشية لتصفية التيار الإسلامى ، وينظف نفسه ظاهرياً من كل علاقة علنية له باليهود ، ويُعلن أنه فى صراع مع الإمبريالية العالمية !!

أما حكاية « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » و « إزالة آثار العدوان »

---

(١) حسنين كروم ، الصامتون يكذبون ، دار مأمون للطباعة ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

فلم تكن إلا إلهاءً للجماهير وتكميماً لأفواهها . فقد أوعز لصحفيه ومستشاره الأثير « هيكل » بأن يكتب مقالاً طويلاً فى « الأهرام » يُحذِّر فيه القوات المسلحة ، ليس من الحرب فحسب ، وإنما من مجرد التفكير فى عبور القناة إلى الضفة الأخرى ، لأن خط بارليف سيحرقهم ويُحوِّلهم إلى رماد ، وأن الخسائر ستكون رهيبة ... وذلك فى مقال أسماه « تحية للرجال » ، مما دعا « عبد الهادى ناصف » لأن يرد على « هيكل » برأى المصريين جميعاً فى صحيفة الجمهورية بمقال تحت عنوان « تحية مردودة من الرجال » ، ويقصد : مرفوضة .

بل إن دائرة من الشك تحيط بمقتل « الفريق عبد المنعم رياض » رئيس أركان القوات المسلحة ، الذى تكلم فى الأردن عن مسئولية الهزيمة ، تحدث عنها « اللواء الحناوى » ، فيما يرويه « عبد الصمد محمد عبد الصمد » ، حيث قال : « وليس مصادفة أن ينشر رجل له مكانته وعلى مسئوليته هو اللواء الحناوى فى مجلة أسبوعية مصرية « السياسى » منذ أكثر من عامين أن الفريق عبد المنعم رياض لم يمت مصادفة ، وأن جهة مصرية ( ذكرها فى مقاله ) ظلت تُذيع تحركاته والمواقع التى يزورها حتى أُصيب من قنبلة إسرائيلية ونُقلَ فى عربة إسعاف للعلاج ، وظلّت تلك الإذاعة تذيع تحركات عربة الإسعاف ! .. ثم يذهب عبد الناصر إلى القيادة العامة ويكون موجوداً فيها اللواء الحناوى صديق الشهيد والفريق محمد فوزى ، ويطلب عبد الناصر عدم إذاعة الخبر لبعض الوقت ويُذاع على أنه حادث سيارة ، ثم يسمعون الخبر يُذاع من إذاعة لندن فيُذاع الخبر ! ويقول اللواء الحناوى : إن الفريق عبد المنعم تكلم فى الأردن عن مسئولية الهزيمة وكان معه بعض الذين اعتُقلوا وحوكموا فى قضية المحاولة مع المشير والذين سبق لهم ( الكلام !! ) وقال بعضهم : « طيب ما هو الفريق رياض تكلم زينا اشمعنى احنا » ! ؟ وكان ما كان ! [(١)] .

ومات عبد الناصر عام ١٩٧٠ بعد أن قبل مشروع « روجرز » للسلام !! بين

(١) العشاء الأخير للمشير - ليست مصادفات ، ص ١٥٣ - ١٥٤

العرب وإسرائيل ، وهو مشروع لا يخرج فى إطاره العام عن اتفاقية « كامب ديڤيد » بين بيجين والسادات ... وبعد أن قبل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ قبل موته بأكثر من ثلاث سنوات وهو قرار صاغه اللؤم اليهودى والخبث البريطانى فى عبارات ملتوية تتحدث عن انسحاب إسرائيلى من أراض عربية احتُلت ، وعن تعويض للاجئين واعتراف بإسرائيل !! وبالمشروع والقرار قضى عبد الناصر على « لاءات » الخرطوم الثلاث : لا صلح ، لا مفاوضة ، ولا اعتراف بإسرائيل .. تلك « اللاءات » التى مُنِحَ بموجبها مساعدات الدعم فى مؤتمر السودان !!

* * *

● أما فى سوريا ، فإن « حافظ الأسد » - الذى كان وزيراً للدفاع أثناء المعركة - قد سلم « الجولان » لإسرائيل من غير قتال ، وأعلن سقوط « القنيطرة » قبل أن تصلها القوات الإسرائيلية ، وكانت الجائزة التى تسلمها حافظ الأسد هى تنصيبه رئيساً للجمهورية العربية السورية بعد تصفية مجموعة « صلاح جديد » .

ويبدو أن الدور والظرف فى سوريا لم يكن يتطلب بعثياً فحسب ، بل كان يقتضى خستين أُخريين : هما « النصيرية » و « الخيانة » . لم يكن نظام صلاح جديد - وفق التركيبة الطائفية فى سوريا - بقادر - وصلاح جديد نفسه سُنِّى الانتماء - على سحق الجماهير السُنِّية ودك المدن على مَن فيها ، تفريغاً للشعب من دواعى الجهاد . فجىء بحافظ الأسد ، « بعثياً » « نصيرياً » « خائناً » ، ليؤدى ذلك الدور . والنصيريون عملوا من قبل جواسيس للتتار وعملاء للفرنسيين ، كطائفة مجهولة الأصل زائفة العقيدة ، تستؤجر من كل معادٍ للإسلام والعروبة .

ولعل إخوتنا فى سوريا والعراق ولبنان لا زالوا يذكرون قضية المدعو « إياد ثابت » - الاسم المستعمار للجاسوس الإسرائيلى الذى ظل فى دمشق أميراً

للصالونات وشريكاً « لآل أسد » فى صفقات تجارية وعمولات .. تُفتح له دوواين الحكومة وقصور الرئاسة على اتساع الأبواب . وقد ظل النظام العراقى يذيع وينشر فى إذاعته وصحفه - لأسباب خاصة بالنظامين العراقى والسورى - هويّة ذلك الجاسوس الإسرائيلى ، لمدة عام كامل ، ولم يرعو حافظ الأسد ، حتى انتشرت الرائحة العفنة فى كل مكان من سوريا ، فاضطر للقبض عليه وإعلان « اكتشافه » كجاسوس !! ومحاكمته ثم إعدامه فى ميدان عام . ونعته إسرائيل باسمه الحقيقى « إيلى كوهين » !!

وأدخلت أمريكا حافظ الأسد بعقد عمل تحت ما يُسمى حفظ التوازن الطائفى فى لبنان .. وراح هناك بجيشه ذى القيادات البعثية والطائفية ليذبح الفلسطينيين فى « تل الزعتر » ويتواطأ مع إسرائيل وموارنة لبنان لتصفية المقاومة الفلسطينية ، ويُفسح الطريق لغزو إسرائيل للبنان !! كانت المصفحات والمدرعات وناقلات الجنود الإسرائيلية تمر بجوار الصواريخ السورية !! فى لبنان ومعسكراتها وكأنها « ريش النعام » !! لا طلقة واحدة ، بل ولا حتى دبوس إبرة وُضِعَ أمام « كاوتشوك » إحدى عجلات السيارات الإسرائيلية !!

ولا زال حافظ الأسد منصرفاً ، حاجباً الشعب السورى ، عن صراعه الحياتى مع اليهود ، إلى لعبة الحرب الأهلية فى لبنان ، متحالفاً مع الأمريكان ويحارب الشعب السورى بأسلحة الروس !! وكان أبرز استخدام لتلك الأسلحة - وفق ما صدرت من أجله أصلاً - « مذبحة » العصر فى « حماة » التى راح ضحيتها أكثر من أربعين ألفاً من مسلمى السُنَّة ، سُوِّيت جثثهم بالأرض ، ودُكت من فوقهم البيوت والمتاجر والمدارس والمستشفيات .

* * *

● وفى السودان قام « جعفر نميرى » بانقلاب مايو ١٩٦٩ فى حراسة العم سام ، إجهاضاً للحركة الشعبية التى كانت ملامحها قد بدأت تتحدد وترسم

معالِم الطريق . وتقلّب نميرى فى الولاءات المختلفة المُخططة بين روسيا وأمريكا ، وأحياناً تضع بريطانيا بعض اللمسات ، حسب مراحل تطور حكمه البغيض . وبالسلاح الروسى ، وبالتخطيط الأمريكى ، وإشراف نظام عبد الناصر ، أباد نميرى نحو خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين فى جزيرة « أبا » .

وكان آخر المخطّطات تمسحه المشبوه بالشريعة الإسلامية ليظهرها ، بأنفاسه العفنة - وهى الغرّاء - بصورة مُزرية أمام أعدائها فى الخارج والداخل ، حتى تُعطى الفرصة لكارهيها لأن ينادوا باستحالة التطبيق !!

وفى ليلة سوداء ، ومن تحت عباءته المختالة البيضاء ، خرج يهود الحبشة المعروفون باسم « الفلاشا » ، ليستوطنوا فلسطين .. !! وقد تم تدبير أمر ترحيلهم - الذى خجلت الحبشة الشيوعية الصليبية منه - من مطار السودان ، باتفاق سرى بين نميرى وأمريكا وإسرائيل .

* * *

● وفى طرابلس جيىء بـ « معمر أبى منيار » الملّقب خطأ « معمر القذّافى » !! وسواء صدق ما قاله عنه « عمر المحيشى » من أنه من يهود مصراته ، أو ما يدّعيه هو من عروبة مُركّزة ، فإنه ، ومنذ أن ابتُليت به ليبيا والمنطقة ، لا زال طفل القوّتين العُظميين المدلّل ، حتى لو داعبته إحداها بتهديد كاذب لتصنع منه بطلاً ، على طريقة « القائد الخالد » الذى قال له : « معمر .. إنك تذكرنى بشبابى » !!

وقد بدأ القذّافى « ثورته » !! بإعلان عن تدينه ، ورفاقه ، ثم انتهى إلى إنكار السُنّة المطَهَرة ، وهدّد علماء المسلمين فى ليبيا ، فى مؤتمر عقده تحت ضجيج هتافات « لجانه الثورية » بأنه إذا عارضه العلماء فسيتخذ إجراءات مشابهة لتلك التى اتخذها « أتاتورك » ، الذى اعتذر عنه قائلاً : « إن أتاتورك كان مضطراً لاتخاذ تلك الإجراءات ليواجه بها الرجعية الدينية » !!

وكان من أبرز أعماله الإجرامية تصفيته الجسدية للشاب المسلم « صالح بوصير » - وزير خارجيته فى السنوات الأولى لحكمه . وقد تم بتدبير بينه وبين إسرائيل ، حيث أسقطت النيران اليهودية طائرة كان يستقلها « بوصير » ومعه نحو مائة من راكبى الطائرة .

وكانت جريمة « صالح بوصير » أنه قد أعلن قبل ذلك بنحو شهر ، ونُقِل حديثه فى الصحف العربية والأجنبية ، أن هناك ثلاثة قادة أثَّروا فى الفكر الإسلامى فى القرن العشرين ، تأثر هو وجيله بهم ، وهم : « حسن البنا » فى مصر و « أمين الحسينى » فى فلسطين و « الأمير الخطابى » فى المغرب !! ودمغ أباطيل عملاء الإنجليز فى الفكر المعاصر الذين انتقدوا الاتصالات ، التى قيل إن المرحوم « الحاج أمين الحسينى » كان قد أجراها مع « هتلر »، ودافع عن هذه الاتصالات مبيناً أن الإنجليز كانوا يصنعون إسرائيل ، وكان على الرجل - وليته استطاع - أن يستعين بأعداء الإنجليز ... وكان لا بد فى منطق الماسونية وعملائها أن يموت صالح بوصير !!

وعن عمالة القذّافى وعن الدور الأمريكى الإسرائيلى الروسى فى صناعة وتبادل هذا القذّافى وغيره من العملاء ، يتحدث « رائد عطار » فيقول :

« فهل نخطىء حين نتذاكر الآن أن التى نصبت القّذافى على ليبيا هى « المخابرات الأمريكية » ، وأن الذين أيّدوه هم فلول الناصرية ، وأن الذين اختطفوه من أمريكا ، ليخدم مخطط « الصهيونية وإسرائيل » من أجل تمزيق الأمة الإسلامية والعربية هم حكام « موسكو » ، وأن موسكو هى التى تحميه وتسلحه الآن وتسكت على ما يرتكب وتغطى سيطرتها عليه ببيان قصير يشجب الإرهاب لاستغفالنا ! ولِمَ لا .. والعالم كله يستغفلنا ويستعملنا ؟ ! وإذا كان المجرم الأصلى هو الثلاثى : « أمريكا - روسيا - إسرائيل » هذا الثلاثى الذى يُنَصِّب علينا دائماً إما عميلاً مزدوجاً له ، إلا فى حالة واحدة عندما تتنافس هذه العواصم وتتخاطف العملاء الذين تولّوا علينا من بعضها ، فهل آن لنا أن نثوب

إلى أننا لن نُفلح حتى نُحكِّم « قرآن الله عز وجل » فى عملية تنصيب الحكام ، وسياسات واستراتيچيات الحكّام » ؟ ! [١] .

هذا هو دور « ثوّار العم سام » فى المسألة « الإسرائيلية » ، حيث خلقت « الماسونية » العالمية ، من خلالهم ، هذا الوضع الشائن الوبىء الذى تقلّصت فيه أهداف وآمال العرب « فى ظل الأمر الواقع حتى صارت مجرد إيجاد وطن قومى للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ونسعى للحصول على تصريح مشابه لتصريح وعد بلفور الشهير » [٢] ، بل أدنى من ذلك بكثير !!

* * *

(١) جريدة النور ، العدد ١٩٤ - ٢٧ نوفمبر ١٩٨٥ - ص ٨
(٢) شاهد على حرب ٦٧ ، ص ١٣

## الماسون يُجهضون الصحوة الإسلامية فى تركيا !!

بعد موت أتاتورك فى عام ١٩٣٨ استمر نظام الحكم بأسلوب الحزب الواحد ، حزب الشعب الجمهورى تحت رئاسة عصمت أينونو الذى أصبح رئيساً للجمهورية واستمر فى هذا المنصب حتى عام ١٩٥٠ . وعلى طريقة سلفه الهالك كان كل اهتمام النظام منحصراً فى لا دينية الدولة وتغريبها والقضاء على كل أثر للإسلام ، ومارست مجموعة من داخل الحزب تحت قيادة عصمت نوعاً من الديكتاتورية الجماعية على كل مناحى الحياة ، وحتى سنوات الحرب العالمية الثانية لم تُقلّل من قبضة الدولة الحديدية على المجتمع فلم يُسمح بأى نوع من الحرية الدينية أو السياسية أو الاقتصادية (١) .

وكان أهم أساس لمنهاج الحزب هو الأركان الستة التى يُوصف بها نظام « تركيا الحديثة » !! وقد أدخلت فى صلب الدستور عام ١٩٣٧ فأصبحت أساس نظام الدولة أيضاً وهى أن تركيا : « جمهورية » « ملّية » – أى وطنية أو قومية – « شعبية » ، « دولية » أى تدخل الحكومة اقتصاديا ، « لائيكية » – أى لا دينية – « انقلابية » (٢) .

وقد جاء فى شرح اللادينية أن الحزب قد قبل كمبدأ أساسى أن تقوم قوانين الدولة وأنظمتها على أساس العلم والفن ويتسق مع أصول الحضاة الحديثة ، وهو يعتبر الدين أمراً وجدانياً ، كما يرى أن فصل الدين عن أمور الدنيا والسياسة وسيلة رئيسية لتقدم الأمة وسموها !! وهو يعد صيانة اللُّغة القومية والثقافة القومية من تأثير اللُّغة والثقافة الأجنبية ( أى اللُّغة العربية والفكر الإسلامى ) الذى يمكن أن يأتى عن طريق الدين أمراً ضرورياً لمصلحة الأمة التركية فى

---

(١) George Haddad ; Revolutions and Military Coups d'Etat in Turkey . p. 113 .

(٢) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٧٣

حالها ومستقبلها ، وأن انتساب شخص ما إلى نوع مَعين من العقائد أو عدم تدينه لا يعتبر مزية أو نقصاً فى حد ذاته فى الهيئة الاجتماعية أو الحياة القومية (١) .

وعلى الجانب الشعبى وفى مواجهة خطط اللادينية والتغريب كانت هناك الحركة الفكرية المعروفة باسم « النورسية » أو « جماعة النور » التى قام بها العلأمة « بديع الزمان » ( سعيد النورسى ) وتلامذته طلأب النور .

وقد عكف « سعيد النورسى » على كشف حقائق الإسلام لتلامذته ومريديه ، مبيناً مزايا شريعته للشباب المتوثب فى تركيا ، وأخذ يكتب عدداً من الرسائل الإسلامية تحت عنوان « سلسلة رسائل النور » فألّف وكتب كثيراً من المقالات والرسائل كان أهمها : « كتاب المقالات » ، و « كتاب المكتوبات » ، و « كتاب اللمعات » ، و « كتاب الشعاعات » ، و « كتاب إشارات الإعجاز فى فطان الإيجاز » ، و « كتاب المثنوى النووى » ، و « كتاب عصا موسى » ومجموعة من الرسائل المختلفة بيَّن فيها أُصول العقيدة الإسلامية ، وكشف الشبهات التى وضعها أعداء الاسلام ، ودعا إلى التمسك بالإسلام وإحياء شريعته ، وإظهار تعاليمه ، وبيَّن مقدار الحاجة إليها ليس فى تركيا وحدها وإنما فى بقية العالَم الإسلامى .

وقد لعب بديع الزمان وتلامذته دوراً بارزاً فى الذَود عن الدين الإسلامى الحنيف والتصدى لأتاتورك وأفكاره الإلحادية فى تركيا . فالتف حوله ملايين الشباب المسلمين يدافعون عن كلمة اللّه ونشر تعاليمه الحقة بين صفوف الشعب التركى ، هذا وقد مات بديع الزمان فى ٢٣ مارس سنة ١٩٦٠ قرير العين مرتاح الضمير بعد أن شاهد حملة الكتاب يكثرون ويزدادون فى تركيا (٢) .

---

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٧٥

(٢) الدكتور محمد سعيد الشعفى وزملاؤه ، الدولة الإسلامية ، - دار الأصفهانى - جدة ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩

لكن المعارضة السياسية جاءت من داخل النظام ومن الحزب الحاكم ومن قادته العلمانيين ، وأدت إلى ظهور أحزاب معارضة ، تقدمت إلى الجماهير ببعض التوجهات الإسلامية ، مثل « الحزب الديمقراطى » و « حزب العدالة » ، ثم تطوّرت الأمور إلى ظهور أحزاب إسلامية راديكالية من خارج النظام مثل « حزب السلامة الوطني » ..

وكلما زاد المد الإسلامى وحازت تلك الأحزاب المعارضة على ثقة الجماهير ، وبدأت قاب قوسين أو أدنى من التغيير المطلوب ، تحرك الماسون ، عن طريق الانقلابات العسكرية ، من خلال مخلفات أتاتورك ، من عجائز الضباط اللادينيين ، بإشارة من « العم سام » ، ليُجهضوا الصحوة الإسلامية !!

ولنتتبع ما جرى منذ منتصف الأربعينات وحتى الانقلاب الأخير ... انقلاب عام ١٩٨٠ ..

فى عيد الشباب المصادف لتاريخ ١٩ مايو ١٩٤٥ وجّه عصمت أينونو خطاباً للشعب ، وقد جاء فى هذا الخطاب : إن النظام الجمهورى المستند إلى حكم الشعب سيستمر فى سيره التقدمى ، وأنه كلما زالت أسباب المصاعب والتحديات التى اقتضتها حالة الحرب أمكن التوسع فى النشاط الديمقراطى .

وعقب إلقاء « أينونو » خطابه بأيام ، عُرِضت الميزانية على المجلس ، فانبرى بضعة أشخاص من كبار الأعضاء - ومنهم من كان رئيس وزارة مثل جلال بايار ، ومنهم من كان وزيراً ، ومنهم من كان سكرتيراً عاماً مثل رجب بكر ، يوجهون الانتقادات وجارح الكلام إلى الحكومة ، ويندّدون بالإسراف وسوء التصرف ، والإخفاق فى المجال الاقتصادى ونقائص الإدارة والغلاء ، ويردّدون ما يدور على ألسنة الناس من تهم السرقات والرشوات ، وأهابوا بالحكومة أن تنسحبي إذا كانت عاجزة ، ثم استعملوا حريتهم فى التصويت ضدها [١] .

(١) محمد عزة دروزة ، تركيا الحديثة ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

وفى أغسطس سنة ١٩٤٥ طرح على المجلس « ميثاق سان فرنسيسكو » فاتخذه أحد الأعضاء وسيلة للتنديد بعدم الانسجام والاتساق بين الفعل والتطبيق وبين الدستور فى تركيا ، وقال : إن الميثاق يقتضى أن تكون الأمم المشتركة فيه حرة ديمقراطية نظرياً وعملياً ، وأن لا يكون للتحكم والإملاء مجال فيها ، وعاضده فى موقفه بعض النواب ، وجرت مشادة بين المعارضين والمؤيدين (١) .

وانفتح منذ أول الصيف باب تشاد صحفى بين كتّاب يدافعون عن النظام القائم وفوائده وفضله وصلاحه ، وآخرين يهاجمون الوضع القائم وعدم الاتساق بينه وبين نصوص الدستور ومبادىء الديمقراطية والحرية ويتهمونه بالفاشية (٢) .

وسرى أثناء ذلك كله شائعات عن نية فريق من النواب وغيرهم فى تأسيس حزب ديمقراطى حر (٣) .

ويقول « جورج حدّاد » : « إن المعارضة التى أتت من داخل « الحزب الجمهورى » شكلت « الحزب الديمقراطى » فى يناير ١٩٤٦ وفازت بـ ٦٢ مقعداً من ٤٦٥ فى انتخابات يوليو من نفس العام ، وبعد أربع سنوات ، وفى مايو ١٩٥٠ أحرز الحزب الديمقراطى - الذى ساند الحرية الدينية والعلمانية المعتدلة ، وتشجيع المشروعات الخاصة - نصراً كاسحاً فى الانتخابات ، ففاز بـ ٤٠٨ مقعداً تاركاً ٦٩ مقعداً للحزب الجمهورى ، وكانت هذه الانتخابات أول انتخابات حرة فى تركيا . وهكذا كانت تركيا تتحوّل إلى نظام تعدد الأحزاب فى نفس الوقت الذى كان أمنها يُربط بأمن العالَم الغربى .

« وهكذا انتصرت الحرية والديمقراطية وازداد عدد الصحف والمجلات ، واندمج الفلاحون فى الحياة السياسية النشطة . وانتقل حزب الشعب الجمهورى بقيادة أينونو إلى المعارضة ، وقد قيل إن ضباط الجيش قد عرضوا خدماتهم على الرئيس أينونو ، بأن يحافظوا له على قوته ، لكنه رفض ، وفضّل أن يُقاتِل

(١) المرجع السابق . (٢) نفس المرجع . (٣) نفس المرجع .

على رأس المعارضة البرلمانية ، وفى ٢٢ مايو ١٩٥٠ . انتخبت « الجمعية الوطنية الكبرى » جلال بايار ، رئيس الحزب الديمقراطى ، رئيساً للجمهورية . وأصبح « عدنان مندريس » رئيساً للوزراء » [١] .

أما « عباس محمد العقاد » فيتحدث عن السبب الأعمق الذى أدى الى هذا التحول الكبير قائلاً : « دلت الانتخابات الأخيرة فى البلاد التركية على تحول الناخبين تحولاً كبيراً من حزب مصطفى كمال الذى حكم البلاد زهاء ثلاثين سنة إلى الحزب الديمقراطى الذى لم ينقض على تكوينه بعد خمس سنوات .

وكثرت الأسباب التى يعلل بها الباحثون السياسيون هذا التحول الكبير ، فقد يرجع إلى السآمة التى تتسرب إلى الشعوب رويداً رويداً من كل حكم طال عهده ، وقد يرجع إلى نشأة جيل جديد لا يحيط بخياله ذلك السحر الأخاذ الذى شمل به مصطفى كمال أبناء جيله ، وقد يرجع إلى اشتداد الغلاء أو إلى المساعى الأمريكية التى تحارب التوسع فى التأميم وتنتظر من الحزب الغالب أن يقتصد فى تأميماته بعض الاقتصاد .

وقد يرجع إلى سبب أعمق من جميع هذه الأسباب وأقوى ، فيكون هذا التحول الكبير مظهراً من مظاهر الاحتجاج على حركة الفرنجة أو « الاستغراب » ( Westernization ) التى فرضها مصطفى كمال فرضاً شديداً على الأمة التركية ، وامتعض منها المتدينون والوطنيون فى زمنه ، ثم ما زالوا يتحينون الفرص حتى سنحت لهم فى هذا الانتخاب الذى اتسع للمعارضة الصحيحة لأول مرة فى تاريخ الجمهورية التركية .

ونعتقد أن الاحتجاج على حركة الاستغراب هذه كامن فى الوعى الباطن من أعماق الأمة التركية » [٢] .

---

(١) George Haddad ; Revolutions and Military Coups d'Etat in Turkey , P. 114 .

(٢) عباس محمود العقاد ، بين الكتب والناس - الحركة الطورانية ، مطبعة مصر ، ص ٤٠ .

ويعلل « محمد جلال كشك » نشأة الحزب الديمقراطى ويتحدث عن البرنامج الانتخابى الذى تقدم به عدنان مندريس وعن بعض مشروعاته الإسلامية فيقول : « بعد الحرب تقدم ستالين بمطالبه القيصرية ، طالب بامتيازات روسية فى المضايق وضم ولايات فرس - أرضهان - قرقوصة ... وفزعت تركيا فاستجابت للضغط الأمريكى الذى كان يطالبها بالانضمام الى حلف الأطلنطى ... ولكن حلف الأطلنطى رفض انضمامها إلا إذا أصبحت دولة ديمقراطية يقوم نظامها على النظام الغربى ... أى تعدد الأحزاب ... فاختار « أينونو » جلال بايار آخر وزراء كمال أتاتورك وكلفه بتشكيل حزب معارض ... هو الحزب الديمقراطى ... ولكن « مندويس » كان أعرف بحقيقة مشاعر الجماهير ، وأقدر على مخاطبتها ، فأصبح هو « دينامو » الحزب وروحه ..

« وفى انتخابات عام ١٩٥٠ نزل الحزب الديمقراطى ببرنامج عجيب .. توقعت له كل الدراسات الأمريكية الفشل المطلق ... كان برنامجه لا يتضمن أكثر من :

- عودة الآذان باللُّغة العربية .

- السماح للأتراك بالحج .

- إعادة تدريس الدين بالمدارس .

- إلغاء تدخل الدولة فى لبس النساء ، فإذا كان التقدم يأبى أن تفرض الدولة الحجاب على المرأة ، فإن التقدم يتنافى أيضاً مع فرض الدولة العرى عليها .

- إعادة « أيا صوفيا » مسجداً كما كان طوال خمسة قرون » .

ويضيف جلال كشك : « أحب الأمريكيون أن يُجروا اختباراً حول نجاح الكمالية فى استئصال ميول الشعب الدينية » . وأن نتيجة سقوط حزب أتاتورك كانت مذهلة . وأن عدنان مندريس استجاب لمطالب الشعب فعقد أول جلسة لمجلس الوزراء ( غير كمالى ) فى غُرَّة رمضان وقدَّم للشعب هدية الشهر

الكريم : الآذان بالعربية ، وحرية اللّبس ، وحرية تدريس الدين .. وبدأ تعمير بعض المساجد .. ولم يستطع أن ينُفذ وعده فى « أيا صوفيا » ولكنه سمح للمسلمين بالصلاة فى مقدمتها . وأن حكومة مندريس استردت المساجد التى باعها عهد أتاتورك . وفتحت عشرات الآلاف لمدارس تحفيظ القرآن ومدارس الأئمة والخطباء ومعاهد تدريس الدين .. منها ٣٥ ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم » [١] .

ويبدو أن عدنان مندريس لم يدرك أبعاد اللعبة الدولية ، فخالف « القوانين الكمالية » عندما استثمر التوجهات الكامنة فى وجدان الأُمة ، أو أن الصحوة الإسلامية انبعثت فى أعماقه هو ذاته ، فلم يُصغ لنصائح رئيس الجمهورية جلال بايار ، وواصل الإفراج عن عقيدة الشعب ، واستمر فى السير على طريق المشاعر الإسلامية .

سمح بالحج لآلاف الأتراك . وكان الحج محظوراً رسمياً فى تركيا الكمالية منذ عام ١٩٢٦ . ولئن كان لم يُصدر قراراً حكومياً بذلك فقد غَضَّ الطرف عن تحرك الحجيج إلى الديار المقدسة ، وأوعز إلى وزير داخليته أن يُسهِّل خروج الأتراك ، بادىء الأمر من ميناء أزمير ، ثم الموانىء والمطارات الأخرى فيما بعد ، بجوازات سفر سياحية ، حتى وصل عدد من تمكن من الأتراك ما بين مائة وعشرين ألفاً إلى مائة وثلاثين ألف حاجاً ، فى الفترة الثانية من حكمه .

وراح يزور المساجد التاريخية ، ويُصلّى مع الجماهير ، فكان أول رئيس وزراء ، بل أول مسئول كبير منذ أتاتورك ، يركع ويسجد علناً أمام العالَم . وأوعزت القوى الماسونية – التى فزعت من الصحوة الرسمية – إلى صحفها ومجلاتها فى تركيا والخارج بأن تلتقط الصور من الخلف لعدنان مندريس وهو راكع أو ساجد ، تسخر من « قلة العصرية » وما أسمته « الأوضاع المزرية » !! فما ازداد الرجل إلا استمراراً فى أداء المشاعر .

---

(١) محمد جلال كشك ، حوار فى أنقرة ، ص ٥٩ - ٦١

وبعد غياب نصف قرن عاد كثير من الأتراك إلى الأزهر ، وجُدِّد الرواق القديم ، في الدور الأرضى على يمين الداخل إلى صحن الجامع التاريخى العتيق ، تعلوه لافتة خضراء ، كُتِب عليها تعريف بكلمات بيضاء « رواق الأتراك » .

ودارت المطابع فى تركيا بطبعات جديدة للمصحف الشريف بالحروف العربية ، وبالبنط الكبير ، ومن قبل « مندريس » كان المسموح بطبعه ترجمة بالتركية وبالحروف اللاتينية للقرآن الكريم .

وبدأت صحف ومجلات إسلامية تصدر باللُّغة العربية ومعها صحف ومجلات تصدر باللُّغة التركية بحروف عربية بدلاً من اللاتينية !!

وأدار عدنان مندريس ظهره لليهود ... و « اليهودية » هى بيت القصيد فى « الحركة الكمالية » ، التى أسست ما يسمى « تركيا الحديثة » !!

وتقرب عهدنان مندريس من « طلأب النور » وتقربوا إليه ، ودعم جمعياتهم ورسائلهم ، وسمح لهم بحرية الحركة الواسعة !!

ونُقِل عن عدنان مندريس قوله : « لن أكون أبداً رئيس وزراء سابق » !!

( I Will never be an ex-prime minister )

وفق ما رواه « جورج حدَّاد » .

وبات واضحاً أن عدنان مندريس قد تخطى « الخط الأحمر » ، غير عابىء بالقرار الدولى ، الذى يحكم الأوضاع العامة فى تركيا ويرسم معالِم الطريق .

وتحركت دوائر الشيطان الثلاث : « الدائرة الماسونية » و « الدائرة الصليبية » و « الدائرة الاستعمارية » ... وكانت هذه الدوائر تراقب وترصد وتحلّل المعلومات .

ماذا يجرى فى تركيا على المستوى الرسمى ! ؟

أهو بعث للإسلام ! ؟

إذن آن الأوان ... لا بد من الضربة !!

وتحرك « العم سام » !!

وانتهى الحكم المدنى والاستقرار فجأة فى السابع والعشرين من مايو ١٩٦٠ بتدخل الجيش ، بانقلاب قاده الجنرال « جمال جورسيل » ، البالغ من العمر ستة وستين عاماً ، والذى كان قد خدم تحت قيادة مصطفى كمال أتاتورك فى معركة « غاليبولى » منذ خمسة وأربعين عاماً من قبل . وكان قد تقاعد مؤخراً .

وقُبِضَ على رئيس الجمهورية جلال بايار ، ورئيس الوزراء عدنان مندريس ، ونحو أربعمائة من قيادات الحزب الديمقراطى . وحُلَّت الجمعية الوطنية الكبرى !! (١) .

ومنذ صباه الباكر كان « جمال جورسيل » - كأحد أفراد « الدونمة » - ضمن صغار الضباط الذين جندتهم « المحافل الماسونية » للعمل ضد الدولة العثمانية فى آخر أيامها ... فهو ماسونى منذ النشأة ، ظل مرتبطاً بأوكارها ومخططاتها حتى الشيخوخة .

وقُدِّم قادة الحزب الديمقراطى وأركان الحكم الى محاكمة صورية سريعة ، قضت بإعدام عدنان مندريس . وشُنِقَ - رحمه الله - بعد ثلاثة أيام من النطق بالحكم ، وشُنِقَ معه أيضاً « فطين ذورلو » الذى كان يدعو لوحدة عربية تركية تكون قلب العالم الثالث . أما « جلال بايار » رئيس الجمهورية ، فقد حُكِمَ عليه بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، لم يقض منها إلا القليل ثم خرج بعفو صحى !!

وبعد أن استنفد الانقلاب أغراضه ، من ضرب للصحوة الإسلامية وإعطاء شارة التحذير وحظر النشاطات الدينية إلا بعض « التنفيس » الهين - بديل الكبت ، الذى قد يؤدى إلى انفجار ، يقود بدوره إلى ما هو أخطر على

(١) George Haddad ; The Coup d'Etat of May 1960, P. 114 - 115

الماسونية والغرب من نظام مندريس - سُمِحَ بقيام الأحزاب مرة أخرى ، لأن تركيا كجزء من الغرب الأوروبى ومنظماته ( هكذا !! ) ، لا بد أن يكون نظامها ديمقراطياً متعدد الأحزاب !!

وعاد حزب أتاتورك للظهور بقيادة « بولان ايجيفيت » تحت رعاية وإشراف العجوز « عصمت أينونو » - قبل هلاكه مؤخراً . وظهر حزب آخر فى إطار النظام ، ومن منطلقات ماسونية ، وإن كان قد راهن على المشاعر الإسلامية ، لأن النظام التركى ليس لديه ما يقدمه فى لعبة الانتخابات إلا الإفراج عن عقيدة الجموع ... وكان ذلك الحزب هو « حزب العدالة » بقيادة « سليمان ديميريل ».

وعن هذا الحزب يتحدث محمد جلال كشك :

« وظهر حزب العدالة ، وظهر « سليمان ديميريل » الذى راهن على نفس المشاعر الدينية للجماهير ... وتوجَّه للصلاة فى المساجد هو وزعماء الحزب ، ومرة أخرى اكتسح الانتخابات فى سنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٩ ( ٢٦٣ من ٤٥٠ نائباً ثم ٢٥٧ ) وضاعف ديميريل عدد مدارس الأئمة إلى ٧٢ ، ومدارس تحفيظ القرآن إلى ١٢ ألف ، وصارت سياسته أكثر تقرباً للعرب وأكثر تجنباً للانغماس فى العلاقات التركية - الإسرائيلية ..

وكان أخطر قرار هو اشتراكه فى المظاهرة الإسلامية ضد إسرائيل بالرباط بعد حرق المسجد الأقصى ... رغم أن وزير خارجية تركيا وسفرائها فى أكثر من دولة اقترحوا عدم اشتراك تركيا لأنها دولة علِمانية ... وقد سألته جريدة « جمهوريت » التركية ... كيف يشترك فى مؤتمر الرباط وتركيا دولة علِمانية ، أليس ذلك خروجاً على الكمالية ... فكان رده : « إن القدس تهم الأتراك أكثر من أى شعب آخر » .

وقد علقت « لوموند » على اشتراك تركيا بمقال تحت عنوان « هل استيقظ الرجل الميت » ؟

وبدأت حملة عالمية على « الرِّدة » الدينية فى تركيا .

هذه الحملة كان يقودها صحفي يهودي هو « سامي كوهين » يعمل محرراً في صحيفة « مليت » باسطنبول » [١] .

ومع كل ذلك فقد كان سليمان ديميريل منضبطاً ، وفي إطار اللعبة ، بعيداً عن الخط الأحمر ... وقام بدور محاولة الاستيعاب أو الاحتواء ، أي « الفرامل » المانعة من الاقتراب من الخطر !!

أما الخطر ، فقد جاء من حزب نشأ بعيداً عن مخطط النظام ، متحدياً « القرار الدولي ، داس « الخط الأحمر » ذاته ، في استعلاء الإيمان ... وكان ذلك هو « حزب السلامة الوطني » الذي قاده البروفسور مهندس « نجم الدين أربكان » .

نشأ الحزب إسلامي المنطلق ، أصولي الذكر ، تحديثي الطموحات التقنية .. مقاتلاً على طريق اقتلاع الكمالية واللادينية ، هاتكاً الستر عن مخططات الماسونية .

حصل الحزب في انتخابات عام ١٩٧٣ - ولم يكن قد مضى على تأسيسه إلا شهور - على ٤٤ مقعداً ، واشترك في الائتلاف الوزاري بأربعة وزراء ، منهم السيد « نجم الدين أربكان » - الذي عُيِّن نائباً لرئيس الوزراء ، والسيد « عبد الكريم دوغره » وزير الصناعة والتكنولوچيا ونائب الحزب عن مدينة قرص - الذي ألقى خطاباً في احتفال كبير نقتطف منه مايلي :

« الحمد لله رب العالمين الذي جعل من أبناء تركيا خادماً لدينه الحنيف وخاصة أن هذه المنطقة تقع مقابل دولة من أخطر دول العالم على الإسلام وهي الاتحاد السوفييتي . والحمد لله فأبناء شرق تركيا يرفضون الشيوعية واللادينية ولا يقبلون بديلاً للإسلام » [٢] . والسيد « حسن أقصاي » وزير الدولة

---

(١) محمد جلال كشك ، حوار في أنقرة ، ص ٦٢

(٢) عن مجلة « المجتمع » الكويتية نقلنا المعلومات الواردة في هذه النقاط ، مايو ١٩٧٧

الذى عَيّن أكثر من اثنى عشر ألفاً وخمسمائة ( ١٢٫٥٠٠ ) إماماً ومؤذناً ، وخاصة من القرّاء وحفّاظ القرآن الكريم فى عام ١٩٧٧

ولما كان عام ١٩٧٤ هو عام الانتخابات فى تركيا ، وجّه أحد الصحفيين من « حزب العدالة » السؤال التالى للسيد « أربكان » : « أنت كزعيم إسلامى ماذا تريد من المسلمين من اليوم وحتى يوم الانتخابات » ؟ فرد السيد « أربكان » : « نحمد الله على ما تعرفونه عن الحركة الإسلامية وهذا شيء جميل ، والمطلوب من المسلمين فى كل أنحاء العالم هو الدعاء ، والجهاد ضد أعداء الإسلام . وليس إلى يوم الانتخابات فقط ، بل إلى آخر حياتهم ، ونرجو من الله عز وجل أن يجعلكم خادماً للإسلام » [١] .

وفى اعتداد المسلم ، وعن دراية بحنين الشعب التركى إلى العودة إلى إسلامه ، أعنى العودة الرسمية ، صرح السيد أربكان زعيم حزب السلامة الوطنى قائلاً : « اليوم نستطيع تصنيف أبناء تركيا إلى صنفين اثنين ؛ أولهما : صنف فى إطار حزب السلامة ، والآخر حول ذلك الإطار ينتظر دوره فى الانضمام لهذا الحزب ، وحتى يأتى موعد الانتخابات لا يبقى - بإذن الله - إلا إطار واحد ، وذلك لأن الأتراك علموا أى حزب يعمل لأجلهم ويخدم دينهم » [٢] .

سمع الأتراك لأول مرة منذ خمسين عاماً هذه التصريحات الرسمية ، ذات الصبغة الإسلامية ، لوزراء فى الحكومة ، ومن حزب علنى شرعى الوجود ... فتنادوا إلى الجهاد من خلال حزب السلامة الوطنى ... تنادوا إلى الخلاص من مخلفات « صنم » اسمه « أتاتورك » !!

انضم إلى حزب السلامة أكثر من خمسة آلاف مواطن فى يوم ٢٢ إبريل عام ١٩٧٧

---

(١) المرجع السابق . (٢) نفس المرجع .

. وذلك بعد صلاة الجمعة فى مدينة « إستانبول » وحدها ، وانضم أيضاً فى مدينة « قونية » ٣٧٥ قبيلة مع أفرادها . وكذلك بمدينة « كرابنار » ١٥٦ قبيلة بأفرادها ، وانضم إلى حزب السلامة النائب السابق ومساعد رئيس حزب الحركة القومية المحرر الأستاذ « عثمان يوركسل سردن كجتى » بعد حفلة خاصة فى مقر الحزب فى أنقره ، والجدير بالذكر أن السيد عثمان ينادى منذ أكثر من أربعين سنة بتغيير النظام اللادينى فى تركيا ، كذلك انضم إلى حزب السلامة ستة من زعماء حزب الحركة القومية بعد انضمام السيد عثمان يوركسل وهم السادة إسماعيل حقى بلايلى أونجلو وحسين أوزمز وكرم أفشار ونهاد يازار وحمدى خلال . وانضم كذلك السيد فاروق امتكلاح وقد كان سكرتيراً عاماً لحزب الحركة القومية ، وقال فى مؤتمر صحفى له : إننا نعتز برفع راية حزب السلامة لأنه الحزب الإسلامى الخالص .

وراحت الجماهير التركية المسلمة تجوب الأقضية والمدن والقُرى تهتف لحزب الخلاص الإسلامى ، فى تظاهرات تردد « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ثم تتجمع فى دور الحزب .

ولأول مرة منذ خمسين عاماً تعلو مقر الحزب - حزب رسمى - لافتة عليها كتابة بالعربية « الله » بدلاً من صورة « الذئب الأغبر » شعار اللادينية الكمالية ، وصورة مكبرة لصفحتين مفتوحتين من القرآن الكريم ، بدلاً من الشكل الذميم لذلك العتُّل الزنيم .. « أتاتورك » .

واتفق الحزبان الماسونيان : حزب العدالة ( فى الحكم ) وحزب الشعب ( فى المعارضة ) على تأجيل الانتخابات من يونيه إلى أكتوبر ، خوفاً من اكتساح الجماهير المسلمة - تحت راية « حزب السلامة الوطنى » - الانتخابات ، والحصول على الأغلبية التى تبعث الإسلام ، رسمياً من جديد !!

وأعلن البروفسور نجم الدين أربكان أن حزب العدالة الماسونى قد يخطو خطوة أخرى بتأجيل الانتخابات إلى أجل غير مسمى .. وقد كان !!

وجدير بالذكر أن قرار إرسال القوات المسلحة التركية إلى جزيرة قبرص ، لحماية الأقلية التركية المسلمة من وحشية القبارصة اليونانيين ، كان بضغط من « حزب السلامة الوطنى » ، بل وكانت مطالبه أن يتعدى الجيش التركى الخط الذى وقف عنده فى قبرص ، قال أربكان : إن هناك أثراً إسلامياً فى قبرص كان ينبغى أن يكون ضمن القسم التركى من الجزيرة .

ولعله من المفيد ، ونحن نختم حديثنا عن حزب السلامة الوطنى ، أن نُورد الخطاب الجامع الذى ألقاه زعيم حزب السلامة الوطنى ، بمناسبة انعقاد « المؤتمر الإسلامى » السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية فى « إستانبول » ليلة الجمعة ١٣ جُمادى الأولى ١٣٩٦ هـ ( الموافق ١٣ مايو ١٩٧٦ م ) .

يقول « القائد المسلم » الذى جاهد فى سبيل « بعث إسلامى » وسط غابة الماسون والكماليين وعملاء اليهود ، الذين حكموا تركيا بالتناوب ... من « حزب الشعب » إلى « حزب العدالة » .... من « ديميريل » إلى « ايجيفيت » :

بسم الله الرحمن الرحيم

« أرحب بكم جميعاً وأحييكم تحية المحبة والاحترام كممثلين عن العالم الإسلامى الكبير الذى يقطنه ما يقارب المليار من المسلمين . وأحمد الله عز وجل الذى جمعنا فى هذه الليلة المباركة - ليلة الجمعة العظيمة .. وفى هذا المكان التاريخى العريق ... إن هذا القصر الذى شاء الله أن يُعقد فيه هذا المؤتمر الاسلامى الكبير ... وقد نُقِشت على بابه كلمة الإسلام الجامعة « لا إله إلا الله » .. هو قصر السلطان محمد الفاتح الذى بناه عقب فتح إستانبول .. كيف لا يكون هذا المكان تاريخياً وفيه كانت تدبر شئون العالم الإسلامى ردحاً من الزمن ؟ ، وكيف لا يكون تاريخياً ومنه كانت تنطلق جيوش المسلمين إلى جميع أنحاء الدنيا مجاهدة فى سبيل الله ، تنشر النور والهداية والعدل أينما حلّت وحيثما ضربت ؟ .. كيف لا يكون تاريخياً وفوق هذا الحجر الذى يرتكز

عليه الميكروفون كانت تُنصب رايات الجيوش الإسلامية المنطلقة للذّب عن ديار المسلمين جميعاً ؟ ، وأذكر - على سبيل المثال لا الحصر - أن قرار إرسال الأسطول الإسلامى للحيلولة دون وقوع كل من أندونسيا والفلبين فى براثن الاستعمار الهولندى اتُخذ فى هذا المكان ... وفيه أيضاً اتُخذت قرارات إرسال الجيوش والأساطيل الإسلامية لحماية « شمال إفريقيا » من الغزاة الطامعين ...

وفوق هذا كله ، فإن هذا البناء التاريخى يضم بين جدرانه لواء الرسول الأعظم ﷺ وبُردته المباركة وسيوفه ، وكثيراً من آثاره الشريفة .

أيها الأخوة الكرام ..

إن الآمال العريضة لتداعب نفسى ، وأنا أخاطبكم معبراً عما يجيش فى صدرى ... أخاطبكم وقد اختلط الأمل بالاعتزاز والفخر ... كيف لا وقد اجتمع ممثلو خمسين دولة إسلامية فى هذا المكان الذى كان مركزاً للدولة الإسلامية الكبرى يوم كانت تنتظمَ كل هذه الدول الخمسين فى دولة إسلامية واحدة ؟ ... إذن ... فإننا بالتقائنا فى هذا المكان التاريخى أكدنا تساندنا وتضامننا ، وعليه فإنه من أوجب الواجبات أن نعمل جادين على توحيد كلمتنا واستعادة قوتنا لكى نتمكن من استلام راية القيادة من جديد ... عندها فقط نُخلِّص العالَم من المظالم والفساد وننشر نور الإسلام فى كل أرجاء الدنيا .

أيها الأخوة الكرام ..

**إن مدينة القدس الشريف إسلامية ، وستعود إسلامية إن شاء الله بعد تخليصها من أيدى الصهاينة المعتدين - أعداء الله ورسوله ... ومساهمة منا فى قضية فلسطين الإسلامية أعلنت تركيا استعدادها التام لفتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى تركيا ، كما أننا نستنكر المعاملة الوحشية التى يتعرض لها إخواننا مسلمو فلسطين ، ونطالب بإعادة حقوقهم المغتصبة وإرجاعهم إلى ديارهم فى أقرب وقت . ونستنكر أيضاً حرب الإبادة التى تُشَن ضد المسلمين**

فى الفلبين وأرتيريا وكشمير وتراقيا الغربية وتركستان الشرقية وفى كل مكان فى العالَم يُضطهد فيه المسلمون .

أيها الأخوة الكرام ...

إننا نطالب بأن نترجم أقوالنا هذه أفعالاً ... فنعمل على تطوير العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين سائر الدول الإسلامية كخطوة فى طريق الوصول إلى وحدة العالَم الإسلامى الكبير ... واعلموا أيها الأخوة الكرام أن الدول الإسلامية فى غِنى عن تقليد الدول الغربية الرأسمالية المستغِلة وعن الشيوعية المضادة لطبيعة الإنسان وفطرته ، ولذا لا بد من القيام بدراسات ثقافية واجتماعية وبحوث اقتصادية نابعة من صميم الشريعة الإسلامية لبناء مجتمعنا الإسلامى على أسس سليمة تحفظ له طابعه الإسلامى وشخصيته المتميزة .

وفى الختام .. أحمد الله سبحانه وتعالى الذى هيأ لنا أسباب هذا اللّقاء المبارَك لنتناول الحديث حول أمانينا المشتركة فى ظل الأخوة فى الله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وأحييكم جميعاً كممثلين عن الدول الإسلامية ، راجياً لهذا المؤتمر الإسلامى وللدول الإسلامية كلها وللمسلمين جميعاً التوفيق والسَداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

* * *

أكل ذلك يحدث فى تركيا !! ؟

أوَ قد عادت النغمة المفقودة ، من جديد !! .. ومن خلال حزب رسمى شرعى ، يشارك فى الحكم بوزراء !! ؟

**أيضيع كل ما زرعته « الماسونية العالَمية » ، وحركَت فى سبيله دائرتين أخريين ، هما « الدائرة الصليبية » ، و « الدائرة الاستعمارية » على مدى أكثر من قرن من الزمان ، منذ « العثمانيين الجدد » أو تركيا الفتاة ! ؟ ومروراً**

بعصابة « الاتحاد والترقى » و « انقلاب الدونمة والماسون » ، وانتهاءً بـ « أتاتورك » ! ؟

ودقت الأجراس فى « المحفل الكونى الماسونى » !!

وتجاوبت مع الأجراس إنذارات إضاءات اللمبات الحمراء فى « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية » و « البنتاجون » ... ومع « واشنطون » تحركت باقى القوى الاستكبارية والمطايا والذيول !!

وأعطت أمريكا الإذن .

وتحرك الجيش التركى !!

وكان الفزع من « حزب السلامة » ولم يكن خوفاً من « حزب العدالة » !!

وعن الانقلاب الأخير فى تركيا يقول الدكتور وحيد رأفت :

« وفى تركيا حيث استولى العسكريون على الحكم بقيادة الجنرال « كنعان إيڤرين » فى سبتمبر ١٩٨٠ ، فألغوا الأحزاب السياسية القائمة ، وحلوا البرلمان ، وعطلوا الدستور ، وسجنوا الزعماء السياسين السابقين ، وجردوهم من حقوقهم السياسية لمدة عشر أعوام ، اضطر الحكم العسكرى تحت ضغط الرأى العام الأوروبى والأمريكى ( فتركيا عضو فى حلف شمال الأطلسى وفى غير منظمة أوروبية ) وكنتيجة أيضاً للظروف الاقتصادية المتدهورة ، إلى التخفيف من قبضته الحديدية على الحكم ، فأصدر العسكريون دستوراً جديداً للبلاد فى نوڤمبر ١٩٨٢ اختير بموجبه الجنرال كنعان إيڤرين رئيساً مدنياً للدولة ، وسُمح بتشكيل أحزاب ثلاثة جديدة لتحل محل الأحزاب السابقة ؟ بارك النظام إحداها وهو الحزب الديمقراطى الوطنى ، وسمح لهذه الأحزاب الجديدة بخوض الانتخابات العامة التى جرت فى البلاد ، وهُزم فيها الحزب الذى باركه النظام ، بينما فاز بأغلبية الأصوات أحد الحزبين الآخرين « الحزب الوطنى الأم » بزعامة

رجل الاقتصاد السيد تورجوت أوزال ، فكُلِّفَ بتشكيل حكومة مدنية لتخليص البلاد من الأحوال الاقتصادية المتدهورة » [(١)] .

ومن عجب - وإن كان ذلك طبيعياً - أن يُطالِب المدعى العام التركى بإعدام البروفسور مهندس « نجم الدين أربكان » زعيم حزب السلامة الوطنى دون غيره - وهذا طبيعى أيضاً - من الزعماء الذين سُجِنوا - صورياً - من باقى الأحزاب !!

وأنا على يقين أن الصحوة الإسلامية أكبر بكثير من الإجهاض الماسونى ، وأدواته من القوى الاستكبارية خارج الحدود ، وعملائها من التوابع الذيلية داخل الحدود !!

لقد هلك طواغيت كثيرون تسربلوا بدروع « العم سام » منذ الخمسينات ، وظنوا ، أنهم عندما كالوا الضربات الوحشية لطلائع البعث الإسلامى ، قد سحقوا « الرجعية الدينية !! » ... لكن نبتت على جثثهم - التى تحللّت إلى العدمية فى الأرض الطيبة - براعم الأمل والرجاء !!

وسيهلك الماسون الجدد كما هلك أسلافهم من قبل .

﴿ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ [(٢)] .

« صدق الله العظيم »

* * *

(١) جريدة الوفد - ٩ يناير ١٩٨٦ - ص ١٣

(٢) الجن : ٢٤

# خاتمة

## ضفادع وعقارب فى الشرق الأوسط

يُحكى أن عقرباً أراد أن يعبر النهر من ضفة ، إلى الضفة الأخرى ، وحيث إنه لا يجيد السباحة ، فقد التمس العون من الضفدع ، وقال لها : السلام عليكِ أيتها الضفدع ، هل تساعدينني على عبور النهر إلى الضفة الأُخرى ؟

فقالت الضفدع : ومن يضمن لى ألا تلدغنى ونحن فى وسط النهر ..

فرد العقرب : الضمان الوحيد هو أننى إذا لدغتك ، ستموتين أنت ، كم أموت أنا .

وسُحِرت الضفدع بمنطق العقرب ، ووافقت على حمله على ظهرها ، وعندما وصل الاثنان إلى منتصف النهر تحرك العقرب ولدغ الضفدع ... وعندما كان الاثنان يغرقان فى النهر ، تطلعت الضفدع بعين دامعة إلى العقرب ، وسألته : لماذا فعلت ذلك ؟

فأجابها : إنه الطبع ، والطبع ، كما تعرفين ، غلاّب .

* * *

بهذه القصة الرمزية والتعليق عليها ، قدمت « دورين قيس Doreen Kays » - مراسلة شبكة « آى . بى . سى » التليفزيونية الأمريكية فى القاهرة - لكتابها :

( Frogs and Scorpions, Egypt, Sadat and the Media )

وقد نُشِر مترجماً فى صحيفة « القبس » الكويتية تحت اسم « عقارب وضفادع فى الشرق الأوسط » على مدى أربع وثلاثين حلقة بدءاً من الجمعة ١٩٨٤/٦/١ وحتى الثلاثاء ١٧ / ٧ / ١٩٨٤ ...

ونستعير هذه القصة الرمزية كخاتمة لهذه الدراسة ، مع تعديل جزئى لطبيعة ودور « العقارب و « الضفادع » فى الحركة « الماسونية » العالمية .

« فالعقارب العذَّارة » القاتلة ، هى التى تستخدم أو تستحمر « الضفادع الغبية » العميلة ، فى جميع بقاع العالم التى وُضِعت تحت البردعة الماسونية ... لكن « العقارب » - فى موضوعنا - لا تغرق فى معظم الأحوال . فهى عقارب برمائية ، ولها ريش أيضاً ، إنها تستطيع أن تُغرق « الضفادع » ... ثم تعبر النهر أو المستنقع ، سابحة أو طائرة ، بعد أن تستنفد فترة الركوب ، محتفظة فى ذنبها بسم بتجدد ، لتلدغ به مسلسل « الضفادع الغبية » فى سلسلة الدائرة الجهنمية الماسونية ... وصولاً إلى « مملكة داوود » !!

وإذا كان صحيحاً أن « العقارب » تستطيع أن تستثمر أوضاعاً مائلة أو تستغل ظروفاً معوجة ، بل وكثيراً ما تخلق هى الظروف والأوضاع فى المستنقعات الراكدة .:. فإنها ، فى بعض الأحيان ، لها حسابات ومراجعات وتراجعات !! فهى تجفل من النهر الجارف الذى تندر فيه « الضفادع » المُستحْمَرة !!

أعنى أن « المؤامرة الماسونية » - فى صورة « القرار الدولى » - لا يمكن تنفيذها إلا من خلال « أدوات محلية » !!

« فالكثير من القرارات التى تُتخذ دولياً ... » - على حد تعبير أمير حركة التوحيد الإسلامى بلبنان - « ... لا يمكن تنفيذها فعلياً ما لم تُحَط بموافقة محلية ، أما إذا قوبل القرار بالرفض التام ، حين ذاك يتعثر تنفيذه ويصبح حبراً على ورق ، وقد استطعنا فعلاً إلغاء الكثير من القرارات عندما أوجدنا لها رأياً عاماً رافضاً ، وبذلك فوّتنا على الخصوم فرصة إنجاح كثير من المؤامرات ... فالقوات الفرنسية والأمريكية والصهيونية مثلاً دخلت بيروت والكثير من

الأراضى اللبنانية بقرار دولى ، ولكنها لم تجد بُداً من الانسحاب فى أكثر الحالات .. لأنها قوبلت بالرفض المحلى » .

ويقول أيضاً : « وكم من أُمة كانت محكومة بالقرار ، أصبحت مُتحكّمة به ، إن قيام دور المسلمين فى صناعة الخارطة السياسية العالمية ليس أمراً مستحيلاً » .

إن الأشخاص الذين لهم دراية بالمجاز والبلاغة القديمة فى الشرق الأوسط سيرون الأمر على أنه أكثر من مجرد حكاية بسيطة عن الضفادع التى تثق بالآخرين ، والعقارب الغدّارة المختبئة فى جنون الشرق الأوسط ... ومعظم الناس سيفسرونها على أنها حكاية تُبيِّن أن « الضفادع ستظل ضفادع » و « العقارب ستبقى عقارب » .

إن العقرب سيفعل ما يجب أن يفعل ... فإن عاجلاً أو آجلاً لا بد أن يعمل ما يأتى منه كأمر طبيعى .

إن « العقرب » لدغ « الضفدع » وهى فى منتصف النهر ، لا شىء ، إلا أنه لم يعد يحتمل الانتظار مدة أطول !!

فغباء « الضفدع » كان فى تجاهلها الحقيقة !!

وحقائق كثيرة تضيع فى شرقنا الأوسط ... شرق العروبة والإسلام ... ولا يتعظ كثيرون من تكرار أحداث مماثلة ، بنفس الأنماط ونفس الحالات ... وقد خلت من قبلهم المُثلات !!

إننا فى الشرق الأوسط ، وفى العالم الإسلامى بعامة ، لسنا فى حاجة إلى « مصل » واق ، ينقذنا من سم العقرب ، أو إلى « حاوى » يفصد بمشرطه مكان اللّدغة .. لكننا - إذا أردنا أن نعيش - فى حاجة إلى « مطارق » ثقيلة تسحق العقرب ذاته ، على التحقيق !!

﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ ، وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ، وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (1) .

« صدق الله العظيم »

* * *

وكان الفراغ منه بمدينة أبو تيج العامرة عند فجر الاثنين غُرة جُمادى الآخرة من عام ١٤٠٦ هـ ( الموافق ١٠ من فبراير عام ١٩٨٦م ) والحمد لله رب العالمين .

* * *

(1) الأنبياء : ١٠٩ - ١١٢

# مراجع الكتاب

## (أ) الإنجليزية :


1 - A History of Christian Missions, Stephin Neill, London, 1971.

تاريخ الإرساليات المسيحية ، استيفان نيل ، لندن ، ١٩٧١

2 - Ataturk - The Rebirth of a Nation, Lord Kinros. London, 1965.

أتاتورك – بعث أمة ، لورد كينروز ، لندن ، ١٩٦٥

3 - A New Encyclopaedia of Freemasonary, Arther Edward Waite, London.

موسوعة جديدة في الماسونية ، آرثر إدوارد وايت ، لندن .

4 - Darkness Visible, Walton Hannah, London, 1963.

الظلام .. مرئياً ، والتون حنا ، لندن ، ١٩٦٣

5 - Emergence of Modern Turkey, Bernard Lewis Oxford, 1965.

نشأة تركيا الحديثة ، بيرنارد لويس ، أكسفورد ، ١٩٦٥

6 - Freemasonary - a critical study, Misbahul Islam Faruqi, Karachi, 1968.

الماسونية – دراسة نقدية ، مسباهول إسلام فاروقي ، كراتشي ، ١٩٦٨

7 - Israel's Wisdom Literature, O. S. Rankin, Edinburgh.

أدب الحكمة الإسرائيلي ، أ . س . رانكين ، أدنبرة ، ١٩٦٤

8 - Jewish Conspiracy - The Protocols of The Learned Elders of Zion, Social Reform Society - Kuwait, Kuwait.

المؤامرة اليهودية – بروتوكولات حكماء صهيون ، جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت .

9 - Revolutions and Military Rule in the Middle East, George. M. Haddad, New York, 1965.

الثورات والحكم العسكري في الشرق الأوسط ، جورج حداد ، نيويورك ، ١٩٦٥

10 - Speculative Masonary : Its Mission, its Evolution and its Landmarks, A. S. Macbride, Glasgow, 1914.

الماسونية التأملية : رسالتها وتطورها ومعالمها ، أ . س . ماكبرايد ، جلاسجو ، ١٩١٤

11 - The Arab Awakening, George Antonius. New York, 1970.

الصحوة العربية ، جورج أنطونيوس ، نيويورك ، ١٩٧.

12 - The Standard Jewish Encyclopaedia, Cecil Roth, London, 1966.

الموسوعة اليهودية المثالية ، سيسل روث ، لندن ، ١٩٦٦

13 - The Standard Ritual of Scottish Freemasonary a Coded Book, Edinburgh, 1927.

الطقوس المثالية للماسونية الأسكتلندية ، كتاب بالشفرة ، أدنبرة ، ١٩٢٧

14 - The word Missionary Conference - Volume 10 Missions and Governments, Edinburgh, 1910.

مؤتمر التبشير الدولي - المجلد العاشر - الإرساليات والحكومات ، أدنبرة ، ١٩١.

15 - What Price Israel, Alfred M. Lilienthal.

ما ثمن إسرائيل ؟ ، ألفريد م . لينتتال .

* * *

(ب) العربية والمعربة :

١ - أباطيل وأسمار ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، ١٩٧٢

٢ - إخوان الصفا ، محمد غلاّب ، دار الكاتب العربي .

٣ - أسرار الماسونية ، جواد رفعت آتلخان ، المختار الإسلامي .

٤ - الإسلام والعروبة ، د . محمود كامل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦

٥ - الإمبراطورية البيزنطية ، أومان ، ترجمة د . مصطفى طه بدر ، دار الفكر .

٦ - البداية والنهاية - الجزء الرابع ، ابن كثير ، المطبعة السلفية ، ١٩٣٢

٧ - بصراحة عن هيكل ، كرم شلبي ، مطبعة عابدين ، ١٩٧٥

٨ - بيزنطة والإسلام - ملحق لكتاب الدولة البيزنطية ، فازلييف ، القاهرة . ١٩٥

٩ - بين الكتب والناس ، عباس محمود العقاد ، مطبعة مصر ، ١٩٥٢

١٠ - التاريخ - الدولة الإسلامية ، د . محمد سعيد الشعفي وزملائه ، دار الأصفهاني ، جدة

١١ - تاريخ الترك والمغول في آسيا من مبدأ نشأتهم إلى عام ١٩٠٥ ، ليون كاهون ، المقتطف ، ١٩١٦

١٢ - تاريخ القومية العربية - الثورة العربية ، د. جلال يحيى ، دار المعرفة .

١٣ - تركيا الحديثة ، محمد عزة دروزة ، مطبعة الكشاف - بيروت ، ١٩٤٧

١٤ - تركيا والسياسة العربية : أمين شاكر ، سعيد العريان ، محمد عطا ، دار المعارف ، ١٩٥٥

١٥ - تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ، مصلحة الاستعلامات .

١٦ - التمرد : قصة الأرجون ، مناحم بيجين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨

١٧ - التوجه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، محمد رفعت ، دار المعارف .

١٨ - الجامع لأحكام القرآن الكريم - الجزء الثامن عشر ، القرطبي ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٤٦

١٩ - الجزائر الثائرة ، كوليت وفرانسيس جانسون ، ترجمة محمد علي الشريف وزميليه ، دار الهلال ، ١٩٥٧

.٢ - حركات ومذاهب في ميزان الإسلام ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة .
٢١ - الحركة التورانية الجديدة - المقتطف - الجزء الخامس من المجلد التاسع والأربعين - نوفمبر ١٩١٦
٢٢ - حوار في أنقرة ، محمد جلال كشك ، المختار الإسلامي ، ١٩٧٥
٢٣ - خطاب البروفسور مهندس نجم الدين أربكان في المؤتمر السابع لوزراء خارجية الدول الإسلامية ، ١٩٧٦ - المجتمع الكويتية ، جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت .
٢٤ - الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة : محمد خليفة التونسي ، دار الكتاب العربي .
٢٥ - الدولة البيزنطية ، نورمان بينز ، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، القاهرة ، .١٩٥
٢٦ - الذئب الأغبر - مصطفى كمال ، هـ . س . آرمسترونج ، دار الهلال ، ١٩٥٢
٢٧ - المسألة الشرقية .. دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ( ١٢٩٩ - ١٩٢٣ م ) ، محمود الشاذلي ، مكتبة وهبة . ١٩٨٩
٢٨ - السياسة الأمريكية والثورة المصرية - فصل مُعرَّب من كتاب مايلز كوبلاند : لعبة الأمم ، بدون .
٢٩ - شاهد على حرب ٦٧ ، الفريق صلاح الدين الحديدي ، مكتبة مدبولي ، ١٩٧٤
.٣ - الصامتون يتكلمون ، سامي جوهر ، المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٥
٣١ - الصامتون يكذبون ، حسنين كروم ، دار مأمون للطباعة .
٣٢ - الصهيونية في الستينات ، محمود نعناعة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤
٣٣ - الظاهرة القرآنية ، مالك بن نبي ، دار الفكر ، ١٩٦٨
٣٤ - العالَم العربي اليوم ، مورو بيرجر ، ترجمة محيي الدين محمد ، دار مجلة شعر ، بيروت ، ١٩٦٣
٣٥ - عروبتنا ، محمود كامل ، دار المعارف .

٣٦ – العشاء الأخير للمشير ، عبد الصمد محمد عبد الصمد ، دار التعاون .

٣٧ – الغزو الفكري ، محمد جلال كشك ، المختار الإسلامي ، ١٩٧٥

٣٨ – القومية العربية ، حازم زكي نسيبة ، بيروت ، ١٩٥٩

٣٩ – كتاب عباس حلمي الثاني ، اللورد كرومر ، المقتطف ، المجلد السابع والأربعون – أغسطس ١٩١٥

٤٠ – الكتاب المقدس – العهد القديم : أسفار التوراة والأنبياء والملوك والتواريخ والمزامير ، من ص ٢ – ١٣٥٨ ، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى ، ١٩٧٧

٤١ – الكتاب يتكلم ، الأدفنست السبتيين ، مطبعة الشرق الأوسط ، ١٩٥٠

٤٢ – الكشاف الفريد ، خالد محمد علي الحاج ، مطابع الدوحة الحديثة ، ١٩٨٣

٤٣ – كلمتي للتاريخ ، محمد نجيب ، دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨١

٤٤ – كيف يفكر زعماء الصهيونية ، أمين هويدي ، دار المعارف ، ١٩٧٤

٤٥ – لعبة الأمم ، مايلز كوبلاند ، ترجمة مروان خير ، مكتبة الزيتونة ، بيروت ، ١٩٧٠

٤٦ – لمحات من تاريخ العالم ، جواهر لال نهرو ، ترجمة عبد العزيز عتيق ، دار المعارف .

٤٧ – الماسونية في العراء ، د . محمد علي الزغبي ، نقلا عن الكشاف الفريد .

٤٨ – محاضرات في نشوء الفكرة القومية ، ساطع الحصري ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٤٩ – محاضر محادثات الوحدة ، محمد حسنين هيكل ، الأهرام ، ١٩٦٣

٥٠ – محمد رسول الله ، مولاى محمد علي ، ترجمة مصطفى فهمي ، عبد الحميد جودة السحار ، مكتبة مصر .

٥١ – مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار ، ١٩٧٨

٥٢ – مذكرات شاهد القرن – الطالب ، مالك بن نبي ، دار صادر ، بيروت .

٥٣ - مذكرات اللورد كرومر - المقتطف - المجلد السادس والأربعون - فبراير ١٩١٥
٥٤ - مذكرات ونستون تشرشل ، ونستون تشرشل ، الدار القومية للطباعة والنشر .
٥٥ - ملوك العرب ( نقلاً عن فصول مختارة من كتب التاريخ ) ، أمين الريحاني ، وزارة التربية والتعليم .
٥٦ - المنطق الثوري للحركة العربية الحديثة ، عبد الله الريماوي ، دار المعرفة ، ١٩٦١
٥٧ - موجز تاريخ العالم ، هـ . ج . ويلز ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد .
٥٨ - الوثيقة - الإسلام الخطر ، محمود الشاذلي ، المختار الإسلامي ، ١٩٨٥

* * *

(جـ) مجلات وصحف :

١ - الأهرام ٢٩ / ١ / ١٩٨٦
٢ - التاج المصري - لسان حال الشرق الأكبر المصري - يقوم بتحريرها نخبة من كبار الماسون - العدد ٥٦٢ - السنة الثانية عشر - ٢٥ مارس ١٩٣٨
٣ - الثقافة - العدد الرابع - يناير ١٩٧٤
٤ - أخبار اليوم ١١ / ١ / ١٩٨٦
٥ - الدعوة - العدد ١٣ - يونيه ١٩٧٧
٦ - روز اليوسف - العدد ٢٥٥١ - ٢ / ٥ / ١٩٧٧
٧ - الكاتب - العدد ٧٤ - مايو ١٩٦٧
٨ - المجتمع ( الكويتية ) - مايو ١٩٧٧
٩ - النور ٢٧ / ١١ / ١٩٨٥ ، ١٥ / ١ / ١٩٨٦
١٠ - الوفد ٢٩ / ٨ / ١٩٥٨ ، ٢ / ١ / ١٩٨٦ ، ٩ / ١ / ١٩٨٦

* * *

# محتويات الكتاب



* * *

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٥٦٥ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى : ٣ / ٢١١ / ٣٠٧ / ٩٧٧

طبع بالمطبعة الفنية ت : ٣٩١١٨٦٢